دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

— ٤ —

القيامة والصعود

الأب متى المسكين

اهداءات ٢٠٠٢

القمص/ متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية
ـ ٤ ـ

القيامة والصعود

الأب متى المسكين

الكتاب: الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية
(٤) القيامة والصعود.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٨٢.
الطبعة الثانية: ١٩٩٢.
الطبعة الثالثة: ٢٠٠٠.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٢/٩٢٨٢
رقم الإيداع الدولي: ٧ ـ ٠٣٦ - ٢٤٠ ٩٧٧
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ القاهرة.

المحتوى

إنجيل آلام وأمجاد قيامة

«بموتك يارب نبشر و بقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف...». القداس الإلهي.

إنجيـــل آلام:

بدأت أحزان المخلص مبكرة جداً، وامتزجت بحياته اليومية صور متعددة من الآلام الضاغطة، يتحسسها الذين مالوا إلى عشرته فيجدوا فيها ملجأ فريداً في الأحزان، وكتاباً صاغته حياته في أبواب مستوفاة كل نواحي الألم...

وقد زادت قصته روعة، تلك الأيدي التي كتبته في سلاسل وقيود، وراجعته عيون أنهكتها الدموع ــ بقصد أن تقرأه تلك الجماعات المبعثرة في زوايا المدن التي أحدقت بها نيران التجارب من كل ناحية... حتى صار إنجيلنا بشكله وموضوعه، بذرة زُرعت في هوان، ورويت بالدموع، ونمت في وسط لهيب نار الإضطهاد في أنحاء الأرض المتفرقة، تجمعها نفس الظروف الواحدة... ولكنها انتصرت وقامت واستقامت كباذرها. وأتت بثمار، نحن لون من ألوانها.

* * *

وإنه وإن كانت هناك أنواع أحزان كثيرة نعرفها، إلا أنه ليس فيها كلها ما يماثل أحزان الذي صُلب بالشوك.

ومع ذلك فكثير من أحزانه لازلنا نجهلها...

إنه وإن وُجد مجرَّبون كثيرون بتجارب مرة — ولكن ليس كمن جُرِّب في أهله وأحبائه وتلاميذه ورؤسائه وحكامه، وفي مبادئه وتعاليمه وأقواله وآيات رحمته، وفي جسده وفي طريقة موته.

وإنه وإن كانت طبيعة الألم تزداد بمقدار نبل الإنسان وحساسيته — فهل يمكن أن يتصور أحد مقدار الآلام التي أصابت نفس المسيح، وعمقها...

لذلك فهو بلا شك رئيس الآلام ومكملها.

لذلك استطاع أيضاً أن يأتي بأولاد كثيرين إلى المجد، مكمِّلاً خلاصهم بالآلام (عب ٢ : ١٠).

وسار قائد خلاصنا عبر وادي الآلام والدموع، «وإذ قد تألم مجرَّباً فهو قادر أن يعين المجرَّبين» (عب ٢ : ١٨)، و يسكب عليهم من أحشاء رحمته عطفاً وحنواً وغفراناً.

من أجل ذلك كم كان لائقاً لنا جداً، ونافعاً ومفيداً، أن يتألم المسيح أولاً، ثم يدخل إلى راحته...

* * *

ولكن القارىء يلاحظ وهو يتصفح قصة خلاصنا، أن الآلام تتجمع في سرعة غير عادية، خلال الصفحات الأخيرة، كختام سيمفونية حزينة، تتوارد فيها تعبيرات الحزن شديدة مسرعة، تنبىء السامع بقرب انتهاء المأساة، فيها يسكب الموسيقي كل مشاعره على أوتاره المتجاوبة معه، فتمتزج فيها السرعة والشدة والألم معاً...

هذه جثسيماني، بؤرة صغيرة تركزت فيها أكثر آلام عرفتها الأرض، وأقواها...

وعلى رمية حجر من أقرب أحبائه، ارتأى أن يحزن وأن يكتئب وحيداً... لا بمستوى أحزانه الكثيرة التي مرت عليه، ولكنه حزن حتى الموت.

يقول عنه القديس بولس الرسول إنه كان بصراخ ودموع (عب ٥ : ٧).
و يقول عنه القديس لوقا الإنجيلي إنه كان مصحوباً بجهاد جسدي عنيف، استنزف قطرات العرق من جبينه كنقط الدم ــ مع أن الليل كان بارداً (لو٢٢ : ٤٤).

ولكن، ما هذا الحزن الشديد...
أكان فزعاً من الآلام القادمة...؟
ولكن الآلام التي لم تُفزع الشهداء، كيف تفزعه؟!
والصليب الذي قبله بطرس منكساً بشجاعة... أيجزع هو منه...؟!

لم يكن قطعاً حزن الرهبة من الآلام، ولا جزعاً من الصليب مهما كانت عذاباته، فهو لم يخشَ الموت قط، لأنه جاء ليتممه، بل ولد له. نحن نخشى الموت، لأننا نجهله. أما هو، فكان يعلم كل شيء، و يعرف أين سيمضي، بل و يرى المجد الذي ينتظره.

كانت أحزاناً حقيقية ثقيلة، واكتئاباً شديداً، ومرارة مميتة ــ لم يكن مصدرها رهبة من الموت، أو جزعاً من ألم ــ فهو رئيس الإيمان ومكمله بالآلام (عب١٢ : ٢)...

اسمع إذن لماذا حزن واكتئاب:
لقد كان أبرع جمالاً من بني البشر (مز٤٥ : ٢) ــ ولكن لما وضع عليه الرب إثم جميعنا([1])، صار منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل([2])...
ولما حمل الخطية صار محتقراً أكثر من بني البشر([3]).

كان حلقه مملوءاً حلاوة([4])، ولما تحمل أوجاعنا امتلأ صراخاً وتنهُّداً للقادر أن يخلِّصه([5]). ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً([6])!!

---

(١) إش٥٣ : ٦. (٢) إش٥٢ : ١٤. (٣) إش٥٣ : ٣.
(٤) نش٥ : ١٦. (٥) عب٥ : ٧. (٦) إش٥٣ : ٤.

هي الخطية أم الأحزان والأوجاع والمذلة...
هي الرذيلة والنجاسة والإثم، كئيبة مفسدة لكل من اقترب منها...

ولما حملها رئيس سلامنا أثقلته جداً فوق الطاقة حتى ستر الناس وجوههم عنه ونغضوا الرءوس(٧).

وفي اختبار آلامه خذلوه واحتقروه ولم يعتد به أحد(٨)، وقالوا «فليخلّص نفسه». مع أنه سُئل عما لم يفعله(٩)، وضُرب عن ذنب شعبه(١٠)، وخلّص آخرين(١١)، أما نفسه فلم يشأ أن يخلّصها، لأنه هو الذي وضعها(١٢).

فأوفى بأحزانه ديون الخطية، وأكمل باكتئابه وصراخه ودموعه وعرقه كل مطاليبها.
ولولا الخطية التي أحزنته لجاز الجلجثة مبتسماً!
ولولا عار البشرية الذي ضغطه لصار الصليب عنده ضحكاً.
ولكن لو لم يرتعب، ولو لم يحزن و يكتئب، ولو لم يصرخ بدموع — لكننا اندهشنا جداً: كيف يتحمل خطية الناس ولا تؤثر فيه وهو إبن الإنسان.
وكيف يتحمل أوجاع البشرية ولا يتوجع كبشر.

ولكن الذي لم يعرف خطية، صار خطية(١٣) واحتمل حزنها(١٤) بالحق.
والذي لم يعرف لعنة، صار لعنة(١٥) وجاز مرّها حتى الغاية.
الخاطيء يحزن عندما يشعر بخطيته، فكم يكون حزن الذي لم يخطيء حينما يحمل نيرها.

وإذا لُعن المستوجب اللعنة تتمرر نفسه جداً، و ينسحق بحزن مميت — فكم يكون

---

(٧) مز٢٢: ٧. (٨) إش٥٣: ٣. (٩) مز٣٥: ١١.
(١٠) إش٥٣: ٧. (١١) مر١٥: ٣١. (١٢) في٢: ٨.
(١٣) ٢كو٥: ٢١، إش٥٣: ٣و١٠. (١٤) إش٥٣: ٨. (١٥) غل٣: ١٣.

انسحاق البار ومرارة نفسه حينما يُلعن.

هذا كان كأسه، طلب لو أمكن أن يرفع عنه[16] لأنه لا يستحقه، ولكن الذي تعلم الطاعة مما تألم به[17] كيف لا يشربه وقد أعطاه له أبوه...

كانت ساعة الخطية وسلطان الظلمة[18] ــ طلب أن تجوز عنه، ولكن من أجل هذه الساعة جاء[19]. فكيف لا يقبلها...

لقد انعكس ظل هذه الساعة على كل حياته السابقة، فكان يتطلع إليها و يئن، وبكى لما تذكرها على قبر لعازر[20].
لكنه ثبت وجهه نحوها[21]...

* * *

دخل الموت ليصرعه بحياته، ونزل القبر ليقوم و يتركه فارغاً ــ شهادة أبدية.
وانحدر إلى الهاوية ليصعد وفي موكب نصرته ربوات من شهود قيامته.
كان لابد أن يموت، ليبطل الموت بقيامته. وكان لابد أن يظل ميتاً ثلاثة أيام ليخلص الذين في الجحيم، و يصعد أعظم من منتصر.

كجبار حطّم أسوار الجحيم، وصعد وفي يديه المصاريع ومفاتيح الهاوية والموت.
وفي عظمة نصرته نادى: «أنا ... الحي وكنت ميتاً، وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين» (رؤ١: ١٧، ١٨).
«إني أنا هو. جسُّوني وانظروا» (لو٢٤: ٣٩)...

كان لا يمكن أن يموت إن لم يكن قد أخذ جسد خطيتنا...
وكان لا يمكن أن يقوم إذا لم يكن قد غلب الخطية بالجسد...

---

(١٦) مت٢٦: ٢٩. (١٧) عب٥: ٨. (١٨) لو٢٢: ٥٣.
(١٩) يو١٢: ٢٧. (٢٠) يو١١: ٣٥. (٢١) لو٩: ٢١.

من أجل ذلك تشارك مع الأولاد في اللحم والدم[22]، لكي بالموت الذي يذوقه يبيد من له سلطان الموت، أي إبليس، و يعتق بقيامته الذين بسبب الخوف كانوا كل حياتهم تحت عبودية الموت[23].

وعلى الصليب جرد الرئاسات المظلمة وفضحهم جهاراً وظفر بهم[24]. أسقط قاهر الأمم وهوى كما رآه سابقاً كالبرق المنحدر من السماء[25]...

وما أرعبها معركة دارت رحاها وراء حجب العالم المنظور، تلك التي طُرح فيها رئيس هذا العالم خارجاً[26]، فاقداً سلطانه الأول.
ودُفع للغالب الذي خرج غالباً ولكي يغلب[27] كلُّ سلطان مما في السماء وعلى الأرض[28].

* * *

داس المعصرة وحده[29]، واعتصر من دمه كأس خلاص للناس، وحياة أبدية لكل من يتناول منه.

هو الكرمة ومن عصيره لا زالت تقدم الكنيسة دمه جديداً مهراقاً كل يوم على مذابحها ـ علامة دهرية لعهده الجديد لغفران الخطايا، الدم الذي أهرقه بإرادته إيفاءً لكل خطية.
«والدم هو الحياة» (لا ١٧ : ٢).

قدّمه على الصليب مرة واحدة، ولكنه لا يزال كما هو ـ حي إلى أبد الآبدين يعمل في الأرض كلها... وكل من يؤمن بالصليب ويحمل آلامه وعاره يأخذ قوة الدم المسفوك عليه...

---

(٢٢) عب٢:١٤. (٢٣) عب٢:١٥. (٢٤) كو٢:١٥.
(٢٥) لو١٠:١٨. (٢٦) يو١٢:٣١. (٢٧) رؤ٦:٢.
(٢٨) مت٢٨:١٨. (٢٩) إش٦٣:٣.

دمه يتكلم و يغسل و يطهر و يصالح و يفدي و يشتري و يثبت ويحيي إلى أبد الآبدين...

* * *

أمجاد قيامة :

وإن قيل أن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويموت ، فكم تحتم الضرورة أن يقوم ؟

لأنه تألم من جراء خطايا كثيرة ليست له ، حملها لطاعته ، وتحملها لمحبته ، فإنه وإن كان قد صُلب ومات ، فما ذلك إلا لتكميل عقاب آخرين . أما هو، فكيف يُمسَك في الموت وهو لم يخطىء قط...

فإن تألم وصلب ومات من أجل ثوب الخطية الذي لبسه ، فلابد أن يقوم من أجل الحق والقداسة والبر التي هي أصل طبيعته الحية غير المائتة .

+ فبموت المسيح رفع الحجاب الذي كان يفصلنا عن الله أي الخطية مسمراً إياها على الصليب بجسده الذي وضع عليه إثم جميعنا .

ولما مات قتل العداوة أي الخطية بموت جسده الحامل لها . فانشق حجاب الهيكل الذي كان رمزاً للعداوة التي كانت تفصل قداسة الله عن نجاسة الإنسان .

وعوض الحجاب الفاصل صار لنا بجسد المسيح الطاهر **حجاب مصالحة — إذ جعل جسده طريقاً كرسه لنا حديثاً ، حياً (٣٠)، للدخول بثقة إلى أقداس الله...**

وبقيامة المسيح ، استُعلنت للإنسان القوة الجديدة التي أكملها المسيح ، تلك القوة التي يغلب بها الإنسان طبيعته القديمة ، و ينتصر بها على الموت وعلى سلطانه ليستطيع أن يحيا فيما لله .

---

(٣٠) عب ١٠ : ١٩ و ٢٠ .

+ قام المسيح بقدرة فائقة، بإمكانيات جديدة يستطيع بها أن يهب ذاته لنا بأن يدخل فينا و يتحد بنا بسر عجيب، على شبه دخوله العلّية التي كان التلاميذ مجتمعين فيها والأبواب مغلقة.

هذا يشرح لنا في غموض إمكانية دخول المسيح هيا كلنا البشرية والحواس مغلقة... لا نحس به في دخوله ولا نشعر به إلا وهو يقول: «سلام لكم» (لو٢٤: ٣٦)...

و بدخول المسيح فينا واتحاده بنا بالإيمان والمعمودية وأخذ جسده ودمه الإلهي في سر الشركة، تصير حياة المسيح عاملة فينا، لأنه هو يكون حياً فينا. و بذلك نأخذ قوة وثمرة عمله الذي أكمله كله من جهة قداسته وطهارته وعدم غشه ونصرته على الخطية وتحمّله الآلام وصلبه وموته وقيامته.

و بذلك تتجدد طبيعتنا إلى ما فوق مستو ياتها ــ وهذه الإمكانيات جميعها ليست منا، وإنما هبة عمل حياته المقامة فينا. وهذا ما عبر عنه بولس الرسول بالإنسان الجديد. وما الإنسان الجديد إلا يسوع المسيح فينا، الذي تنسب ذواتنا إليه ونقول بسببه إننا مسيحيون.

وقبول المسيح فينا هو ما عبر عنه بالميلاد الجديد، أي يولد فينا إنسان آخر غير الترابي الآدمي «وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي» (١ كو١٥: ٤٩).

والذي وُلد الميلاد الجديد وصار المسيح عاملاً فيه يستطيع أن يقول مع بولس الرسول: «مع المسيح تألمت. ومع المسيح صلبت. ومع المسيح قمت. بل ومع المسيح جلست في السماو يات... لأننا صرنا من عظمه ولحمه وأحياء فيه ومعه».

هذه هي هبة القيامة الفائقة الوصف التي كان يحيا فيها بولس الرسول، وعلى محورها تدور جميع إلهاماته ومبادئه. وهذه هي الشركة العجيبة التي كان يحسها إحساساً قو ياً في

نفسه، فكان لا يرى أي شيء أو أية هبة أو نعمة أو قدرة ــ إلا في المسيح. فكان يؤمن في المسيح، و يتبارك في المسيح، وهو مختار في المسيح، ومفدي في المسيح، و يرجو في المسيح، ومخلوق في المسيح، وشريك في الميراث في المسيح، و يستطيع كل شيء في المسيح. و بالإختصار لم يكن يحيا هو بل المسيح كان يحيا فيه.

ذلك **لأن الإتحاد بالمسيح يجعل لنا كل ما للمسيح**، وهذا هو سر قوتنا الجديدة. وسر عمل الروح القدس فينا هو سر حقيقي نلناه بالقيامة العجيبة بقوة فائقة يعبر عنها بولس الرسول بقوله: «جعل الإثنين واحداً» (أف ٢ : ١٤).

إذ قد سبق وأكمل هذا السر في نفسه ــ باتحاد اللاهوت والناسوت ــ في شخصه.

ولما أكمل مطالب الغفران والفداء بذبيحة جسده، قام ليعطينا ثمرة هذا السر الرهيب، وهبته، بحلوله فينا، وإعطائه جسده ودمه الإلهي لنا، جاعلاً **كل من يأخذه بإيمان، واحداً فيه. وإذ هو لا يتجزأ صار المؤمنون واحداً بواسطته، كأعضاء كثيرة في جسد واحد.**

فكل من قبل قيامة الرب ينال سر الشركة فيه، و يصير عضواً في جسده الحي.

وكل من لا يقبل قيامته لا ينال شيئاً قط من أعمال المسيح، سواء من جهة آلامه أو موته ــ **إذ يكون حجاب العداوة لا زال قائماً لعدم قبول وسيط المصالحة**، والشفيع الذي صار بين الله والناس.

* * *

إذن كم يعوزنا أن نتذوق روح القيامة ونمجدها في ذواتنا، فاحصين بصلاة وطلبة كثيرة عن معرفة أسرار المسيح المقام،... متأيدين بالقوة بالروح في الإنسان الباطن ــ ليحل المسيح بالإيمان في قلوبنا (أف ٣ : ١٦ و ١٧) ــ حتى لا نكون بعد تحت دينونة، بل سالكين حسب ناموس روح الحياة في المسيح يسوع (رو ٨ : ٢).

أما في الدهر الآتى، فإننا وإن كنا لا نعلم ماذا سنكون... ولكن نحن واثقون أننا سنكون مثله (١ يو٣: ٢).

لأننا متنا عن إنسان آدميتنا، وحياتنا مستترة مع المسيح في الله، ومتى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ سنُظهر نحن أيضاً معه في المجد (كو٣: ٣و٤).

سلام للصليب طريق القبر
سلام للقبر الفارغ موضوع القيامة
سلام للقيامة مفتاح الخلود!

(١٩٥٨)

لأعرفه وقوة قيامته

إن قيامة المسيح قوة...

يجب أن ننتبه لئلا يفوتنا المعنى ونفقد حقنا في هذه القوة، فالرسول لم يقل «لأعرفه وقيامته»، بل «لأعرفه **وقوة** قيامته». كان إيمان القديس بولس الرسول قائماً على أساس معرفة يسوع شخصياً، ومعرفته بيسوع كانت قائمة على أساس قيامته، أما قيامته فكانت قوة.

ولكي يعرف القديس بولس الرسول قوة قيامة الرب، لزم أن يدخل في مجالها فكان يعيش في قوة قيامة الرب: «أقامنا معه»، «كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً» (رو٦: ٤).

لذلك، كان إيمان القديس بولس قوياً حياً، وقوة إيمانه كانت ذات فاعلية، ذات كرازة، ذات تأثير للتجديد...

إن كان أحد به ضعف في الإيمان فهذا تنقصه قوة قيامة المسيح.

قوة قيامة الرب:

نحن نؤمن أن الرب قام من الأموات في اليوم الثالث، كما في الكتب، ولكن إن اكتفينا بمثل هذا الإيمان الكتابي الذي استلمناه بالأذن فلن نعرف الرب ولن نحيا في قيامته.

يلزمنا أن نستلم قيامة الرب بالقلب ونختبر مع القديس بولس معرفة «قوة قيامته» .

إن قيامة الرب ليست حادثة تاريخية سجلها الإنجيل من أربع زوايا ، ولكنها قوة يعرضها البشيرون والرسل كما أخذوها لا كما عرفوها فقط ، حتى نأخذها إذا عرفناها...

«الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا» (١يو١ : ٣)، «وأعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه و به أيضاً تخلصون... فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات... ودُفن وأنه قام» (١كو١٥ : ١ــ٤).

القيامة كما اختبرها التلاميذ قوة جديدة عجيبة ، دخلت إلى العالم وتسرَّبت إلى قلوب المؤمنين في فجر اليوم الثالث من موت الرب ، فبددت أحزان التلاميذ وقلبت يأسهم الشديد إلى فرح وبهجة و بشارة وإنجيل .

قوة القيامة كانت ذات كيان شخصي في المسيح .
قوة القيامة كان لها أثر مباشر في ربط العالم الحاضر بالعالم الآخر.
قوة القيامة ذات فعل مستمر في الإنسان لإقامته بعد الموت .

أولاً : القيامة قوة كانت في المسيح:

كانت قيامة الرب من الأموات قوة ذاتية كائنة في شخصه قبل أن يُصلب و بعد أن قَبِل الموت في جسده . لم يكن الرب ينظر إلى الصليب إلا في قوة قيامته ، ولم يكن يتحدث عن موته قط إلا و يقرنه بقيامته دائماً .

هذا المعنى أشار إليه القديس بطرس الرسول في خطابه الأول في يوم الخمسين ، عندما تكلم عن الموت الذي ماته الرب كيف أنه «لم يكن ممكناً أن يُمسك منه» (أع٢ : ٢٤)، أي أن جسد الرب كان يستحيل أن يظل مائتاً، لماذا؟ لأن الجسد الإلهي كان يحمل قوة قيامته . و يقول الرسول أيضاً أن جسده لم ير فساداً، لماذا؟

لأن قيامته كانت حاضرة فيه منتظرة مشيئة الآب.

هذا عن الجسد الميت في القبر، أما عن النفس التي ذهبت إلى الهاوية فيقول الرسول «أنه لم تُترك نفسه في الهاوية» (أع ٢ : ٣١)، لماذا؟ ــ لأن نفسه الإلهية فيها قوة القيامة والصعود من الهاوية بل والصعود إلى السماء أيضاً.

وبالرغم من أن المسيح كان يحمل قوة القيامة في جسده ونفسه إلا أنه ظل في القبر بالجسد وفي الهاوية بالنفس إلى أن «أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت» (أع ٢ : ٤٢)؛ لأن في ذلك تكميلاً لمشيئة الآب. وهو جاء ليكمل هذه المشيئة إن بحياته أو في موته!!

وكما كان قادراً في حياته أن يتكلم من نفسه، ويعمل كل شيء من ذاته بسلطانه الخاص، ويتمم مشيئته الشخصية كإبن وحيد للآب مساوٍ له في كل شيء، إلا أنه لم يتكلم قط من نفسه، ولا عمل شيئاً من ذاته، ولا تمم مشيئة له خاصة، بل في كل شيء كان يسمع للآب طائعاً، حتى إلى الموت على الصليب مكملاً الطاعة التي «أخلى نفسه» ليتوفر على تكميلها تماماً، محققاً أنه إبن حقيقي لأبيه الله، مساوٍ له عن فعل ومقدرة وبرهان، وليس اختطافاً.

كذلك في موته، فبالرغم من أنه كان قادراً أن يقوم من الأموات بقوته التي فيه التي لم تفارقه بموته، لأن من صميم طبيعة إبن الله أن يكون قائماً أبداً من الأزل وإلى الأبد، إلا أنه لم يقم من ذاته، بل جعل قوة القيامة التي فيه تحت خضوع الآب لكي يكمل طاعة ذبيحته حتى النهاية، لذلك لا يتبلبل فكرك حينما تسمع الكتاب يقول إن «الله أقامه» (رو ١٠ : ٩)؛ لأنه أقامه بالمشيئة؛ إذ لما اقتبل من الآب مشيئة القيامة، قام بقوة قيامته. القديس بولس الرسول عرف هذه القوة التي أقامته متحققاً أنها من صميم كيانه وطبيعته فأدرك لاهوته وأدرك أنه «الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين» (رو ٩ : ٥).

ومن يدقق يرى ذلك أيضاً و يعرف أن قيامة المسيح أعلنت لاهوته، إذ لم يقم بدعاء آخر ولا بصلاة تلاميذه، ولا هو قام ضعيفاً يحتاج إلى من يحل له الأكفان و يفكوها كلعازر، ولا احتاج طعاماً ليتقوى كإبنة يايرس، ولا وجدوه خائراً من آثار الصليب يطلب من يداوي جراحه أو يسد جنبه النافذ من طعنة الحربة!...

بل قام المسيح بقوة وجلال عظيمين، قام ليعلّم بسلطان كالأول، قام ليوبخ التلاميذ على عدم إيمانهم، قام وجراحه باقية كما هي، وجنبه مفتوح شهادةً لسلطان الحياة التي فيه، وأن حياته ابتلعت الموت ابتلاعاً «أين شوكتك ياموت أين غلبتك ياهاوية» (١كو١٥: ٥٥).

قيامته كانت بقوة ومجد على مستوى إلهي كامل، القديس بولس عرف أعماق هذه القوة وأدرك أثرها ومعناها، لذلك يقول إن المسيح: «تعيّن إبنَ الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤).

ونحن يلزمنا أن نلقي نظرة إلى الحوادث التي جرت قبل القيامة حتى ندرك هيبة القيامة وهيبة القائم من الأموات. فالشيطان كسب كل المواقع التي تمت إلى أن دفنوا الرب في قبر... لقد ساد الشيطان في المحاكمة وانتصر، واستصدر حكماً بيد رؤساء الكهنة العظام و بيد بيلاطس كقاضي وحاكم و بصراخ وإلحاح الشعب أن المسيح مستحق الموت كخاطىء ومذنب!...

أما المسيح فلم يعارض ولم يحتج وسلّم بالحكم، لأنه كان يعلَم أنه واقف ليحاكَم لا عن نفسه ولكن عن الخطاة، فلم يدافع عن نفسه أو يُظهر براءته، لأنه كان يعلم أن قيامته من الأموات كفيلة بذلك...

ثم سار الشيطان في موكب الصليب، وصنع بالمسيح كل صنوف الهوان والفضيحة، من ضرب بالسياط على جسده العاري، إلى لكْم بالأيدي، إلى بُصاق في الوجه ولطم، ودقّ المسامير في لحمه، وطعنه بالحربة، وهو يتقبل ذلك في مذلة وانسحاق كمغلوب،

حتى أن كل من نظر هذه الحوادث المخزية قال: قد غُلب المسيح «عن ضعف».

ولما رفعوه على الصليب بقيت آخر بارقة أمل للذين كانوا يترجون الخلاص على يديه، أن ينزل من على الصليب، ولكن ياخيبة الأمل لم ينزل بل صرخ ومات!...

فرجع التلاميذ وكل أصحابه وعارفي فضله يدقون الصدور، لقد هزم المسيح وانتهى وغلبه الشيطان وقوي عليه في معركة الموت!!

إسمع هذه الكلمات التي صدرت من تلميذين له من الأخصاء التابعين، وقدر ما تحتويه من حزن وفشل وخيبة أمل في معلمهم المحبوب يسوع عندما رأوه قد مات: «يسوع الناصري الذي كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك» (لو٢٤: ١٩-٢١).

لذلك، قيامة الرب من الأموات حدث جلل هزّ قلوب الذين سمعوا الخبر وتحققوه، وملأت كلمة «المسيح قام» ربوع فلسطين فارتاع لها الحكام واضطرب لها رؤساء الكهنة بشدة...

أما التلاميذ فتقبلوا القيامة برهبة عظيمة ما عتمت أن انقلبت إلى فرح لا ينطق به ومجيد...

لقد كشفت لهم القيامة عن شخصية المسيح، فحينما رجعوا بفكرهم إلى حوادث المحاكمة والصلب والموت أدركوا أنه قبلها عن ضعف اختياري وتيقنوا أنه لم يقبلها عن نفسه وإلا ما قام من الموت...

ثم عادوا إلى ذكريات أقواله وتعاليمه فتحققوا صدقها بل تحققوا أزليتها، وقد أدركوا

في نور قيامته أنه أقام لعازر والباقين من الأموات بقوته وسلطانه، إذن فهذا هو المسيا الموعود به ابن الله، هذا هو عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا.

حقاً إن القيامة عظيمة، فقد تحققت بها شخصية المسيح وقوته الإلهية، أعلن بها نصرته الأبدية على الشيطان «لا يسود عليه الموت بعد» (رو٦: ٩)، نقض بها حكم الموت الذي صدر ضد الإنسان فصار في المسيح قيامة للناس من الأموات! ونقض بها حكم الصلب الذي أصدره رؤساء الكهنة مستندين على الناموس، فصارت القيامة حجة ضد الناموس وكشفاً لعجزه وقصوره.

لقد صارت القيامة قوة ذات معنى عميق في أذهان التلاميذ عرفوا بها المسيح!! «لأعرفه وقوة قيامته».

□ □ □

ثانياً: القيامة فتحت الباب الذي كان يفصل بين العالم الحاضر والعالم الآخر:

لقد جاء المسيح من السماء «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم» (يو٨: ٢٣)، وهو قد حقق بصعوده إلى السماء أنه من السماء نزل أولاً: «وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أولاً» (أف٤: ٩)، «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو٣: ١٣). جاء إلى عالمنا متخذاً جسد إنسان صائراً في شبه الناس، وقصْده الوحيد أن يعيد الإنسان إلى العالم الأبدي الخالد، عالم المعرفة غير المنقسمة، عالم النور والروح والقداسة والحب والحق.

بدأ يسوع كرازته بهذا النداء: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت٤: ١٧)، ثم صوَّب كل تعاليمه وأمثاله وقصصه ورموزه نحو هذا الهدف «ملكوت السموات». شرح الطريق المؤدي إليه، مع كل مستلزماته وشروطه وصعابه، تكلم عن الباب الذي يفتح على الملكوت، وعن ضيقه كنهاية للطريق. ثم أخذ يكشف قليلاً قليلاً

عن أسرار الحياة في العالم الآخر، فتكلم عن الفرح والسلام هناك، وكيف سيحيا بنو الملكوت كالملائكة، لا يزوِّجون ولا يزوَّجون، بلا حزن ولا ضيق ولا كآبة ولا تنهد، موضحاً أن الموت الجسدي عبور إلى هذه الحياة...

وبعد أن أكمل تعليمه عن الحياة الأخرى مات!!

وإلى هذا الحد لم يكن المسيح أكثر من معلم ونبي في اعتبار التلاميذ وجميع الناس...

ولكنه بعد أن مات ودفنوه قام من الأموات، قام بجسده الذي مات به بجروحه المميتة كما هي!! فظهرت حياته التي كانت مستترة في موته، وظهر أنه لم يمُت من أجل نفسه قطعاً وإلا ما قام أبداً...

وظهر أنه لم يكن يعلِّم بالكلام عن الطريق المؤدي إلى الحياة الأخرى، ولكنه كان يسير بنفسه ليجعل ذاته الطريق بين العالم الحاضر والعالم الآخر...

ولما رآه التلاميذ حياً بعد القيامة تذكروا كلامه العجيب الذي لم يستطيعوا آنذاك أن يفهموه، أنه قال عن نفسه إنه هو الطريق المؤدي إلى الملكوت، وأنه هو أيضاً الباب الذي يوصل إلى هناك وأنه هو نفسه الزاد اللازم للمسير إلى الملكوت: جسده يكون طعاماً للسائرين ودمه شراباً للعابرين!!

وكان يستحيل على الإنسان أن يعبر إلى ملكوت السموات بواسطة كلمات يسمعها أو حتى تعاليم يسوع!!

لأن معرفة الطريق شيء والسير فيه شيء آخر، ومعرفة الملكوت شيء والحياة هناك شيء آخر!!

ولكن المسيح الذي علم عن الطريق والباب المؤدي إلى الملكوت، هو نفسه عبر إلى هناك.

لقد مكث يسوع أربعين يوماً بعد قيامته يتردد بين العالم الحاضر والعالم الآخر وهو يظهر لتلاميذه، مكملاً تعليمه عن الملكوت كمن يحيا فيه وكشاهد عيان!

ثم أخيراً صعد أمام أعينهم إلى السماء، إلى الآب، إلى العالم الآخر الذي جاء منه.

إذن فلم يكن معلّماً لطريق الملكوت فحسب، بل ظهر أنه هو الطريق وهو هو الباب الذي يؤدي إلى هناك.

يسوع ربنا لم يعبر الطريق إلى الملكوت كأنه كان خارج الملكوت ثم دخله ــ حاشا ــ فهو لم يفارق حضن أبيه قط ولا بارح السماء لما تجسد «الإبن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (يو١: ١٨)، «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء» (يو٣: ١٣).

ولكنه أراد أن يجعل نفسه طريقاً و باباً...

وصار طريقاً لما تقبّل الآلام اللازمة للطريق في جسده، وصار باباً لما تقبل الموت و بذل حياته بسفك دمه، ثم قام حياً بجسده ودمه وسلم للإنسان سر أكل جسده وشرب دمه، و بذلك صار جسده طريقاً ودمه باباً...

«إذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده» (عب١٠: ١٩).

وأخيراً جداً أدرك التلاميذ ما قاله الرب سابقاً أنه هو الطريق، وأنه هو الباب، وأنه هو الخبز الحي النازل من السماء الذي كلُّ من يأكله يحيا للحياة الأبدية.

إن قيامة المسيح من الأموات وظهوره بعد القيامة حياً لتلاميذه ولكثيرين أربعين يوماً حدث جلل على وجه الارض، لأنه بذلك شجب الحجاب الذي كان يفصل العالمين!!

فإن كان بموته انشقّ الحجاب الذي يفصل الله عن الناس، الذي يرمز إلى الخطية، فقد انشقّ حجاب آخر بقيامته ذلك الذي كان يفصل العالم الآخر عن عالمنا الحاضر، الذي كان قائماً بالموت...

فبموته صالح الله مع الناس، و بقيامته أدخل الناس إلى الله!!

لقد تبددت كل المخاوف والوساوس التي كانت تحيط بالعالم الآخر لما رؤي الرب قائماً من الأموات بجسده حياً.

لم يعد العالم الآخر فكرة تخمينية تحيطها الغموض، ولم تعد الحياة الأبدية مجرد اشتياقات نودعها ركناً مظلماً من القلب. قيامة الرب من الأموات جعلت العالم الآخر شديد الصلة بعالمنا، حقيقة متصلة بحياتنا كائنة في أجسادنا، مستترة في موتنا «لأن الذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو٨: ١١).

قيامة الرب من الأموات بددت الرعبة المخيفة التي كانت تلازم الموت. لم يعد الموت نهاية مظلمة لحياة قصيرة محزنة، بل صار الموت بواسطة المسيح باباً يؤدي إلى حياة أخرى لانهائية وسعيدة...

لقد قام الرب من الأموات، فربط بقيامته بين العالمين وجعل نفسه سكة وطريقاً، و بصعوده لم تنته صلته بعالمنا إذ أرسل الروح القدس، وهذا أثر مباشر لقوة قيامته، وصار الروح القدس مرشد الطريق يأخذ مما للمسيح و يعطينا.

□ □ □

ثالثاً: القيامة ذات فعل مستمر في الإنسان لإقامته من الموت نفساً وجسداً:

كان من نتائج القيامة حلول الروح القدس في الإنسان كقوة إلهية فائقة ــ هذه القوة عملها الأول الشهادة للمسيح كقائم من الأموات: «لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً» (أع١: ٨).

ولكن هذه القوة الروحية الجديدة لم تكن للشهادة فقط بل كانت ذات فعل سري في كيان الإنسان تعمل فيه لإقامته من الموت، لأنها هي بعينها القوة التي أقامت المسيح من الأموات، لأن عمل الروح القدس الأساسي أن يعطينا برّ المسيح وثمرة موته وقيامته:

«وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦: ١٣و١٤).

إذن، فنحن ننال بواسطة الروح القدس القوة التي أقامت المسيح من الأموات: «إن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو٨: ١١).

إذن، فرجاء قيامتنا من الأموات يتعلق رأساً بالإيمان بقيامة المسيح من الأموات: «ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط١: ٣).

أي أننا نحيا الآن مترجين القيامة من الأموات، كمولودين ثانية آخذين قوة بالروح القدس، تعمل فينا عملها في المسيح، أي للنصرة على الخطية والآلام والموت...

ولكن إن كان موت الرب على الصليب أكمل كل الكفارة ومستلزمات الفداء لخلاص الإنسان **فما قيمة القيامة إذن؟**

قد يتهيأ للذهن لأول وهلة أن للقيامة هنا عملاً ثانوياً أو تكميلياً ولكن الحقيقة خلاف ذلك:

فالقيامة هي الأساس الذي بنى عليه المسيح خلاص الإنسان لأنه على أساس القيامة قَبِل الرب الصليب.

وعلى أساس القيامة قَبِل الرب أن يموت.

في الترتيب الزمني للحوادث نجد أن القيامة لاحقة وتالية للصلب والموت، ولكن في المنطق الإلهي والترتيب الطبيعي بالنسبة لجوهر المسيح نجد القيامة قوة كائنة في المسيح قبل الصلب وقبل الموت. بحيث لو لم تكن القيامة من صميم طبيعة المسيح وكائنة فيه قبل أن يتقدم للصلب والموت، لصار له الصليب خشبة لعنة، ولصار الموت له كقصاص شخصي، وحاشا لله...

ولكنه إذ كان قادراً أن ينزل من على الصليب في أية لحظة، صار احتماله وقبوله للصلب فخراً لا لعنة، وإذ كان قادراً أن يقوم من الأموات في أية لحظة صار قبوله للموت تكفيراً عن قصاص آخرين.

هكذا صار الصليب كفَّارة وصار الموت فداءً، فالقيامة هي جوهر الصليب فهي جوهر الكفَّارة...

والقيامة هي شرط الموت فهي شرط الفداء...

فالصليب بدون قيامة عار وفضيحة، أما بالقيامة فهو افتخار ومجد «وقوة الله للخلاص»...

والموت بدون قيامة لعنة وقصاص، أما بالقيامة فهو مصالحة وفداء وحياة أبدية!!

إذن، يستحيل أن نتكلم عن صليب ربنا إلا في مضمون قيامته، و يستحيل أن نبشر بموت الرب إلا مقترناً بحياته «المسيح هو الذي مات بل بالحري قام» (رو٨: ٣٤).

وهكذا تكون قيامة الرب من الأموات أساساً و برهاناً لقبول ذبيحة الصليب عنا للتكفير والمصالحة والغفران والخلاص...

قيامة المسيح فداء للأجساد:

كان يمكن أن يكفِّر المسيح عن نفس الإنسان فتخلص نفس الإنسان دون جسده!

ولكن لم يشأ الله الذي خلق الإنسان من نفس وجسد أن يهلك شيء منه، بل كما خلقه من نفس وجسد هكذا يحيا أمامه في ملكوته!

لذلك، وجدنا أن الكلمة ابن الله «صار جسداً»، وأنه أكمل فداء جسد الإنسان بأن «حمل خطايانا في جسده على الخشبة»، ولكنه إذ قام بجسده حياً من الأموات نفض عن الجسد كل آثار الخطية إذ أكمل قصاصها بموته، فبرأ الجسد وافتداه.

هكذا افتدى الرب أجسادنا لما قام بجسده حياً، وهكذا نحن أيضاً «نئن في أنفسنا

متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو٨: ٢٣).

إذن، على ضوء قيامة الرب بجسده حياً نفهم أن الموت بالنسبة لأجسادنا ليس نهاية طبيعية كما هو حادث للحيوان، بل هو مرحلة انتقال، ينتقل فيها الجسد من حياة طبيعية متعلقة بالأرض إلى حياة روحية متعلقة بالسماء! من جسد ذي قدرة محدودة خاضع لنواميس الطبيعة إلى جسد روحاني له نفس سماته الأولى وإنما ذو قدرات غير محدودة وغير خاضع لنواميس الطبيعة...

وهذا حق وعدل لأن جسد الإنسان ذو امتياز لأنه أخذ نفخة خاصة من الله القدير، جعلته ذا صلة خالدة بالله وذا ديمومة حتى ولو انحلت هيئته الترابية...

فإذا كانت مادة الجسم البشري ستفنى في التراب بعد الموت، ولكن صورتها ستبقى خالدة منطبعة على النفس تنتظر لتأخذ مِلأها الجديد بالقيامة من الأموات، فيحيا الإنسان كاملاً في ملكوت الله بنفسه وجسده كما خلقهما الله في البدء.

وقيامة الإنسان على هذه الصورة أمر منطبق تماماً على معنى قيامة المسيح حياً بالنفس والجسد غالباً «الهاوية والموت»: حيث الهاوية هي مقر النفس تحت سلطان إبليس، وحيث الموت هو فساد الأجساد واضمحلالها... فالمسيح غلب الهاوية إذ خرجت نفسه منها منتصرة، وأصعد معه أنفس الصديقين السابقين، وغلب الموت بأن قام بجسده حياً من القبر.

هكذا افتدى السيد المسيح ـ له المجد ـ العنصر الإنساني كاملاً نفساً وجسداً، بقيامته من الأموات حياً.

(أبريل ١٩٥٩)

قيامتـــنا كلُّــنــــا

في صلاة الإنجيل يقول الكاهن مخاطباً المسيح «لأنك أنت هو حياتنا كلنا، وخلاصنا كلنا، ورجاؤنا كلنا، وشفاؤنا كلنا، وقيامتنا كلنا».

القيامة هنا تأتي ختاماً لأعمال المسيح في حياتنا. فحسب ترتيب هذه الأوشية يبدأ المسيح عمله فينا بأن يهبنا حياة من فوق في سر الميلاد الثاني بالإصطباغ من الماء والروح.
ثم يؤمّن هذه الحياة الجديدة بفعل الخلاص بدمه في سر الإفخارستيا.
ثم يؤازر جهادنا المتعثر في طريق الخلاص بسر الرجاء.
ثم يشفي سقطاتنا وأمراضنا بسر مسحة زيت رحمته.

وأخيراً، وختاماً لكل أعمال المسيح، وكتاج وإكليل، تأتي القيامة ــ سر الأسرار جميعها ــ تأتي فتجعل سر الحياة الجديدة وسر الخلاص وسر الرجاء وسر الشفاء حقيقة قائمة دائمة في صميم طبيعة الإنسان، تؤهلها للإستمرار في الحياة مع المسيح الآن وفي الموت وبعد الموت!

فإن كانت جميع الأسرار تؤهلنا أن نحيا مع الله هنا على الأرض، فسر القيامة يؤهلنا للصعود لنحيا مع الله فوق في السماء «أقامنا معه وأجلسنا معه في السمويات» (أف ٢: ٦)؛ لذلك يشدد علينا بولس الرسول قائلاً: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق! حيث المسيح جالس...» (كو٣: ١). بمعنى أن روح القيامة لو انسكب في قلوبنا حقاً فإننا حتماً لن نعود ممسوكين بالنظر إلى ما هو تحت، أي إلى ما هو من تراب أو ما يعود إلى التراب، بل تتمسك عيوننا بالنظر إلى فوق، إلى مصدر حياتنا الجديدة.

هـذا حق ، وهـو أمـر منطقي أن الذي أخذ روح القيامة لا تعود سعادته على الأرض ، لأن مركز حياته كله يكون قد انتقل من الأرض إلى السماء .

الإنـسـان ، مـهما كـان روحـياً ، تظل سعادته على الأرض طالما لم يوهب سر القيامة . فـإن أسرار المسيح كلها من ميلاد جديد وخلاص ورجاء وشفاء يمكن أن تجعل الإنسان سعيداً على الأرض ، ولكن في اللحظة التي يتقبل فيها الإنسان روح القيامة فإنه يبدأ يشعر أن سعادته وأفراحه وكل اشتياقات قلبه قد انتقلت إلى فوق ، إلى بيتها الأبدي...

أورو با وأمر يكا اليوم يسري فيها تيار جحود قوي لإنكار القيامة يتزعمه بعض رجال الدين ، لماذا ؟ لأنهم واقعيون وأمناء جداً مع أنفسهم ، فهم يعيشون في ملكوت أرضي ، في صميم المسرات والإهتمامات الأرضية ، لذلك فهم مستعدون أن يقبلوا كل أعمال المسيح وأسراره لـتـز يـدهـم راحـة وسلاماً وسعادة على الأرض ، ولكن أن يقبلوا القيامة بصدق وإخـلاص فـهـذا أمـر مـسـتحيل ، أو كيف يقبلون سر القيامة الذي ينقل في الحال مركز حـياتهم وتفكيرهم وآمالهم واهتمامهم وسعادتهم من الأرض إلى السماء ؟ ومن الجسد إلى الروح ؟

ونحن بالمثل مطالبون الآن أن نكون واقعيين مع أنفسنا : «جرِّبوا أنفسكم هل أنتم في الإيمـان . امـتـحـنـوا أنـفـسكم . أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم ، إن لم تكونوا مرفوضين» (٢ كو١٣ : ٥).

فـماذا تـعني الـقـيامة عندنا ؟ هل هي عقيدة فكر ية وطقس نعيِّد له وحسب ، أم هي حياة ؟ هل نعيش في قيامة المسيح حقاً بإحساس إنسان قام من الموت بروح المسيح وصار نـاظـراً إلى فوق فأصبح القبر والموت خلف ظهره والحياة الأبدية بكل أمجادها أمامه ، أم لا نـزال بـسـبـب الخـوف مـن المـوت تحـت عـبـوديـة جمع المال وتكويم الأرصدة والتأمينات والاهـتـمـام بـأمـر الغد والتورط في حساب المستقبل دون افتداء الوقت أو التكفير عن شر الحاضر ؟

إن قياس سلوك الإنسان على مقياس القيامة يفضح تدين المسيحي، فالمسيحية بدون قيامة حقيقية، أي على أساس نظر مثبَّت دائماً إلى فوق، تصبح ردَّة إلى اليهودية، وسعياً وراء ملكوت أرضي، كما كان في القديم، تين وز يتون وكروم وأرض تفيض لبناً وعسلاً وصوت عر يس وعروس... أو بلغة هذا الزمان: دولارات وسعادة تقوم على ترفيه الإنسان وفنون التكنولوچيا المتطورة.

لذلك، إن كان حمل الصليب ــ الذي هو رمز للتجرد والفقر الاختياري والضيقات ــ يشكل محنة بالنسبة للمسيحي الطامح وراء أمجاد ومسرات هذا الدهر، فإن الإيمان بالقيامة والمعيشة بروحها تضعه على مفترق طر يقين: الأرض أو السماء، الذات أو الله، حياة حسب الجسد أو حياة حسب الروح!

وكثيرون تز يفت عليهم المسيحية فحسبوها مجرد أخلاق فاضلة مع مسرات نفسية وبهجة اجتماعات وتراتيل وأفراح أخو ية، وحسبوا هذا نهضة وتجديداً، وما علموا أن برهان صدق الحياة المسيحية الوحيد هو القيامة التي يجوزها الإنسان في أعماقه فيجوز تغييراً كاملاً شاملاً يعيد صياغة فكره وآماله ونظرته للحياة كلها: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق» (كو٣: ١).

ليس معنى هذا أن الحياة بروح القيامة تخلو من مسرات وأفراح، بل على العكس، فأفراح القيامة لا تدانيها أفراح، وبهجة الحياة التي أضاءها وجه المسيح القائم من الأموات، لا يمكن أن تزعزعها أتعاب أو ضيقات، لأن مصدر فرح الإنسان العائش في بهجة القيامة هو فرح سماوي لا يمكن أن يتطاول عليه حزن أو ألم أو خسارة أرضية أو نفسانية مهما تعاظمت، إنه وعد إلهي غير قابل للتغيير: «ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو١٦: ٢٢)!

وقد يظن إنسان أن النظر الدائم إلى السموات بروح القيامة الحقيقية يطفىء جذوة التطلع إلى خير البشر ية، و يفسد جهاد الإنسان على الأرض و يضعف من تقدمه العلمي

والمدني. هذا غير صحيح، لأن الإنسان الذي يعيش بروح القيامة لا يفقد إلا طموحه الشخصي ولا يتنازل إلا عن أنانيته، أما رغبته في إسعاد البشرية والدفاع عن حقوق المظلومين فإنها تزداد وتتأجج فيه أضعافاً مضاعفة بسبب حضور المسيح فيه: «كي يعيش الأحياء فيا بعد، لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢ كو٥: ١٥).

وقد يُظن أن الإحساس بروح القيامة هو نهاية السعي الروحي للإنسان، ولكن هذا أيضاً غير صحيح، فسر القيامة من الأموات وقوتها التي وهبها المسيح لطبيعتنا بقيامته، هي بداية وليست نهاية، بداية التجديد الذي دخل إلى عالمنا، أول بادرة للحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الآب وأُظهرت لنا منظورة ومحسوسة في المسيح «ابن الإنسان» الذي قام من الأموات حياً على أن لا يسود عليه الموت فيا بعد إلى الأبد. فالقيامة من الأموات هي عملية تجديد الخلقة أو هي الخلقة الجديدة للطبيعة البشرية التي أعطتها القيامة إمكانية النصرة فوق الموت نهائياً مع إمكانية الحياة مع الله إلى الأبد.

إذن، فهبة القيامة من الأموات التي وهبها المسيح لطبيعتنا هي في الحقيقة عملية ميلاد ثاني للإنسان: «**ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات**» (١بط ١: ٣).

القيامة هنا ليست هي القيامة العتيدة أن تقوم فيها جميع الأجساد في آخر الدهور، ولكنها تمهد لها، فهي قيامة داخلية سرية غير منظورة تحدث في صميم هذا الزمان لكي ترفعه إلى مستوى الخلود، وتحدث في صميم هذا الجسد لكي ترفعه إلى مستوى الروح، لذلك فهي عربون، عربون حقيقي يذوق فيه الإنسان حقاً معنى الملكوت وحياة الدهر الآتي.

هذه هي القيامة الأولى التي تتحدى الموت لأنها تمسك بالحياة الأبدية، فكل من يقوم مع المسيح الآن لا يكون للموت الأبدي سلطان عليه، بل و يصبح موت الجسد بالنسبة له نقطة انتقال إلى أعلى، والقبر آخر معبر وآخر قيد يفكه، فينطلق إلى مجد حرية

أولاد الله... «مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى، هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم» (رؤ٢٠: ٦).

لذلك ينبغي أن ندرك أن الحياة الآن هي بروح وإحساس القيامة من الأموات، ولا يمكن أن نفصله عن الإحساس بالميلاد الجديد لطبيعتنا، وعن استنشاق نسيم الحياة الأبدية وفرحة الوجود في حضرة الله. فبقيامة المسيح وُلدنا ونولد ونعيش الآن في جدة الحياة، وبدون سر القيامة تبقى طبيعتنا منبطحة في ظلام وموت، أو كما يقول إشعياء نبقى جالسين في الظلمة وظلال الموت ننتظر إشراق النور!!

وقد يُظن أن القيامة في حد ذاتها فكرة تجردية أو حالة خيالية أو حالة روحانية صرف تختص بالإدراك اللاشعوري، ولكن المسيح شجب هذا التحليل اللاإيماني، وذلك عندما قال لتلاميذه: «جسُّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي... أعندكم ههنا طعام؟... فأخذ وأكل قدامهم»!! (لو٢٤: ٣٩—٤٣).

القيامة هنا أثبتها المسيح إثباتاً مدموغاً بالرؤيا وبالحواس جميعاً أنها قيامة جسدية باللحم والعظام وبكل مكونات الجسد، حتى الجروح التي في اليدين وطعنة الحربة النافذة في أعماق الجنب المفتوح بقيت على حالها تشهد كلها لنصرة القيامة فوق ضربات الموت!! يالسعادة الطبيعة البشرية، لقد انفتح أمامها باب الحياة الأبدية ودخل المسيح كسابق يحمل طبيعتنا المطعونة والمتجلية ببهاء مجد الله ليورثها ملكوته، ملكوت القيامة والخلود والنور الأبدي.

إن فرحة التلاميذ لما رأوا معلمهم المحبوب قائماً من الأموات ناقضاً أوجاع الموت وآلامه كانت فرحة قوية وجارفة وملهمة لكل مشاعرهم وتفكيرهم، فقد اعتبروها أعظم «بشارة مفرحة» للعالم، والإنجيل الذي انطلقوا على أساسه يشهدون للمسيح في المسكونة كلها. وكان مجمل هذه البشارة أو محور الإنجيل كله أن المسيح هو **«قيامتنا كلنا»**.

وما معنى أن المسيح «قيامتنا كلنا» ؟

«كلنا» هنا لا تفيد حتمية الخلاص للجميع ولكن تفيد «**عمومية الهبة**».

فهبة القيامة التي مُنحت للطبيعة البشرية بقيامة المسيح من الأموات هي هبة عامة، لكل إنسان الحق في قبولها لكي يصبح صاحب حق في قيامة المسيح، أو بمعنى آخر لكي تصبح قيامة المسيح الممجدة هي قيامته!

وعمومية هبة القيامة التي وهبها المسيح لنا «لأنك أنت هو قيامتنا كلنا» تضعنا أمام مسئوليتين:

المسئولية الأولى: أن أي إهمال من جانبنا في قبول قيامة المسيح في حياتنا كقيامة حقيقية لنا تضيّع علينا تلقائياً هذه الهبة العمومية بكل بركاتها وإنعاماتها. وهنا لا يصبح المسيح «**قيامتنا**» بل تصير لنا قيامة أخرى هي «قيامة الدينونة».

أما المسئولية الثانية: فهي أن أي إهمال أو تجاهل من طرفنا لـ«عمومية هبة القيامة» تجاه الآخرين، فإن ذلك يسيء إلى حقيقة قيامة المسيح بالنسبة لنا نحن، لأن المسيح «قيامتنا **كلنا**». و«كلنا» هنا تحتم عليّ أن أفتش على قيامتي في قيامة أخي.

قيامتي ستظل ناقصة ومتضائلة حتى أستكملها **بقيامة الآخرين**.

قيامة المسيح، مجدها وبهاؤها في كونها «**قيامتنا كلنا**».

وحينما نبلغ إلى قيامة **الآخرين معنا**، سندخل بالفعل في **مجد قيامة المسيح**.

ومجد المسيح سنحسه في كل جهد، في كل دمعة، في كل تضحية، في كل خسارة نحتملها من أجل قيامة الآخرين معنا حتى يصبح المسيح «قيامتنا **كلنا**».

(مايو ١٩٧٠)

وظهر لبطرس

«ياسيد إني أضع نفسي عنك!! إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً!! ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك» !!! (مت ٢٦ : ٣٣ــ٣٥، يو١٣ : ٣٧).

«أجابه يسوع: أتضع نفسك عني؟ الحق الحق أقول لك إنك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات» !! (يو١٣ : ٣٨).

«فقالت الجارية البوابة لبطرس: ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الإنسان؟
فقال بطرس: لست أنا!... فأنكر قدام الجميع قائلاً: لست أدري ما تقولين! فقالوا له (لثاني مرة): ألست أنت أيضاً من تلاميذه؟؟
فأنكر بطرس وقال: لست أنا!! فأنكر أيضاً بقَسَم أني لست أعرف الرجل!!
فقال واحد من عبيد رئيس الكهنة (لثالث مرة): أما رأيتك أنا معه في البستان؟؟؟
فأنكر بطرس أيضاً، وابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل، وللوقت صاح الديك!!!
فتذكر بطرس كلام يسوع، أنك قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات فخرج إلى خارج وبكى بكاءً مراً» (مت٢٦ : ٦٩ــ٧٥، لو٢٢ : ٥٦ــ٦٢، يو١٨ : ١٧ و٢٥ــ٢٧).

«وبعد (القيامة) أظهر يسوع نفسه للتلاميذ على بحر طبرية» (يو٢١ : ١).

«فبعدما تغدوا قال يسوع لسمعان بطرس:
ياسمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء؟... فقال له: نعم.
قال له ثانية: ياسمعان بن يونا أتحبني ؟؟ فقال له: نعم.
قال له ثالثة: ياسمعان بن يونا أتحبني ؟؟؟
فحزن بطرس (إذ تذكر إنكاره وجحوده لمحبة المسيح) وقال له: يارب أنت تعرف كل شيء» !... (يو٢١: ١٥—١٧).

+ + +

إن شخصية المسيح حية موجودة قائمة دائماً، تعمل في القلوب التي تؤمن به وتثبت وجودها عند كل الذين يطلبونه، ولكنها شخصية غير متناهية في فعلها الإيجابي لا يتوقف عملها قط، لذلك فوجود المسيح لا يؤثر فيه الإنكار، وجحود الإنسان لشخصية المسيح لا يمنع قط سخاء عمله الدائم ومحبته للخطاة، فهو لا يزال دائماً أبداً يحب كل إنسان بل ويحب حتى المنكرين له والجاحدين إياه بل و يتودد إليهم أيضاً لعلهم لا يخسرون نصيبهم الصالح.

لا يستطيع أحد بإنكاره للمسيح وجحوده لشخصيته أن يلغي وجود المسيح أو يحجز عمله، فشخصية المسيح طاغية بحبها وتأثيرها. قد يمكن أن ينحجب المسيح قليلاً عن ذهن الإنسان بالشك أو العجرفة أو الخوف، ولكن يستحيل أن ينحجز المسيح عن تأثيره في القلب والضمير مهما كانت قسوة الإنسان و بغضته للمسيح وعناده، ولنا في بولس الرسول مثل من أعجب الأمثلة، لأن بغضة شاول وحقده على المسيح والمسيحيين بلغت أعنف صورة، فقد وصلت إلى حد القتل والتنكيل، ولكن هذا كله لم يمنع المسيح من أن يظهر له و يدعوه.

فشهادة المسيح لنفسه في قلب الإنسان لا يحجزها جحود الإنسان وعناده قط، فإذا استجاب لها الإنسان بشجاعة فإنه في الحال يتواجه مع المسيح وجهاً لوجه في القلب بيقين شديد إلى الدرجة التي يستحيل فيها أن يصمت عن الشهادة، وحينئذ قد يمكنه أن

ينكر أباه وأمه حتى نفسه إلا المسيح !...

قد ينساق الإنسان في لهوه واستهتاره وخوفه إلى إيثار المال أو الوظيفة أو الكرامة على المسيح، أو تفضيل عشق الوجوه أو القلوب أو الأجساد على المسيح، و يتمادى في استهتاره وإيثاره حتى يقع في الإنكار والجحود، ولكن حتى وفي اللحظة التي يظن فيها ذلك الإنسان أنه قد انقطع فعلاً عن المسيح وتخلّص منه بإنكاره وجحوده، و يظن العالم كله أيضاً ذلك، نجد المسيح لا يزال موجوداً يتكلم بالود في قلب ذلك الإنسان، يسهّل له التوبة والعودة مستعطفاً إياه بجروحه وآلامه وصليبه، و يظل يستعطفه ويمده بالرجاء عسى أن يقوم من سقطته و يعود إلى حضن أبوته ولا يبيع حياته ونصيبه الأبدي بأبخس الأثمان، واعداً إياه بالمعونة و بالصفح الكلي والغفران.

هكذا يظل المسيح هنا على الأرض أميناً للإنسان حتى النهاية، حتى ولو جحد الإنسان أمانته للمسيح !... «سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، **ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك...**» (لو٢٢: ٣١و٣٢).

قد يكون سهلاً على الإنسان أن ينكر المسيح بفمه حتى إلى ثلاث مرات مثل بطرس الرسول، ولكن عسير وعسير وعسير للغاية أن يستطيع أحد من الناس أن ينكر المسيح بالقلب. إن ذلك يكاد يكون مستحيلاً...، في اللحظة التي فيها يدخل الإنسان إلى أعماق قلبه بصدق وإخلاص يطلب برهان المسيح فإنه حتماً سيجد المسيح نفسه قائماً بجروحه وصليبه.

لذلك فلا قيمة إطلاقاً لإنكار المسيح مهما تمادى الإنسان في أقسامه، فالمسيح حقيقة أقوى من الإنكار وأقوى من الأقسام بل وأقوى من كيان الإنسان كله على الأرض، بل وأقوى من السماء والأرض: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت٥: ١٨)!! قد ينكر الإنسان المسيح فينكر نفسه دون أن يدري. أما المسيح فهو يزداد يقيناً و وجوداً بالإنكار و بالشهادة سواء بسواء.

قد ينكر الإنسان الحق بفمه مثل بطرس، ولكن يظل الحق موجوداً فيه يلاحق ضميره إلى الأبد، ولن يرتاح حتى يخرج خارجاً و يبكي بكاءً مراً ليصالح الحق بضميره. قد ينكر الإنسان المسيح خوفاً على حياته أو مستقبله أو تحت ضغط حاجاته أو تورطاته أو شهواته أو طموحه، وقد يختم و يبصم أنه لا مسيح ولا صليب ولا دينونة: «إني لست أعرف الرجل»... «وابتدأ يلعن ويحلف أني لا أعرف الرجل...».

ولكن بعد أن يتم الإنكار تماماً، ولو إلى ثلاث مرات، و بعد أن يهدأ روع الإنسان ظاناً أنه قد أمَّن وجوده وحياته وشهواته؛ يعود يطلب سلامه وراحة قلبه فيجد أنه لا سلام ولا راحة على الإطلاق، لأنه كيف يكون للإنسان راحة وسلام والحق مذبوح في قلبه بسكين جحوده؟

ولكن العجيب أن إنكار بطرس للمسيح ثلاث مرات علناً لم يمنع المسيح من أن يلتفت إليه و ينظر في عينيه نظرة عتاب ومعها دعوة سرية في القلب للندم والعودة... يالهذا المسيح الذي لا ييأس قط من خلاص الإنسان حتى ولو بلغ إلى طين الشك أو وحل الإنكار والجحود، فالمسيح يتجاوز كل الإساءات التي تلحقه من لعن وشتيمة واستهزاء وإنكار في سبيل رجوع الخاطىء عن غيّه واستهتاره، هكذا تبدو نفس المسيح ليست عزيزة عنده مثل نفس الإنسان، وإن في هذا الأمر عجباً!!

فالذي أعاد بطرس إلى الإيمان ليس هو رجاء بطرس بقدرما هو عدم يأس المسيح وإصراره على مؤازرة بطرس حتى لا يفنى إيمانه. والذي أبكى بطرس ليس هو جحوده بل هي نظرة إشفاق المسيح وحبه الذي لم يفنَ بجحود بطرس!

كان من السهل على بطرس أن ينكر المسيح لأن المسيح كان وقتذاك في حالة المذلة مقيد اليدين يحاكَم أمام رؤساء الكهنة والولاة كمذنب، هنا تذلل المسيح أوعز لبطرس بالشك في ربوبية المسيح، فالموقف لا يوحي بعظمة ولا بربوبية، الملابسات والحوادث كلها تضع المسيح في موضع التفاهة والذلة والعار: «إن كنت أنت ابن الله فانزل عن

الصليب» (مت٢٧ : ٤٠)، حتى عبد رئيس الكهنة لم يجد حرجاً ولا مانعاً من أن يلطم المسيح على وجهه !... ولكنها أيام مجرد أيام ثلاثة تمر سريعاً والمسيح يقوم من بين الأموات بجلاله وجبروته الذاتي و يظهر لبطرس مرة أخرى و ينظر إليه في عينيه نظرته الأولى تماماً وكأنه يقول له : الآن، هل علمت يابطرس من أنا ومن أنت ؟

ياإخوة إن الكلام هو لنا، فهي مجرد أيام طالت أو قصرت ــ ولكنها منذ الآن هي مقصّرة ــ فالمسيح يأتي سريعاً بمجده ومجد أبيه مع ملائكته القديسين ينظر إلينا في عيوننا في قلوبنا في أعماقنا، لا ليعاتب فيما بعد بل ليدين ويحكم على الأرض كلها بالعدل، حيث لا يعود لظهوره مجال لشك أو إنكار أو جحود بل حينئذ يكون البكاء والنحيب على إنكارٍ وخيانةٍ وعلى حظ مفقود...

بطرس بكى في وقت ينفع فيه البكاء وندم في زمان ينفع فيه الندم، وعاد إلى الرب، فعاد الرب إليه وأحبه وشجعه وحيّاه: «وأنت متى رجعت ثبّت إخوتك» (لو٢٢ : ٣٢)، ولكن إذا فات الوقت فبماذا ينفع البكاء، وإذا عبر الزمان فما قيمة الندم ؟

الآن هو الوقت المقبول واليوم هو يوم الخلاص، فلنأتِ إليه ونعترف بخطيئتنا ليتبت لنا عوض الشك يقين وعوض الإنكار اعتراف وعوض الجحود شهادة علنية، لأن المسيح لا يزال يشفع في ضعفنا حتى لا يفنى إيماننا.

ياإخوة انظروا وانتصحوا، ماذا دها بطرس لينكر سيده؟ إنه الخوف، الخوف من جارية، الخوف من أنه يوشَى به فيُطرد من المجمع أو يفقد مكانته، إنه الخوف من المستقبل المجهول، الخوف مجرد الخوف جعله يحلف و يلعن ويجدف أنه لا يعرف المسيح!!

ولكن لماذا يدهم الخوف أشجع تلاميذ المسيح الذي أراد أن يكون الأول بينهم ؟

الجواب خطير ودقيق! ذلك لأنه حاول أن يظهر أمام الناس أنه لا يتبع المسيح، أراد أن يتراءى أمام الناس أنه حر، أنه لا يتبع أحداً، أنه ليس ناصرياً ولا هو من الجليل،

فكانت النتيجة أن فارقه في الحال روح الشجاعة والشهادة والثبات فوقع في الخوف، والخوف يقود الإنسان إلى إنكار إيمانه وعقيدته وربه بل وإلى إنكار الحق كله مع الإصرار والتجديف!...

ولكن ليس الخوف من الناس أو المستقبل هو وحده الذي يجرنا إلى إنكار المسيح، فإنه يوجد للخوف في هذا المضمار منافس أقوى وأخطر وهو الشهوة، شهوة المال أو المجد الباطل أو الجنس الآخر.

فالشهوة إذا تملكت قلب الإنسان وخصوصاً شهوة الجنس الآخر فإنها تفقده كل خصائص اتزانه ومنطقه وأجمل أخلاقه بل وأعمق طباعه، فهو تحت وطأة الشهوة يصبح قادراً أن يبيع شرفه وكرامته وأعز أحبائه وكل أسرته حتى إلهه!!

فكم من امرأة وكم من رجل، تحت سيطرة شهوته جلس يكتب بيديه وثيقة جحوده وإنكاره لأبيه وأمه بل ولزوجته وأولاده بل ولمسيحه ربه وإلهه!! ولكنها أيام مجرد أيام وتهدأ وطأة الشهوة ويخمد لهيبها في قلب الرجل أو المرأة لتترك مكانها دماراً في علائقه الأسرية وميراثه الأخلاقي والديني مع غصة ندم خانقة تطبق على عنق الإنسان وتلاحقه ليل نهار... ويزيد من وطأتها كل يوم واقع مرارة السعادة المزيفة الموهومة وحقيقة هوة الخيانة المروعة التي تردى فيها بحماقته...

وهكذا يقدم لنا الإنجيل في عتاب المسيح لبطرس بعد القيامة مباشرة درساً من أبلغ دروس الإيمان، حتى نتيقن أن كل حركة إيمانية بل كل كلمة نقولها الآن على المسيح هي محسوبة علينا بدقة وسوف نعطي عنها حساباً خطيراً عند ظهور الرب للدينونة، حينما تنكشف الأعمال وتُفحص أفكار القلوب ونيات الضمائر ونُحاسَب على ما زلف منا من قول أو عمل. أما الآن فلا تزال أمامنا فرصة حتى ولو كان قد تبقى لنا من العمر ساعة واحدة، أن نخرج مثل بطرس ونبكي بكاءً مراً ونعود إلى حضن المسيح نادمين على كل تجديف أو إنكار أو خيانة، لكي ندخل مع بطرس في دائرة الصفح والغفران الإلهي

حسب وعد المسيح: «كل خطية وتجديف يُغفر للناس... ومن قال كلمة على إبن الإنسان يغفر له» (مر٣: ٢٨، لو١٢: ١٠). والمسيح عجيب في صفحه وغفرانه فهو لا يغفر الإساءة وحسب لمن أنكره وجدّف عليه بل و يتجاوزها ليدعو الذين أساءوا إليه إلى كرامة خدمته كرعاة مؤتمنين: «ياسمعان بن يونا أتحبني... ارعَ غنمي» (يو٢١: ١٥).

ولكن و يل للإنسان الذي في خوفه أو في شهوته يستمرىء النكران والتجديف و يعيش ويموت في خطيئته، لأن نكرانه الوقتي سيرتد حينئذ عليه نكراناً أبدياً حسب إنذار المسيح: «من ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات» (مت١٠: ٣٣)، حيث ينضم نصيبه مع نصيب يهوذا الذي من أجل شهوة المال والغنى الوقتي باع المسيح وخنق نفسه فأصبحت حياته لعنة وموته عاراً أبدياً: «و يل لذلك الرجل الذي به يسلّم ابن الإنسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد» (مر١٤: ٢١).

□

ياإخوة انظروا لا تثمنوا البار بثلاثين من الفضة.
ياإخوة لا تبيعوا خلاصكم الأبدي بشهوة جسد يزول و يفنى.
ياإخوة لا تقايضوا الملكوت بدرجة أو وظيفة أو كرامة عابرة.
في العالم سيكون لكم ضيق عظيم ولكن بصبركم تقتنون أنفسكم.
العالم وُضع تحت الشهوة وفي الشرير، فاغلبوه أنتم بدم الخروف وكلمة شهادتكم، عمر الإنسان حتى ولو بلغ الثمانين فهو على قياس الأبدية مثل طرفة عين، فلا تبيعوا نصيبكم الأبدي مع المسيح بعشرين سنة أو ثلاثين من متعة المال أو الأجساد. فالعالم كله يمضي وشهوته، والأجساد تذوي والمال يزول، أما كلمة الله فتبقى إلى الأبد.
الرب متواضع وهو أمين ولا يزال يفتش عن الخروف الضال و يطلب ما قد هلك.
اطلبوه فهو قريب لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص.
(يونيو ١٩٧٠)

القيامة كحياة

أولاً ـــ ما هي القيامة ؟ هي قوة حياة جديدة وُهبت للإنسان بقيامة المسيح لنحيا بها ـــ كما يقول الكتاب ـــ **« لا لأنفسنا بل للذي مات من أجلنا وقام »** .

إذن فالقيامة هي حياة في المسيح ، ومن أجل المسيح فقط .

ثانياً : ما هي علامات الإنسان الذي يحيا في ملء قيامة المسيح ؟

١ ـــ **أول** علامة للإنسان الذي يعيش في قيامة المسيح حقاً ، هي أن يحب المسيح حباً لا يستطيع الموت أن يفصله عنه :

+ « من سيفصلنا عن محبة المسيح . أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف . كما هو مكتوب أننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنم للذبح . ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا . فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة . ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا » (١).

٢ ـــ **ثاني** علامة ، هي أن يحب الإخوة حباً يتجاوز كل احتمالات حدود ظلمة الموت التي يبثها الشيطان في العلاقات مع الآخرين :

+ « نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة » (٢).

---

(١) رو ٨ : ٣٥ـــ٣٩ .

(٢) ١ يو ٣ : ١٤ .

وذلك ليس بالكلام والتصور ولكن من واقع الإختبار اليومي .

٣ ـ ثالث علامة هي أن يرى « كل الأمور تعمل معاً للخير» (رو٨: ٢٨) !! لأن المنظار الذي ينظر به إلى كل الحوادث يصبح منظاراً سماوياً .

ثالثاً: ما هي المصادر أو وسائط النعمة التي تُدخِلنا إلى قيامة المسيح ؟

ثلاثة مصادر رئيسية تطل بنا على قيامة المسيح:

المصدر الأول: **الإيمان** التصديقي المطلق بكلام المسيح .

« ألم أقل لكِ إن آمنت ترين مجد الله . أنا هو القيامة والحياة . من آمن بي ولو مات فسيحيا ومن كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد » (يو١١: ٤٠و٢٥و٢٦).

المصدر الثاني: **الإشتراك السري البسيط** في موت وقيامة المسيح في المعمودية والإفخارستيا . حيث نُدفَن معه ونقوم معه بسر يفوق العقل .

المصدر الثالث: **الجهاد النسكي** بحمل الصليب وعبور الموت كل يوم بالإرادة الواعية تجاه كل الآلام . لأن شركة الآلام والموت مع المسيح تنشيء شركة قيامة ومجد معه كوعد صادق أمين مختبر.

□

أولاً: المصدر الأول للقيامة

القيامة أولاً تكون بالإيمان بكلام المسيح كما هو مكتوب : « الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله » [٣].

« لكن ليس الجميع أطاعوا الإنجيل لأن إشعياء يقول يارب من صدَّق خبرنا . ولمن استعلِنت ذراع الرب » [٤].

---

(٣) رو١٠: ١٧ .

(٤) رو١٠: ١٦ ، يو١٢: ٣٨.

هنا الكلمة، أي (الإنجيل)، هي المصدر الأول والأساسي الذي نأخذ منه مباشرة قوة قيامة المسيح حينما تبلغ الكلمة إلى مستوى الإيمان، أي التصديق القلبي المطلق، فترتفع المعرفة إلى مستوى الإلهام، كما هو واضح من الآية « **من صدَّق خبرنا ولمن استُعلِنت ذراع الرب** ». وفي الإلهام تنسكب القيامة كقوة سرية وكروح وحياة، لأن كلمة الله هي بحد ذاتها قوة « لأن كلمة الله حية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته » (٥).

وهي أيضاً روح وحياة « الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة » (٦).

وينبغي أن لا يتوه عن بالنا أن بكلمة الله تم الخلق الأول، وبالمسيح وبكلمة المسيح يتم الخلق الثاني بالقيامة. وهنا ينبغي أن نتذكر قيامة إبنة يايرس وإبن أرملة نايين ولعازر، بكلمة المسيح.

والمسيح يشدد على ضرورة تصديق كلامه تصديقاً مطلقاً حتى تتم القيامة. « ألم أقل لكِ **إن آمنتِ ترين مجد الله؟ أنا هو القيامة والحياة**، من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد، **أتؤمنين بهذا؟** » (٧).

المواقف الإنجيلية التي تلهم الإيمان بالقيامة :

القيامة كانت هي مركز البشارة الأولى التي اعتمد عليها كافة المبشرين في العهد الجديد من رسل وتلاميذ ووعاظ منذ أول الكرازة. وكانت قيامة الرب هي المنطلق الأساسي الذي بُني عليه الإيمان المسيحي كله، فالإيمان بالمسيح يعني الإيمان بالقيامة، والمسيح هو إبن الله لأنه قام من الأموات بسلطانه الإلهي « وتعيَّن إبن الله بقوة من جهة

---

(٥) عب ٤ : ١٢ .

(٦) يو ٦ : ٦٣ .

(٧) يو ١١ : ٢٥ و ٢٦ .

روح القداسة بالقيامة من الأموات »(٨).

ونجد المسيح يشدّد جداً على الإيمان بقيامته، فنجده يوبّخ تلميذي عمواس بشدة لعدم إيمانهم بقيامة الرب **لما وصلهم الخبر،** فالمسيح كان يفترض ولا يزال أنه بمجرد أن نسمع الخبر بقيامته نؤمن في الحال: « فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا **ويدخل إلى مجده** »(٩). كذلك فعل بتلاميذه إذ عنّفهم أيضاً بشدة بسبب عدم تصديقهم القيامة « أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدّقوا **الذين نظروه قد قام** »(١٠).

وإن كان المسيح يوبّخ تلاميذه بشدة على عدم إيمانهم، فذلك ليس فقط لأنه سبق قبل موته وأشار إلى قيامته في مواقف عديدة، بل أيضاً لأن قيامته كانت تتناسب مع سلطانه ولاهوته وكل أقواله وأعماله السابقة، فهو لم يقم عفواً أو صدفة أو كأنه بدون ترتيب سابق؛ ولكن كانت قيامته بقوة تتناسب مع حياته السالفة، فالمسيح يطالبنا بالإيمان بقيامته لأنها ــ أي القيامة ــ هي أولاً استعلان لمنتهى سلطانه وقوته ومجده والوهيته، وثانياً لأنها حياتنا الجديدة فيه التي وُهبت لنا يوم قيامته، وقد سبق وأخبر بها بكل تفاصيلها، وأمر تلاميذه أن ينتظروها لأنها لهم: « قد قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون »(١١)، « بعد قليل لا يراني العالم أيضاً (ثانياً) وأما أنتم فترونني: **أني أنا حيٌّ، فأنتم ستحيون!** »(١٢). وقد ظهر المسيح فعلاً وأظهر نفسه لتلاميذه.

+ والإنجيل يشهد لقيامة المسيح بشدة، فهو يسجّل ظهور المسيح بعد القيامة عشر

(٨) رو١: ٤.
(٩) لو٢٤: ٢٥.
(١٠) مر١٦: ١٤.
(١١) يو١٤: ٢٩.
(١٢) يو١٤: ١٩.

مرات مذكورة في مواضع متفرقة، في الأربعة أناجيل وفي رسالة كورنثوس الأولى، التي يُسجِّل فيها بولس الرسول هذه القيامة بتأكيد شديد وواضح، كشريك فيها وشاهد عيان، سواء برؤية المسيح القائم من الأموات وهو في صميم الوعي واليقظة في منتصف النهار، أو ببرهان الروح والقوة وعمل القيامة السري الذي ناله في كيانه البشري الجديد!!

ـــ «وأعرِّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه، وبه أيضاً تخلُصون إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا ثم للإثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ أكثرهم باقٍ إلى الآن ولكن بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين. وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا» (١٣).

وشهادة بولس الرسول بقيامة المسيح تأتي قوية وفي أعلى قمة لجميع الشهادات لأن بولس كان مضطهِداً للمسيح وكان يجدِّف عليه وكان يشهد ضده وكان يقتل الذين ينادون بقيامته، ثم لأن شهادته جاءت بعد قيامة المسيح بخمس سنوات، ثم لأن شهادته لم تأت على المستوى التاريخي كمُسَجِّل لرؤيا أو حادثة فقط، بل كإنسان حصل على قوة هذه القيامة في نفسه، في عقله، في جسده، وفي روحه جميعاً. وبعد هذا كله نجد شهادة بولس الرسول مع شهادة بقية الرسل يدعمها استعدادهم جميعاً للتمسك بها حتى أمام رعبة التهديد بالموت. وقد تعذبوا فعلاً وسُجنوا وماتوا أشنع الميتات، ولم تفارق فمهم قط الشهادة بقيامة المسيح من الأموات.

---

(١٣) ١كو١٥: ١ـــ٨.

ثانياً : المصدر الثاني للقيامة

القيامة قوة سرية تُمنح لنا في المعمودية والإفخارستيا :

نحن نؤمن بقيامة المسيح لا كحادثة تخص المسيح وحده بل تخصُّنا نحن أيضاً وبالدرجة الأولى . فالمسيح قام من أجلنا ، بل أنه قام بنا كما يقول بولس الرسول : « **أقامنا معه ...** » . فإيماننا بقيامة المسيح هو هو بعينه اشتراك لنا ضمني في قيامته . فالمسيح مات من أجلنا وبجسدنا لكي لا يكون للموت سلطان علينا ولا يُحسب كعقوبة لنا فيما بعد ، بل يكون واسطة وطريقاً للقيامة والحياة الأبدية !

لذلك أصبحت قيامة الرب من بين الأموات تحمل في قوتها ومفعولها حياة جديدة أو ميلاداً آخر للبشرية ، كما يقول بطرس الرسول : « ولدَنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات »(١٤) . ومن هذه الآية يتضح تماماً أن قيامة المسيح من الأموات لم تكن حالة خاصة لنفسه ، بل كانت عملاً إلهياً شاملاً يشمل البشرية كلها ، كلُّ من يؤمن : فالمسيح ولدَنا ثانية بالقيامة ، فصرنا بحسب تعبير الإنجيل « أبناء القيامة » . أي أبناء عدم الموت ، لا يسود علينا الموت بعد : « ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يُزوَّجون ولا يتزوجون **إذ لا يستطيعون** أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة **وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة .** »(١٥)

وهكذا يتضح لنا كيف صار المسيح آدم الثاني الذي بموته وقيامته من الأموات ولدنا ثانية للحياة الأبدية .

المعمودية تعطي القوة الكامنة للقيامة :

لكي يتم لنا هذا الميلاد الثاني كما وعد به المسيح لنيقوديموس وضع لنا المسيح بعد أن نؤمن بالكلمة أن نولد من جسده السري الحي ميلاداً روحياً من الماء والروح بواسطة

---

(١٤) ١بط ١ : ٣ .

(١٥) لو٢٠ : ٣٥و٣٦ .

المعمودية بعمل الروح القدس ، واهتم المسيح بهذا الإجراء السري اهتماماً كبيراً خصوصاً بعد القيامة كما نراه في نهاية كل إنجيل لأنه حينما نولد من جسد المسيح السري نصير في الحال أبناء الله الحي ، أبناء قيامة ، أبناء الصليب والدم والقبر الفارغ فلا يسود علينا الموت بعد ، أو كما يقول المسيح نفسه : « لا يستطيعون أن يموتوا » !!

إذن نحن نأخذ قوة القيامة في المعمودية عندما نجوز دفن الماء ، ولكنها تظل قوة قيامة غير ظاهرة وغير مبَرهَنة إلى أن يتم عملها بالسلوك الروحي في جدة الحياة . كالطفل الذي يولد وله طبيعة المشي والوقوف على قدميه ، ولكنه يظل فاقداً لفعلهما حتى ينمو و يتقوى .

الإفخارستيا تعطي القيامة كحالة ثبوت متبادل :

في الإفخارستيا تبتدىء القيامة تأخذ أوضح صورة لها ، فنحن هنا نأكل الجسد السري فنأكل الحياة التي فيه ، أي **نأكل القيامة** ، وهذا التعبير تتضح قوته حينما نعلم أن الأكل يتم على مستويين : مستوى حي ظاهري ، حيث مادة السر الخبز والخمر — ومستوى روحي إيماني غير منظور حيث نأكل الجسد الإلهي والدم الإلهي اللذين هما مأكلٌ حقٌ ومشربٌ حقٌ ، والحق هنا أي « الأليثيا » ἡ ἀλήθεια شيء يفوق الحواس و يفوق حدود العقل . « الأليثيا » هنا هي المسيح نفسه « أنا هو الحق » !!

إذن ، في الإفخارستيا نحن نأكل المسيح ، نأكل المسيح القائم من بين الأموات كجسد روحاني يؤكل بالروح كما يؤكل الحق . نأكله ونشربه ونتحد به كما نأكل الخبز والخمر فيصيرا فينا قوة وحرارة لاستمرار الحياة الجسدية !!

نحن نأكل في الإفخارستيا القيامة كقوة تسري في أرواحنا فتمدها بالحرارة الروحية ، بالنور ، بالقداسة ، بالطهر ، وبكل ما هو لازم للحياة الأبدية ولمسيرة بني القيامة والملكوت .

كلما نأكل من خبز الإفخارستيا ونشرب من كأسها نثبت في قيامة المسيح وتثبت

قيامة المسيح فينا يوماً بعد يوم لنكمل مشيئة الآب كأبناء للقيامة .

فالإفخارستيا هي غذاء القيامة ودواء الخلود الذي يشفي كل أسقام بني الموت ، هي عشاء بني العرس المدعوين منذ الآن لعشاء الخروف في الأبدية السعيدة .

ثالثاً : المصدر الثالث للقيامة

القيامة في الجهاد النسكي :

نحن مدعوون لحمل الصليب قبل أن نكون مدعوين لمجد القيامة ، لا كثقل أو عقاب أو كفارة أو تأديب ، ولكن كطريق رسمي للقيامة ، فالقيامة تبدأ من جثسيماني حيث السجود المتواصل والعرق المتصبب كالدم والكآبة ورعبة الإحساس بقرب الموت ، ثم من جثسيماني إلى الجلجثة عبْر حنان وقيافا و بيلاطس ، حيث الهزء والفضيحة ثم الموت ثم القبر، و بعد ذلك يزهر الصليب وتخرج من القيامة أشهى ثمرة ذاقها الإنسان !

سبق لنا في المصدر الأول أن ذقنا **القيامة في الإيمان بالكلمة** التي تفتح الذهن ، فيستلهم نورَ القيامة المبهجة ، حيث فرحة الذهن التي ترفعه إلى الخلود والملكوت .

ثم في المصدر الثاني ذُقنا أيضاً **القيامة في سري المعمودية والإفخارستيا** كماء للحياة وكطعام الحق الذي كل من يأكل منه لا يموت إلى الأبد . لذة سهلة تتجدد لنا كل يوم على المذبح .

ولكننا نحن هنا مدعوون لنذوق القيامة في صميم مرارة الألم والحزن والضيق ذوقاً محققاً و بديعاً ، كما كان المسيح يذوق الآلام والمظالم والخيانة فيستطعم فيها جميعاً بعد مرارة الموت لذة القيامة وإحساسها المبهج والفائق للوصف ، يستشفها من بعد غصة الألم .

نحن مدعوون أن نستشف طعم القيامة من وراء كل مرارة للألم والضيق ومن وراء إنكار الذات والجهد المبذول حباً للمسيح والإخوة .

المسيح حينما كان يعبر جثسيماني متقدماً نحو الجلجثة ، كان منظر فجر اليوم الثالث أمام عينيه ، وكان منظر جبل الزيتون حيث الصعود الأخير واضحاً جد الوضوح ، لأن إحساس القيامة لم يفارقه .

كان إحساس القيامة عند المسيح سابقاً على الألم ، فكان يجعل الألم مقبولاً لديه بل ولذيذاً « الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها ؟!! »

وهكذا أعطانا المسيح سر القيامة سابقاً على الآلام أيضاً ليس فقط لنعبر به الآلام كما عبر هو، بل وليزداد و يتضاعف لنا الإحساس بالقيامة وقوتها من خلال الآلام ومرارتها .

كل ألم نعبره ينشيء فينا إحساساً بالقيامة بقدر ما يحمل في طياته من مرارة وحزن وضيق ، بل إن القيامة لا تُستعلن في الآلام والضيقات إلا بقدر ما يزداد ضغطها وتفوح منها رائحة الموت !!

و بذلك قد صارت لنا قيامة المسيح أقوى سند نستند عليه حتى نعبر كافة الآلام والضيقات ، كما أصبحت الآلام والضيقات بحد ذاتها أقوى واسطة عملية نختبرها بأنفسنا كل يوم لنعبر بها من الموت إلى القيامة .

وإن كان الإيمان بالكلمة يُعتبر المصدر الأول والأساسي للانفتاح على حقيقة القيامة ؛

وإن كان سرَّا المعمودية والإفخارستيا يُعتبران المصدر الثاني السري لقبول القيامة كفعل حي ؛

فالآلام ستظل هي المصدر اليومي لسر القيامة وأمجادها الذي يشرب منه الناسك النشيط بلا شبع حتى النهاية .

(مايو ١٩٧٢)

أين شوكتُك ياموتُ
أين غَلَبَتُكِ ياهاو يةُ

منذ أن سقط آدم ، والموت هو عدو الإنسان الكبير ، فوإن كان للإنسان أعداء كثيرون بسبب الخطية ، ولكن الموت كان دائماً أشدها سطوة و بأساً على نفسية الإنسان... هذه الحقيقة واجهها الإنسان طول حياته بجزع شديد مع خوف دائم ورعبة . وقد عبّر عنها بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين بقوله : « **الذين خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً ، كل حياتهم تحت العبودية** »[1] .

أي أن الإنسان من شدة واستمرار خوفه من الموت ، أصبح عبداً لهذا الخوف ، لأن الخوف الشديد والمستمر من أي شيء ، ينشيء حتماً حالة عبودية له ، مع شعور بالعجز والمذلة !! هكذا عايش الإنسان الموت بهذا الإحساس من الخوف والمذلة كل أيام حياته حتى مجيء المسيح .

ولكن هل ترك الله الإنسان هكذا بدون شاهد على إمكانية غلبة الموت وتخطي سلطانه ، في الأزمنة السالفة ؟

---

(١) عب ٢ : ١٥

مواقف غلبة الموت في العهد القديم :

١ ــ إن أول نصرة حازها الإنسان ضد الموت بصورة حاسمة ملموسة كانت على يد أخنوخ بشهادة الكتاب المقدس : « وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد لأن الله أخذه »(٢) . ولكن لم تكن هذه النصرة الباهرة لأخنوخ ضد الموت جزافاً ، فقد أثبت جدارة أمام الله ، كافأه الله عليها علانية ، إذ يقول بولس الرسول في الرسالة إلى العبرانيين : « بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ، ولم يوجد لأن الله نقله ، إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله »(٣) .

لأنه إن كان آدم بسبب عصيان الله قد وقع تحت سلطان الموت ، فأخنوخ بسبب إرضاء الله كان أول إنسان بعد آدم يهزم الموت و يطأه بقدميه و يرتفع إلى السماء حياً ، وذلك شهادة على قوة إرضاء الله ومقدرتها على فك الإنسان من عبودية الموت والخوف منه !! الله أراد بنقل أخنوخ إلى السماء حياً ، أن يخلخل من سلطان الموت ورعبته من إحساس الإنسان وضميره .

٢ ــ أما الموقف الثاني الذي تحدى فيه الإنسان الموت على مستوى الشعب بأكمله ، فكان في مصر، حينما أطاع الشعب أمر الله على فم موسى بذبح خروف الفصح ، ووضع الدم على الأبواب في وجه الملاك المهلك أي ملاك الموت ، الذي لما رآه الملاك تراجع ... وهذا الدم ، وإن كان الشعب لم يدرك معناه العميق والبعيد ، إلا أن ملاك الموت ، الذي هو أيضاً ملاك الدم ، كان يدرك السر الذي وراء دم خروف الفصح ، حتى أنه ارتعب من مجرد الإقتراب نحو الباب الذي مُسح به ... إذ أنه ليس بلا معنى قول سفر الرؤيا عن سر الخروف الذي ذُبح في مصر هكذا : « ... ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً »(٤) .

---

(٢) تك ٥ : ٢٤

(٣) عب ١١ : ٥

(٤) رؤ ١١ : ٨

أي أنـه كـان مـعلوماً لدى كل الخليقة الأخرى العلاقة السر ية بين دم الفصح الذي فـدى شـعـب إسـرائـيل ونجّاه من يد الملاك المهلك في مصر، و بين الدم الذي فدى العالم كله ونجّاه من يد الذي له سلطان الموت أي إبليس.

ولـكـن هـذه الـنـصـرة الـثـانـيـة على الموت، التي جازها الإنسان على مستوى شعب بأكمله، لم تكن أيضاً جزافاً، بل نظير طاعة حرفية لوصية الله التي أُمر بها الشعب على فم موسى.

أما الإنطباع البعيد الأثر الذي نستشفه من تراجع ملاك الموت إزاء خروف الفصح، فهو بداية تقهقر وانكسار لسلطان الموت عن الإنسان.

مواقف أخرى عديدة:

و بين نـصـرة أخنوخ على الموت بواسطة إرضاء الله، ونصرة شعب إسرائيل بأجمعه على الملاك المهلك بواسطة طاعة وصية الله، توجد أمثلة عديدة لنصرات كثيرة ومتوالية، فردية وشـعـبـيـة، على المـوت، سواء إزاء وحوش أو حوادث أو حروب أو أمراض أو كوارث، امـتـدت فيـهـا جـمـيـعـاً يد الله وانتشلت الإنسان من موت محقق، مثل: داود من فم الدب والأسـد ومن سيف جليات الجبار، وإيليا من يد إيزابل والأنبياء الكذبة، ثم صعود إيليا إلى الـسماء في مـوكـب سمائي مهيب بمركبة نار ية وخيول شارو بيمية أُرسلت من السماء خـصـيـصـاً لـنـقـل إيـليا حياً بجسده، كأعظم نصرة على الموت، شاهدها الإنسان بجسده عـيـانـاً، كـان إيـلـيـا فيها بسبب سيرته النار ية في النسك والزهد والبتولية، مندو باً فوق الـعـادة عـن الـبـشـر يـة لسبق تذوق إمكانية غلبة الموت وتخطّيه، في عظمة فائقة وتكريم سمائي كعر بون لما سيحققه الرب يسوع لنا جميعاً.

كـذلـك في مـوقـف إلـيـشع النبي الذي بواسطة حفنة دقيق، نجده يتحدى سم الموت الـكـائـن في القدر، والذي سرى في أجسام ضيوفه بسبب الأكل من قثّاءٍ بريٍّ سام. هنا نجد نـصـرة عـلـنـية فوق الموت سببها معروف، وهو طاعة إليشع الفائقة لإيليا، التي تحقق

فيها قول الإنجيل : « من يقبل نبياً باسم نبي ، فأجر نبي يأخذ » (مت ١٠ : ٤١) . وهكذا نال إليشع أجر إيليا تماماً ، لا عن جهاد شخصي بالدرجة الأولى ، بل عن طاعة لروح النبوة التي كان يحملها إيليا من الله !!

والفتية الثلاثة وهم في وسط أتون النار المحمية وألسنتها صاعدة ٤٩ ذراعاً كأنها فوهة بركان ، وقد وقفوا معاً يسبحون الله في تحدٍّ للموت وجبروت النار التي تمثل أرعب صورة لسلطان الموت على الإنسان... هذه النصرة الرائعة نالها الإنسان بسبب أمانته في الشهادة لعبادة الله . كذلك نقرأ عن دانيال كيف شاهد يد الله وهي تسد أفواه الأسود عنه ، فوقفت الأسود أمامه صامتة حائرة ، وهي تكاد يمحقها الجوع ... وكان هذا تعبيراً عن انكسار سطوة الموت عن الإنسان الذي يمثله دانيال ، الذي استطاع ذلك بصلاته ثلاث مرات كل يوم ، يصليها من عُلِّيته وكواه مفتوحة ، شهادة لله الحي الذي كان يعبده بروحه وصدق قلبه ، لا عن مظهر ولا عن تحدٍّ...

وأخيراً في موقف بولس الرسول وهو يُحفظ مرات كثيرة من الموت ، ويجوز كل أخطاره من سيول ولصوص وغرق ومكايد ورجم وسم الأفعى التي أنشبت في يده أسنانها ولم يضرُّه شيء... كل هذا ليتم فيه وعد الرب إزاء أمانة الكرازة باسمه ، إلى أن يتمم سعيه و يلبس إكليله...

كل هذه النصرات الكبيرة والكثيرة جداً في العهد القديم والجديد ، تكشف لنا عن مقدار القوة المذخرة لنا ضد الموت في صميم خلقتنا الأولى وما أضيف إليها من مواهب الخلقة الجديدة الروحية .

صحيح أن « آخر عدو يبطل هو الموت » (٥) ، ولكن الله سبق وأبطله عنا مرات كثيرة في الماضي حتى يحرر الإنسان جزئياً من قيود عبوديته وحتمية الخوف منه .

---

(٥) ١ كو ١٥ : ٢٦

الخطية والموت :

كان هذا كله في الماضي ، لأنه بسبب الخطية حلت لعنة الموت وملكت على الأرض كلها ، الموت يسود الأرض ! ليس حيٌّ على الأرض إلا ويموت ، الموت يوجد خارجنا و يوجد داخلنا . « الموت مَلَكَ على الجميع » كما يقول الكتاب في رسالة رومية : « بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم و بالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ... قد ملك الموت !! » (٦).

ولأن الخطية التي هي أصلاً من مشورة إبليس ، كانت ولا زالت هي السبب في الموت ، صار يقيناً عندنا أن سلطان الموت هو في يد إبليس .

وهكذا صار معلوماً أيضاً بيقين أقوى وأشد أنه لن يُنقذ الإنسان من سلطان الموت ، إلا إذا أُنقذ من سلطان الخطية ... لهذا نزل إبن الله من السماء وأخذ جسدنا بلا خطيئة وعاش بلا خطيئة ، فتحرر جسدنا بالتالي من سلطان الموت ، ولكن لكي يبيد الموت من جسدنا ، كان لابد أن يموت و يقوم فيحطم قوته وسلطانه ، و يبدد رعبة الخوف منه إلى الأبد ، وهكذا بالموت داس المسيح الموت عنا ، والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية .

وهكذا أيضاً لما أبطل سلطان الموت أبطل بالتالي من له سلطان الموت أي إبليس : « فإذ تشارك الأولاد في اللحم والدم ، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما ، لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس ، و يعتق أولئك الذين خوفاً من الموت ، كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية » (٧).

الآن مشيئة الله قد صارت لكل إنسان أن يختبر و يذوق الإنتصار على الموت ! أما الإنتصار على شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، وأما الإنتصار على إغراءات

---

(٦) رو ٥ : ١٢ و ١٤

(٧) عب ٢ : ١٤ و ١٥

الشيطان في هذا جميعه وكل أنواع الخطايا، فأمر مهم غاية الأهمية ولازم غاية اللزوم. ولكن تظل هذه النصرة كلها ضعيفة متوعكة ناقصة جداً حتى تكمل خبرة الإنسان في الإنتصار على عبودية الموت والخوف من الموت! لأن أعداء الإنسان حقاً كثيرون: الجسد والعالم والشيطان، ولكن الموت أخطرهم والخوف من الموت ألعنهم جميعاً. فإذا انتصرنا على الجميع وأبقينا على هذا العدو الأخير الذي هو الموت، أو تجاهلنا وجوده وتعامينا عن حالة الخوف منه الرابضة في أعماق كيان الذهن والضمير والتفكير، فإن كل نصرتنا المزعومة تبقى مزعزعة قابلة للنكسة والإنقلاب. لأنه حينما يظهر فجأة عنصر الموت أمامنا و يتهددنا بأية وسيلة وعلى يد أي إنسان، حينئذ يبدأ عامل الخوف من الموت يسود على كل الكيان، و يبدأ الإنسان بسبب صغر النفس ينكر منهج الفضيلة، ويجحد الإيمان والأمانة في لحظة في طرفة عين، و يستفيق وإذا هو مغلوب منهزم أشر انهزام.

لذلك حينما يقول الكتاب: «آخر عدو يبطل هو الموت»، فهو يقصد ليس فقط عامل الزمن، بل وأيضاً يكشف ضمناً عن عنصر الخطورة الكامنة في هذا العدو الجبار الخبيث، وتفوُّق هذه الخطورة على كل ما عداها في كافة أعداء الإنسان الآخرين، بل و يشير الكتاب بذلك أيضاً إلى أهمية هذا العدو وقدرته على التربص في قلب الإنسان واختفائه وراء كافة الأعداء الآخرين!!

فإذا تركنا هذا العدو رابضاً في داخل القلب تحيط به هالته الكاذبة من الرعبة والخوف، يصبح كل جهادنا مهدداً وفي خطر.

الرب بإقامته لعازر بعد أربعة أيام من موته و بعد أن أنتن جسده في القبر، فضح جبروت الموت وهتك سلطانه علناً أمام الناس، وجرده من كل سطوته وحتميته؛ نتن اللحم والدم جعله خرافة، ورائحته الكريهة جعلها كالحلم الكاذب؛ نفض الدود عن اللحم المهرَّأ، وأقام الأعضاء المفككة غضة نابضة بالحياة ونشاطها؛ هذا كله يعتبر حقاً عربون النصرة على الموت الذي سلمه لنا تمهيداً لما هو مزمع أن يعمله في أجسادنا جميعاً الذي عمله هو في جسده أولاً لتكون القيامة حقاً أبدياً لنا.

قيامة لعازر من الموت حياً بعد أن أكملوا كل مراسيم الموت والدفن من بكاء ودموع ورثاء وعزاء ومواساة حتى إلى اليوم الرابع، كفيلة حقاً أن تبدد من مشاعرنا حتمية الموت التي طغت على وجداننا وترسخت فينا، وكأن الموت لا رادَّ لقضائه.

لنلاحظ جميعنا أن الرب أقام لعازر من الموت قبيل موته هو مباشرة ليثبت لنا أنه وإن مات فهو سيد الموت، وإن قام فهو رب القيامة القادر بقوته وسلطانه أن يلغي الموت و يطأه لا بقيامته هو فحسب بل و بكلمة واحدة من فمه «لعازر هلم خارجاً»!!

لقد سبق المسيح أن قال لمرثا: «أنا هو القيامة والحياة»!! «من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٥و٢٦). إن سر المسيح والمسيحية يتركز في هذه الآية بقوة وإلهام، فالمسيح هو هو الحياة الأبدية؛ فمن ذا الذي يمسك بالحياة ويموت؟ ألم يقل المسيح بوضوح: «من يأكلني يحيا بي» (يو٦: ٥٧)!!

وليكن معلوماً وعن يقين أن كل ما تبقَّى للموت ليسود عليه فينا من بعد قيامة المسيح، هو ما فينا من تراب فقط، حيث يعود التراب إلى التراب الذي أُخذ منه. أما نحن الأحياء الآن بالروح، ونفوسنا الحية في المسيح والمخلوقة بالروح جديداً على صورة خالقها، فهذه لا نصيب للموت عليها البتة. هذه لن يحتويها قبر، ولن ترى ظلمة القبر أبداً، بل من نور إلى نور تنطلق، ومن مجد إلى مجد تنتقل!!

الخطورة الآن قائمة في أن يستولي الخوف من الموت على ما ليس له فينا، الخطورة كل الخطورة أن يدخل الخوف من الموت إلى نفوسنا الحية و يطفىء منها شعلة النور أي الإيمان بالقيامة و بالمسيح القائم عنا ولنا و بنا، فيزيح روح الحياة من نفوسنا و يستوطن الموت في قلبنا كحالة خوف وهمي من عدو مقتول!!

المسيح أبطل الموت عن نفس الإنسان وأحل محله روح القيامة، وروح القيامة هو الذي سيقيم جسدنا أيضاً من بعد فساد، ويجعله على صورة النفس في البهاء والمجد كالمسيح، لأن الكتاب يقول بغاية الوضوح: «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا،

ليكون على صورة جسد مجده » (٨) . الموت له سلطان الآن على التراب الذي في جسدنا ، أي الجزء الميت فينا ، ولكن لا سلطان له أبداً على الروح أو النفس التي في جسدنا ، لأن المسيح يملأ الجسد كهيكل له ، والنفس له عروس ، والروح هي أصلاً من نفخة الله .

الهيكل الترابي المناسب فقط للأرض ، ينحل بالموت ، لكي يتسنى لله أن يعيد بناءه بدون خطية لكي يناسب السماء ، وذلك بواسطة المسيح الذي يجدد خلقته على صورته في المجد والكرامة .

الخوف من الموت وقيامة المسيح :

إذن فالخوف من الموت الآن أصبح بالنسبة للإنسان الذي يؤمن بقيامة المسيح ، بمثابة تهديد مباشر بانغلاب روح القيامة وتحويلها إلى عمل عاجز فاقد قدرته على إعطائنا روح المسيح وحياة المسيح : « لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام ، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم ، **أنتم بعد في خطاياكم** ، إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا » (٩) .

وهكذا يقف الخوف من الموت مساوياً لإنكار القيامة ، إن لم يكن بالفم ، فبجزع القلب وصغر النفس وانهزام الإرادة ، حيث تنحل قوة النفس ، فيضيع رجاؤها هباءً ، وتعيش الروح في شبه ظلام ! ... بل وأكثر من ذلك ، لأن الآية السابقة تشير إلى أن فقدان الإحساس بالقيامة ، يساوي البقاء في حالة الخطية !!

لذلك يُعتبر الموت والخوف من الموت أخطر عدو لنا الآن ، مع أنه مقتول وغير موجود ، وقد أبطله المسيح بموته و بقيامته ، وأفقده كل سلطانه ، وعزله تماماً عن الإنسان المولود من الله !! « لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس » (١٠) .

---

(٨) في ٣ : ٢١

(٩) ١ كو ١٥ : ١٦ـــ١٨

(١٠) عب ٢ : ١٤

المسيح الآن يملك في أولاد الله بروح الحياة ، عوض الموت ومن كان له سلطان الموت أي إبليس الذي كان يملك على كل إنسان . وبذلك أصبح الخوف من الموت يشير إلى أن المسيح لم يملك بعد كما ينبغي على كيان الإنسان نفسياً وروحياً ، وهذا أمر خطير للغاية . نحن الآن موضوعون لنأخذ النعمة من الله للحياة بالمسيح يسوع ، عوض الخوف من الموت الذي كان بسبب الخطية .

والكتاب يشدد جداً في مواضع كثيرة على أن عمل النعمة وعطية البر المجاني من الله بالمسيح أقوى جداً جداً من عمل الخطية وسلطان الموت والخوف من الموت : « لأنه إن كان بخطية الواحد قد **ملك الموت** بالواحد ، **فبالأولى كثيراً** الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر **سيملكون في الحياة** بالواحد يسوع المسيح ... ولكن حيث **كثرت الخطية إزدادت النعمة جداً** ، حتى كما **ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية** بيسوع المسيح ربنا » (١١) .

والذي يفوت على كثيرين هو أن بولس الرسول يشدد دائماً على أنه كما سُقينا الخطية عن طريق الجسد كميراث محزن من آدم انتهى بالموت ، هكذا سُقينا النعمة مجاناً عن طريق الروح كميراث مفرح جداً من المسيح انتهى بالحياة الأبدية . ولكن كما أن الخطية **لا تملك علينا إلا بالعمل والفعل الإرادي** ، كذلك **فنعمة المسيح لا يمكن أن تملك علينا إلا بالعمل والفعل الإرادي** . والذي تملك عليه النعمة ، يستحيل أن يملك عليه الموت أو الخوف من الموت ! ...

وهكذا واضح غاية الوضوح أنه كما أن الخوف من الموت هو نتيجة مباشرة لفعل انتهى بالخطية ، هكذا الثقة بالحياة الأبدية هي نتيجة مباشرة لفعل انتهى برضاء الله وسكنى النعمة : « لأن أجرة الخطية هي موت ، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا » (١٢) . لأنه كما تقف النعمة في مواجهة الخطية ، هكذا تقف الحياة الأبدية

(١١) رو ٥ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢١

(١٢) رو ٦ : ٢٣

في مواجهة الموت . وكما يقف الخوف من الموت كعثرة عظمى في وجه الإنسان السائر في طريق الله ، كذلك تماماً يقف الفرح بالمسيح وبهجة القيامة كقوة فائقة ترفع إرادة الإنسان وإحساسه وفكره وضميره وكل كيانه فوق الموت والخوف من الموت .

وليس عبثاً ما ينبهنا بخصوصه بولس الرسول من جهة أن المسيح الآن لا يمكن أن يسود عليه الموت ، لأنه بهذا يعمّق وعينا بأن صلتنا بالمسيح تمنع عنا منعاً باتاً الخوف من الموت لأننا نعيش الآن مع المسيح الحي ، ونحن سنكمل هذه الحياة معه إلى الأبد بدون انقطاع : « لأني أنا حي فأنتم ستحيون »(١٣). الموت لم يعد يستطيع قط أن يفصلنا عن الحياة التي في المسيح التي فينا الآن : « لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت !! »(١٤). إن هذه الحقائق الإيمانية ينبغي أن تأخذ طريقها داخل شعورنا وإحساسنا ، ليس النفسي والفكري فحسب بل والجسدي أيضاً . لأن الحياة الأبدية التي منحها لنا الله سوف تشمل حتماً وأكيداً هذا الجسد أيضاً . لأنه معروف أن المسيح هو « مخلّص الجسد » أيضاً(١٥) .

ولكن علينا في مقابل ما يفعله الموت في خلايا أجسادنا ، ويحلها من سنة إلى سنة ، ويضعف حواسنا وأعضاءنا قليلاً قليلاً حتى في النهاية تصيبنا الشيخوخة ونموت ، كذلك ينبغي أن نفسح للروح القدس وقوة النعمة بفعل الإيمان والرجاء لكي يجدد صورتنا الداخلية ويضع كل ملامحها الروحية ، حتى نكون قريبين جداً من شكل المسيح وروحه وفكره وصفاته ، حتى إذا متنا نوجد في الحال أحياء معه وجهاً لوجه !! : « إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه »(١٦) . لأننا إذ نثبّت عيون قلوبنا على وجه المسيح ، نتغير إلى تلك الصورة عينها كما يقول بولس الرسول .

---

(١٣) يو ١٤ : ١٩

(١٤) رو ٨ : ٢

(١٥) أف ٥ : ٢٣

(١٦) كو ٣ : ٩ و ١٠

حياة الله فينا : علامتها التحرر من إحساس الموت :

وبمجرد أن تبدأ حياة الله تعمل فينا ، ستكون علامتها الأكيدة التحرر من الإحساس بالموت وغلبة الخوف منه ، لأنه لا يمكن أن تسكن في الإنسان لعنة الموت و بركة الحياة معاً !! حياة الله فينا تطرد لعنة الموت وتطرح الخوف خارجاً . والإنسان الحي في الله ، يحس جداً أنه أقوى من الموت ، وأن الموت فقد سلطانه عليه . الإنسان الحي في الله لا يخضع في أعماقه للموت ولا للإحساس بالموت ، حتى وهو يموت يشعر أنه لا يموت ولن يموت ، وأنه سيبقى حياً ولن يفقد حياته في الله ولا لحظة واحدة ولا طرفة عين ! ... الجسد سيعود إلى التراب الذي جاء منه ، أما هو فسيظل مع المسيح ولن يتزعزع أبداً ، بل ستنفتح عيناه الروحيتان في الحال ، لينظر نور المسيح و يعاين مجد القيامة !!

أن يستسلم الإنسان للموت أو للشعور بالموت أو يخضع للخوف من الموت ، هذا أمر ضد الإيمان ، لأنه معروف أن الموت هو عدو للإنسان : « آخر عدو يبطل هو الموت » !! إذن فنحن مطالبون أن نُخضع الموت ونقاومه ولا نعتد به ، لا أن نخضع له ، متقوِّين عليه بالرب و بشدة قوته ، عالمين أن قوة القيامة التي فينا قد دحرت الموت مرة وستدحره أيضاً حتى النهاية . هذا قد لقنه لنا الإنجيل بوضوح حينما علمنا أن نقول : « أين شوكتك ياموتُ ، أين غَلَبَتُكِ ياهاو يةُ !! » (17) لقد غزانا **الموت** عن طريق **الخطية** ، والمسيح حطم **هذا وتلك** ، وأعطانا عوض الخطية برَّه الشخصي ، وعوض الموت حياته الأبدية .

فكيف نعيش بعد في الموت أو نخشاه ؟ الموت الآن مربوط مع من له سلطان الموت ، أي إبليس ، باستعداد المصير المحتوم : « وطرح الموت والهاو ية في بحيرة النار» (18) .

كيف نخضع بعد للموت أو لسطوته وهو فاقد وجوده منذ الآن وإلى الأبد ؟! نحن الذين أخذنا روح الحياة غير المخلوقة التي للمسيح وصرنا خليقة غير مائتة بهذا القدر

(17) ١ كو ١٥ : ٥٥

(18) رؤ ٢٠ : ١٤

الممجد ، كيف نعود ونخضع روح المسيح لأحاسيس الموت أو خشيته ؟ أليست حياة المسيح فينا تعمل للحياة الأبدية بقدر ما يعمل الموت في جسدنا عشرة آلاف مرة ؟ أو ربوات بلا عدد ؟ المسيح أبطل الموت بقيامته ، وأعطانا روح القيامة لكي نبطل بها الموت نحن أيضاً من كياننا الروحي في هذه الحياة كشهادة صادقة أن المسيح فعلاً يحيا فينا بقيامته وحياته الأبدية . إن إحساسنا الصادق بقيامة المسيح وسلوكنا في جدة الحياة التي وهبها لنا بقيامته ، كفيلة بأن تعطينا الغلبة ضد الموت ، لنطرح قوته خارجنا .

نجوز الموت مع المسيح ، لكي نشترك في مجد القيامة :

ولكن كيف نحصل أكيداً على روح القيامة ؟ هذا ما ينبغي أن نركز عليه في سلوكنا اليومي . لأنه لا سبيل إلى نوال قوة القيامة إلا من خلال الصليب . لهذا ينبغي أن نجوز الموت أولاً مع المسيح لكي نشترك في مجد قيامته وقوتها .

إذن فالموت فقد حق المبادرة علينا ولم يعد يغزونا وكأننا مقيدون بسبب الخطية ، بل قد تهيأنا من قِبَل الصليب والدم ، ولبسنا الأسلحة الكفيلة بأن نسبق نحن ونغزوه ! نحن مطالبون بأن نغزو الموت ونقتحم كل مكامنه المخيفة وأركانه المظلمة !! فالإنسان الذي تسلّح بالصليب أصبح على استعداد الموت وسفك الدماء مع المسيح ومن أجله ، بكل سرور ورضى : « من أجلك نمات كل النهار»(١٩) بكل أنواع الميتات !! :

« ... في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة ، من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة ، ثلاث مرات ضربت بالعصي ، مرة رجمت ، ثلاث مرات انكسرت بي السفينة ، ليلاً ونهاراً قضيت في العمق ، بأسفار مراراً كثيرة ، بأخطار سيول ، بأخطار لصوص ، بأخطار من جنسي ، بأخطار من الأمم ، بأخطار في المدينة ، بأخطار في البرية ، بأخطار في البحر، بأخطار من أخوة كذبة ، في تعب وكد ، في أسهار مراراً كثيرة ، في جوع وعطش ، في أصوام مراراً كثيرة ،

---

(١٩) رو ٨ : ٣٦

في برد وعري »[٢٠].

كل هذه التي ذكرها لنا بولس الرسول هي في الواقع كل ما يملك الموت ومن له سلطان الموت ، لكي يخيف بها الناس ، وها هي أمامنا صارت موضع افتخار بولس الرسول لأنه اقتحمها كلها كشجاع ، وجرّدها من كل صفة الخوف والرعبة ، بل جعلها وكأنها منهج عام لكل عابري طريق الملكوت !! إن كانت طبيعة الشيطان قد انفضحت لنا في الآية التي تقول : « قاوموا إبليس فيهرب منكم »[٢١]، هكذا صارت طبيعة الموت تماماً ، فإذا قاومناها هزمناها وطردناها ... إذا أمتنا أنفسنا بإرادتنا هرب الموت عنا وتحولت رعبته إلى غلبة وانتصار... وإذا أشفقنا على أجسادنا ، وجبنت إرادتنا إزاء إماتة الذات ، أخذ الموت فرصته علينا ، وكلما تمادينا في العطف على أنفسنا وجزعنا منه أو من الألم أو الخسارة أو المرض أو الإهانة ، كلما اقتحم الموت كياننا الداخلي ومعه الخوف والرعبة الكاذبة ... وهكذا إلى أن يوقف فينا كل حركة شجاعة وكل شهادة صريحة وكل إيمان واضح ، وقليلاً قليلاً يخرجنا من ساحة الحرب مخذولين مهزومين ، كخائفين من الموت ، وهذه خديعة عظيمة ، فهو لا يملك قط حق الغلبة علينا !! فإذا شبهنا الموت بسم العقرب أو الأفعى ، والخطية بشوكة العقرب أو بأنياب الأفعى ، فعلينا أن ننتبه بالروح ونؤمن ونصدق أن المسيح كسر شوكة العقرب وأزال سمَّها ، وكسر أنياب الأفعى وسكب سمها على الأرض ... هكذا تماماً أنهى المسيح على الموت بأن كسر سلطان الخطية وأزال مفعولها عن الإنسان الجديد إلى الأبد ...

فمن ذا الذي يخاف من عقرب فاقد ذيله أو من ثعبان فاقد أنيابه ؟! ألا يكون بعد موضع سخرية وشماتة ، ومهيأ تماماً أن ندوسه بأقدامنا ؟! إن المسيح الذي رفع عنا الخطية ومسح آثارها المخزية بالدم الإلهي ، أزال عنا بالتالي كل سطوة الموت ورعبته ، وقيامته تشهد بذلك ! وحتى موت الجسد سوف لا يدوم ، لأنه حتماً سيأتي الرب وستأتي

---

(٢٠) ٢ كو ١١ : ٢٣-٢٧

(٢١) يع ٤ : ٧

أرواحنا معه ، لتأخذ كلُّ روح جسدها مجدداً من يد الرب . ولكن ينبغي أن نثق أن موت الجسد لن يوقف عملنا في الرب ، ولن يضع حداً لآمالنا السعيدة في المسيح ، ولن ينقص حبنا لله أو للناس ولا قيد شعرة . بل على العكس ، فإن تحرُّرنا من الجسد سوف يعطينا فرصاً جديدة لخدمة الرب ، وأعماقاً أعظم لحبه وحب الناس جميعاً . لذلك فالموت لن يُنقص من قامتنا الروحية أو يحد من رسالتنا السعيدة في خدمة المسيح ... بل إن كل ما ينقصنا و يعوزنا الآن ، سنستكمله بالضرورة عندما نخلع خيمتنا الأرضية ونلبس السماو يات ونستوطنها ! ...

يالذلك اليوم السعيد الذي تنفتح فيه عيوننا وآذاننا على الأبدية ، وننضم لخورس السمائيين ، ونتعلم الترنيمة الجديدة : « ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف »(٢٢) .

هناك ستنفك عقدة ألسنتنا ، لنرنم بألحان فائقة الإتقان والتعبير، لأننا سنعي جمال الله الفائق وعياً روحيا ، ينضح على قلوبنا فيضاً من تسبيح يدوم إلى الأبد .

ساعة الموت

أولاً : بولس الرسول : يحدد لنا الخطوط العريضة التي تتحكم في ساعة الموت : « لأن لي الحياة هي المسيح ، والموت هو ربح ، ولكن إن كانت الحياة في الجسد هي لي ثمر عملي ، فماذا أختار، لست أدري ، فإني محصور من الإثنين ، لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ، ذاك أفضل جداً . ولكن أن أبقى في الجسد ألزم من أجلكم . فإذ أنا واثق بهذا ، أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان ، لكي يزداد افتخاركم في المسيح يسوع فيَّ بواسطة حضوري أيضاً عندكم »(٢٣).

---

(٢٢) رؤ١٥ : ٣

(٢٣) في ١ : ٢١-٢٦

ومن هذه الكلمات المنيرة ، نستطيع أن نجمع المبادىء الآتية :

١ ـــ إن حياتنا هي مِلْك للمسيح وليست ملكاً لنا .

٢ ـــ إن الموت الذي نموته بأي شكل و بأية صورة وفي أي وقت ، هو ربح ، طالما نحن نعيش الآن للمسيح ، أو طالما أن المسيح يملك حياتنا .

٣ ـــ الحياة في الجسد قد يستزيدها المسيح من أجل الثمر المتحصل منها لحسابه ، فبالرغم من أن الإنسان يكون مهيأ للإنطلاق ليكون مع الرب ، إلا أن الرب يعوق إنطلاقه ربما سنين كثيرة ، كما حدث للقديس أنطونيوس لما طلب الإنتقال لنفسه ، إذ قال الرب لروحه : « إنك والدة حسنة ومربية صالحة ، وقد تركتك لتربي أولادك حسناً » (رسالة ١٩).

٤ ـــ قد يحدث للإنسان الصالح أن يختار لنفسه بين الإنطلاق ليكون مع الرب ، أو البقاء في الجسد لخدمة أولاد المسيح بسبب ضرورة شديدة .

٥ ـــ إن إحساس الإنسان الصالح بالإنطلاق ليكون مع المسيح ، يصاحبه شعور بالبهجة الشديدة ، و يتيقن جداً من أفضلية الحياة مع المسيح !!

٦ ـــ بالرغم من ثقة الإنسان الصالح بأفضلية الإنطلاق والحياة مع المسيح ، إلا أنه يستطيع أن يفضل البقاء في شقاء العالم والجسد من أجل خير أولاد المسيح وخدمتهم ، والرب يوافق .

٧ ـــ الإنسان الصالح يعلم تماماً أن طلبه الذي يطلبه من الرب ليبقى في الجسد من أجل تكميل خدمة أولاد المسيح ، يستجاب بسرور: « فإذ أنا واثق بهذا ، **أعلم أني أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم في الإيمان** » .

+ أما مجمل هذه النقاط السبع ، فهو أن تحديد ساعة الموت بالنسبة للذين يعيشون مع المسيح ، يتقاسمها الرب مع أولاده الأمناء ، و يتحكم فيها مقدار الثمر المتحصل من حياة الإنسان . فساعة الموت ذات صلة شديدة برسالة الإنسان الروحية ، وكأنما الإنسان الصالح لا يعيش لنفسه ولا يموت لنفسه ، كما يقول الكتاب : « إن عشنا فللرب نعيش ،

وإن متنا فللرب نموت ، فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن »(٢٤).

+ وقد يكون موت الإنسان بحد ذاته تمجيداً لله أكثر من كل ما عمله الإنسان في حياته ، لأن الشهادة للمسيح بالموت لا تعادلها شهادة مهما عظمت الحياة وطالت مدتها حتى ولو كانت مائة عام ! ومعروف أن رتبة الشهداء أعلى رتبة في كافة رتب القديسين ، فهي من بعد الرسل مباشرة ، كما أنه معروف أيضاً أن الرب حينما يريد أن يكرم إنساناً جداً ، يهيىء له فرصة الشهادة بالدم . لذلك كان يدعو كثيرين في أيام الضيق للشهادة . وكأنما ترك الرب للإنسان أن يحدد موعد وطريقة انطلاقه ! فكانوا يذهبون إلى ساحة الإستشهاد وهم على علم : متى سينطلقون وكيف سينطلقون ، سواء كان بالسيف أو الحريق أو الوحوش أو آلات التعذيب ... وهكذا تحولت رعبة الموت وساعته المخيفة ووسيلته المرعبة إلى خطة أعطي للإنسان أن يرسمها بيده ويختار ميعادها وظروفها ، و ينتظرها بفرح وتهليل كعيد أو كحفل زفاف !!

فما أعظم هذه النصرة فوق الموت التي حققها المسيح للإنسان ، أن يعرف الإنسان ساعة موته و يفرح لها و يتهلل !!

ثانياً : بطرس الرسول : يكشف لنا عن مستوى الموت كحادثة زمنية :

« ولكني أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة عالماً أن خلع مسكني قريب كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح أيضاً ، فاجتهدوا أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكرون كل حين بهذه الأمور»(٢٥).

١ ـــ بطرس الرسول هنا نراه مثل بولس الرسول يشدد على أن حياته بالجسد وَقْفٌ للرب ، وأن عمله الأساسي طالما هو يعيش في الجسد ، أن يكرز بوصايا الرب ، و يذكّر بها أولاده مراراً وتكراراً .

---

(٢٤) رو١٤ : ٨

(٢٥) ٢بط ١ : ١٣-١٥

٢ ــ الحياة بالجسد يشبهها بطرس الرسول بالوجود داخل مسكن مبني بحجارة أو بطين . هذا هو الجسد في نظر بطرس .

٣ ــ كما يخلع الإنسان ملابسه ، أو يخرج من مسكنه المبني بالطين ، هكذا يرى بطرس الرسول حادثة الموت التي فيها يخلع جسده الذي يسكن فيه على الأرض .

٤ ــ إن الموت بهذه الكيفية أو على هذا المستوى ، أي بوصفه خلع مسكن أرضي ، لقبول مسكن سمائي ، أعلنه الرب لبطرس الرسول أنه سيتم له قريباً وهنا الإعلان عن ساعة الموت يجيء مشدداً جداً للرسالة التي أؤتمن عليها هذا الرسول : « **أحسبه حقاً ما دمت في هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة** » .

وهكذا يأتي تحديد ساعة الموت مستحثاً لمزيد من الكرازة ، وداخلاً في إطار إرادة بطرس ومسرة قبوله .

٥ ــ بطرس الرسول يعطينا نظرة مبدعة عبر الموت وبعد الإنتقال وكأنه قد تم ، فيهتم كيف يكون أولاده بعد خروجه من الجسد : « **فأجتهد أيضاً أن تكونوا بعد خروجي تتذكرون كل حين بهذه الأمور** » . وهكذا يصور لنا الموت تصويراً غاية في الرقة والبساطة دون أي إنزعاج منه أو تعقيد ، فهو مجرد خروج وسفر سعيد تنتهي عنده حدود رسالته كمعلم وكارز. فيجتهد قبل خروجه أن يؤمّن رسالته حتى لا يكون في خروجه توقف لها !!

وإن كان بطرس الرسول هنا قد شبّه حادثة الموت بـ« **الخلع** » أو « **الخروج** » ، نجد أن بولس الرسول يشبهها في موضع آخر بـ« **الإنحلال** » : « وقت إنحلالي قد حضر» (٢٦)، وهو اصطلاح يستخدمه البحارة عند فك رُبُط المركب للسفر عبر البحار.

+ وهكذا في هذه النقاط الخمسة ، نجد أن تحديد ساعة الموت داخل ضمن نطاق علم الإنسان ليزداد الإنسان تأكيداً لرسالته ، حيث تتكشف حادثة الموت وتزداد رقة

---

(٢٦) ٢تي ٤ : ٦

و بساطة ونوراً ، لتصبح كخلع الثوب أو المسكن ، أو كسفر سعيد لا يحتاج إلى استعداد بقدر ما يحتاج إلى توصية المودّعين !!

تحديد عمر الإنسان

في العهد القديم نقرأ عن البطاركة إبراهيم وإسحق و يعقوب وكل أتقياء الله ، أن كل واحد منهم « مات شيخاً وشبعان أياماً » (٢٧) ، وهكذا كان رضى الله عن الإنسان قديماً يتقيّم بطول العمر ، كما كانت مكافأته أيضاً تتقيم بالخيرات الزمنية . لذلك نسمع داود النبي يتوسل من جهة نفسه أن « لا تأخذني في منتصف أيامي » (٢٨) كذلك نرى الله في العهد القديم ، يسمع لصلاة الإنسان ، و يزيد أياماً على أيامه : « في تلك الأيام مرض حزقيا للموت ، فجاء إليه إشعياء بن آموص النبي وقال له : هكذا قال الرب أوصِ بيتك لأنك تموت ولا تعيش . فوجّه وجهه إلى الحائط وصلى إلى الرب قائلاً : آه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة و بقلب سليم وفعلت الحسن في عينيك . و بكى حزقيا بكاءً عظيماً . ولم يخرج إشعيا إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً : ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي هكذا قال الرب إله داود أبيك ، قد سمعت صلاتك ، قد رأيت دموعك ، هأنذا أشفيك ، في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب ، وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة » (٢٩) .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن الرب أرسل النبي إلى حزقيا ليعلمه بساعة موته ، كما نشير إلى غاية الرب من هذا الإعلان ضمناً ، وهي توصية الملك لأولاده من جهة اتّباع طريق الرب حسب أمر الرب . ولكن نرى الأمر هنا يتغير فجأة ، و يستطيع حزقيا أن يغير ساعة موته !! إذ يطلب المزيد على سني حياته المحددة ، فيستجاب طلبه بناء عن

---

(٢٧) تك ٢٥ :٨ و٣٥ :٢٩

(٢٨) مز١٠٢ :٢٤

(٢٩) ٢مل ٢٠ :١ــ٦

هنا وفي صميم العهد القديم ، تظهر رحمة الله و يظهر لطفه جداً على الإنسان ، حيث يبدو الموت كحادثة ، وإن كانت محددة بحسب تدبير الله وسابق علمه ، إلا أنها قابلة للتغيير والتأجيل ، بتدخل مشيئة الإنسان الصالحة وصلاته ودموعه ... هنا يفقد الموت كثيراً من حتميته المرعبة وتحديده القاطع المخيف ...

المسيح في العهد الجديد يكشف عن سلطانه الشخصي على الموت وعلى إطالة عمر الإنسان ، في إطار من البساطة ، ولكن في معنى الألوهة الفائقة القدرة والسلطان : « قال له يسوع إن كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك ؟ اتبعني أنت . فذاع هذا القول بين الإخوة أن ذلك التلميذ لا يموت ... » (٣٠) .

ولكن سلطان المسيح لا يقف عند إطالة عمر يوحنا ، لقد امتد وشمل كل من يولد من الله ، المؤمنين باسم المسيح : « وكل من كان حياً وآمن بي ، فلن يموت إلى الأبد » (٣١) .

في العهد القديم تحسب إضافة ١٥ سنة على عمر حزقيا ، أمراً إعجازياً ولطفاً من الله كثيراً ، غمر حياة حزقيا بالشكر ، وغمر كل أتقياء الله بهذا الإحساس عينه ، أي بالشكر والإمتنان .

في العهد الجديد أضاف المسيح حياته على حياتنا ، فمنحنا سنين الأبدية كلها التي لا قياس لها . فصار عمر الإنسان ممتداً إلى مالانهاية ... لقد رفع المسيح عن أولاده تحديد عمرهم ، فصار عمرهم عمره ، أي الأبدية كلها بكل طولها وعرضها وعمقها وعلوها في المجد ...

---

(٣٠) يو ٢١ : ٢٢ و٢٣

(٣١) يو١١: ٢٦

وعمرنا في المسيح لا يبدأ من حادثة الموت الجسدي ، بل من لحظة الشركة في موت الرب بالمعمودية وقبول الروح القدس والميلاد الجديد ! ...

إذن فعمرنا في المسيح يبدأ منذ الآن وفي صميم هذا الدهر، ويمتد عبر كل الحوادث والموت ليشمل الأبدية . الموت لا يقطع ولا يوصل . عمرنا يبدأ بالإيمان والمعمودية ، ولا ينتهي ولا يتوقف ولا يستزاد .

الخطية كانت فيا مضى تفصل الإنسان عن الله ، لأنها تعدٍ ، والتعدي ينشىء عداوة ، والعداوة ظلمة ... فكانت الخطية تحدر الإنسان إلى حالة الظلمة الخارجية التي تكلم عنها الرب ، وتُوقعه في صراع يائس مع الموت بل ومع الحياة .

المسيح رفع الخطية من الوسط ، وحل المسيح محل الخطية ، وصار وسيطاً بيننا و بين الآب : لا وساطة الشفاعة الكفار ية فحسب ، بل جعلنا أولاً واحداً فيه ، وحّدنا في نفسه وفي جسده وفي روحه ، جعلنا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (٣٢) .

ثم إذ هو واحد مع الله الآب ، صرنا نحن فيه و بواسطته واحداً أيضاً مع الآب . هذه الوساطة عينها جعلتنا نسير في النور وفي صميم الحياة مع الله ، في تحدي الموت كل يوم ، ما دام لنا المسيح ، لأن المسيح كفيل دائماً أن يمسح الخطية و يلغي فعلها كتعدٍ ، لأنه أرضى الآب عنا بذبح نفسه عن كل تعدٍ في الماضي والحاضر والمستقبل... فالآن الخطية فقدت قدرتها على فصلنا من الله ، ذلك الإنفصال الذي كان هو هو الموت ، فكان الموت أبشع ما يمكن أن يحدث للإنسان... الآن الموت لا يفصلنا عن الله !! لقد زال أبشع ما في الموت !! الموت الآن وفي المسيح يضع نهاية لعمر الجسد ، ولكن لا يضع نهاية لعمر الإنسان . لأن الإنسان في المسيح يسوع ، قائم مع الله على الدوام ، في هذا الزمان وفوق هذا الزمان ...

---

(٣٢) أف ٥ : ٣٠

الإنسان الذي يعيش مع المسيح بالروح ، ينتقل تلقائياً من الزمان الحاضر إلى الأبدية الحاضرة ، من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح ، يموت كل يوم عن العالم ، ليحيا بلا انقطاع مع الله ...

الصلاة الحارة والحب المتأجج والدموع اللذيذة ، تحول الساعات والأيام إلى خلود ... الخدمة الباذلة وفناء القوة الجسدية ، حباً في الرب ، والتبذير في مال الظلم لحساب إخوة المسيح ، يحول الوقت المرفوض إلى وقت مقبول ، والفراغ إلى ملء ...

كيف بعد ذلك كله نقول إن إنساناً مات ، وهلمّ نبكي عليه ؟ أليس من الأفضل أن نعمل لروحه قداساً ، ونزفها إلى العريس السمائي ، ونجلس نعمل معاً « أغابي » ، لأن حبيبنا الآن أسعد مما كان ؟!

□

نشكرك يارب لأننا آمنا بك واعتمدنا لموتك
وانسكب علينا روح قيامتك فلن نموت أبداً لأننا نحيا بك ؛
سيضعوا أجسادنا في القبر يوماً ما ،
أما نفوسنا الحية بروحك فلن تشارك الجسد في قبره المظلم أبداً ، ولن يعيث فيها فساده ،
بل سننطلق لنكون معك كل حين في نور قديسيك ؛
نتبعك أينما تكون ، نشاركك بهجة قيامتك ونصرة سلطانك وملكوتك ،
كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة .

(١٩٧٣)

فــرح القيــامة

فرح القيامة هو أول تقليد كنسي روحي ولاهوتي في آن واحد دخل عمق أعماق الكنيسة.

لذلك ينبغي أن تكون فرحتنا بالقيامة مطابقة تماماً للفرحة العظمى التي دخلت قلب بطرس و يوحنا وتلميذي عمواس و بقية الأحد عشر المجتمعين في العلية.

أولاً: فرحة بعمقها الإنساني العاطفي الأخّاذ الذي ملأ حياة التلاميذ ووجدانهم.

ثانياً: فرحة بتأكيدها الملموس والمرئي بشخص المسيح الحاضر التي لا تحتاج إلى برهان منطقي أو لاهوتي أو فكري.

ثالثاً: فرحة بأثرها الرجعي الكامل الذي غطى كل حوادث أسبوع الآلام، ثم امتد ليشمل كل تعاليم المسيح السابقة في ثلاث سنوات، فهي الأخبار السارة في صميمها الإنجيلي، فلا يعود شيء يُرى إلا في نور القيامة.

رابعاً: فرحة بروحها وإحساسها الأزلي الجديد المستمر فوق الزمن والموت والخليقة الحاضرة كلها بكل قصورها وعجزها وضعفها، ليجعل من الحاضر الفاشل باباً وطريقاً ووسيلة للإمتداد للكمال المسيحي الآتي الذي نحياه برجاء ونرجوه بحياة (رجاء حي) في الحاضر. فالقيامة هي حقيقة المستقبل المعاش اليوم. وهذه الروح الأزلية المستمرة تلح الكنيسة على التعبير عنها، بجعل كل يوم أحد هو عيد قيامة الرب! وكل يوم هو استعداد ليوم الأحد!

هذا تحدي للزمن ومحاولة جادة لتجديده أو تجليه بالروح.

خامساً: فرحة القيامة ينبغي أن تكون صفة لاصقة بالخليقة الجديدة التي نعيشها الآن بالإتحاد بالمسيح في سر الجسد والدم، حيث يصبح فرح القيامة هو ثمرة الغذاء من الخبز الحي النازل من السماء يوماً بيوم، الذي يبهج عقل الإنسان وضميره، ويجعل رجاءه مشدوداً إلى فوق.

سادساً: فرحة القيامة ينبغي أن تكون هي القوة الدائمة المشجعة والدافعة التي تدفعنا للجهاد كل يوم والسهر بلا حدود لحفظ الوديعة بكل طهارة و بلا لوم حتى مجيء الرب، حيث القيامة تمثل أمام أعيننا النصرة الأكيدة للحياة على الموت، والنور على الظلمة، والحق على الباطل، والطهارة على النجاسة، والعدل على الظلم، والراحة على التعب، والفرح على الحزن، والسلام على الإضطراب.

سابعاً: فرحة القيامة ينبغي أن تكون هي عزاءنا الأكيد الحي الذي يعوضنا عن كل خسارة في الحاضر مهما بلغت هذه الخسارة حتى إلى حدود الموت، نفسياً أو جسدياً. فالمسيح قام ليثبت لنا بكل تأكيد و يقين أن كل الحوادث السلبية وكل تدبيرات الشيطان والأشرار في هذا الزمان مقضي عليها بالإلغاء بحكم نقض أعلى، من السماء، حيث تجري محاكمة أخرى «ينال فيها الظالم أجر ما ظلم به»، «والذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً» (٢تس ١ : ٦)، بحسب عدل الله الذي لا يمكن أن يقع منه حرف واحد!

فالقيامة: قوة سرية يتحول بواسطتها كل شر موجه ضدنا وكل خسارة نخسرها إلى عوض سمائي نأخذ عربونه الآن عزاءً وفرحاً سرياً!! «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (٢ كو١ : ٥).

ثم إن عملية التحول مستمرة:

+ «الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم» (٢ كو٤ : ١٢).

+ «أُنفِق وأُنفَق من أجلكم» (٢ كو١٢ : ١٥).

+ «وأصلي إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً ردياً ليس لكي نظهر نحن مُزكِّين، بل لكي تصنعوا أنتم حسناً ونكون نحن كأننا مرفوضون» (٢ كو١٣ : ٧).

+ «لأننا نفرح حينما نكون نحن ضعفاء، وأنتم تكونون أقوياء» (٢كو١٣: ٩).
+ «إن كنا نتضايق فلأجل تعزيتكم ... أو نتعزى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم» (٢كو١: ٦).
+ «لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح» (في٣: ٧ـ ٩).

ثامناً: القيامة ترد لنا على كل سؤال عن سكوت الله في الحاضر عن أن يُظهر عدله ورحمته أو نقمته بالنسبة لأي افتراء أو ظلم أو تجديف عليه أو على أولاده الأمناء الأتقياء.

فالجواب دائماً أن المجازاة مستعدة وقائمة وكاملة وحكيمة، على مثال قيامة المسيح الذي مات بالضعف والهوان والفضيحة خاسراً كل شيء، ثم قام ليدعونا «بالمجد والفضيلة» لنكون «شركاء الطبيعة الإلهية» (كقول بطرس الرسول في رسالته الثانية ١: ٤).

لأنه قام لا بنفسه فقط بل بكل من مات ويموت مثله مظلوماً ومضطهداً من أجل الحق، مضروباً ومذلولاً من أجل طاعة الوصية (٢بط١: ٣و٤). فالمجازاة عن مظالم الحياة قائمة بقيامة الرب، الآن، ينبغي أن نقبلها كحقيقة حية واقعة، نذوقها بالإيمان بقيامة المسيح، ونتوقع استعلانها بالصبر والرجاء الحي في المسيح. أما الآن فيكفينا أنه يشفع فينا بل ويحكم لنا و يدين بلا إبطاء: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء. مَنْ سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرر. مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا» (رو٨: ٣٢ـ ٣٤).

لذلك يقول بولس الرسول بثقة أيضاً:
+ «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا. ليكن حلمكم معروفاً عند جميع

الناس. الرب قريب. لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلَم طلباتكم لدى الله» (في ٤: ٤—٦).
+ «حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم، والضيقات التي تحتملونها بيِّنة على **قضاء الله العادل** أنكم تؤهلون لملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً، إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً، وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته» (٢تس ١: ٤—٧).

تاسعاً: إن قيامة المسيح لم تتعوق بعد حكم الصليب أكثر من ثلاثة أيام شكلية، ليتمم الله المجازاة وليبرهن أن حكمه سريع ودينونته قائمة في الحال ونقضه كل الأحكام والأعمال الظالمة والشريرة هو نقض سريع لحظي — وإن هو تعوق فهو يتعوق في ذهننا بحسب قياس زماننا ومنطقنا وقياسنا العقلي فقط — هذا النقض يتم بفاعلية قيامته، وقيامته تمت وهي قائمة الآن! «الآن دينونة هذا العالم» (يو١٢: ٣١).

هنا قبول الحكم واحتمال الإهانة والظلم متوقف على يقين قضاء الله العادل الفائق «بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين، وجهي لم أستر عن العار والبصق. والسيد الرب يعينني لذلك لا أخجل. لذلك جعلت وجهي كالصوان وعرفت أني لا أخزى. قريب هو الذي يبررني. من يخاصمني؟ لنتواقف. من هو صاحب دعوى معي ليتقدم إليَّ. هوذا السيد الرب يعينني. من هو الذي يحكم عليَّ» (إش ٥٠: ٦—٨).

كذلك فإن كل مجازاة يجازيها الله الآن وكل حكم عفو وغفران وكل نقض للأحكام الظالمة إنما تتم على أساس قضاء المسيح ومجازاته:
«ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلَقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن» (غل٣: ٢٣).

بدون المسيح الكل مغلَق عليه في العصيان «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من

يعمل صلاحاً ليس ولا واحد» (رو٣: ١٢). أما بالمسيح فقد صار غفران مجاني و براءة عامة وتبرير شامل، لأنه نفذ كل عدل الله في نفسه واحتمل عن الخطاة كل عقوبة، فأصبح هو برّنا. وقضاء المسيح له أصوله و بنوده.

لذلك ينبغي أن نضع قول بولس الرسول موضع التأمل في كل لحظة واثقين أن أحكام الله بالنسبة لمختاريه إنما تتم الآن بصورة حية وفعالة ولحظية لا ينقصها إلا الإستعلان الذي سيتم في حينه الحسن حسب رحمته:

+ «الذي لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء!!!

من سيشتكي على مختاري الله؟ **(الآن ومستقبلاً)**؟ الله هو الذي يبرر!!

من هو الذي يدين (ليس «سيدين»، بل «يدين»)، (إنه هو) المسيح الذي مات، بل بالحري قام أيضاً (أي تقبّل دينونة خاطئة ونقضها بالقيامة)، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا!!

(إذن) من سيفصلنا عن محبة المسيح...!!؟؟؟» (رو٨: ٣٢ــ٣٥).

إذن نحن لا ننتظر مجازاة الله كأنها آتية، بل نثق فيه دائماً أنه معنا، أنه حاضر «قريب هو الذي يبررني» (إش ٥٠: ٨).

عاشراً: القيامة والرجاء الحي:

الرجاء صار جزءاً حياً من الإيمان والسلوك، والآية الأساسية هي: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط١: ٣).

إن القيامة جعلت إيماننا المسيحي أو إيماننا بالمسيح ليس إيماناً بأمور مجهولة مستقبلة، بل بأمور (التي هي القيامة الممجدة) مستقبلة رؤيت رؤيا العين ولمست لمس اليد، مع أنها في طبيعتها الأصلية غير مرئية ولا ملموسة إطلاقاً، ولكن بواسطة المسيح ازدادت رحمة

الله جداً حتى جعل المستحيلات والمستقبلات حسب المنطق البشري أموراً حادثة بالإيمان، نمارسها بالروح، نراها ونلمسها بالإيمان، يدركها الأطفال ويحسها الجهلاء. وبذلك أصبح الإيمان المسيحي أو الإيمان بالمسيح إيمان الثقة الكاملة بما نرجوه أو نترجاه باعتباره حادثاً الآن بالإيمان، وإيمان اليقين بما هو آت باعتباره قد بدأ سراً مع أنه لا يُرى للعالم «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه» (يو١٤: ١٧)، «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة. ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحياً» (١كو٢: ١٤).

إذن، فالقيامة هي أساس الإيمان المسيحي في الحاضر، وهي أيضاً قوته الحاضرة معنا وفرحته فينا وسلامه الذي يملأنا الذي يفوق العقل.

+ «كما هو مكتوب إني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة أمام الله الذي آمن (إبراهيم) به، الذي يحيي الموتى و يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أباً لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك. وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان، لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولا مماتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله. وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً. لذلك أيضاً حُسب له براً. ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين **سيُحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا»** (رو٤: ١٧—٢٥).

+ «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله... لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته» (رو٥: ١و٢و١٠).

لأن قيامة المسيح هي هي الآن قيامتنا بالإيمان: «لأنه أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف٢: ٦). كذلك نؤمن أنه عندما «يُظهر (يُستعلن) سنُظهر

(ستُستعلن) نحن معه أيضاً في المجد» (كو٣: ٤).

إذن فقيامته وظهوره ومجده أصبحت بالإيمان الحي هي هي نفسها بقوتها وفاعليتها، قيامتنا وظهورنا (أي استعلاننا) ومجدنا!!!

إن سر الموت مع المسيح ننـاله في المعمودية، وبعدها مباشرة ندخل في سر قيامة الرب، حيث نص الآية العجيبة «أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنَّا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو٦: ٣و٤).

+ «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو٦: ٥).

فالقيامة لها قوتان:

القوة الأولى في المسيح نفسه القائم من الموت ليهبنا بره «بار و يبرر كثيرين» (إش٥٣: ١١)، ومجده الذي صار له بسبب طاعة الموت.

والقوة الثانية: فينا نحن حينما نؤمن مجرد إيمان بأن الله أقامه، على مثال ابراهيم وتقديم إسحق. ولكن ابراهيم **على خلاف الرجاء** آمن على الرجاء على أساس أن الله قادر أن يقيمه، أما نحن فالرجاء مطبق.

حادي عشر: القيامة **بحلول الروح القدس** صارت منبعاً لفيضان الحياة الأبدية من خلال الموت. حياة المسيح الآن هي مصدر انسكاب روح الحياة الذي أعتقنا من سلطان الموت.

+ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته» (رو٥: ١٠).

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت» (رو٨: ٢).

ثاني عشر: إن قيامة المسيح هي عيِّنة عملية منظورة للخليقة الجديدة: جسم روحاني

جديد له استطاعات عجيبة ومذهلة جاء المسيح ليكملها في نفسه ثم ليهبها لنا عوض الخليقة العتيقة التي هلكت بالخطيئة وأصبح لا رجاء فيها، إذ يتحتم موتها وفناؤها.

فقوة قيامة المسيح هي نفسها التي ولدت فينا بالروح القدس خليقة جديدة غير قابلة للموت ولا تسودها الخطيئة.

الخليقة الجديدة أظهرها المسيح أنها تأكل وتشرب بجسم روحاني، ولكنها لا تعيش على الأكل والشرب. هي يمكن أن تُجس وتُلمس وتُرى وتتحدث وتسمع وتتحرك، ولكنها غير محصورة ولا خاضعة لطبيعة المادة والتراب، قوة هذه الخليقة الجديدة هي الآن فينا تعمل بالروح القدس وتتغذى على كلمة الله وتنمو بالنعمة وهي تطلب ما فوق، وكل فرحها وعزائها هو في انتظار الرب وتوقُّع مجيئه من السماء، لكي تُستعلن معه عندما يغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده حسب استطاعته التي أظهرها في القيامة أنه قادر أن يخضع كل شيء لنفسه!!

+ «وكما لبسنا صورة الترابي، سنلبس صورة السماوي» (١كو١٥: ٤٩).

إذن، فقيامة المسيح هي لنا الآن مصدر حياة جديدة وأخلاق جديدة وسلوك جديد وفكر جديد وعواطف جديدة وحب جديد وفرح جديد «هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧).

+ «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (أنظر ٢كو٥و٦).

+ «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة» (رو٦: ٤و٥).

ثالث عشر: إن شركتنا في قيامة واحدة ننالها الآن في جسد واحد ودم [كأس — (١كو١٠: ١٦)] واحد، لذلك فالحياة بروح القيامة وإحساسها ورجائها هو الحل الوحيد الذي يرفع من بيننا الفوارق التي يصنعها الجسد والعقل والأمزجة والأعصاب والأمراض والبيئة والعلم. الفوارق كلها من صنع العالم الحاضر. والوحدة الحقيقية من صنع اتحادنا بمسيح واحد نأخذ منه خليقة جديدة لها شكل واحد وروح واحد وحب

واحد.

رابع عشر: إن الوحدة التي يجمعنا فيها المسيح بجسده المكسور ودمه المسفوك هي أولاً شركة آلام واحدة ثم شركة حب واحد ننمو منه و به، أي أنه كلما أحببنا بعضنا ازدادت قدرتنا على المحبة، وكلما ازدادت محبتنا إزددنا اتحاداً وإدراكاً لسر الوحدة القائمة بين الآب والإبن. القيامة إذن تحملنا موهبة جديدة هي موهبة المسئولية لجمع المتفرقين إلى واحد: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو١٢: ٣٢). أي أنه كلما عاش الإنسان في قيامة المسيح كلما سما وعلا وارتفع بالروح وأحس بضرورة جذب الآخرين عن طريق خدمتهم بالمحبة والبذل والتفاني من أجلهم، لأن مسرة القائمين مع الرب هي في جذب الجميع إليه.

(١٩٧٧)



قيامة المسيح من بين الأموات
أنشأت طبيعة جديدة للبشر ية
تستمد كيانها وعملها منه شخصياً

(المقالة الأولى)

لما قـام المسيح من بين الأموات، قام بجسده هوهو، ولكن في وضعه الجديد الذي لا يسود عليه الموت بعد كنموذج كامل للخليقة الجديدة.

هـو ليس من الخليقة الجديدة، ولكن الخليقة الجديدة منه، **فهو خالقها في نفسه من أجلنـا لكي يمنحها لنا بالميلاد الجديد** بالروح القدس في سر المعمودية. فكما وهب لنا آدم خليقـتـه الميتة بالتناسل بالميلاد الشهواني، هكذا وهب لنا المسيح بشر يته الجديدة لتكون خليقة جديدة لنا بالنعمة لحياة لا يقوى عليها الموت.

الخليـقـة الجـديـدة مبتدئة منه، **وقد أخذت بدايتها الأولى فيه، ولكنه كان هو قبلـها وقبل كل خليقة،** فهو كلمة الله الخالق مع الآب منذ البدء. **فالخليقة الجديدة به قامت، ومن أجله أيضاً تقوم وتنتهي دائماً إليه،** لأنه هو رأسها وكلها أعضاء فيه.

الخليقة الجديدة مخفية في الله:

الإنـسـانـيـة الجـديـدة خُـلـقـت في المسيح و بالمسيح، وعُرفت بالقيامة من الأموات، ووُجـدت مـنـظـورة ومحـسـوسة لكثيرين، مع أنها كانت مخفية في الله «مخلوقين في المسيح يـسـوع ــ كما اختـارنا فيه قبل تأسيس العالم» (أف ٢: ١٠؛ ١: ٤)، وستبقى مخفية عن الـعـالم لا تُـرى إلا بـعـين الله، ولـكـل عين ترى بعين الله، لأن هذا «سر المسيح الذي في أجيـال أُخـر لم يُـعـرّف به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح» (أف ٣: ٤ــ ٥).

ومع أننا نلنا بالفعل هذه الخليقة الجديدة، وقد خُلقنا من جديد إذ صرنا شركاء في الجسد بالإيمان بالقيامة من الأموات و بالإعتماد للمسيح، إلا أن هذه الخليقة بكل مواهبها باقية جنباً إلى جنب مع الخليقة العتيقة، جسد الخطية. غير أن الخليقة الجديدة محسوبة وحدها أنها هي الحق والنور والحياة، أما العتيقة فهي مجرد كيان ينحل و يفنى مع الزمن، وكأنما هو كيان يسير وراءنا في العالم عبر الزمن كخيال الظل لحقيقة أخرى أعلى منها بلا قياس، تسير أمامنا ونحتويها في أعماقنا وهي بعينها المسيح المقام... «ملكوت الله داخلكم، أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور» (لو١٧: ٢١؛ مت٢٨: ٢٠)، ولسان حال هذه البشرية الجديدة يقول مع بولس: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠)!!

ما بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة:

والخليقة العتيقة فينا — هذه — ماضية — بحسب أصلها الترابي — في كسرها لنواميس الله، جنباً إلى جنب مع الخليقة الجديدة التي ليست تحت ناموس بل تحت نعمة، معها الله، وفيها الله، ولله تحيا وتسبِّح.

الأولى تتغذى على الكبرياء وتنحل بالشهوة وهي في ذاتها تحت عبودية الزمن وتسير معه نحو الفناء، أما الثانية فتتغذى بكلمة الحق فتتغير من مجد إلى مجد، وتتجدد كل يوم متحدية الزمن وتسير بثبات نحو الخلود نحو المصدر الذي يغذيها، وتتعلم منه في كل شيء لتصير معه كل حين.

الخليقة الجديدة هي الصورة الحية لحب الله الفائق ولرحمته المطلقة، لأنه إن كان الله قد خلق الخليقة الأولى من العدم كبرهان قدرته على كل شيء، فإنه خلق الخليقة الثانية من عمق الخطية والموت كفعل حب لرحمة فائقة: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣: ١٦).

الخليقة الأولى ورثناها بالجسد ومعها الخطية وناموسها الحاكم بالإعدام «بالخطية

حَبلَت بي أمي» (مز٥١: ٥)، أي أن لعنة الموت كائنة في أعضائها. والخليقة الثانية ورثناها بالنعمة (بالمعمودية)، عندما دُفنَّا معه للموت وقمنا أيضاً معه، وفينا قوة القيامة ومجد الحياة الأبدية كائنين في صميم خلقتنا الجديدة التي اعتُبرت أعضاؤها آلات بر!!

الخليقة العتيقة تمثلها نحن أحسن تمثيل، حينما نُقْدم على اقتراف الخطية بمحض إرادتنا و بالتعديات كل يوم. أما الخليقة الجديدة التي فينا فيمثلها المسيح عنا وفينا، وهو نفس المسيح القائم عن يمين الله الذي يشفع فينا كل حين فننال به المصالحة التامة مع الله.

بالخليقة العتيقة وأعمالها التي نعايشها بإرادتنا يضطرب سلامنا دائماً، ونُوجَد عراة أمام الله حينما نقف للصلاة وكأنه لا رجاء لنا!! و بالخليقة الجديدة التي نحسها في أوقات التوبة والندم في أعماقنا بالنعمة، ونزكيها بالصلاة والمحبة، يتجدد لنا سلام مع الله، ونفتخر في هذه اللحظات على رجاء مجد الله، حينما نرفع أعيننا نحو المسيح القائم ممثلاً عنا لدى الله الذي فيه كل الكفاية أن يجعلنا في حالة صلح وسلام، ومن يوم إلى يوم نخلع العتيق لنلبس الجديد الذي يتجدد فينا على صورة خالقنا، نتحرر من الخطية ليملك علينا بر المسيح.

إن الشك الذي ينتابنا أحياناً من صدق وجود إنسان جديد فينا أو ميلاد جديد أو خلقة جديدة تعمل فينا، يرجع **أولاً** إلى أننا نكون قد سهلنا للإنسان العتيق أن ينشط أكثر من حدوده!! **وثانياً** إلى أن طبيعة الخليقة الجديدة لا نحسها لأنها تختلف تماماً عن طبيعة الإنسان العتيق، فهي غير محسوسة ولا منطوق بها.

الثقة في صدق مواعيد الله، يسهل لنا قبول الخليقة الجديدة فينا:

يكفي في البداية أن نثق بصدق مواعيد الله وفعل النعمة الكائن في الأسرار ونتقبل ببساطة وإيمان حيّ عمل الله فينا حتى تكون لنا هذه الخليقة. فالخليقة الجديدة ليست

عملاً من أعمالنا حتى نحسه، أو طبيعة مشابهة لطبيعتنا حتى نتحسسها أو نفهمها، ولكنها عمل الله الجديد فينا، والجديد جداً الذي ليس فيه أي شيء مشترك مع العتيق. المسيح نفسه يمثلها تمثيلاً كلياً أمام الله، فنحن جميعاً ــ كل من وُلد من الله ــ نعيش في المسيح، أي في بنوة واختيار ــ في حالة مصالحة ووجود أمام الله بلا لوم ــ بسبب المسيح ــ هذا هو المجد الموهوب لنا مجاناً.

روح المسيح يكشف فينا الخليقة الجديدة:

الخليقة الجديدة لا يكشفها ولا يعلن عنها بوضوح إلا روح المسيح الناطق فينا والشاهد لضمائرنا، وذلك بمقدار شركتنا اليومية بالموت مع المسيح بالروح في السلوك حتى نظهر بطبيعة الحياة الجديدة: «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا **نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة**» (رو٦: ٤). «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته» (رو٦: ٥).

والخليقة الجديدة إذا أُعطيت فرصاً قوية بالصلاة والإلتصاق بالكلمة لتعيش مع المسيح، فإن المسيح يعلن نفسه فيها أو بواسطتها أكثر فأكثر.

الخليقة الجديدة لا نستطيع أن نخلقها نحن لذواتنا، فهي من فوق أما نحن فمن الأرض. ولا نستطيع أن ننميها بقدراتنا الذاتية أو نعلنها بأعمالنا أو نبرهن عليها بأقوالنا، لأنها حق، والحق ينمو بكلمة الله فقط و بسر نعمته الفائقة، فالله وحده هو الذي يكشفها و يعلنها و يصدِّق على وجودها لنا وللناس كعمل من أعماله الخاصة «لأننا نحن عمله» (أف٢: ١٠). إنها ستبقى إلى الأبد سر المسيح المخفي فينا، بالرغم من أننا سنتحول إليها في النهاية كلية، ونُستعلن فيها «لقد مُتُّم **وحياتكم مستترة مع المسيح في الله**، ومتى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ **تُظهرون أنتم معه أيضاً في المجد**» (كو٣: ٣).

الخليقة الجديدة هي الجزء الناطق بالحق فينا الذي من الله والذي يشهد بالحق لله تماماً، لذلك هي أعلى من كل قدراتنا لأن كل قدراتنا هي دون الحق: «أنا قلت في

حيرتي إن كل الناس كاذبون» (مز١١٦: ١١).

تغيُّرنا إلى الخليقة الجديدة، وشهادة المسيح فينا:

الله لم يشأ بعد السقوط أن يبقى كيان الإنسان بعيداً عن الوجود الإلهي، أو متغرباً عن الحق الإلهي إلى الأبد، لقد عاد وأشركنا في وجوده الحقيقي هذا عندما تجسد والتحم البشري بالإلهي لحسابنا، وعندما سلّمنا اللاهوت في سر الجسد والدم لنأكله، وعندما قام من الأموات، ونفخ فينا من روح قيامته، وجعل وجوده وراحته وسكناه فينا: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف٣: ١٧). هكذا تغير كياننا، ولا يزال يتغير كل يوم، لتأخذ الخليقة الجديدة فينا ملء وجودها في الله بالتغير الدائم، من الظلمة إلى النور، من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح. ولكن قوتنا الجديدة تبقى دائماً مع كل مواهبنا الجديدة مخفية ومستترة في المسيح شخصياً، الذي يحيي خلقتنا الجديدة و يوجدها من العدم.

وهكذا بقدر ما نستعلن المسيح المصلوب والقائم من الأموات بالمعرفة عبر الكلمة و بالخبرة عبر السر نستعلن أنفسنا، وكلما تعرّفنا على حقيقة المسيح تعرّفنا على وجودنا وعلى الحق الذي فينا، وكلما شهدنا للمسيح وأعلنّاه كلما ظهرت قوته الفعّالة ونعمته المستترة فينا!! فالمسيح كخبرة عشرة وحياة، يكون في البداية تذوقاً بديعاً للمصالحة التي تمت بيننا و بين الله، نحسها في حركات تقديس إنساننا الجديد عند بدء التوبة، و بالنهاية يصير مجدنا وإكليل حياتنا بالحق. فكياننا الجديد كله منه «نحن أعضاء جسمه من لحمه وعظامه» (أف٥: ٣٠)!! وإن كان ليس الجميع يستطيعون أن يشهدوا له، ولكن كل من هم للمسيح لهم المسيح بكل ما له، وميراثهم ونصيبهم باقٍ لهم، مستترومخفي عن عيونهم إلى يوم استعلانه، كالجنين الذي يخرج من بطن أمه فجأة!!

□

الخليقة الجديدة، وحالة الخطية:

ولكن السؤال الذي يحيِّر القلوب و يطرح اليأس أحياناً على تفكيرنا هو: ولماذا بعد

تخطىء؟... أو كيف و بعد هذا كله، وفي صميم الخليقة الجديدة نخطىء؟ وما هي نتيجة الخطية هنا؟؟

هنا الإجابة جديرة بالإنتباه، فالخطية التي تُعرض على الإنسان الجديد والتي تواجه هذه الخليقة الجديدة القائمة من الأموات لا تنبثق من كياننا بعد، كطبيعة، بل كصراع ضد طبيعتنا الجديدة!

فالإنسان، مهما كان وحتى ولو كان في أوج حياته الجديدة، فهو لا يزال معرضاً أن يثور و يغضب ويحقد و يكذب و يشتهي. كل هذا لا يحسب أنه ثمرة للطبيعة الجديدة، بل هو نتيجة للصراع الدائر بين القديم والجديد المتطور دائماً لحساب الله: «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون» (غل ٥: ١٧).

هنا مطلوب من الإنسان نفسه أن يتولى مهمة إدانة نفسه حتى لا يقع تحت دينونة الله لأن كيانه الحق والجديد «الخليقة الجديدة» الذي تسلّمه من الله، مُطالَب أن يعمل عمل الله تماماً. الإنسان هنا يدين نفسه ويحكم على ذاته و يوبخ و يعنّف و يعاقب: «لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا»[1] (١كو١١: ٣١).

هنا الإنسان، وهو في عمق المذلة وهو واقف يحاكم ضميره و يصدر على نفسه حكم دينونة بلا رحمة، لا يزال هو هو نفسه قائماً أمام الله في حالة صلح وصفح وتبرير بواسطة المسيح الذي يشفع فيه ويحامي عنه و يكفّر!...

هنا دينونة الإنسان لنفسه هي بعينها برهان قيام و وجود صوت الحق وناموس القداسة والبر ساكناً في أعماق خلقته، حيث يحاصر الخطيئة في الضمير الصالح، و يضعها موضع الملامة الشديدة، و يفرزها كعمل غير منسجم مع الطبيعة الجديدة. وهذا بحد ذاته يكون توطئة لقبول براءة المسيح القائمة على دينونة مماثلة لنفس الخطيئة، سبق فدفع المسيح عنها

(١) هنا سر الإعتراف وتقرير التوبة وقبول قانون يتناسب مع الخطيئة يعتبر عملاً من أعمال حفظ الخليقة الجديدة.

بالكامل من دمه الذي قدّمه «بروح أزلي» (عب٩: ١٤)؛ بحيث إذا لم يكن هناك دينونة وملامة من الضمير على أعمال الخطية والتعدي، يكون هذا برهاناً واضحاً على عدم غسل الضمير بعد برش دم المسيح من الأعمال الميتة، كما يشير صراحة أن إنساناً مثل هذا قد بدأ يملّك الخطيئة على أعضائه المائتة مرة أخرى.

الخبرة العملية، مجال لإستعلان حقيقة الخليقة الجديدة فينا:

على أن وجودنا في المسيح ووجود المسيح فينا، حقيقة لا يمكن أن تُستعلن إلا بالخبرة الحية، ولا تنمو إلا بمعرفة المسيح في ذاته، هذا الوجود يختلف تماماً عن وجودنا الشخصي المادي، هو وجود آخر.

ودخولنا في بداية الخبرة العملية بوجود المسيح وتذوُّقنا معرفته وحصولنا على تدخُّله في حياتنا ينشىء فينا وفي الحال إحساساً بوجودٍ آخر لنا (الخليقة الجديدة)، وجود أعلى من وجودنا، ولكنه لا يكون مِلكاً لنا بل يكون و يظل دائماً مستمداً من المسيح وقائماً فيه «الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤).

ليس الجميع قادرين على الدخول في هذه الخبرة العملية في بادىء الأمر، ولا جميع القلوب مستعدة للتعرف على وجود المسيح الذي فيها بسرعة، لأن اكتشاف وجوده وعمله إنما هو بلوغ التخصص في العلاقات مع المسيح، فالمسيح قد يكون موجوداً وعاملاً، ولكن غير منكشف. أما الذين أدركوا وجود المسيح فيهم فهؤلاء هم الذين تعيَّنوا أن يقودوا الصفوف، إذ انفتحت أعينهم وآذانهم للشهادة ولتطمين الذين أخذوا المسيح ولم يدركوه بعد بالإحساس.

إذن يكفي أن نعيش في تواضع سر المسيح، إذا لم نستطع أن نعيش جهاراً في استعلان مجده، حتى يحين الوقت الذي نراه فيه وجهاً لوجه وقلباً لقلب.

مركز المسيح وعمله في الخليقة الجديدة:

ولكن ليس معنى هذا أن معرفة المسيح والإحساس به و بلوغ برهان وجوده معنا أمرٌ

شاق أو عسير أو كأنه موهبة عالية خاصة؛ فالمسيح متواضع، ومفتاح الدخول إليه والتعرف عليه هو من هذه الصفة ذاتها، فكل تواضع حق وكل خضوع حق وكل انقياد صادق للروح القدس، كفيل بأن يوصلنا إليه لنعيش معه. أما هذا التغيير فهو في مضمونه الكلي تغيير من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح. أي يلزمنا أن نكون مستعدين لتغيير صميمي في استخدام حواسنا كلها من مستوى التراب واللحم والدم إلى مستوى الروح. يلزمنا أن نكون مستعدين منذ البدء أن نعيش في آخر ــ أي في المسيح ــ ولا نعيش بعد في أنفسنا. يلزمنا أن يكون المسيح هو موضوع معرفتنا التي تستنفذ اهتمامنا في الحياة حتى يتم التحول والإنتقال من حياة تدور حول ذواتنا ــ أي وجودنا الذاتي ــ إلى حياة تتمركز في مصدر وجودها الحق ــ أي المسيح!...

وننبه جداً أنه يلزمنا أن نستسلم لقيادة المسيح الخفية لعبور مضايق حرجة كثيرة حتى نتخلص تماماً من قيادة الذات المضللة وارتباطاتها الشديدة بأمجاد وشهوات الأرض والناس واللحم والدم والعالم، ثم يتحتم الإحتراس أشد الإحتراس من عمليات التزييف، أي تزييف الممارسات الدينية والروحيات لإقناع الإنسان بالإكتفاء، وهكذا ينجح الشيطان في سد الطريق أمامنا نحو التغيير الضروري والحتمي اللازم لنا.

أما كل هذه الإستعدادات فهي ليست عسيرة على المتواضعين الذين اشتهوا الحياة مع المسيح وخدمته والشهادة له، خصوصاً إذا وضعنا في اعتبارنا أن المسيح موجود بالفعل فينا ونحن جميعاً أخذنا من ملئه ملئاً ومن وجوده فينا وجوداً جديداً لنا حياً فعالاً؛ فالدعوة لاكتشاف وجود المسيح وملئه ليست أكثر من اكتشاف حقيقة قائمة في صميم حياتنا ووجودنا، ونحن فقط تائهون عنها!...

كما ينبغي أن نعرف أن وجود المسيح فينا وحصولنا على الملء الجديد، الذي هو وجودنا الآخر، وحياتنا الأبدية وخلقتنا الجديدة وميراثنا السماوي، كل هذا هو عمل المسيح وليس عملنا نحن: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

لقد أكمل المسيح كل متطلبات خلقتنا الجديدة بشخصه في نفسه و بنفسه، بكل حكمة وفطنة و بكل معاناة حتى سفك الدم، لكي يجمعنا جميعاً في ذاته بلا أي مانع أو صعوبة من جهتنا. يكفينا أن نؤمن فنجده، و يكفينا أن نرجوه فيفتح أعيننا، و يكفينا أن نحبه فنراه داخلنا ونرى أنفسنا فيه!... لذلك ينبغي أن ندرك الأمور الآتية:

+ إن كل صعوبة قائمة أمامنا تمنعنا من الإتحاد بالمسيح وقبول وجودنا فيه وأخذ خلقتنا الجديدة منه لحياة جديدة، هي صعوبة وهمية قائمة على تشبث الذات بوجودها القديم متعللة بعلل الخطية. أي أن الذات تتهرب من الموت الإرادي حتى لا تقبل المسيح كوجود آخر بديل لها، لذلك تتمسك بالخطية باعتبارها فرصة وعلة كافية لتبعد الإنسان عن المسيح، وعلة كافية حسب المنطق العتيق أن تحرم الإنسان من الحياة الأخرى، و بذلك تتحاشى الموت الإرادي لتبقى هي بدل المسيح!!

+ وهنا يلزمنا أن ننتبه إلى هذه الحقائق:

أ ــ إن موت المسيح رفع عنا حكم الموت. إذن، مجرد وجود المسيح فينا (بالمعمودية والتناول) هو عملية تبرير وفداء ومصالحة، حيث تفقد الخطيئة سلطانها المميت (ناموس الخطية القتّال والفعّال في الأعضاء)، وتصبح الخطية بمثابة تأديب وتوبيخ مستمر تعمل لحساب الإنتقال من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح، يُرفع أثرها بالتوبة والندم مع العقوبة المناسبة حسب رأي الكنيسة. ولكن لا ترقى الخطية قط إلى حكم الإعدام!!

ب ــ إن جسد الخطية الذي تركزت فيه اللعنة والموت والذي تمثله الآن الذات البشرية المنعطفة نحوه، قد صُلب فعلاً مع المسيح ومات وتمّ فيه حكم الموت واللعنة على الصليب: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطَل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو٦: ٦)، فأصبح لا أثر لوجود اللعنة فيه بالنسبة للإنسان الجديد.

بل لو توخينا الدقة الروحية، لاستطعنا أن نقول أنه بمجرد حصول الإنسان على

الخليقة الجديدة بوجود المسيح فينا، يصبح الإنسان العتيق ليس إلا جسداً ميتاً بالنسبة للمجال الروحي الجديد، لأن ناموس لعنة الموت متوقف عن التأثير الفعال فيه بل وصار الجسد ميتاً أيضاً؛ أي أنه قد استكمل عقوبة الموت فعلاً وصار بلا قيمة من جهة تهديد الشيطان، فالخطية وإن كانت لا تزال تعمل فيه فهي لا تملك أن تهدده بالموت الأبدي: «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل٢: ٢٠). أي أن الإنسان العتيق لم يعد له الوجود الفعّال بالنسبة لفقدان سلطان الخطية القاتل فيه، «لأن الذي مات (مع المسيح) قد تبرأ من الخطية» (رو٦: ٧)، وعوضاً عنه يحيا الإنسان الجديد في المسيح و بالمسيح. والقبر هو نهاية هذا الجسد، فالقبر هو معموديته الأخيرة الحتمية الذي يموت فيها بالفعل بكل ما فيه وله، حيث يفقد آخر ما تبقى منه من عيوب وخطايا بعد فداء الصليب، وفي النهاية يقوم ليأخذ كيانه الجديد بالقيامة، لكي يكون على صورة جسد المسيح.

ج ـ نحن الآن لا ننتظر أي حكم بالموت بعد أن وَلَدنا الله ثانية بقيامة المسيح من الأموات، وأخذنا خلقتنا الجديدة بالمسيح وفي المسيح بالإيمان في المعمودية والإفخارستيا. لقد تم فينا حكم الموت كعقوبة كاملة عن كل الخطايا بأثر رجعي ومستقبلي أيضاً: «لأنه إن كان واحد (المسيح) قد مات من أجل الجميع فالجميع إذن ماتوا» (٢كو٥: ١٤)، وإلا ما كنا أخذنا ميلاداً ثانياً أو خلقة جديدة سمائية أو طبيعة جديدة لا تموت بعد!!

و يستحيل بعد أن جُزنا حكم الموت مع المسيح على الصليب أن يتكرر علينا مرة ثانية بأي حال من الأحوال أي نوع من الجزاء «لأن الموت الذي ماته ـــ المسيح ـــ **قد ماته للخطية مرة واحدة**، والحياة التي يحياها فيحياها لله. عالمين أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً. **لا يسود عليه الموت بعد**» (رو٦: ٩و١٠).

د ـــ ولكن ليس معنى أن الله لما ولد البشرية ثانية بقيامة المسيح من الأموات، وأن المسيح لما تقبّل حكم الموت عن كل إنسان؛ أن كل إنسان أكمل خلاصه تلقائياً دون

أن يتحد بالمسيح الذي مات وقام. ولكن معناه أننا أخذنا كل المبررات والوسائل والحقوق العامة التي نكمل بها اتحادنا بالمسيح بالموت والحياة، فإذا «أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب٢: ٣) المدفوع ثمنه غالياً، فإنه لا يصبح من نصيبنا ولا ننتفع به، ونسقط دونه. فالمسيح حمل خطايا كل إنسان في العالم أجمع في جسده على الخشبة ودفع ثمن فداء كلّ إنسان بدمه، ولكن لن ينتفع من هذا إلاّ الذي يأخذ المسيح في نفسه ولنفسه ليستمد منه حكم البراءة وحق الحياة والخلود. إذا أخذنا المسيح بوسائط النعمة المتاحة مجاناً في أنفسنا لأنفسنا وأصبح هو حياتنا، فهنا فقط ننتفع من حكم الموت الذي جازه عنا، بل فينا «مع المسيح صُلبتُ» (غل٢: ٢٠)، وقوة القيامة من الأموات التي حققها عنا وفينا «أقامنا معه» (أف٢: ٦).

وإذا أنا أكلت جسده الحي القائم من الأموات، فهذا يعني أن خطاياي التي حملها في جسده ومات بها فبرّأني منها وقام ببشرية جديدة لي، تصبح كل خطاياي غير موجودة أو غير محسوبة عليّ إلى الأبد؛ وإذا شربت دمه، فهذا يعني أن دمه الطاهر القدوس الذي دخل به إلى الآب كذبيحة فداء ومصالحة، يصبح هذا الدم فيّ غسيلاً إلهياً للقداسة والتطهير والفداء والمصالحة الدائمة مع الآب. «لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع و بروح إلهنا» (١كو٦: ١١).

أي أن وجود المسيح فينا بكلمته و بروحه وجسده ودمه هو الضمان المستمر لتكميل خلقتنا الجديدة وخلاصنا. أما نحن بدون المسيح و بدون جسده ودمه، فأعمال المسيح تصبح بلا أي قيمة ولا فاعلية لنا، لأنها تظل خارجة عنا لا تعمل فينا.

لذلك ينبغي أن لا ننسى أبداً أننا بدون المسيح نبقى مرفوضين، غير أن قبولنا المسيح لا يعني مجرد إيمان لفظي أو فكري، ولكن يعني قبول حياة جديدة في المسيح بسلوك جديد ووجود آخر فعّال بالروح القدس غير وجودنا الذاتي لأنه يشمل قبول موت حقيقي وقيامة حقيقية عن ذواتنا والعالم، وكل هذه الأمور ليست صعبة أو بعيدة عن الإنسان بل هي موهوبة له مجاناً بالإيمان، فإن قَبِلها حازها في الحال، وإن استصعبها ولم يصدقها تظل

بعيدة عنه و يظل محروماً منها.

هـــ إن قيامة المسيح من الأموات بحياة جديدة في جسده الذي أخذه منا، لم تبقَ مكتومة ولا مخفية، بل أعلنها الله بقوة و بشهادة الروح القدس، حتى نعلم أنها هي قيامتنا وحياتنا كلنا، وحتى تصير لنا كفعل إيجابي منظور يعمل في حياتنا الآن ليجددها كل يوم وكل لحظة، كفعل نحياه الآن بكل تحقيق و يقين، لأن قيامة المسيح بجسدنا هي هي قيامتنا التي نلنا بها دخولاً إلى دائرة وجود الله وحياته. ونحن لا نجاهد لكي ننال قيامتنا مع المسيح بالروح الآن، بل هي هبة وفعل سري، مناسب لكل واحد فينا، يهبه لنا بالإيمان: «فنفخ فيهم وقال اقبلوا الروح القدس» (يو٢٠: ٢٢)!!

فإذا قبلنا قيامة المسيح كقوة فعّالة إيجابية في صميم وجودنا الروحي الذي نستزيده بالكلمة والأسرار، فهذا معناه أننا قبلنا الموت ــ أيضاً ــ كفعل، له عمله وأثره بالنسبة لحياتنا اليومية من جهة الجسد الخطية «من أجلك نمات كل النهار» (رو٨: ٣٦)، أي أننا نعتبر أنفسنا كل يوم أحياءً من بين الأموات مع المسيح، بإيمان ورجاء حي أننا نعيش كل يوم ملء فرح القيامة بشعور من هم متبررون بدم المسيح.

إن قوة القيامة التي تسري فينا بسبب فرحة الشركة في قيامة المسيح المجانية تزكي بالتالي قوة الموت أو الإماتة عن الخطية؛ حيث الخطية لا تستطيع بعدئذ أن تحجزنا عن المسيح، ولا أن تحرمنا قط من دم المسيح، ولا تقوى أن تحجب عنا مجد القيامة، لأننا لن نخطىء بعد خطية للموت، بل إن أخطأنا، فسنخطىء للتأديب والتوبيخ والتعليم والإنذار خطية قابلة للتوبة والغفران، لأننا نحيا مع المسيح.

و ــ إن الحظوة المجيدة التي نالها المسيح لدى الآب بعد طاعة الموت حتى الصليب وقيامته بمجد الآب وجلوسه عن يمين العظمة في السموات، هي في الحقيقة وفي الأساس **حظوة لنا نحن،** إنما أخذناها في شخص المسيح لتبقى دائمة إلى الأبد: **«وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني...** وأنا ممجَّد فيهم» (يو١٧: ٢٢و١٠). ولما جاء المسيحَ صوتٌ من

السماء: «مجّدتُ وأمجدُ أيضاً»، ردًّا على طلبته أن الآب يمجد ذاته في المسيح، نبّه المسيح فكرنا أن هذا الرد الذي جاءه من السماء هو من أجلنا: «**ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم**» (يو١٢: ٢٨ــ ٣٠).

إذن، فطالما نحن قائمون وثابتون مع المسيح، فنحن في حالة صلح وسلام دائم مع الله وفي حالة نعمة مقيمة «فإذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله» (رو٥: ١ــ ٢).

لذلك إذا أخطأنا فلنا شفيع قائم دائم أمام الآب يشفع في المذنبين، لقد صار الديّان (المسيح) شفيعاً، فمن يستطيع أن يشتكي علينا، وشفاعة المسيح ليست جزافاً، بل هو دفع ثمن خطايانا بنفسه، ودفعها عنا لأنه رأى أننا مظلومون!!

ز ــ إن إقامة الله لنا من الموت الأبدي، وهبة الحياة الجديدة التي أعطانا إياها بقيامة المسيح من الأموات، تحمل في معناها صفحاً كلياً غير مشروط ومصالحة نهائية بلا رجعة أو ندم؛ لأن الله لم يعطِها لنا كوعدٍ أو قسمٍ بل أعطاها لنا في شخص إبنه الوحيد المحبوب الذي تبنّى قضيتنا وتبنّى طبيعتنا وتبنّى ضعفنا، فالعطية مضمونة بضمان تجسد إبن الله في جسدنا وقائمة بقيام إبنه بجسدنا الآن في السماء وثابتة بثبوت شخص يسوع المسيح كشفيع عنا.

الله هو الذي أخذ المبادرة بنفسه نزولاً وتنازلاً إلينا، وهو الذي تكلم ووعد وتجسد وأكمل كل ما يلزم لخلاصنا وتجديدنا وتبريرنا وتقديسنا، ووهب كل ذلك من طرف واحد هو طرفه هو، دون أن يسبق و يشترط علينا ولا شرطاً واحد، «ونحن أموات بالذنوب والخطايا... أحيانا مع المسيح» (أف٢: ١و٥)، ولا طالبنا بطلبٍ أياً كان، فالعطية فائقة التأكيد، فائقة المجانية، فائقة السخاء، فائقة اللطف، فائقة الرحمة!!

ح ــ إن خلقتنا الجديدة بميلادنا الجديد وبطبيعتنا الجديدة وحياتنا الجديدة عمل

كامل أكمله الله لنا في شخص إبنه الوحيد والمحبوب يسوع المسيح، ليكون لنا حقيقة حية وموضوع إيمان منظور ورجاء حي نعيشه بالرغم من كل ضعفنا وخطيتنا ومسكنتنا وذلنا في الحاضر. فالإنسان الجديد ليس أمل الإنسانية الذي تسعى إليه من وراء السراب والذي تنشده في حاضرها المظلم ــ كما يظن بعض الناس ــ بل هو رجاؤها الحي الذي تعيشه بمنتهى الثقة واليقين؛ وهي تُحقِّق وجوده وكيانه بالإيمان والجهاد والسلوك في صميم الحاضر، حيث يُبتلع الضعف والخوف والموت والخطية إلى غلبة ونصرة في شخص يسوع المسيح الغالب الذي أكمل ذلك كله علناً وجهاراً ليكون نصيبنا الدائم، إنْ تمسكنا به ثابتين حتى النهاية.

فنحن غالبون ومنتصرون في شخص يسوع المسيح، بالرغم من عجزنا وقصورنا وضعفنا الذي يحمله عنا المسيح بحبه العجيب وإنكاره لذاته وإخلائه لنفسه، الذي لا يزال يباشر به حمل كل أثقالنا!! لذلك كل من يؤمن به لا يخزى أبداً!!

لقد ضمن لنا المسيح خلاصنا وحياتنا وقيامتنا، إنْ تمسكنا به وحفظنا وصاياه وسرنا في نوره، وهو ضامنٌ ذلك بحياته هو وقيامته هو «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩)!! وحياتنا وقيامتنا فيه قوية وفعَّالة وقادرة فعلاً أن تغلب ضعفنا وخطيتنا وأن تحيي وتقيم من الموت!

كذلك فإن ضمان خلاصنا وحياتنا الأبدية أمرٌ يتعلق أيضاً بكرامة الله الآب نفسه الذي بذل إبنه «حتى لا يهلك كل من يؤمن به» (يو٣: ١٦)، والإبن من جهته أطاع بالفعل حتى الصليب «وذاق بنعمة الله الموت عن كل واحد» (عب٢: ٩)، فكيف بعد ذلك يحنث الله أو يعجز عن أن يهبنا معه كل شيء يلزم لخلاصنا؟؟

ط ــ إن كل التوكيدات والضمانات التي قدَّمها لنا الله الآب لميلادنا الجديد وخلقتنا الجديدة للحياة الجديدة، والتي أكملها لنا في إبنه بكل حكمة وفطنة لتبقى حية وثابتة أمام أعيننا، والتي دفع ثمنها المسيح بذبيحة نفسه على الصليب و بذوقه الموت

عن كل واحد بكل طاعة وخضوع للآب وكل انسحاق وتذلل إزاء البشر حتى الفضيحة والعار دون أي تردد أو تململ؛ كل هذا ـ من جهة الله ـ **يحتم علينا أن نلتفت لأنفسنا كيف نرد على هذا من جهتنا نحن؟**

إنه لولا حالة البؤس والشقاء الذي نحن فيه، ولولا وقوعنا تحت الرفض والقصاص وحكم الموت باكتساب الخطية مجاناً كجزء من ميراثنا المشئوم من آدم، ولولا أننا في ذلك كله شبه مظلومين ومغوين من قِبَل سلطان الشر العامل في طبيعتنا بقوة تفوق إرادتنا وإمكانياتنا؛ لولا كل ذلك لما أظهر لنا الله كل هذه الرحمة وكل هذا البذل وكل هذه التنازلات في نفسه ليخلقنا خليقة جديدة لنفسه والتي أكَّدها لنا في إبنه المذبوح على الصليب والقائم من الأموات، لتقوم كشاهد دائم أبدي على تفوُّق رحمته فوق الظلم الذي حيك لنا، وعلى تفوُّق نعمته فوق ضعف طبيعتنا الذي ورثناه دون إرادتنا، وعلى تفوُّق تنازله فوق انسحاقنا وذلنا وشقائنا الذي نكابده بلا أمل في أنفسنا.

ي ـ إذن فالظلمُ الذي نعانيه من عدو مقاوم، وضعفُنا وخطيئتُنا التي ورثناها في جسد التراب هذا؛ كل هذا منظور لدى الله بنظرة فاحصة وازنة وعميقة، مُجابٌ عليه بإشفاق يفوق الوصف ومردود عليه ببذل كبير يفوق العقل ورحمة كثيرة ونعمة فائضة بقوته الخاصة الذاتية الحاضرة معنا كل حين، لضمانٍ أنْ لا يختل ميزان القوى قط لحساب العدو في حياتنا وخلقتنا الجديدة!! «أحبني وأسلم نفسه من أجلي» (غل ٢: ٢٠).

فكما تبتلع النار المتأججة قطرة الماء في لحظة، هكذا يبتلع الله خطايانا بروحه القدوس وفعل دم إبنه، بغيرة أشد تأججاً من لظى النار المتقدة. وكما تعترض الشمس المشرقة الظلمة فتبددها وتحولها إلى نور ورؤيا صافية، هكذا أرسل الله لنا إبنه ليبدد حزننا وشكوكنا وانسحاقنا وظلمنا حتى لا يبقى في ذهننا تجاه الله إلا يقين الرحمة الصافية والمحبة الواضحة المحتضنة لحياة الإنسان الذي خلقه على صورته، أي كل ما فينا من خطية وعجز و يأس وظلم وضعف يفوق إرادتنا؛ هذا كله قابله الله برحمة وحب ولطف

وقوة و بذل يفوق الوصف .

لذلك أصبح بقدر ما ملكت خطيتنا فينا و بقدر ما يرعبنا ضعفنا و يذلنا يأسنا أحياناً من جهة إنساننا العتيق رفيق شقائنا ومثير تعاستنا ، بقدر ما أصبح لنا من جهة الله رجاء حي بصداقة يسوع المسيح في حياة جديدة بسلام ونصرة تفوق العقل . بل أصبح لنا نعمة نلقي عليها كل رجائنا ، وصار لنا فيه صلح و بر وقداسة وفداء كحق أبدي لإنسان جديد مؤمَّن عليه لا يمكن أن يتراجع عنه الله أو يسقط مرة أخرى من رحمته كما سقط آدم قديماً !!

ك ـ ولكن إذا وضعنا هذين الموقفين أو هاتين الحالتين معاً : موقفنا أو حالتنا بما فيها من ضعف وخطية وإحساس بالظلم واليأس من جهة أنفسنا الذي هو إحساسنا بإنساننا العتيق ، ثم موقف الله نحونا بضمان إبنه يسوع المسيح من أجلنا ، الذي هو مصدر مؤهلات الإنسان الجديد ، بما فيها من رحمة متعاظمة جداً وحب ولطف وإشفاق و بذل حتى الدم وفداء معروض مجاناً ؛ نقول : إذا وضعنا هذين الموقفين معاً ماذا ينبغي أن ينتج من ذلك ؟

أ ـ إيمان برحمة الله في حياتنا الجديدة يفوق ضعفنا ، إيماناً بيقين وثقة يتناسبان مع قوة تناهي رحمة الله فوق شدة ضعفنا .

ب ـ إيمان بمحبة الله الآب و بذل دم إبنه يسوع يفوق خطايانا كلها ، إيماناً بيقين وثقة تتناسب مع منتهى فعل محبة الله الخالقة والمجددة لخلقتنا ، ومنتهى أثر دم المسيح في الغفران والتطهير والتقديس فوق كثرة خطايانا ونجاسات أفكارنا وقلوبنا مهما بلغت ...

ج ـ إيمان بقوة الله الآب التي أظهرها الله علانية في قيامة إبنه من الأموات من أجلنا أي بجسدنا ، إيماناً يفوق موتنا الذي يهدّ كياننا بكل نوع ، إيماناً بيقين وثقة يتناسبان مع تناهي قوة حياة الله فوق شدة مفاعيل الموت وأمراض الموت التي تعمل فينا ...

ل ــ فإذا وصلنا إلى يقين الإيمان والثقة الكاملة بتناهي رحمة الله وحبه في حياتنا الجديدة وبذله الدم لتقديسنا وشدة قوته التي تعمل فينا لتجديدنا على الدوام فوق ضعفنا وخطايانا وموتنا الذي نحسه في إنساننا العتيق، فماذا ينبغي أن ينتج عن ذلك؟

١ ــ **طاعة لله**، وتوقير لكرامته، وخضوع شديد له ينبغي أن يبلغ إلى درجة التشبث الكامل، تشبث الغريق وقد قبض بجنون على حبل النجاة، حتى يزداد تناهي الله في عمله باستمرار تجاه شدة ضعفنا.

٢ ــ **تسليم لمشيئة الله**، تسليماً كلياً بلا أي خوف أو تحفُّظ أو خجل، مع شكر متواصل يعطي الله كل المجد والكرامة التي تنازل بها نحونا، تسليماً يقودنا في حياتنا الجديدة ضد مشيئتنا وأهوائنا القديمة، مع إحساس دائم بأن أي ميل نحو تكميل مشيئة الذات في الطريق هو ضياع لهيبة الله وبالتالي إضعاف ليقين الإيمان الذي من شأنه أن ينقص من قوة عمل الله فينا، فيزيد مرة أخرى من ضعفنا؛ حتى نضطر بدون أي وجه حق أن نسلّم مرة أخرى ليد أنفسنا ولأهواء شهواتنا وغرورنا.

٣ ــ **عدم اعتبار لأي برٍّ شخصي أو استحقاق**، مهما بلغت أعمالنا في صورة التقوى والعبادة، بل يبقى تمسكنا بعمل الله الذي عمله من أجلنا في شخص إبنه وحده تمسكاً ثابتاً شديداً سواء من داخل ضمائرنا أو من خلال الأعمال التي نمارسها بإيمان ثابت لا يتزعزع برحمته المجانية الخالصة كنعمة بلا مقابل؛ بحيث يصبح عمل الله المستعلن في المسيح من أجلنا، خصوصاً في القيامة من الأموات، صورة كاملة ونموذجاً ــ لا يغيب عن ذهننا قط ــ لما يشاء الله أن يخلقه جديداً ويكمله فينا دائماً... لأن المسيح هو عينه نصرتنا وبكر القيامة من الأموات، وهو النموذج الحي لغلبتنا على الخطية والموت والهاوية، وهو رأسنا ورأس الكنيسة الإلهي الذي سيقيم كل الجسد بكل الأعضاء بمجد الآب وكرامته.

٤ ــ **لابد أن نحس أن الله ألقى بكل ثقله الإلهي**، بكل مجده وكرامته، بكل حبه وتنازله لخلاصنا وتبريرنا وفدائنا وقيامتنا من الموت لإعدادنا وتقديسنا لحياة الشركة

معه، إن هذا الإحساس ينبغي أن يتحدى كل نظرة متشائمة من نحو واقع الإنسان العتيق الذي لا يزال يرزح تحت ثقل الأهواء والشهوات والضعفات و يتصرف في خداع الغرور ومكر الشهوة.

إن مثل هذا التحدي يجعلنا دائماً نلقي بكل ثقلنا و بكل ضعفنا على النعمة، لنكون منحازين لعمل الله، منحازين لمشورة الله، منحازين في أعماق ضميرنا لنصيب الله مهما كان حالنا.

إن مثل هذا التحدي نافع جداً للتقليل من شأن الخطية وسلطانها وغرورها.

إن مثل هذا التحدي ينقلنا سريعاً من الإحساس بالإنسان العتيق المكروه وماضيه المظلم، إلى الإحساس بالإنسان الجديد المحبوب ومستقبله السعيد المشرق!

هذا الشعور المفرح استطاع واضع الأبصلمودية المقدسة أن يعبّر عنه بقوله: «هو أخذ الذي لنا، **وأعطانا الذي له**، فلنسبّحه ونمجده ونزيده علواً» !! (ثيئوتوكية الجمعة).

وهذا بعينه هو الشعور الإلهي الذي أملى على القديس بولس الرسول قوله لأهل كورنثوس: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، **لنصير نحن برّ الله فيه**» (٢كو٥: ٢١)، وقول هوشع النبي قديماً «**سأدعو الذي ليس شعبي شعبي، والتي ليست محبوبة محبوبة**» (رو٩: ٢٥).

م ــ فإذا استطاع الإنسان بيقين الإيمان و بثقته الشديدة في الله أن يقدم **الطاعة** والتسليم لله متمسكاً بعمل الله الذي أكمله لنا في شخص يسوع المسيح، ثم إذا استطاع أن يواجه ضعف الإنسان العتيق **بتحدي تصميم الله نفسه على خلاصنا وتقديسنا، الذي عزم عليه الله وحدده بكل ثقل مجده وكرامته، نعم، إذا استطاع الإنسان ذلك؛ فإنه حتماً يأخذ قوة للعمل، قوة للجهاد، قوة للصراع، بلا هوادة ضد الإنسان العتيق.**

❋

فما هو هذا العمل والجهاد والصراع الدائم ضد الإنسان العتيق وما هي قوته؟

+ إن أهم عمل لازم لخلاصنا ومحتم علينا كأولاد الله، وفي نفس الوقت هو أول عمل يهم الله نفسه وقد وعد بتقديم كل المساعدة اللازمة له، هو حصولنا على الحرية الروحية، لأنه يستحيل **أن نصير أولاداً لله ونحن عبيد للخطية ولشهوات الغرور.**

هنا يلزمنا جداً أن نثق بأننا نعمل ونجاهد ونصارع، **لا كعبيد يريدون الحرية، بل كأولاد صاروا أحراراً** ونالوا صك حريتهم بضمان موت المسيح وقيامته، فهم إنما **يحاربون ويدافعون ويصارعون ليملكوا ما هو لهم، ما هو حقهم الإلهي، أي حرية البنين**، التي أصبحت من صميم طبيعتهم الجديدة التي حصلوا عليها بروح الله القدوس! **«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله»** (رو٨: ١٦).

+ وكأولاد الله حينما نعمل ونجاهد، **فنحن أمام الله الآب وباسمه ولأجل إسمه نصارع**. لذلك لن يغيب عن ذهننا أننا مُعانون في جهادنا ضد الخطية وضد شهوات الغرور بروح الله الآب الذي ننقاد له بكل طاعة وخضوع وتسليم. لأننا نعلم أن «كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو٨: ١٤).

لذلك فبسبب ضمان مجد الله وكرامته لبنويتنا التي أخذناها حقاً أبدياً في شخص يسوع المسيح، يلزم أن نثق أننا حتماً منتصرون في كل جهادنا إن كان جهادنا حقاً هو لحساب الآب وباسمه ولأجل اسمه. فنحن منذ البدء نعلم أن «الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون» (خر١٤: ١٤).

+ إن معونة الله الآب لنا التي يقدمها لنا في جهادنا وصراعنا الدائم مع الإنسان العتيق، نعلم تماماً أنها مقدمة بواسطة الروح القدس الذي إذ يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، يعمل معنا حتماً لكي نكون في ملء حرية أولاد الله أيضاً، فهو إنما يؤازرنا بكل

وسيلة ليقدمنا فعلاً لله «حسب شهادته» كأولاد لله، كخليقة جديدة «**كذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا**»، «لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها» (رو٨: ٢٦).

+ فإن كان روح الله هو المعين والمؤازر في جهادنا وصراعنا ضد الخطية وشهوات الغرور، فهذا يستلزم أن تكون أسلحتنا ليست جسدية ــ كما يقول بولس الرسول: «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد لسنا حسب الجسد نحارب، إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» (٢كو١٠: ٣ــ٥). هنا بولس الرسول يشير إلى أنه **بالرغم من كوننا لا نزال نعيش في الجسد العتيق إلا أن الله أعطانا أسلحة روحانية، هي مواهب الإنسان الجديد**. وهذا ينبه ذهننا أن إخضاع الجسد العتيق وغلبة أوجاعه وشهواته وضعفاته الكثيرة إنما تحتاج إلى أعمال معمولة بالروح ــ أي بحرارة الروح وغيرة الروح «ولكن إن **كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد** فستحيون» (رو٨: ١٣)، حتى وإن كانت هذه الأعمال في صورة أعمال جسدية.

فالصوم مثلاً ممكن أن يكون عملاً جسدياً ميتاً وممكن أن يكون عملاً روحانياً فعّالاً وقوياً، فإذا كان مقدّماً بالجسد فقط فهو عمل جسداني لا يمكن أن يرقى إلى محاربة الخطية، ولكن إن كان مقدّماً بالروح كذبيحة وانسكاب بصلاة منسحقة وبحرارة وغيرة وبتوسل مع التمسك بكلمة الإنجيل ومواعيد الله، فهنا يصبح الصوم عملاً روحانياً قادراً فعلاً على هدم الخطية المتحصنة بالجسد حيث يكون الروح هو قوة الصوم، ويصبح الصوم أداة فعالة في يد الله. هنا تكون أسلحة محاربتنا روحية فعلاً و«**قادرة بالله** على هدم حصون» (٢كو١٠: ٤).

وليلاحظ القارىء كلمة «قادرة بالله»، فأعمالنا كلها مهما قدمناها بنشاط وغيرة لا يمكن أن ترقى إلى مستوى السلاح القهار الذي يغلب الخطية إلا بالله!!!

وهذا المثل ينبهنا إلى خطر اعتيادنا على تأدية الأعمال الروحية ، المعتبرة أنها أعمال إلهية بحد ذاتها ، بصورة روتينية يجعلنا نؤديها بطريقة جسدية كالإعتراف والصلاة والتناول والسجود، وحتى قراءة الإنجيل .

فبالرغم من أن هذه الأعمال قد هيأها لنا الله كوسائط نعمة قوية وأسلحة روحانية فعالة نحارب بها كل أنواع الخطايا وانحرافات الجسد العتيق ، ولكن بسبب كوننا لا نرفعها إلى مستوى الحرارة اللائقة بالعمل الروحاني المعمول باسم الآب ولمجد الآب ، ولا نرفعها إلى مستوى سلاح الروح المشهور ضد الخطية ، بسبب ذلك يضعف عملها و يضيع الجهد المبذول فيها بلا ثمرة واضحة .

الدعوة هنا إلى رفع العمل الروحي إلى مستوى السلاح الروحي بكل جدية وحرارة وإخلاص ، مستلهمين من الله القدرة على الإستخدام والإستمرار والمثابرة والفعالية .

متى نبلغ الحرية ، حرية البنين ؟ وكيف نحس بها ونمارسها ؟

أو بعبارة أخرى هل لحربنا الروحية مع إنساننا العتيق نهاية محددة نصل إليها فنكون قد وصلنا إلى حرية البنين ؟ أو هل يوجد وقت نغلب فيه الخطية نهائياً ؟

القديس يوحنا الرسول يوضح ذلك بكل صراحة «إن قلنا أنه ليس لنا خطية نُضلُّ أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو١ : ٨). فكأنما يريدنا الرسول أن نتعلم حقيقة هامة تختص بحياتنا الجديدة في إنساننا الجديد، وهي أن صراعنا مع جسد الخطية أو الإنسان العتيق أمر حتمي ولن يكون له نهاية ، وأنه في أية لحظة نعتبر أنفسنا أننا قد غلبنا الخطية نهائياً يكون ذلك معناه أننا لسنا على حق وأننا نضل أنفسنا بهذا الشعور الخادع .

ثم يعود الرسول و يعطينا ضمان العهد الجديد ضد الخطيئة الذي يلغي كيانها : «ياأولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا . وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب

يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢: ١ــ٢). (ولكن يعود القديس يوحنا الرسول و يستثني نوعاً من الخطايا أسماها «خطية للموت» ليس لأولاد الله أن يخطئوا فيها. وسيأتي الكلام عنها).

فإذا كانت الخطية (بنوعها المغفور) هكذا تترصدنا مدى الحياة، فمتى نحصل على حرية البنين وكيف نحسها؟

هنا يلزمنا أن نستعرض عدة حقائق حتى نبلغ إلى كمال الإجابة على هذا السؤال:

فأولاً: ينبغي أن نعلم، كما قلنا ونكرر، أننا لسنا الآن عبيداً نريد أن نتحرر، وإنما بنيناً لله نطالب بحريتنا التي أصبحت حقاً من حقوقنا وطبيعة من صميم طبيعتنا الجديدة.

هذه البنوية هي حق أو حقيقة مختومة أخذناها بالإيمان بإبن الله وجحدنا للشيطان بكل أعماله، و بصبغة المعمودية وانسكاب الروح القدس بالميرون والشركة المقدسة في جسد إبن الله ودمه.

إذن فنحن بنين لله وأولاد بالروح القدس. فإن كنا بعد ذلك نخطىء، فمعناه أن حريتنا البنوية أو حريتنا الروحية **معطلة جزئياً، ولكن ليست منعدمة أصلاً.**

ثانياً: إن كل مرة نعمل فيها مشيئة الآب بصلاة، أو توبة، أو بذل محبة، أو إنكار ذات لخدمة الآخرين، أو جهاد ضد شهوة الذات وغرورها أو بصوم أو تذلل، أو تناول باعتراف وانسحاق وشكر؛ فإننا نكون في كل هذا نمارس طاعة لله حقيقية، لأننا إنما نعمل عمل الله ونتمم وصاياه.

إذن، فنحن في هذه الأعمال كلها إنما نمارس عمل البنين بحرية أولاد الله حقاً، ونتذوق حالة حرية حقيقية، حرية روحية، ولو جزئياً.

ثالثاً: إن ممارستنا لحالة الحرية الروحية كأولاد لله أثناء تأدية أعمال الله بروح البنين وطاعتهم تجعلنا في الحقيقة واقعين في دائرة ملكوت الله، والذي دعانا إلى هذا الدخول هو الآب نفسه الذي سكب روح الإبن في قلوبنا حباً وكرامة للمسيح إبنه، ليسهل علينا التحرك من ظلمة العبودية إلى نور أولاد الله **«شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته»** (كو١: ١٢ــ١٣).

رابعاً: دخولنا في دائرة ملكوت الله والنور سيكشف لنا حتماً أكثر فأكثر مقدار شناعة الخطية والظلمة المحيطة بها التي اعترضتنا سابقاً والتي تعترضنا كل يوم، وهذا مما يزيد شعورنا بالنقص والحرمان الأكيد من حرية البنين.

هنا مواجهة صارخة بين موقف الإنسان الجديد في نور الله القائم في طاعة المحبة وتأدية عمل البنين كإبن لله حرٌّ في بيت الله، وبين موقف الإنسان العتيق وهو يحاول أن يتهرب من نور الله ويضحي بحرية البنين ليكمل عمل العبودية للظلام الذي اعتاده والذي أصبح مكرهة للإنسان الجديد.

هنا نكون في حالة اختباء من وجه الله وليس طرداً من فردوس رحمة الله.
«سيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام» (يو١٢: ٣٥).

خامساً: هنا ينبري لنا المسيح رأس خليقتنا الجديدة، ليدعم موقف الإنسان الجديد لدى الآب ضد حركة عصيان الإنسان العتيق المنعطف دائماً ناحية الخطيئة والإختباء، شكراً لله، فالإنسان الجديد فينا، أي الطبيعة الجديدة لأولاد الله، أصبح لها مَنْ يدعم موقفها أمام الله الآب بصورة مستمرة ويخرجها دائماً من الظلمة إلى النور، ويكمل عجز ممارستها لكمال حرية البنين، لتبقى دائماً أبداً أمام الله في حالة صلح وسلام وتبرير.
المسيح هو لنا ــ بحد ذاته ــ حالة تكميل طاعة كلية للآب، وضامن حالة فداء ومصالحة أبدية؛ إذا تمسكنا به بالإيمان والرجاء عن ثقة المحبة، وإذا كنا نمارس وصاياه

كبنين.

وهكذا ننتهي إلى هذه الحقيقة:

+ إننا دائماً خطاة، ودائماً محتاجون إلى توبة صادقة واعتراف بالخطايا، حتى ننال عنها غفراناً بالدم المسفوك عنا.

+ كل مرة نخطىء نفقد رؤيتنا لله الآب، لأن الخطية مظلمة؛ ونفقد إحساسنا بالحرية كبنين، لأن الخطية عبودية؛ ونفقد شجاعتنا لكي نتراءى أمام وجه الله، لأن الخطية عداوة.

+ كل مرة نعترف بخطايانا يغفرها لنا المسيح بدمه، ولكن تبقى عيوننا معتمة ولا نرى أننا داخلون دائرة الملكوت.

+ إذا مارسنا أعمال البنين من محبة باذلة وخدمة باذلة وإنكار ذات وتمجيد الآب، وتأهلنا للإشتراك في الجسد والدم؛ نعود إلى حالة الحرية، حرية البنين، ونذوقها بالفعل، ولكنها تظل حالة حرية ناقصة لعمل النور الكامل بسبب الإحساس المتواصل بالخطية، فكأنها طعام حلو ممزوج بمرارة.

+ إذا واصلنا جهاد أعمال البنين، وحفظنا وصايا يسوع وأهمها المحبة، ينبري لنا المسيح ليكمل كل عجز وكل نقص في عملنا كبنين لله، وبالتالي يكمل لنا كل نقص في إحساس حريتنا كبنين، ويحضرنا أمام الآب في النور مرة أخرى بلا لوم في المحبة.

+

إذن، شكراً لله الذي جعلنا بالإيمان بدم المسيح مغفوري الخطايا، وبأعمال الإيمان والمحبة حسب الوصية نذوق حرية أولاد الله، وبالمسيح تكمل حريتنا كمالاً مطلقاً، فنسير في النور ونبقى فيه ونتراءى أمام وجه الله الآب بلا لوم في المسيح. □

ملخص:

المسيح خالقُ الخليقة الجديدة في نفسه.

المسيح يمنحها بالميلاد الجديد من ذاته «بالكلمة».

الخليقة الجديدة مبتدئة منه، فهو البداية الحقيقية لسيرة الإنسان.

الخليقة الجديدة تنتهي إليه. فهو النهاية والقصد لحياة الإنسان.

المسيح كان يمثل الخليقة الجديدة، لذلك به قامت ومن أجله تقوم.

الخليقة الجديدة مختفية في الله عن العالم، لأنها ليست من طبيعة العالم.

الخليقة الجديدة تُرى بعين الله فقط، و بكل عين ترى في الله حياتها.

الخليقة العتيقة ورثناها بالجسد، وهي تذهب معه.

الخليقة الجديدة ورثناها بالنعمة، وهي تخلد بها.

الخليقة العتيقة يمثلها فينا عمل الخطية حتى الآن، بإرادة مقهورة كعبيد.

الخليقة الجديدة يمثلها فينا المسيح نفسه بحرية ممنوحة بالتبني لله.

روح المسيح فينا يكشف لنا الخليقة الجديدة، فهي ظاهرة بحضوره.

والروح القدس هو الناطق فينا بها، فهي متكلمة بوجوده.

كلما عرفنا وشهدنا للمسيح، استُعلنت الخليقة الجديدة كخبرة، لأنها متصلة به.

الخطيئة لا تنبثق الآن من طبيعتنا، بسبب التحول من الموت للقيامة.

بل هي صراع بين القديم الميت والجديد الحي، فهي سلاح الشيطان يجرح ولا يميت.

المسيح نفسه هو مركز الإنسان الجديد وعمله.

برهان الخليقة الجديدة هو التغير من سلوك لسلوك.

المسيح أكمل كل متطلبات الخليقة الجديدة فينا، فهي لا تكمل بالجهاد ولكن تُستعلن به فقط.

المسيح أكمل كل متطلبات التبرئة من الخطايا السالفة، هذا هو ضمير الإنسان الجديد.

المسيح أكمل كل إماتة الجسد العتيق، هذه هي خلفية الإنسان الجديد.

المسيح أكمل ولادتنا من جديد بعد الموت، وهذا هو جوهر التبني.

ولذلك يظل فضل الله في إعطائها كلياً.

المسيح أكمل لنا قيامتنا، وبها نلنا دخولاً إلى دائرة وجود الله وحياته.

نحن لا نجاهد لننال قيامتنا، بل هي هبة وفعل سري نناله بالإيمان.
ولكن قوة هذه القيامة تزكي فينا قوة الإماتة عن الخطية.
المسيح نال لنا حظوة لدى الآب بعد طاعته للموت حتى الصليب.
بهذه الحظوة انتفت شكاية الشيطان ضدنا.
عطية الحياة الأبدية لنا ــ بقيامة المسيح فائقة في مجانيتها وسخائها ولطفها ورحمتها.
المسيح ضمن لنا خلاصنا وحياتنا وقيامتنا، لأن هذا أمر يتعلق بكرامة الآب نفسه.
والآن: مقابل هذا كله كيف ينبغي أن نرد نحن على هذا الضمان والثقة في خلاصنا من جانب الله، بالرغم من ضعفنا و بؤسنا و يأسنا من إنساننا العتيق؟
أ ــ إيمان برحمة الله، إيمان بمحبة الله الآب، إيمان بقوة الله الآب، إيماناً يتناسب مع تناهي قوة حياة الله التي وهبها فينا بالروح القدس.
ب ــ طاعة لله، وتسليم لمشيئة الله تسليماً كلياً، وعدم اعتبار لأي بر شخصي تجاه أي استحقاق، والإحساس بأن الله ألقى بكل ثقله الإلهي بواسطة المسيح إزاء ضعفنا لخلاصنا وإعدادنا لحياة الشركة معه.

عن الجهاد ضد الإنسان العتيق:

+ الحرية الروحية التي تليق بنا كبنين هي أول ما يهم الله نفسه أن يعطينا إياه.
+ لذلك فنحن مُعانون في جهادنا ضد الخطية، وبها يلزم أن نثق أننا حتماً منتصرون.
+ هذه المعونة مقدّمة لنا بواسطة الروح القدس الذي يشهد معنا و يعمل فينا و يؤازرنا لنبلغ ملء حرية أولاد الله التي هي هدف الله كما هي هدفنا.
+ بسبب تدخُّل الروح القدس في جهادنا ضد الخطية، تصبح أسلحتنا روحية، وتصير ضمن مواهب الإنسان الجديد، لممارسة الحياة الروحية وأعمال العبادة.

+ صدق عبادتنا وأعمالنا وخضوعنا للروح القدس، هي أداة في يد الله لهدم الخطية المتحصنة بالجسد.

+ فالدعوة هنا أن نرفع أعمال عبادتنا إلى مستوى السلاح الروحي، وأن نحذر من الروح الروتينية، التي تجعلنا نؤدي عبادتنا بالجهد الجسدي فقط دون الحرارة الروحية.

ولكن هل يمكن أن تكون لحربنا الروحية مع الإنسان العتيق نهاية؟ بعدها نصل إلى حرية البنين حيث نغلب الخطية نهائياً؟

ـــ عن الحرية، حرية البنين :

+ صراعنا مع جسد الخطية أو الإنسان العتيق أمر حتمي تخف حدته ولكن لا يكون له نهاية .

+ وذلك مع ضمان المسيح لنا أنه شفيعنا الدائم أمام الآب كفارة لخطايانا .

+ هذا لا يعني أننا ما زلنا عبيداً نريد أن نتحرر، بل نحن بنين نطالب بممارسة حريتنا .

+ ممارسة حريتنا كبنين تتحقق في طاعتنا لله ، إن في صلاة أو توبة أو بذل محبة أو جهاد ضد شهوة الذات أو اعتراف أو تناول من جسد المسيح ودمه .

+ هذه الممارسة تدخلنا في دائرة ملكوت الله بمقتضى دعوة الآب لنا .

+ دخولنا في دائرة ملكوت الله كفيل بأن يكشف لنا أكثر فأكثر مقدار شناعة الخطية وظلمتها ، ويزكّي اشتياق الإنسان الجديد فينا للملكوت الله ونوره .

+ اشتياق الإنسان الجديد فينا سيجد المسيح له سنداً يدعمه في حركته فينا ضد الخطية .

+ والمسيح من جانبه يظل ضامناً لنا فداءنا ومصالحتنا مع الآب ، وهذان يتحققان لنا طالما تمسكنا بالمسيح بإيمان ورجاء و بثقة المحبة .

+ وحينئذ نذوق حرية أولاد الله ، ونسير في النور ونبقى فيه ونتراءى أمام وجه الله الآب بلا لوم في المسيح ، حيث المسيح يكمل فينا كل عجز البنين وكل نقص إحساسنا بعدم اكتمال حريتنا كبنين .



قيامة المسيح من بين الأموات
أنشأت طبيعة جديدة للبشرية
تستمد كيانها وعملها منه شخصياً

(المقالة الثانية)

المسيح باكورة:

«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة **ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح** من الأموات **لميراث** لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ في السموات لأجلكم» (١بط ١: ٣، ٤).

كانت قيامة المسيح من بين الأموات هي بدء ميلاد جديد للإنسان للحصول على ميراث سمائي أبدي غير ميراثه الأرضي الزمني.

+ ونحن نعلم أن المسيح قام بجسد ممجَّد «**جسد مجده**» (في٣: ٢١)، جسد روحاني، رآه بولس الرسول في وسط السماء يلمع بنور أقوى من الشمس: «رأيت في نصف النهار في الطريق نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس قد أبرق حولي...» (أع ٢٦: ١٣).

وهكذا استُعلنت الطبيعة البشرية الجديدة التي تجسد بها المسيح وأقامها من الموت، فصارت باكورة الخليقة الجديدة. وفي المسيح المقام من الأموات استُعلن كيف سيكون الإنسان في عالمه الجديد كامل التجسيد متكامل البشرية، إنما فائق على كل ما في هذا الدهر، متفوق على كل إمكانيات وصلاحيات وقوانين هذا العالم، لا يسود عليه الموت بعد!

ولإقناعنا بما سنكون عليه، أظهر المسيح نفسه في هذه الطبيعة المتجلية بعد القيامة لتلاميذه ولكثيرين منظوراً في صميم العالم المحسوس، وأعطانا نحن بالتالي فرصة ـــ في

أشخاص تلاميذه وكل الذين شاهدوه ـ أن نراها رؤية الإيمان فنفرح: «الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة (يسوع)... نخبركم به لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع إبنه يسوع المسيح، ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو١: ١-٤).

المسيحية خليقة جديدة تسعى لتبلغ ملئها:

+ ثم نعلم أيضاً أنه قد مُنح لنا أن نأخذ هذه الطبيعة الجديدة عينها بكل صفاتها إنما على مراحل متلاحقة بقدر نمونا في النعمة وقامة الإيمان، إلى أن تُستعلن فينا أخيراً لنظهر بها مع المسيح في مجده في النهاية لنكون مثله:

ـ «**الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضِع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢١).

ـ «متى أُظهر المسيح حياتنا **فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً** معه في المجد» (كو٣: ٤)

ـ «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، **ولم يُظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر** (المسيح) **نكون مثله** لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢).

و يكشف لنا بولس الرسول أن هذه الطبيعة تتغير وتتحرك، تنسى دائماً ما هو وراء لتمتد إلى ما هو قدام، تتغير عن شكلها كل يوم بتجديد ذهنها، تنتقل من مجد إلى مجد بعمل الروح؛ ومن دوام الإلتصاق والتطلع إلى وجه المسيح بدون عائق تنمو في كل شيء إلى أن تبلغ إلى ذاك الذي هو الرأس، إلى قياس قامة ملء المسيح.

+ ولكن الخليقة الجديدة ليست محجوبة أو ممنوعة عنا الآن وكأنها عمل مستقبلي، بل **هي طبيعة مسيحيتنا الآن، هي جوهر إيماننا ومحور رجائنا وموضوع حياتنا ومصدر سلوكنا معاً:**

ـ «إذاً إن كان أحد في المسيح **فهو خليقة جديدة**» (٢كو٥: ١٧).

أي أننا نعيش الآن في الحال الحاضر في قيامة المسيح:

ـ «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق... لأنكم متّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (٢كو٣: ١-٣).

فالمسيحية تبدأ بالقيامة ولا تنتهي عندها؛ والذي لم يشرق عليه نور قيامة المسيح من الأموات فسيظل واحداً من الذين قال عنهم الكتاب «الجالسين في الظلمة وظلال الموت» (لو١: ٧٩).

كيف دخلت الخليقة الجديدة إلى العالم:

بولس الرسول يرى أن قيامة المسيح من ظلمة القبر ناقضاً سلطان الموت كانت بمثابة النور الجديد الذي انبثق للعالم من وسط ظلام لعنة الخليقة العتيقة. هذا الإنبثاق عينه، أي نور القيامة المنبثق من ظلمة القبر، يحدث لكل واحد في قلبه، مثلما حدث في قيامة الرب تماماً، عندما يؤمن و يتحد بالمسيح!! فهو حدث أخروي لا يتبع هذا الدهر، صنعه المسيح بلاهوته لأجلنا لكي يكون في سلطاننا!! «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة (في سفر التكوين في اليوم الأول)، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦). نحن هنا بصدد مماثلة واقعية بين خلقة النور المادي لكشف حقيقة العالم المادي و بين استعلان نور الله لكشف حقيقة ملكوت الله وحقيقة الحياة الأبدية.

+ فإذا تذكرنا أن بولس الرسول جاز هذه الخبرة بصورة محسوسة لمّا أشرق المسيح عليه بنوره الذي كان أشدّ لمعاناً من الشمس، الذي أضاء قلبه وذهنه وكل كيانه المظلم، فنقله من سلطان الظلمة (استبداد المادة وشهواتها) إلى نوره العجيب (حرية أولاد الله في المجد)، أدركنا أننا فعلاً بصدد نور جديد واقعي هو في حقيقته نور الحياة لأنه يقيم من الموت موت الخطيئة، وهو نور المسيح الممجّد الذي صار من مميزات الخليقة الجديدة. نحن بصدد سفر تكوين آخر أو تكوين جديد أو تكوين روحاني حيث تبرز فيه القيامة من الأموات، كنقلة جديدة في طبيعة الإنسان، تخصبه بنورها العجيب السري ليرتقي إلى مستوى عالم الخلقة الجديدة الروحانية، لذلك فحياة الإنسان الجديدة قد

انبثقت من ظلمة قبر المسيح، أي بعد استيفاء كل لعنة الموت، وقامت مع قيامة يسوع المسيح من الأموات في فجر الأحد وهو اليوم الثامن. وهنا نقول اليوم «الثامن» إشارة إلى تجاوز الزمن المحدود، لأن القيامة من الأموات فعل غريب عن الزمن وخارج عن دائرة الكون المادي، وهنا تتجاوز القيامة أيام الأسبوع القديم السبعة، أسبوع الخليقة العتيقة الترابية!!

قيامة المسيح من الأموات في فجر الأحد في اليوم الثامن بمجد يضيىء كل المستقبل جاعلاً الطبيعة البشرية حية حاضرة عبر كل الأزمنة الآتية والأبدية، كانت بمثابة الرد التطبيقي والبرهان الواقعي الحسي على قول المسيح: «أنا هو نور العالم» (يو٨: ١٢)، النور الذي لن ينطفيء لأنه نور الخليقة الجديدة، نور العالم الجديد الذي يتجاوز الزمان بكل إخفاقاته؛ فالموت لن يسود عليه بعد!! ونحن في هذا النور قائمون في شركة المسيح، لأن كل ميراث المسيح انتقل إلينا بالقيامة، وانفتحت أعيننا على مجد المسيح عبر الإنجيل: «شاكرين الآب الذي **أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته**» (كو١: ١٢، ١٣)، «ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا **تضيىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح** الذي هو صورة الله.» (٢كو٤: ٣، ٤).

الحد الفاصل بين الخليقتين:

بولس الرسول يؤكد أن بصلب المسيح وموته ثم قيامته صار الحد الفاصل الكبير بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة!! «**إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت**، هوذا **الكل قد صار جديداً**، ولكن الكل **من الله.**» (٢كو٥: ١٧، ١٨).

هذا الحد الفاصل بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة يوضحه بولس الرسول في مواضع متفرقة باعتباره يفصل فعلاً بين حياتين:

ا ــ حياة الإنسان العتيق المحبوس في سجن الخوف من الموت كل أيام الحياة، في ناموس الخطية العامل في الأعضاء، في أهواء الجسد وشهواته، في أركان العالم المظلمة (قواته)، في ميراث آدم الترابي.

ب ــ أما حياة الإنسان الجديد فهي منطلقة بلا حدود وإلى مالا نهاية في حرية أولاد الله بالقيامة، متجاوزة كل أعواز الزمن كخليقة جديدة لا يفصلها عن المسيح أية إخفاقات أو قصور أو مقاومة حتى ولا الموت ذاته، حياة تتجدد كل يوم (هنا الزمن لا يعمل كمعوّق بل يُستعبد بالروح ليصير عامل ارتقاء وتغيير)، حتى ينتهي الإنسان إلى صورته السوية حسب صورة خالقه: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ٩، ١٠). «وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف٤: ٢٣، ٢٤).

نعم لقد تخلصنا من جمود آدميتنا، الحياة القلقة التي بلا مستقبل ولا أيلولة، حينما استقبلنا القيامة من الأموات كحركة روح وحياة باطنية متحدة بالله، وتحررنا من حكم الموت الأبدي قمة القصور واليأس وأصل الخوف والعجز والمرض، وهو الميراث الوحيد الذي أخذناه من آدم، والذي بقى يربطنا بالعدم إلى أن قام المسيح من الأموات، ففكنا من آدم وأوصلنا بالله عبر نفسه: «فإنه إذ الموت بإنسان (آدم) بإنسان أيضاً (المسيح) قيامة الأموات» (١كو١٥: ٢١). وهكذا ارتبطنا بالحياة الأبدية عبر المسيح كنعمة عوض ارتباطنا بالموت الأبدي عبر آدم كعقاب!! «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو٥: ٢١).

لقد تخلصنا من سلطان العالم ونحن فيه، ومن الموت ونحن نعبره، ومن الجسد ونحن ندفعه أمامنا، فلم يعد شيء قط من مثل هذا يقدر أن يفصلنا عن المسيح!! حتى الآلام لم تعد عقاباً بل شركة مجد مع المسيح ننال عنها الجزاء والعزاء ونحصل بسببها على البركة والمجد!

نحن الآن محسوبون أننا في روح القيامة وقوتها نعيش للمسيح، لا نستمد بعد حياتنا من تراب الأرض لحساب الجسد، فلسنا مديونين للعالم أو للجسد في شيء، بل نحن

نستمد حياتنا من المسيح ـ كلمة الله ـ «المسيح حياتنا» (كو٣: ٤)، وبحسب قول يعقوب الرسول إننا محسوبون منذ الآن «باكورة من خلائقه» الروحانية (يع ١: ١٨)، والسماء هي موطننا الذي نتحرك نحوه!!!

نحن الزرع الجديد الذي زرعه الآب في تربة العالم الجديد عبر جسد المسيح المُقام (وزرْع الآب لا يُقلع ولا يحصده حصّادو هذا العالم قط)، محفوظون لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

طبيعة الخليقة الجديدة:

الخليقة الجديدة ليست مجرد أفكار أو مبادىء أو أخلاق أو سلوك مهما كان نوعها وسموها، ولكنها شركة واتحاد بجسد يسوع المسيح القائم من الأموات، الذي فيه وحده وبه وحده يمكن لكل إنسان أن يُخلَق جديداً و يدخل ضمن دائرة الخليقة الجديدة التي رأسها هو المسيح نفسه!! الخليقة الجديدة هي حياة في الله ثابتة تستمد منه البر والقداسة والحق: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤).

إذاً فالخليقة الجديدة ليست هي أن نتبع المسيح في أقواله وأفكاره ومبادئه السامية، بل هي عملية زرع إلهي عضوي يتم بواسطة اتحاد سري في صميم جسد المسيح الحي القائم من الأموات، يتم بقوة سرية بعمل الروح القدس، لا يُطلَب منا إزاءه سوى أن نخضع بطاعة الإيمان فقط ليتم السر ولتحل علينا قوته: «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل **بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس**» (تي٣: ٥).
وعندما يتم هذا السر ندخل مجال الحياة الجديدة كخليقة جديدة، ونكون قد انتقلنا من الموت إلى الحياة بمفاعيل وأحاسيس وأفكار وقدرات جديدة نحسها فنبدأ في ممارسة صفات ومميزات الخليقة الجديدة في الحال، وكأنها طبيعة جديدة فينا ولكنها في الحقيقة تصدر من الله نفسه: «هوذا الكل قد صار جديداً، **ولكن الكل من الله**»!! فلا نسير بعد بهوى نفوسنا ولكن يقودنا المسيح بروحه: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك

هـم أبناء الله» (رو٨: ١٤)، والروح هو الذي يغيرها ويجددها كل يوم بنعمته حتى تصير على صورة خالقها في البر وقداسة الحق.

الصراع القائم بين الخليقة الجديدة والخليقة العتيقة:

ولكن ليس معنى أن نصير خليقة جديدة أن نصبح أحراراً تماماً من نكد الخليقة العتيقة وتهديدها التي يمثلها العالم والجسد والخطيئة والشيطان والألم، لأنه بمجرد أن نؤمن ونتحد بالمسيح وندخل في مجال الخليقة الجديدة يبدأ الصراع مباشرة، فالروح القدس الذي يملأ كياننا يبدأ يشتهي ضد ما يشتهي الجسد، والجسد يظل يشتهي ويطلب ضد ما يطلبه الروح ويطالبنا به. لذلك يصبح من أولى واجبات الخليقة الجديدة: **العمل، والاجتهاد، واليقظة، والصبر، والاحتمال بلا ملل حتى النهاية**، وفي الطريق تصير كل خسارة وكل ضعف وكل مرض يصيب الإنسان الخارجي، محسوبة ربحاً طالما أن الثبوت قائم مع المسيح حتى النهاية، لأن ذلك كله يبدأ يؤول إلى استعلان صفات ومواهب الخليقة الجديدة: «لأن خفة **ضيقتنا الوقتية، تنشيء** لنا أكثر فأكثر ثقل **مجدٍ أبدياً**، وإن كان إنساننا **الخارج يفنى، فالداخل يتجدد** يوماً فيوماً» (٢كو٤: ١٧، ١٦)، **وذلك على مستوى التحول الذي تم للمسيح من الموت إلى القيامة الممجَّدة!**

فكما تحتم أن يجوز المسيح الموت بكل آلامه وجهاداته حتى يبلغ مجد القيامة ويستعلن لنا في ذاته وفي جسده الحياة الجديدة، كذلك ينبغي أن نجوز معه كل الآلام والموت حتى نبلغ معه إلى القيامة والحياة الجديدة: «لأنه إن كنا قد صرنا **متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته**، عالمين هذا أن **إنساننا العتيق قد صُلب معه** ليُبطل جسد الخطية **كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية...**»، بل «**كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب** هكذا نسلك **نحن أيضاً في جدة الحياة**» (رو٦: ٥و٦و٤).

فالخليقة الجديدة الآن ليست في غنى عن الجهاد لأنها ليست بمعزل عن الجسد والعالم والخطية، ولكنها إذ هي قائمة ماسكة بالمسيح والقيامة والحياة الأبدية، فهي من جهة

الجسد ميتة للخطية، أي أن الخطية لا تؤثر فيها ولا تسري فيها بنبضاتها المميتة. أما من جهة الروح فحية لله وللحياة الأبدية، أي تستقبل فعل الحياة والتجديد وتنفعل بنبض الروح القدس: «إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية أما الروح فحياة بسبب البر» (رو٨: ١٠).

وبمعنى آخر يمكن أن نقول أنه إذا كان المسيح يعيش فينا، فالخطية لا تستطيع أن تميت الجسد بعد، لأن الجسد قد مات على صليب المسيح وتمت كفارته، أما الروح الذي فينا فيتقبل الحياة مجاناً بسبب بر المسيح الذي كسبناه بموت الجسد. وهكذا تصبح الخليقة الجديدة بقيامة المسيح ذات جسد مكفَّر عنه بموت المسيح فلا يقبل بعد موت الخطية، وذات روح مبرَّرة منفتحة على حياة المسيح.

طبيعة الخليقة الجديدة تتغير لبلوغ الإنسجام مع قداسة الله خالقها باستمرار:

وهكذا مطلوب منا كل يوم بحسب الحق الذي في المسيح أن نخلع الإنسان العتيق ونلبس الجديد. التغيير المستمر صفة أساسية للخليقة الجديدة: «كما هو حق في يسوع أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، وتتجددوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢١-٢٤). «لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم (فعل ماضي=المعمودية) الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد (فعل ماضي=المعمودية) الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ٩، ١٠). هنا نجد حالة خلع ولبس مستمرة بدأت في المعمودية مرة كفعل مصدري شمولي: «يتجدد»، وبمقدار ما يتم الخلع بمقدار ما يتم اللبس، ولكن المرة الثانية تكون أسهل من الأولى وهكذا؛ أما الخلع فهو عملنا وأما اللبس فهو عمل الله نفسه: «الكل من الله».

ولكن لولا أن المسيح أكمل الختان أيضاً في جسده الذي هو رمز خلع جسم خطايا البشرية لما استطعنا أن نخلع شيئاً من أعمال الإنسان العتيق، لأن قطع الشهوة بمثابة قطع اللحم صعوبةً وألماً، ومكتوب أنه: «من تألم في الجسد كُفَّ عن الخطية»

(١بط ٤ : ١). فالمسيح منحنا سر خلع الإنسان العتيق: «و به أيضاً خُتنتم **ختاناً غير مصنوع بيدٍ** بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح» (كو٢ : ١١). ومعنى قوله: «ختاناً غير مصنوع بيد» هو أن المسيح صنع في نفسه بالفعل ما هو مزمع أن يصنعه فينا بالنعمة، سواء في الختان أو في المعمودية أو في الصوم الطويل العنيف أو في ظلمة القبر والتراب.

لذلك فإن سر المعمودية هو في الحقيقة تسليم سر الموت والقيامة معاً كقوة تعمل فينا لخلع الجسد العتيق بكل أعماله للموت عن العالم والحياة لله معاً: «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله» (كو٢ : ١٢).

طبيعة الخليقة الجديدة والنمو الدائم:

ولكن سر الخلع واللبس الذي يرمز لفعل الموت والقيامة، وإن كان المسيح أكملها كمالاً نهائياً ومرة واحدة، إلا أننا سنظل نستوعبها إلى مالانهاية، لأن أفعال الفداء والكفارة وما تؤول إليه من خلاص و بر ومجد، لا يمكن أن يستنفذها الإنسان بأعماله و بكل اجتهاداته، فهو سيظل يغتني بها و ينمو و يتغير إلى أبد الآبدين، لأنه من خصائص الخليقة الجديدة أن تنتقل من مجد إلى مجد بلا حدود و بلا نهاية: «ناظرين مجد الرب **بوجه مكشوف** (بدون برقع الناموس العقلي الذي قد نسجته الخطيئة خلسة) كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها **من مجد إلى مجد كما من الرب الروح**» (٢كو٣ : ١٨)، أي أنه بتدخل الروح القدس يكفينا النظر المتواصل إلى وجه المسيح المصوَّر في إنجيله، حينئذ توحي إلينا النعمة ماذا نخلع وماذا نلبس كل يوم بلا ملل، فيتجدد الذهن ويتغير الشكل وتنفتح البصيرة وتنمو القامة، و بقدر ما نرى نمتد بلا قياس و بلا نهاية.

استعلان مجد القيامة فينا باستعلان صفات الخليقة الجديدة منذ الآن:

بالرغم من أن استعلان مجد القيامة لا يمكن أن يظهر تماماً إلا بعد أن نجوز الموت بالكامل، إلا أنه بمقدار ظهور صفات الإنسان الجديد بالموت الإرادي الذي نجوزه الآن في هذا الدهر بمقدار ما تنكشف حقيقة ومجد القيامة التي جزناها مع المسيح، حينئذ تُستعلن

الخليقة الجديدة بكل صفاتها العجيبة التي تكون قد بدأت تعمل فينا بوضوح منذ الآن «لأننا نحن الأحياء نسلّم دائماً للموت من أجل يسوع لكي تُظهَر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت» (٢كو٤ : ١١).

فاحتمال الآلام بصبر مثلاً، والفرح في الضيق، والشكر في الإضطهادات، ومحبة الإخوة من قلب طاهر بشدة، والبذل بلا ندامة، والتضحية بالراحة والكرامة، والسرور بالمتكأ الأخير، كل هذا يكشف بوضوح غاية الوضوح عن صفات الخليقة الجديدة التي نكون قد بدأنا نعيش في مجالها... وهكذا فإن أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا هي أكبر دليل يكشف عن مدى عمل روح القيامة فينا: «**فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق** حيث المسيح جالس عن يمين الله، **إهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد متُّم وحياتكم (الجديدة) مستترة مع المسيح في الله**»، ولكن الإستعلان الكلي لمجد القيامة الممنوحة لنا سيظل رهن مجيء المسيح في مجده «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣ : ١-٤).

مصادر قوة الخليقة الجديدة العاملة فينا الآن:

أولاً: الكلمة:

قوة الخليقة الجديدة تعمل فينا الآن بواسطة الروح القدس، وهي تنمو وتزداد وتتغذى على كلمة الله. أي أن كلمة الله هي قوام الخليقة الجديدة وحياتها ونورها وقوتها التي عليها تعيش، و بدونها لا حياة ولا نمو: **مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد**» (١بط ١ : ٢٣)، «**شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه**» (يع ١ : ١٨).

والميلاد الروحاني بكلمة الله ليس هو كالميلاد الجسدي فعلاً زمنياً يتم و ينتهي، ولكن الميلاد الروحي بالكلمة هو حالة ولودة لا تتوقف بل تزداد كمالاً، فالكلمة كلما استوعبها الذهن ازدادت صورة المسيح فينا وضوحاً، وكلما حفظها القلب كلما تكمّلت فينا مشيئة الله، وكلما تقبلناها بالسر أحيت وجددت.

ثانياً: انتظار الرب:

إن كانت كلمة الله هي مصدر ولادة ونمو وغذاء واستنارة بالنسبة للخليقة الجديدة. فمعروف أنه كلما ازدادت صورة المسيح فينا وضوحاً بقوة الكلمة كلما ازدادت شهوة اللُّقيا، فالمثيل يحن للمثيل، والحنين الجارف بانتظار مجيء الرب هو الشهوة العظمى وقة العزاء الذي يعوِّض الخليقة الجديدة في غربتها عن وطنها: «**منتظرين وطالبين** سرعة مجيء يوم الرب» (٢بط٣: ١٢)، «نعم أنا آتي سريعاً، **آمين تعال أيها الرب يسوع**» (رؤ٢٢: ٢٠)، «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح، أنكم في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم، كما ثبتت فيكم شهادة المسيح حتى أنكم لستم ناقصين في موهبة ما، **وأنتم متوقعون استعلان ربنا يسوع المسيح**» (١كو١: ٤-٧).

ثالثاً:

أن نكون خدام عهد جديد ورسل الخليقة الجديدة، أي خدمة المصالحة الكلية بين الله والناس.

(١٩٧١)

ملخص:

+ المسيح هو باكورة الخليقة الجديدة.

+ في المسيح المقام من الأموات استُعلنت الطبيعة البشرية الجديدة بإمكانياتها الفائقة على كل ما في هذا الدهر.

+ أظهر المسيح نفسه في هذه الطبيعة المتجلية بعد القيامة لتلاميذه ولكثيرين في صميم العالم المحسوس، ورأيناها نحن ــ في أشخاص تلاميذه وكل الذين شاهدوه ــ رؤية الإيمان والتصديق.

+ أُعطي لنا أن نأخذ هذه الطبيعة الجديدة على مراحل بقدر نمونا في النعمة وقامة الإيمان إلى أن تُستعلن فينا كاملة في النهاية مع المسيح في مجده.

+ فمتى أظهر المسيح سنكون مثله لأننا سنراه كما هو.

+ ولكن ليست الخليقة الجديدة محجوبة عنا الآن، بل هي طبيعتنا الفعلية، وجوهر إيماننا ومحور رجائنا وموضوع حياتنا ومصدر سلوكنا.

+ الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة ـــ في اليوم الأول من خلقة العالم المادي ـــ هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح، لخلق طبيعة جديدة في الإنسان بقيامة المسيح من الأموات.

+ الخليقة الجديدة دخلت إلى العالم مع قيامة المسيح في فجر الأحد وهو اليوم الثامن.

+ اليوم الثامن يشير إلى تجاوز الزمن المحدود، لأن القيامة من الأموات فعل غريب عن الزمن وخارج عن دائرة الكون المادي.

+ صلب المسيح وموته وقيامته صار هو الحد الفاصل بين حياتين:

ـــ حياة الإنسان العتيق، المحبوس في سجن الخوف من الموت، خاضعاً لناموس الخطية العامل في الأعضاء، تحت أركان العالم المظلمة، في ميراث آدم الترابي.

ـــ وحياة الإنسان الجديد، المنطلقة بلا حدود لا يمنعها قصور الزمن أو ضعف الطبيعة ولا الموت ذاته. بل هي حياة تتجدد كل يوم إلى مالانهاية.

+ لم تعد الآلام والموت عقاباً بل شركة مجد مع المسيح ننال عنها الجزاء والعزاء ونحصل بسببها على البركة والمجد!

+ حياتنا الجديدة نستمدها من المسيح حياتنا وليس من تراب الأرض لحساب الجسد.

+ الخليقة الجديدة ليست أفكاراً أو مبادىء أو أخلاقاً أو سلوكاً مهما كان سموها، ولكنها شركة واتحاد بجسد يسوع المسيح القائم من الأموات:

ـــ هي عملية زرع إلهي عضوي يتم فينا بطاعة الإيمان بواسطة إتحاد سري في صميم جسد المسيح الحي القائم من الأموات، بقوة سرية بعمل الروح القدس.

ـــ بمجرد إتمام السر ندخل مجال الحياة الجديدة كخليقة جديدة، فلا نسير بعد بهوى نفوسنا ولكن يقودنا المسيح بروحه.

ـــ الروح القدس هو المسئول عن تجديد الخليقة الجديدة كل يوم بنعمته إلى أن تصير على صورة خالقها في البر وقداسة الحق.

+ بمجرد دخولنا في مجال الخليقة الجديدة يبدأ الصراع مباشرة بينها و بين الخليقة العتيقة. لأن الروح يشتهي ضد الجسد والجسد يشتهي ضد الروح والإثنان يقاوم كل منهما الآخر.

ـ لذلك، فمن أولى واجبات الخليقة الجديدة: العمل والإجتهاد واليقظة والصبر والإحتمال بلا ملل حتى النهاية.
ـ كل الآلام والضيقات التي نجوزها كنتيجة لهذا الصراع تحسب ربحاً وشركة في آلام المسيح وموته.
ـ لا غنى عن الجهاد طالما الخليقة الجديدة ليست بمعزل عن العالم والجسد، ولكنها في ثبوتها في المسيح تحسب الجسد ميتاً للخطية والروح حيًّا لله وللحياة الأبدية.

+ التغيير صفة مستمرة أساسية للخليقة الجديدة، بدأ في المعمودية كخلع للعتيق ولبس للجديد كفعل مصدري شمولي تزداد سهولته على مر الأيام.
ـ الخلع هو عملنا، ولكن لولا أن المسيح أكمل الختان في جسده الذي هو رمز خلع جسم خطايا البشرية لما استطعنا أن نخلع شيئاً من أعمال الإنسان العتيق.
ـ أما لبس الجديد فهو عمل الله نفسه الذي أقامنا معه.
ـ المعمودية هي تسليم سر الموت والقيامة معاً كقوة تعمل فينا لخلع الجسد العتيق ولبس الجديد باستمرار.

+ المسيح أكمل فداءنا بموته وقيامته تكميلاً نهائياً ومرة واحدة، أما الإنسان فيستكمل خلاصه على مدى الحياة و يظل ينمو و يتغير إلى مالانهاية... «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح»، بقدر ما يثبّت نظره في وجه المسيح المصوَّر في إنجيله.
ـ استعلان مجد القيامة فينا نجوزه الآن جزئياً بمقدار ظهور صفات الإنسان الجديد فينا بقبولنا الموت الإرادي كل حين، إلى أن يُستعلن كاملاً بعد الموت عند مجيء المسيح في مجده.

+ مصادر قوة الخليقة الجديدة فينا الآن:

١ ـ كلمة الله القادرة أن تجدد ولادة الإنسان روحياً بلا توقف إذا قبلها في ذهنه وحفظها في قلبه وتقبلها في الأسرار الإلهية.
٢ ـ انتظار الرب والشوق إلى مجيئه.
٣ ـ السعي في خدمة المصالحة الكلية بين الله والناس.

* * *

قوة القيامة
مستترة في الموت الإرادي

القيامة هي قهرٌ للموت. فإذا علمنا أن الموت يمثل العدم بالنسبة للإنسان، لا في الواقع فحسب بل في الشعور واللاشعور، إذ هو رمز الفقدان والخسارة الكلية التي تودي بكل ما في الحياة من أمل ورجاء وعمل وفكر واجتهاد وكل شيء لتلقيه في العدم أي اللاوجود، فكان الموت يثير في اللاشعور عند الإنسان إحساس اليأس الكلي، وكأنما الإنسان كائن لا ينتهي إلى شيء، يسير في طريق بلا أيلولة، حاضر غائب، حاضر ما يصنعه لنفسه، غائب عن مستقبل منظور؛ لكن بعد قيامة المسيح من الأموات بالجسد ـ بنفس الطبيعة البشرية التي أخذها منا ـ لم يعد الموت هذه الحادثة السلبية التي تحذف الحياة وتمحو كل مسار للأمل والرجاء، بل فعل إيجابي بحركة مجددة ذات أبعاد بلا حدود، يجوزه الإنسان ليتصل بالحياة اتصالاً أوثق مما كان، اتصالاً شمولياً حتى ليكاد يبتلعها فيصير الإنسان جزءاً أساسياً من الحياة بدل أن كان جزءاً أساسياً من الموت كما يقول بولس الرسول: «**لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع**» (١كو١٥: ٢٢)، أو كما يقول أيضاً: «**كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة** بالبر (بالقيامة) للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو٥: ٢١). فبعد أن كان الموت يلغي الحياة بسطوة ناقة؛ أصبحت القيامة تلغي الموت بسلطان الظفر.

وكما أن المسيح مات مرة واحدة ليلغي كل متعلقات الموت، هكذا قام مرة واحدة ليهب كل قوات و بركات الحياة، أي أن كل من يأخذ قيامة المسيح كقوة وكسر وحياة فعّالة بالإيمان، يعبر الموت كميراث من آدم منذ الآن فلا يعود يملك عليه الموت إلى الأبد

بل يعبره عبوراً: «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة، من لا يحب أخاه يبقَ في الموت» (١يو٣: ١٤)، هنا الوجدان الأخوي في الحب الإلهي معادل للحياة الأبدية، بل هو معادل للملكوت، وهنا مصدر السرور والفرح اللذين يتبعان القيامة الحقيقية بالروح والحق.

إذاً فروح الحياة في قيامة المسيح مكّنتنا أن نتجاوز الموت بأحزانه وإرهابه لندخل منذ الآن في غلبة حقيقية مدعّمة بالفرح والرجاء والحب؛ وأعطتنا سلطاناً أن نعيش بروح القيامة لنحيا في جدة الحياة «بلا خوف» (لو١: ٧٤) في حالة شبيهة بمجد القيامة وفرحها.

ولكن عبور الموت بالإرادة المدفوعة بالروح القدس منذ الآن وتجاوزه ليس شيئاً هيناً، فهو ليس مجرد فكرة فلسفية تأتي بالإقتناع ولا هو حالة وهمية، ولكنه جهاد إرادي تؤازره قوة النعمة، و يوازي في عمقه وخطورته عبور كل مخاض الموت الجسدي وآلامه ومخاوفه وأوجاعه. **فمحبة الإخوة**، التي يتكلم عنها يوحنا الرسول كمحك لغلبة الموت، ليست فكرة فلسفية ولا مجرد شعور وجداني، لأن محبة الإخوة لا تعني فقط الإخوة الأحباء، بل والإخوة المعاندين والمخاصمين والإنتهاز يين والطمّاعين، بل والإخوة الأعداء. إذن فالأمر خطير يحتاج إلى جهاد ضد الذات مر ير وشاق، لابد أن يبلغ في لحظة إلى التسليم بالذات إلى الموت بشجاعة وعدم الخضوع لمراوغة الذات وكل كبر يائها وغرورها. إنه موت حقيقي للذات مُسبق على الموت الجسدي وهو أشق منه! فالإماتة بالإرادة أصعب من الموت بالطبيعة.

ولو لم يسلمنا المسيح سر الموت الإرادي على الصليب كنعمة وقوة، أو بالحري إرادة الموت الإختياري، على أساس قبول قوة قيامته برجاء حي تعادل في قدرة تحوّلها ميلاداً جديداً؛ لما استطعنا قط أن نبلغ إلى حالة الموت الإرادي، لأنه إذا لم تكن الحياة الأبدية في متناول رؤ يتنا فلا نستطيع قط أن نفرط في ذواتنا حتى الموت.

فكأنما يا إخوة قد أعطانا المسيح في سر قيامته حركة ميلاد روحي جديد، مساو ية

تماماً وموازية جداً لحركة الموت الذي نقبله ليسري في أعماق الذات؛ هذا وضعه في طبيعتنا وغرسه فيها غرساً حتى يهون علينا أن نفرِّط في العتيق للموت!! المسيح أعطانا بقيامته ميلاداً ثانياً قادراً أن يدفعنا حتى نفرط في ذواتنا للموت! أعطانا بقيامته نفخة حياة حتى لا نخاف ولا نجزع من الموت الإرادي.

وهكذا صار من صميم إيماننا بالمسيح أن نقبل الموت الإرادي أو موتاً بالإرادة، سواء كان الموت الطبيعي بالجسد أو الإماتة بأعمال الفضيلة: «بالروح تميتون أعمال الجسد» (رو٨: ١٣)؛ حتى تُستعلن فينا قيامة المسيح وحياته التي أخذناها بالسر كفعل مجاني ونعمة مغروسة في طبيعتنا!!

فالموت والقيامة فعلان سرِّيَّان، ولو أن الأول يسبق الثاني كما في المسيح حسب ترتيب الزمن، ولكن في الحقيقة الله أعطانا في المسيح قوة القيامة لنجوز بها مخاض الموت، أي أننا نجوز الثاني قبل الأول حتى نكون بلا خوف: «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنَّا معه بالمعمودية **للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً (الآن) في جدَّة الحياة**» (رو٦: ٣و٤). هنا الموت والحياة يلتحمان معاً بحيث لا يمكن أن يكون الواحد بدون الآخر، وقبول حدّ الأول هو على أساس عطاء أكيد ومجاني للآخر: «مدفونين معه في المعمودية **التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله** الذي أقامه من الأموات» (كو٢: ١٢).

ولكن لكي يُحسب موتنا أنه شركة حقيقية في موت الرب أو موتاً حقيقياً في المسيح ــ فلان رقد في الرب ــ يلزم أن يكون قد سبق هذا الرقاد الأخير شركة فعلية في موت الرب بالإرادة، كمثل ما جاز المسيح الموت بالإرادة عندما مدَّ يديه للصالبين قبل أن يجوزه بدق المسامير على الصليب.

موت الإرادة بالنسبة لنا هو **الإماتة** الذاتية عن هوى العالم ومشيئات الناس والجسد الذي هو بمثابة خلع جسد ولبس آخر، خلع جسم خطايا البشرية الذي أخذناه في سر

ختانة المسيح كما يقول القديس بولس الرسول في رسالة كولوسي، التي هي أعمال الجهاد ضد الشهوة والخطية بكل صورها، التي هي إماتة الأعضاء التي على الأرض قبل موتها!!!

«الذين هم للمسيح (في القيامة أو في الحياة الأبدية بالإيمان) **قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**» (غل٥: ٢٤). هذه كلها تبدأ في محيط الإرادة والتمني وتنتهي كموهبة فائقة: «قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل٦: ١٤)، لأنه حينما ندخل في شركة حب المسيح والإخوة مضحين بكل شهوات الدنيا بالموت الإرادي، ندخل في حياة لا يملك عليها الموت!!! هنا منتهى القصد من القيامة الذي يوازي منتهى الحب الذي يبلغ إلى مستوى الخلود. هنا يلزمنا أيها الإخوة أن نقرأ رو٨: ٥-١٧، حيث نجد **الموت والحياة، الإماتة والقيامة** معادلتين متبادلتين، لأن كل فعل إماتة بدافع الحب ينشيء فعل قيامة، ودليلنا على ذلك حالة السرور والفرح والرضى الذي ينبع مع كل دمعة وكل تألم حباً للمسيح أو الآخرين. فالفرح القلبي الداخلي الذي ينبع في موضع الإماتة يومياً هو عربون القيامة الممنوح لنا الآن، الذي به يشجِّعنا لكي نمارس به حالة قيامة مستمرة تنتظر استعلانها يوماً ما.

أي أن الفرح بالقيامة نمارسه فقط بالإماتة، بالجهاد والدموع، بالتألم الراضي، الذي يتحول إلى حركة قيامة سرية تنمو بمقدار التعمق في صلب الذات من أجل حب المسيح والآخرين، بحيث إذا بلغنا إلى موتها الفعلي نبلغ إلى منتهى القيامة ونورها وإسعادها.

كذلك كل أعمال الصوم والصلاة والسهر والدموع وقرع الصدر وسجود المطانيات والإتضاع والطاعة التي نمارسها في ابتداء جهاداتنا كفعل إماتة، كل هذه تُحسب على مستوى أعمال إماتة يتحول فيها الإنسان قليلاً قليلاً من حياة حسب مسرة الجسد إلى حياة حسب مسرة الروح، من استرضاء الذات إلى استرضاء وجه الله. أما الذين يترفعون عن إخضاع الجسد وقمعه فهؤلاء يغيب عنهم وجه الله دون أن يدروا: «**الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله**» (رو٨: ٨)، هكذا يقول القديس بولس. لماذا؟ لأنهم يسترضون أهواء قلوبهم وأجسادهم!

إذاً فالحيـاة في المسيح والقيامة مع المسيح ، برهانها مقدار التخلي عن ملذات الدنيا وأهواء الجسد الذي ينشىء الفرح القلبي والسلام الداخلي : «**لأن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام**» (رو٨ : ٦) . والفرح الروحي المنبثق من القيامة يستحيل أن ينبع في القلب و يدوم و ينمو إلا بقدر صلب الذات وقمع الشهوات ؛ فبقدر ما نموت للمسيح نحيا له !!

قدّم فعلاً ، تأخذ فعلاً . قدّم موتاً ، تأخذ حياةً . قدّم اتضاعاً ، تأخذ ارتفاعاً . إبذل ذاتك ، تأخذ حرية . أما إذا اكتفينا بالعبادة على مستوى الوعظ والكلام ــ مهما كان الكلام حتى وعلى مستوى الصلاة والتسبيح ــ بدون إماتة ذات فهو لا ينشىء فينا إلا قيامة نظرية وأفراحاً هوجاء .

إذاً فهدف كل أعمال الفضيلة والديانة والتقوى والعبادة ينتهي عند حد كلمة واحدة : إماتة الذات بالإرادة ، كحالة موت حقيقي للنفس ، بممارسة الحب على مستوى الخدمة والبذل .

كان يُحكى عن أنبا بيمين أنه إذا أتى إليه راهب كان يرسله إلى أنبا أنوب أخيه قائلاً : «إنه أكبر مني» ، وكل الذين يأتون إلى أنبا أنوب كان يرسلهم إلى أنبا بيمين قائلاً : «إذهبوا إلى أنبا بيمين أخي لأنه عنده نعمة هذه المواهب» ؛ فإذا كان أنبا يوسف حاضراً كان أنبا بيمين لا يتكلم أمامه(١) . هذه أنواع من قدرة التخلي عن الذات مهما كانت متسربلة بالفضائل ، فالتخلي عن الذات أسمى كل أنواع الفضائل لأنها الفضيلة التي تضمن الحياة بلا سقوط .

إذاً فسرُّ القيامة يكمن في عملية التحول المستمر من حياة حسب مسرة الجسد والذات لحياة حسب مسرة الروح . وذلك لا يتم إلا بدافع الحب وممارسة **الموت الإرادي** لنبلغ إلى قيامة الأموات : «**لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته لعلي أبلغ إلى قيامة**

(1) Apophthegmata Patrum, Syr. Ver. I, 474.

الأموات» (في٣: ١٠، ١١). هذا هو حمل الصليب والسير وراء المسيح: موت حقيقي للذات والعالم والجسد والأعضاء على الأرض، لبعث قيامة جديدة بالروح وتجديد بالذهن وتغيير عن شكل العالم، لبلوغ أقصى قدر من الحب الإلهي لخدمة الآخرين وتكميل عمل القديسين.

هنا قوة القيامة وفرحتها التي ننالها من الله وتسري في قلبنا أثناء أفعال الإماتة وبذل الذات، وهي بحد ذاتها سر قوة العالم الجديد الذي يدفعنا إلى مزيد من الإماتة لبلوغ مزيد من أسرار القيامة والحياة.

ويلزمنا أن نوضّح سر الفرح الناشىء من عمل الإماتة وبذل الذات، إذ أن ذلك يكون نابعاً من قوة الشركة في الموت مع المسيح: «لأن الموت الذي ماته (المسيح) قد ماته للخطية مرة واحدة» (رو٦: ١٠). فإن كنا نموت بإرادتنا عن الخطية مضحين بكل مكسب أو راحة أو لذة بل ومتقبلين كل ألم وخسارة، يكون هذا بعينه حالة مماثلة لصلب المسيح لأنه صلب جسده (إن جاز هذا التعبير) من أجل الخطية. فإن كنا نصلب الأهواء والشهوات بإرادتنا نكون قد جُزنا حالة شركة حقيقية مع المسيح في موته، وبذلك نُؤهَّل بالحقيقة لفرح القيامة والحياة معه كما تنص بقية الآية: «والحياة التي يحياها فيحياها لله، كذلك أنتم أيضاً **احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن (لكي تكونوا) أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا**» (رو٦: ١٠و١١).

إذن، إن كنا نجوز الآن الموت عن الأهواء والشهوات الجسدانية، نكون قد جُزنا الموت مع المسيح، وبالتالي نستحق أن تسكن روح القيامة في أجسادنا التي تجوز الموت كل يوم عن الخطية بمعاناة وألم ومخاض لا يقل عن مخاض الموت حتى تُستأهل لقيامة أفضل.

وهكذا إذ نستمد من المسيح إرادة الموت الإختياري بملء الحرية بالإيمان، نستمد منه في الحال وبالإيمان أيضاً استحقاق القيامة، التي ندخل بها مجال حرية أولاد الله لمتابعة الحياة الجديدة معه بأعضاء متألمة تجوز غصة الموت يومياً عن الشهوات؛ وبمؤازرة

نعمته الرحيمة تحيا مجدداً. وهذه هي قيمة عمل الصليب وعظمة الجهاد ضد الذات.

موت الرب قوة كفارية روحية أنشأت للإنسان فداءً دائماً أبدياً فعالاً، وفي المعمودية تحل علينا كنعمة مجانية، ثم يصبح علينا بعد ذلك أن نمارسها ونطبقها في كل أيام حياتنا بالإيمان مقابل كل الخطايا والأهواء والشهوات الجسدية والعالمية التي تداهم أجسادنا الترابية المنعطفة نحوها، ولكننا أُعطينا نفس غلبة المسيح عليها، لأنه مات عن الخطية بإرادته ليعطينا قدرة الخلاص منها.

وأما قوة قيامة الرب فهي بهجة الحياة الجديدة التي ليست من هذا الدهر، ونحن ننالها بالروح القدس بعد قبول شركة الموت مع المسيح بالدفن معه في الماء، وتحل علينا كنعمة مجانية تُعطى للمعتمد بعد خروجه من الماء بدهن الزيت ووضع اليد.

وهكذا نجد أن سر القيامة يعمل فينا مع سر الموت بالمعمودية جنباً إلى جنب؛ ولذلك تكون شركة الموت مع المسيح هي أساساً موضوعة لشركة القيامة والحياة معه، فقوة الواحدة تكمّل الأخرى، لأنه بقدر ما نموت نحيا وبقدر ما نحيا نموت. والموت والقيامة في المسيح هما في الحقيقة فعل واحد مزدوج القوة والتأثير نستوعبه على ثلاث مراحل: مرحلة الإيمان، ومرحلة الأسرار، ومرحلة التطبيق العملي.

فبالإيمان: نحن نعلم تماماً أننا بالصليب قبلنا جميعاً، وعلى مستوى عام لكل العالم، الموت والقيامة مع المسيح كهبة مجانية وكنعمة بلا أي ثمن أو جهاد أو سؤال أو صلاة أو معرفة مسبقة: «لأنه ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت إبنه» (رو٥: ١٠)، «لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو٥: ٨)، «لأنكم قد متّم وحياتكم منستترة مع المسيح في الله» (كو٣: ٣).

وبالأسرار: نأخذ قوة هذا الموت وقوة هذه الحياة كعطية شخصية تسليمية، تميت وتحيي بالفعل السرّي: «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدُفنّا معه بالمعمودية **للموت** حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب **هكذا نسلك** نحن أيضاً **في جدة الحياة**» (رو٦: ٣و٤)، «لقد سُقينا روحاً واحداً» (١كو١٢: ١٣).

وبالتطبيق: نجاهد كل يوم بالإيمان والنعمة التي نلناها: «**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**» (غل٥: ٢٤)، «**كذلك أنتم أيضاً إحسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا**» (رو٦: ١١).

فرحة القيامة قوة روحية ألغت الخوف من الموت إلى الأبد،
وأسست بدلاً منه انتظار المجد الآتي وفداء الأجساد.

لقد كانت الخطية أصل الموت، والموت هو الذي أنشأ الخوف والرعب في قلب الإنسان حتى صار أسيراً وعبداً للخوف من الموت كل أيام حياته، ولكن انتصرت نعمة الله بالمسيح على الخطية والموت، فصارت القيامة منبعاً للفرح وللحياة الأبدية. وأما الحياة الجديدة فلأنها غير مائتة فقد تحررت من خوف الموت إلى الأبد: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيها **لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت** أي إبليس، **ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**» (عب٢: ١٤و١٥).

والقيامة وقدرتها على إلغاء الخطية والموت والخوف من الموت وبعث البهجة والفرح حققها المسيح كقوة فعّالة يمكن أن تدخل طبيعتنا فتغير كل شيء: «جاء يسوع ووقف في الوسط وقال لهم سلام لكم، ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب (مُقاماً)» (يو٢٠: ١٩و٢٠).

فالحقيقة التي ينبغي أن تشرق في قلوبنا مع فرحة القيامة التي صارت نعمة مجانية لنا، أننا لن نذوق الموت بصورته المخيفة المرعبة الأولى باعتباره عقوبة الخطية وثمرتها الحزينة. فهذا الموت ذاقه المسيح بنعمة الله من أجل كل واحد، حتى لا نعود نذوقه على الإطلاق: «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة **من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد**» (عب٢: ٩). إذاً فقد ذاق المسيح هذا الموت عنا مرة واحدة، ولن يسود عليه ولا علينا بعد ذلك إلى الأبد: «أين شوكتك يا موت، أين غلبتكِ يا هاوية!» (١كو١٥: ٥٥)، فلا يموت فينا بعد

ذلك إلا جسد الخطيئة الذي نستودعه القبر بإرادتنا ؛ وتنطلق النفس من فوق القبر في نصرة فائقة وفي مجد القيامة الذي لا يوصف وفي حضرة ملائكة لتكمل حظها ونصيبها السعيد في شركة الحياة الأبدية مع المسيح ؛ وتبقى النفس مع المسيح في سعادة القيامة تنتظر في ثقة و يقين فداء الأجساد جميعاً حينما يلبس الفاسد عدم فساد في مجيء الرب الذي سيغير شكل جسد تواضعنا الذي انحل في التراب ليصبح على صورة جسد مجده القائم من الأموات، وكما لبسنا سابقاً الجسم الترابي نلبس من جديد الجسم السماوي الذي لا سلطان للموت والألم عليه فيما بعد.

إذاً أين الخوف من الموت بعد الآن لأولاد المسيح، والموت قد أُلغي كعقوبة؟ فالقبر لا يمثل لنا إلا مستودعاً لجسد الخطيئة تمهيداً لإعادة قيامته هو الآخر ليشترك في مجد الروح!! «نحن الذين لنا باكورة الروح (بالمسيح القائم من الأموات كبكر القيامة) نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا **متوقعين التبني فداء أجسادنا**» (رو٨: ٢٣).

أما القيامة فتعمل فينا الآن بنعمة المسيح بواسطة الكلمة والصلاة والبذل في عمق الفرح والرجاء الثابت الذي لا يتزعزع بشخص المسيح «الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» (١بط ١: ٨). فلنا بملء الثقة أن نقول مع بولس الرسول: «أين شوكتك يا موت، أين غلبتكِ يا هاوية»!! لأننا متنا مع المسيح مرة واحدة ولن يسود علينا الموت بعد إلى الأبد، بل تسودنا النعمة وتقودنا من مجد إلى مجد في ملء الحياة المستترة مع المسيح في الله. وليس ذلك فقط بل إن الحب الذي ينبثق من فرحة القيامة بعد أن يكمل قدرته في التغلب على الخوف من الموت يمتد بنا في رجاء وفي ترقُّب مستمر لاستعلان مجيء المسيح لننال بقية حظنا ونصيبنا في القيامة المتبقي الذي نأخذه عند ظهوره «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ٤).

وهكذا نعيش لا بعيون جزعة ترتعب من رؤية المقابر فيما بعد، بل بعيون شاخصة إلى السماء كل يوم يغشاها الفرح بالآتي من وراء الألم والحزن الحاضر، تنتظر بفارغ الصبر

مجيء المخلِّص: «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً **ننتظر مخلِّصاً** هو الرب يسوع المسيح، الذي **سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة مجده** بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢٠، ٢١).

قوة القيامة استعلان لمنتهى قوة الله وشدة نصرته
على أضعف ما عند الإنسان وهو الموت:

إذا استطعنا في نور المسيح أن نواجه حقيقة الموت بالنسبة لنا الآن على ضوء ما أكمله المسيح على الصليب وفي القبر وفي ثالث يوم، نرى أن الموت هو الحادثة العظيمة والنهائية التي سيُستعلن لنا فيها أعظم وأقوى أعمال الله بالنسبة لنا!! إذ سنواجه بالموت التحام قوة الله فينا بصورة حسِّية روحية، فنرتفع في الحال فوق الجسد بكل ما يحمله من ترسُّبات الماضي الحزين من الألم والضعف والسقوط والخطيئة والفساد، فتدخل النفس في دائرة ضوء الإبتهاج الإلهي لتحيا في مجال نصرة مَنْ غلب الخطيئة والموت والهاوية وأُعطي كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض، بعيداً عن ماضيها الحزين، وتشترك في الحال مع خورس المرنمين، وتمارس حقها في فرح الأبدية الذي بلا نهاية.

وهكذا تكون قد تفاضلت رحمة الله علينا جداً وانسكبت أحشاء محبته فينا؛ عندما قاد إبنه الوحيد من ألم إلى ألم، ومن إهانة إلى ظلم، ومن جحود إلى حكم، ومن صلب إلى قبر حتى انتهى إلى آخر مراحل ضعف الإنسان وبلغ به قمة الهوان والمذلة وهو الموت؛ لأنه كان يذخِّر لنا في موت إبنه قيامة أبدية وقوة حياة لا تزول: «كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، **مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا** ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، **وما هي عظمة قدرته الفائقة** ,,**نحونا**،، نحن المؤمنين حسب **عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح** ,,**إذ أقامه من الأموات**،، وأجلسه عن يمينه في السماويات... وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده» (أف١: ١٧—٢٣).

أي أن قيامة المسيح من الأموات هي تعبير عملي عن عظمة قدرة الله الفائقة التي أراد

بها أن يوضح محبته نحونا في كيف دبَّر لنا القيامة والحياة في شخص يسوع المسيح: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو١٧: ٢٢).

هذا هو مجد القيامة الذي أشرق لنا كأعظم قدرة لله أُظهرت نحونا حيث تلتحم فينا وفي أضعف ما ينتهي إليه الإنسان من الذلة والهوان حينما يسقط على الأرض ميتاً. هنا وفي الموت يلتحم بنا سر المسيح ليرفع الروح إلى ذروة المجد الإلهي، حينما يجد الإنسان نفسه في لحظة فوق التراب كسهم من نور ينطلق إلى أعلى السموات ليكون حيث يكون المسيح في مجده الأبدي. □

(١٩٧١)



القيامة والعمل الروحي بالنسبة للخليقة الجديدة

+ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١٠).

يلاحظ من هذه الآية، وبحسب موضعها في الرسالة، أن العمل الصالح هنا هو هاجس الخليقة الجديدة وشغلها الشاغل؛ وليس هو الواسطة أو الوسيلة التي تؤدي إلى الخليقة الجديدة. ومع أن طبيعة الخليقة الجديدة التي صارت لنا بالقيامة هي من عمل النعمة المحض، ولم تستلزم منا عملاً مسبقاً ولا حتى سؤالاً أو صلاة، إذ أنها أُعطيت لنا كهبة عامة ونحن مغروسون بالجهالة في صميم الخطية والتعدي، إلا أننا بمجرد أن نحصل على هذه الخليقة الجديدة وندخل في مجالها الحي نطالَب في الحال بالأعمال اللائقة بها:

+ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين نحن أيضاً جميعاً تصرّفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً؛ الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلَّصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليُظهِر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع، لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم، هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد، لأننا نحن عمله

مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لكي نسلك فيها» (أف ٢: ١-١٠).

و يلاحظ من الآية الأخيرة أن الأعمال المفروض أن نسلك فيها هي أعمال تتبع منهجاً خاصاً سبق الله فأعدّه وأوصى به في الإنجيل، فهي ليست تبع هوى كل إنسان، وإنما تتبع ترتيباً أو تدبيراً خاصاً تستطيع الكنيسة أن تقدمه بالروح حسب قياس قامة كل إنسان في النعمة.

على أن مجموع هذه الأعمال الصالحة تهدف لغاية واحدة هي ذات أهمية عظمى تتعلق بموقف الإنسان الجديد المولود من الله بالنسبة للحياة الجديدة أو روح القيامة التي نالها؛ فكل الأعمال الصالحة تنصبُّ مباشرة في الشهادة لهذه الحياة في هذا الدهر، وتعمل لإستعلانها كنور للسائرين في الظلمة ولتمجيد الله الخالق والمعطي لها.

فالخليقة الجديدة إن كان سمح لها الله أن تعمل في الزمان الحاضر وفي هذا الدهر، مع أنها ليست من طبيعة هذا الزمان ولا تتناسب مع هذا الدهر، فذلك لكي تكون شهادة دائمة على موت الرب وقيامته، لأنها في الحقيقة فوق مستوى فكر هذا الدهر. لذلك أصبح من الضروري الإعلان الدائم عن صدق مواعيد الله التي تمت في صميم الزمان بشهادة مسنودة ببرهان الروح والقوة. فالإنسان الجديد مخلوق أساساً للشهادة، والشهادة بالروح هي بحد ذاتها عمل صالح «مخلوقين لأعمال صالحة»؛ بحيث لو كفَّ الإنسان الجديد عن الشهادة لملكوت الله وحياة الدهر الآتي بسيرته وسلوكه، يصبح وكأنه يلغي وجوده الروحي أو يطمر وزنته في التراب إذ يتجاهل ميراثه الأبدي، العلة التي من أجلها خُلق و يعيش ليشهد لها كل يوم، لأنه «إن كنا أولاداً فإننا ورثةٌ، ورثة لله و وارثون مع المسيح» (رو٨: ١٧).

وهذا المنهج الحتمي للأعمال الصالحة الهادفة في النهاية لتمجيد الله والمفروضة على الإنسان الجديد القائم من الأموات مع المسيح هو في الحقيقة مطابق تماماً لمنهج المسيح

نفسه، فالمسيح قام من الأموات بمجد الآب ولتمجيد الآب في نفس الوقت: «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب **هكذا** نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة» (رو٦: ٤)، أي نسلك في الحياة الجديدة كقائمين من الأموات، شهادة لمجد الآب. «أنا مجدتك على الأرض» (يو١٧: ٤)، «أنا أظهرت إسمك للناس» (يو١٧: ٦).

ولكي يتضح أكثر هذا المنهج العملي المفروض على القائمين في جدة الحياة، يعود القديس بولس الرسول و ينبهنا إلى أن المسيح نفسه إنما يحيا الآن لله، وهكذا ينبغي أن تكون حياتنا نحن أيضاً لله: «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، **والحياة التي يحياها فيحياها لله**، كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية **ولكن أحياءً لله** بالمسيح يسوع ربنا» (رو٦: ١٠و١١)، أي أن هدف الحياة الجديدة هو الشهادة لتمجيد الآب.

وهكذا يتحدد أمامنا أكثر الهدف من الأعمال الصالحة بالنسبة للإنسان الجديد القائم من الأموات بسر المسيح، فسواء كان عمل أو فكر أو إرادة أو نية «**فافعلوا كل شيء لمجد الله**» (١كو١٠: ٣١). فكما أن المسيح بعد القيامة **هو «لمجد الله الآب»**، هكذا كل من كان في المسيح كخليقة جديدة هو كله لمجد الله الآب.

وهذا الهدف المحدد من المنهج العملي المفروض على الخليقة الجديدة التي نالت القدرة على العمل الصالح بقيامة المسيح من الأموات، و بانسكاب روح القيامة الذي هو روح القداسة والتجديد، إنما يردُّ رداً واضحاً صريحاً على عجز الخليقة الأولى العتيقة التي عجزت تماماً عن إتمام أي عمل صالح لتمجيد الله، وكانت سبب تجديف وإساءة لإسم الله العظيم.

فالآن أصبحت وظيفة الخليقة الجديدة هامة وخطيرة بالنسبة لما أخفقت فيه الخليقة العتيقة التي تسببت في فضيحة الإنسان وإهانة الله وتشو يه صورته التي وهبها لنا بالخلقة، لذلك أصبحت المسئولية الملقاة على إنسان الله الجديد المولود من فوق والحامل لطبيعة

الخليقة الجديدة مسئولية عظمى لإعادة العلاقات الصالحة مع الله وإعادة كرامة صورته إلى وضعها الأكمل، وذلك تجاه نفسه وتجاه الله، وتجاه الآخرين أيضاً.

فأولاً: تجاه نفسه: فهو بعمله الصالح إنما يرد أولاً على ما عمله من الشرور التي تسببت في تشويه صورة الله التي فيه من جهة تلوث الفكر والإرادة والضمير والجسد؛ فأصبح العمل الصالح بمثابة إعادة صورة الله الصحيحة في الإنسان الجديد «المخلوق بحسب الله، على صورة خالقه» (أف ٤: ٢٤، كو٣: ١٠)، «أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو للطاعة للبر، فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها، وإذ أُعتقتم من الخطية صرتم عبيداً للبر، أتكلم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم، لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة» (رو٦: ١٦-١٩).

وثانياً: تجاه الله: فهو بعمله الصالح، إنما يمجد الله، بينما بتعدّيه وجهالته السابقة في طبيعته العتيقة كان سبباً في التجديف على اسم القدوس: «**لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات**» (مت٥: ١٦). هنا العمل الصالح يدخل صميمياً في مفهوم الصلاة والخدمة الروحية والتسبيح العلني لتمجيد الله، حيث يأخذ الإنسان الجديد بأعماله الصالحة مكانة ثابتة وسط صفوف الخدام السمائيين المنوط بهم خدمة العلي وتمجيد اسمه القدوس، وهذه غاية من غايات الخلقة الجديدة.

وثالثاً: تجاه الآخرين: وأخيراً فإن العمل الصالح للخليقة الجديدة هو في صميمه موجه نحو الآخرين، وهو بمثابة كرازة بالعهد الجديد، و بشارة بالقيامة، وإظهار لفعلها المجدِّد المفرح الذي دخل كيان الطبيعة البشرية فأعاد خلقتها، ونقلها من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن الله؛ ولسان حال كل من يشهد للقيامة من نحو الآخرين هو: «لأخبر بفضل الذي دعاني من الظلمة إلى نوره العجيب» (١بط ٢: ٩)، حيث تهدف أعمال الإنسان الجديد ليس لإرضاء ذاته بل الآخرين في وجه يسوع المسيح الذي لم يُرضِ ذاته قط بل الآب من أجلنا. وهذا في الواقع لا يحتاج إلى إقناع أو اجتهاد ذاتى، بل إن كل

من يدخل بهجة القيامة و يذوق صلاح الرب وتستنير عيون قلبه بمعرفة محبة المسيح و يعيش أفراح حياة الدهر الآتي لا يمكن أن يسكت لأنها تصير كنار في عظامه!!

ماهية العمل الصالح بالنسبة للإنسان الجديد القائم مع المسيح:

العمل الصالح بالنسبة للإنسان العتيق أمر شاق عسير و يكاد يكون مستحيلاً، فمهما جاهد الإنسان في طبيعته العتيقة فلن يكون عمله الصالح أكثر من مقاومة مريرة ضد الخطية ودوافعها الشريرة، أو مجرد أعمال ظاهرية لا تتعدى أثر الجسد أو النفس: «يقدس إلى طهارة الجسد!!» (عب٩: ١٣).

أما بالنسبة للإنسان الجديد فالعمل الصالح يتعدى الوجه السلبي للجهاد ضد الخطيئة ليشمل خدمة البر والقداسة، أو بعبارة إنجيلية ليس هو «خلع الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور» «مع أعماله» (أف٤: ٢٢، كو٣: ٩) الذي هو مجرد تسديد ديون باهظة تورط فيها الإنسان بسبب الجهالة وغرور الذات، ولكن العمل الصالح يتجاوز الخلع إلى اللبس: «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ١٠).

المعرفة الكاملة للمسيح كأساس العمل الصالح للإنسان الجديد:

لا ينبغي أن نفصل المعرفة وحدها ونشرح صلتها بالقيامة، لأنه لا توجد معرفة صالحة صادقة بدون عمل حتى ولا عند الملائكة.

إن المعرفة الروحية بحسب الخليقة الجديدة أو العهد الجديد هي معرفة موهوبة وليست مكتسبة من الخبرة الشخصية، وهذه هي طبيعة الحق، فالحق الإلهي هبة مُنحت للإنسان الجديد: «ولبستم الجديد الذي **يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو٣: ١٠)، حيث «المعرفة» هي في الأصل اليوناني تحمل معنى كمال المعرفة الحقة!! ومعنى ذلك أن يصير الإنسان الجديد أكثر فأكثر على صورة خالقه إنما بقدر يتجدد كل يوم بواسطة المعرفة الجديدة الخاصة بالمسيح الذي هو النموذج الكامل الأعلى لصورة الله التي استُعلنت لنا

جهاراً.

وهنا يمكن المماثلة النظرية مع الخلقة العتيقة؛ فكما خلق الله الإنسان على صورته أولاً فشوهها الإنسان بالخطيئة حتى لم تعد للإنسان ملامح البر أو القداسة أو الحق، هكذا عاد الله وأعاد خلقة الإنسان روحياً على أساس البر والقداسة والحق في شخص يسوع المسيح الذي هو باكورة الخليقة الجديدة ورأس الإنسان الجديد الحامل لصورة الله الجوهرية في الإنسان بمجدٍ وإعجاز بسر الكمال الفائق الذي لا يُنطق به!!

و بذلك تصبح معرفة المسيح هي اللبن العقلي الذي نغتذي به فننمو حتى نصل إلى أن يتصور المسيح فينا الذي هو صورة الله. ولكن يعلمنا بطرس الرسول أن المعرفة لا تنمي الإنسان الجديد إلا إذا كانت خالية من كل غش، حيث الغش هنا ينصب على المعرفة العتيقة، وهنا التركيز قائم على جدة المعرفة أو المعرفة الجديدة الخالية من كل شوائب فكر الإنسان العتيق التي كانت ترتكز على **مهارة وجهد الذات الإنسانية** وخداعها المضلل سواء بالخطية أو العلم الكاذب الإسم، حيث المعرفة الجديدة تكون صادقة وحقة بقدر تطابقها على المسيح وروح القيامة، لذلك يتحتم أن تكون مستمدة من الروح القدس والإنجيل «**يأخذ مما لي ويخبركم**» (يو١٦: ١٤)!!

+ «فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمَّة (هنا خلع الإنسان العتيق مع أعماله المنبثقة من الذات الخادعة، و يلاحظ أنها كلها **صفات عقلية شريرة**)، وكأطفال مولودين الآن (بقيامة المسيح) **اشتهوا** (الإرادة الجديدة التي تستمد شهوتها من بر المسيح وليس من لذة الخطيئة) اللبن **العقلي** (أي الكلمة = أي معرفة المسيح) **العديم الغش لكي تنموبه** إن كنتم **قد ذقتم** أن الرب **صالح**» (١بط ٢: ١-٣).

و يلاحظ هنا أن مضمون كلمة «كأطفال» يشير إلى أن المعرفة ليست من نوع المهارة الذاتية أو الجهد الفني الشخصي، إنما مجرد عطش وطلب ودموع واشتهاء كاشتهاء الطفل للبن أمه. وهنا بطرس الرسول يتفق تماماً مع بولس الرسول في أن الخليقة الجديدة تنمو وتتجدد بالمعرفة الحقة الكاملة للمسيح التي هي بمثابة طعام الحق عديم الغش (أي

الخالية من غرور الذات والخطيئة)... وهنا تصبح كل معرفة جديدة صادقة للمسيح مستمدة من الكلمة هي بمثابة نمو للإنسان الجديد، وتجديد متواصل لصورة الله فيه!!

هنا معرفة المسيح هي غذاء سري لقلب الإنسان الجديد وضميره وعقله ينمو به كل يوم و يتحرك و يفكر و يسلك، فتزداد شهوة الإنسان إلى العمل الصالح «**اشتهوا** اللبن العقلي» بقدر **مذاقة صلاح** المسيح «إن كنتم قد **ذقتم** أن الرب **صالح**». هنا المعرفة الروحية ترتفع إلى مستوى التذوق للحق كالأكل والشرب بالنسبة للروح!!!

تجدُّد المعرفة الحقيقية وتغيرها من مجد إلى مجد صفة أساسية:

التجدد والتغير من مجد إلى مجد من أهم خصائص المعرفة الروحية الصادقة، فالمعرفة الكاذبة ينسخ بعضها الآخر:

أ ــ أما صفة التجدد المستمر: «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة» (كو٣: ١٠) فهي ضرورية حتمية بسبب الإحتكاك المتواصل بالجسد العتيق والمعرفة الغاشة التي تؤثر في المعرفة الروحية للمسيح فتضعفها وتؤذيها وتطمس نورها، إما بالخطيئة التي تتربص دائماً بفكر الإنسان، وإما بالمعرفة الكاذبة الإسم التي تتطاول على معرفة الروح وتنسب إليها العجز والقصور باطلاً.

ب ــ أما صفة قبول التغير المستمر: فناتج أصلاً من ديمومة وامتداد الحق الإلهي ولانهائية كمال المسيح «المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم...» (كو٢: ٣) (إقرأ الأصحاح الثاني من رسالة كولوسي لأنه في غاية الأهمية هنا).

ولأن «معرفة محبة المسيح فائقة المعرفة» بالنسبة للإنسان وستظل كذلك حتى بعد العبور الكامل للحياة الأخرى، لذلك أصبح التغير من مجد إلى مجد صفة حتمية في النظر العقلي أو التطلع الروحي بالرؤيا العقلية لمجد المسيح: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الجهالة الذي تضعه الخطية على العقل فتطمس نوره)» (٢كو٣: ١٨).

من المعرفة الصادقة إلى العمل الإيجابي الصالح:

+ «**فكما قبلتم المسيح** يسوع الرب **اسلكوا فيه**، متأصّلين ومبنيين **فيه**، وموطّدين في الإيمان كما عُلِّمتم متفاضلين فيه بالشكر...» (كو٢: ٦و٧).

إذا قبلنا المسيح قبولاً روحياً كاملاً واستضاءت معرفتنا به عن طريق الكلمة بالإنجيل نجد أن المعرفة تولّد إيماناً وطيداً مساوياً للمعرفة الصادقة (لأن المعرفة هنا هي في حقيقتها صلة سرية شخصية بالروح القدس، كنتيجة للشركة)، وحينئذ يبدأ العمل الصالح **بدفع الإيمان** كقوة منبثقة من مصدر سري داخلي لا ينضب، وكحرارة منبعثة من مصدر داخلي تتجدد كل يوم بالمعرفة أي بالكلمة.

لذلك بعد أن نوفي المعرفة الحقة كل واجباتها، أي نكون على مستوى الشركة السرية مع المسيح «الحق» بالحب الشخصي والصلاة، نستطيع أن نؤهّل للعمل الصالح بدفع يقينية الشركة هذه وثقة الصلة الروحية المستمدة من المسيح بالإنجيل.

ويمكننا تقسيم العمل الصالح إلى قسمين كبيرين يلتحمان معاً في النهاية ليكوّنا عملاً واحداً منسجماً:

القسم الأول: ويشمل جميع الأعمال الصالحة المفروض علينا تأديتها والسلوك فيها، لتجمعنا معاً نحن المؤمنين كل المؤمنين لنكون جسداً واحداً وروحاً واحداً حتى نصبح أهلاً للإتحاد بجسم المسيح.

القسم الثاني: ويشمل جميع الأعمال الصالحة التي يقدمها لنا الله كوسائط أو كأعمال نعمة مملوءة بالأسرار لتجمعنا وتوحدنا بالمسيح.

أولاً: القسم الأول: العمل الصالح كجهد مبذول من جهة الإنسان لتكوين الوحدة المفروضة بين المؤمنين:

وقبل أن نشرح هذا الإتجاه من الأعمال الصالحة يلزم أن نعلم أولاً أن هذه الأعمال المفروض علينا تكميلها ــ بهدف تكميل الوحدة أو الإتحاد معاً لنكون جسداً واحداً وروحاً

واحداً حسب تعبير بولس الرسول ـ هي مبنية أساساً على صفات وخواص ومواهب ممنوحة من الله للخليقة الجديدة، ومغروسة في صميم طبيعتها، أي أن الأعمال الصالحة المفروض علينا تكميلها والسلوك فيها سبق الله وأعدّ لنا مستلزماتها المفروضة، وشق لنا مسالكها في طبيعتنا الجديدة؛ لذلك أصبحت **أولاً**: مفروضة علينا، **وثانياً**: إذا أكملناها لا نُعتبر ذوي فضل، لأن كل إلهاماتها وقوتها ودوافعها موضوعة فينا بالروح القدس لتكون من صميم خلقتنا، **وثالثاً**: أصبح من الضروري أن نكمل واجباتها أولاً قبل أن نستحق ممارسة القسم الثاني السري من الأعمال الصالحة الممنوحة لنا بالنعمة من داخل الأسرار.

وهنا يتضح أمامنا عمق الصلة بين المعرفة والعمل وذلك بالنسبة للخليقة الجديدة المهيأة للحياة الروحية السرية مع المسيح، لأن كل عطية يعطيها المسيح وكل موهبة روحية يمنحها لنا بالروح القدس في حياتنا الجديدة أو في إنساننا الجديد؛ فهي حتماً تكون حسب قياس معين ومحدد يتناسب تناسباً دقيقاً غاية الدقة مع إمكانية وضرورة وكيفية اتحادنا بالآخرين لصالح الوحدة النهائية اللازمة والمحتمة بالنسبة لجميع المفديين والمخلّصين، أي أن أساس جميع المواهب والعطايا الروحية التي يمنحها المسيح لنا هي لكي تؤهلنا لوحدة كاملة متكاملة مع الآخرين أولاً ثم مع المسيح بالتالي كجسد واحد بمعنى الكلمة!! (١).

لذلك أصبحت الطبيعة الإيجابية للعمل الصالح بالنسبة للإنسان الجديد محددة أمام عيوننا تحديداً لا مفر منه، وهو أن العمل لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُحسب عملاً صالحاً بالنسبة للخليقة الجديدة أو في ضوء القيامة إلا إذا كان لحساب الوحدة ومنتهياً إليها: **الوحدة التي تجمعنا معاً، ثم الوحدة التي تجمعنا مع المسيح**. وبذلك يصبح قول بولس الرسول لأهل أفسس ذا قيمة كبيرة لنا في هذا المجال:

+ «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها. بكل

(١) إقرأ هنا أفسس ٤ عدد ١ ـ ٧ ثم مباشرة ١٠ ـ ١٣ فهي في غاية الجمال.

تواضع ووداعة و بطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة. إله وآب واحد للكل الذي على الكل و بالكل وفي كلّكم. ولكن لكل واحد منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (أف ٤: ١ـ٧).

إذاً هذه هي روح العهد الجديد أو روح الدعوة الجديدة لكل إنسان في المسيح. وهذه هي روح العمل الصالح للخليقة الجديدة التي تعمل لحساب النهاية الواحدة السعيدة.

ثانياً: القسم الثاني: العمل الصالح كنعمة ممنوحة مجاناً من الله:

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل، وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح... الذي منه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصلٍ حسب عملٍ على قياس كل جزءٍ يُحَصِّل نمو الجسد لبنيانه في المحبة» (أف ٤: ١٠ـ١٦).

الحياة الأرثوذكسية داخل الكنيسة، حينما يجتمع الشعب كله مع الإكليروس في وحدة الصلاة والتسبيح والشكر، تعتبر استعلاناً لحالة الوحدة المستقبلة تُعاش الآن زمنياً، أي أن وحدة الكنيسة الآن هي في جامعيتها المتحدة بالصلاة هي أصلاً شركة مواهب بالروح تمارس العمل الصالح حسب قياس الموهبة الصالحة الممنوحة لكل إنسان في المسيح كطبيعة الخليقة الجديدة وللكنيسة كلها، حيث كل واحد يعمل للبنيان حسب الموهبة التي منحه الله. وهكذا فإن العبادة العامة تضمن بكل ثقة ويقين نمو بنيان الكنيسة لحساب الملكوت على أساس تعدد المواهب التي تعمل لوحدة كل إنسان في جسد

المسيح!! العبادة الأرثوذكسية هنا هي شركة مواهب تعمل لسر الخلاص، عمل المواهب هنا هو عمل الصلاح الفائق الذي هو تاج كل الأعمال طراً.

لذلك يلزم أن لا ننسى أبداً أن الموهبة هي أساس العمل الصالح للخليقة الجديدة. و يقول الرسول أيضاً: «لكي يخلق الإثنين في نفسه (شركة) إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً (العمل الصالح)» (أف ٢: ١٥). وبهذا المعنى يتحول مفهوم العبادة والصلاة والتسبيح إلى مفهوم العمل الصالح، باعتبارها أعمالاً جماعية تعمل بوحي المسيح بروح واحد لمجد الله، لتخدم معنى الوحدة. وبهذا تكون كل أعمال العبادة من ذات طبيعة الخليقة الجديدة وكعمل أساسي لها لقيام ودوام وتثبيت وحدة المؤمنين في جسد واحد بالمسيح الرأس منذ الآن!!

+ «امتلئوا بالروح، مكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب، شاكرين كل حين على كل شيء في إسم ربنا يسوع المسيح لله والآب، خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله» (أف ٥: ١٨-٢١). وهنا تظهر هذه الأعمال التي هي في صميم العبادة وترتيبها أنها أعمال موحاة من الروح القدس ونتيجة مباشرة للإمتلاء منه سبق الله فأعدها لنسلك فيها، وهنا يلزمنا أن نشرح أكثر كلمة «نسلك فيها»، فكلمة περιπατέω في الأصل اليوناني تفيد أن ينظم الإنسان نفسه بمقتضاها، أن يقود الإنسان نفسه فيها، أن يحدد الإنسان سلوكه بحسب أصولها؛ وكلها تفيد معنىً واضحاً دقيقاً يمكن جمعه هكذا: إن الله سبق فرتب لنا أعمالاً روحية تتناسب مع صلاحه ومع طبيعتنا الجديدة التي نأخذها من المسيح بالروح القدس، وتتناسب مع مواهب الروح التي سكبها و يسكبها علينا حتى نمارس هذه الأعمال (العبادة) على الدوام، حتى تصبح سلوكاً محدداً وحياة متوافقة وخاضعة بسرور لمشيئة الله وتدبيره؛ وهذا ليس حسب هوى نفوسنا وذواتنا، لذلك يلزم فيها من جهة الجسد عملية القمع والضبط والخضوع حتى تصير الطبيعة الروحية غالبة والعبادة الصالحة هي السائدة كما سنرى في العمل الصالح من الوجهة السلبية الأخرى تجاه الخطايا والجسد.

إن قمة أعمال العبادة التي يمارسها المؤمنون معاً، كجماعة متحدة و بنفس الوقت كأفراد، لتخدم طبيعة الوحدة وتعلنها وتنشطها بصورة دائمة هي سر الإفخارستيا، حيث يجتمع الجميع كجسد واحد و بروح واحدة حول جسد واحد وروح واحد، وإذ يأكلون الجسد الواحد بروح الفرح والمحبة يصيرون بسر المسيح القائم من الأموات جسداً واحداً فعلاً وكنيسة واحدة قائمة من الأموات. وبهذا يُعتبر سر الإفخارستيا قمة الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدها ورتبها **لنسلك فيها**، أو بحسب التعبير اليوناني أن ينظم الإنسان نفسه بمقتضاها، و يقود نفسه بحسب ما يتضمنه من معنى مستخلصاً منه قوة لسلوكه في الوحدة التي يقوم عليها سر الإفخارستيا بالدرجة الأولى: «كأس البركة التي نباركها أليست هي **شركة دم المسيح**؟ الخبز الذي نكسره أليس هو **شركة جسد المسيح**؟ فإننا نحن **الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد**» (١كو١٠: ١٦و١٧)، هنا **سر الشركة** إسم على مسمى، دخول فعلي في حياة جديدة مثل سر الشكر تماماً.

وبهذا يعتبر سر الإفخارستيا هو استعلان سر الملء أو سر الوحدة للخليقة الجديدة، حيث يجتمع الكل في جسد واحد حي هو جسد المسيح المقام من الأموات، فهو استعلان سر الخلاص النهائي للبشرية كلها حينما يجمع المسيح كل شيء في نفسه: «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، وهو رأس الجسد الكنيسة... لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملء» (كو١: ١٧ــ١٩).

و بالنهاية تكون جميع ثمار الأعمال الصالحة التي نقدمها لله هي في حقيقتها متاجرة رابحة، أو الربح الناتج من المتاجرة بالمواهب الممنوحة للطبيعة الجديدة التي وُلدنا بها ثانية بقيامة المسيح. والله إذ يتقبل منا هذا الربح الناتج من وزناته يرده إلينا على هيئة فيض نعمة، انسكاب بركة ومحبة: «**الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون** في الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو٥: ١٧). ولكن هذا الفيض الإضافي من النعمة يدفع الإنسان الجديد لمزيد من العمل والشهادة والبذل، وهكذا يختمر العالم كله بخمائر

صغيرة من مواهب الله المنسكبة على الخليقة الجديدة.

والأعمال الصالحة المفروضة علينا كخليقة جديدة في المسيح يسوع لكي نؤديها بحسب ما أعطانا المسيح من مواهب، أو على حد تعبير بولس الرسول: «فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد... قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١ كو١٢: ٤و١١)، فتنقسم هي أيضاً إلى نوعين من الأعمال يلتحمان معاً في النهاية و يصيران عملاً واحداً يهدف إلى وحدة المؤمنين:

النوع الأول: يشمل الأعمال السلبية التي نشهرها كأسلحة جديدة تُسلحنا بها طبيعتنا الجديدة لنقاوم بها طباعنا وأخلاقنا وسلوكنا التي للإنسان العتيق الذي كانت تتحكم فيه الخطايا والأهواء وشهوات الغرور.

والنوع الثاني: يشمل الأعمال الإيجابية التي تظهر كطباع أو أخلاق أو فضائل أو مميزات الإنسان الجديد الملهم بالنعمة التي هي أصلاً صفات وأفكار المسيح فينا.

وقد شدَّد المنهج الإنجيلي على حتمية البدء بالأعمال السلبية ضد الإنسان العتيق.

أولاً: النوع الأول السلبي:

الأعمال السلبية المفروضة علينا كجهد مبذول من جهتنا كخليقة جديدة ضد سلوكنا القديم:

هذا النوع يعتبر في طبيعته جهداً سلبياً موجهاً ضد الإنسان العتيق وأخلاقه، الذي كانت الخطايا تتسلط عليه سابقاً.

أسبقية الجهاد السلبي:

هذا الجهاد السلبي وإن كان يمشي جنباً إلى جنب مع الجهاد الإيجابي أي إظهار صفات الإنسان الجديد، إلا أنه يتحتم أن يتم الجهاد السلبي أولاً، وهذا يوضحه بولس الرسول باختصار في قوله:

١ ــ «هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم (وهي ساعة قبولنا

الحياة الجديدة بكل حرارتها ومعرفتها وقوتها وغيرتها)، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا، قد تناهى الليل وتقارب النهار (ليل جهالة الخطية ونهار معرفة النعمة)، **فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور** (رو١٣: ١١و١٢)، الخلع أولاً ثم اللبس.

٢ ــ «أن **تخلعوا** من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق **الفاسد** بحسب **شهوات الغرور**، وتتجددوا بروح ذهنكم، **وتلبسوا** الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله **في البر وقداسة الحق**» (أف ٤: ٢٢ــ٢٤).

٣ ــ «إذ **خلعتم** الإنسان العتيق مع أعماله **ولبستم** الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه» (كو٣: ٩و١٠).

ما هي أعمال الإنسان العتيق؟ وكيفية سقوطنا فيها؟ وكيفية قيامتنا الجديدة منها؟:

أعمال الإنسان العتيق:

لقد حدّد بولس الرسول أعمال الإنسان العتيق في مواقف عدة نلخصها كالآتي:

١ ــ «وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذاك ينجس الإنسان، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل زنا فسق سرقة شهادة زور تجديف» (مت ١٥: ١٨و١٩).

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسمَّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا **القباحة** ولا **كلام السفاهة والهزل** التي لا تليق، بل بالحري الشكر، فإنكم تعلمون هذا أن كل **زانٍ أو نجسٍ أو طماع** الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. **لا يغرّكم أحد بكلام باطل** لأنه بسبب هذه الأمور **يأتي غضب الله على أبناء المعصية، فلا تكونوا شركاءهم، لأنكم كنتم قبلاً ظلمة** وأما الآن فنور في الرب» (أف ٥: ٣ــ٨).

«لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح» (أف ٥: ١٢).

٢ ــ «**أميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديّة الطمع** الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية، الذين بينهم أنتم أيضاً سلكتم قبلاً حين كنتم تعيشون فيها، وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل **الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح** من أفواهكم. **لا تكذبوا** بعضكم على بعض» (كو٣: ٥ــ٩).

٣ ــ «لنسلك بلياقة كما في النهار لا **بالبَطَر والسُّكْر ولا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد**، بل البسوا الرب يسوع المسيح، **ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات**» (رو١٣: ١٣).

٤ ــ «وأعمال الجسد ظاهرة التي هي **زنا عهارة نجاسة دعارة عبادة الأوثان** سحر **عداوة خصام غيرة سخط تحزُّب شقاق بدعة حسد قتل سكر بَطَر**... إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله... لا نكن معجبين **نغاضب بعضنا بعضاً ونحسد بعضنا بعضاً**» (غل٥: ١٩ــ٢١و٢٦).

«لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً» (غل٦: ٨).

«إن عشتم حسب الجسد فستموتون» (رو٨: ١٣).

٥ ــ «لأنه كما **قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم** هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة... فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن؟ **لأن نهاية تلك الأمور هي الموت**... لأن أجرة الخطية هي موت» (رو٦: ١٩و٢١و٢٣).

٦ ــ «ليُرفع من بينكم كل **مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث**» (أف٤: ٣١).

٧ ــ «الروح الذي حلّ فينا يشتاق إلى **الحسد**. لكنه يعطي نعمة أعظم (الآن)» (يع٤: ٥و٦).

٨ ــ «من أين **الحروب والخصومات** بينكم... **تشتهون** ولستم تمتلكون، **تقتلون وتحسدون... تخاصمون وتحاربون**... تطلبون ولستم تأخذون لأنكم **تطلبون ردياً**

لكي تنفقوا في لذاتكم... أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله... لا يذمّ بعضكم بعضاً أيها الإخوة، الذي يذمّ أخاه و يدين أخاه **يذمّ الناموس و يدين الناموس... فمن أنت يامن تدين غيرك...»** (يع ٤ : ١ــ١٢).

٩ ــ «مملوئين من كل **إثم وزنا وشر وطمع وخبث**، مشحونين **حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً** وسوءاً، **نمّامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدّعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين**، بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى **ولا رحمة»** (رو ١ : ٢٩ــ٣١).

* * *

و يلاحظ هنا أن كل أعمال الإنسان العتيق تنقسم إلى قسمين أساسيين :

القسم الأول: أعمال موجهة ضد الله: وهي تنصب كلها في أعمال الزنا والنجاسة والتجديف وعبادة الأوثان القديمة والحديثة، حيث الزنا والنجاسة هما تسليم الجسد والنفس للروح النجس عوض تسليمه لروح الله للقداسة. هنا الجسد يصير متحداً بالروح النجس عوض طبيعته المتأصلة على أساس اتحاده بروح الله، و يصير متعبداً للنجاسة عوض أن يكون عابداً بالقداسة: «**ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد!!!!**» (١ كو ٦ : ١٣)، «لأن الله لم يدعُنا للنجاسة **بل في القداسة**» (١ تس ٤ : ٧).

أما التجديف وعبادة الأوثان التي هي محبة المال والقنية والإعتداد بالذات وتأليهها فهي بمثابة تقديم العقل والفكر والضمير لسيد العالم وإله هذا الدهر، و يصير الإنسان متعبداً للعالم عوض الله: «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين **وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة** قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين و بلا لوم ولا شكوى أمامه» (كو ١ : ٢١و٢٢).

القسم الثاني: أعمال موجهة ضد الإنسان: وهي تعدّي على حقوق الغير وعلى كرامتهم وسمعتهم وإيذاء نفوسهم، وكلها تعمل لتفكيك الوحدة والصلة بين الإنسان

وأخيه الإنسان على كل المستويات.

وهكذا نرى أن أعمال الإنسان العتيق الشريرة سواء الموجهة ضد الله أو الموجهة ضد الإنسان الآخر إنما تعمل لهدف واحد شرير وتنتهي عند هذا الهدف، وهو تفكيك وحدة الإنسان بالله وتفكيك وحدة الإنسان بالإنسان.

كيفية سقوطنا في أعمال الإنسان العتيق الشريرة:

١ ــ «لأنهم لما **عرفوا الله لم يمجدوه** أو يشكروه كإله بل **حمقوا في أفكارهم واظلم قلبهم الغبي**... لذلك **أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم** إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم» (رو١: ٢١و٢٤).

٢ ــ «الذين **استبدلوا حق الله بالكذب** واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق» (رو١: ٢٥).

«فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبداً للمسيح» (غل ١: ١٠).

«لذلك **أسلمهم الله الى أهواء الهوان**» (رو١: ٢٦).

٣ ــ «وكما **لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض** ليفعلوا ما لا يليق» (رو١: ٢٨).

٤ ــ «الذين إذ **عرفوا حكم الله** أن الذين يعملون مثل هذه **يستوجبون الموت** لا يفعلونها فقط بل **يسرّون أيضاً بالذين يعملون**» (رو١: ٣٢).

٥ ــ «الذين فيهم إله هذا الدهر قد **أعمى أذهان** غير المؤمنين لئلا تضي لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢كو٤: ٤).

٦ ــ «فأقول هذا وأشهد في الرب أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً **ببطل ذهنهم** إذ هم **مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله** لسبب **الجهل** الذي فيهم **بسبب غلاظة قلوبهم**، الذين إذ هم **قد فقدوا الحسّ أسلموا نفوسهم للدعارة** ليعملوا كل نجاسة في الطمع» (أف ٤: ١٧ــ١٩).

٧ ــ «كي لا نكون فيما بعد **أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم** بحيلة

الناس بمكر إلى **مكيدة الضلال**» (أف ٤ : ١٤).

٨ ــ «**لا تعطوا إبليس مكاناً**. إغضبوا ولا تخطئوا، لا تغرب الشمس على غيظكم» (أف ٤ : ٢٧و٢٦).

٩ ــ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب **والخطايا التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم** حسب رئيس سلطان الهواء **الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية**» (أف ٢ : ١و٢).

١٠ ــ «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق **لا كجهلاء** بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (أف ٥ : ١٥و١٦).

«من أجل ذلك **لا تكونوا أغبياء بل فاهمين** ما هي مشيئة الرب» (أف ٥ : ١٧).

١١ ــ «**لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا**، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله **عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب** لكي يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل سُرُّوا بالإثم» (٢تس ٢ : ١٠ــ١٢).

□ □ □

وهكذا يمكن تلخيص الأسباب كالآتي:

أ ــ عرفوا الله (ذكاء وعلم) **ولم يمجدوه** (عبادة وصلاة)، وهكذا يُحسب ذكاؤهم وعلمهم أنه حماقة فكر وظلمة قلب. والنتيجة أنهم أُسلموا إلى شهوات قلوبهم ليعملوا النجاسة. وهكذا يكون تعظم الفكر واحتقار أمور الله كالصلاة والعبادة، النتيجة الحتمية للتخلية الإلهية كجزاء طبيعي، و بالتخلية تنعمي البصيرة في الحال، فلا يرون الحق الإلهي، فيسقطوا راضين في خداع الشهوة والباطل.

ب ــ لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم (أي انتقلوا من صف الله إلى صف العالم) ــ أُسلموا إلى ذهن مرفوض (خالي من نور الله)، لأن غياب الله ظلمة في الفكر والقلب.

ج ـ عرفوا حكم الله ولم يخشوه بل فرحوا أيضاً بالمخالفين ← لذلك أُسلموا إلى الدينونة وإلى قساوة قلب غير تائب، لأن مقاومة الحق تؤدي إلى قساوة شيطانية مرة ضد التوبة.

د ـ المتشكلون بفكر وعمل هذا الدهر ← ينعمي ذهنهم ← لا يُقبلون على الإنجيل، وإذا قرأوه لا يجدون فيه أي شيء نافع أو منير لهم، لأن القلب إذا ذهب وراء العالم انقفل الذهن تجاه الإنجيل.

هـ ـ متجنبون عن حياة الله (أي يهربون من كلمة الوعظ ومكان العبادة)، والنتيجة تكون حالة جهل بالله ← ذهن يعمل في الباطل، والنتيجة أن يفقدوا الإحساس الروحي.

و ـ طفولية التفكير في الروحيات ← محمولين على كل تعليم بلا تمييز، والنتيجة ← اضطراب نفسي والنتيجة ← سقوط في مكيدة الضلال.

ز ـ إسكان الشيطان في الفكر وفي النفس بسبب الدوام في حالة غضب، والنتيجة ← تسلط الخطية والتفنن في التعدي.

ح ـ مجاراة روح العالم وأهل العصر (حسب دهر هذا العالم) = (حسب رئيس سلطان الهواء) = والنتيجة ← السقوط تحت قيادة روح المعصية.

ط ـ السلوك بدون تدقيق و بدون الرجوع لكلمة الله والنتيجة ← الدخول في حالة جهالة هي غباء حقيقي ← ضياع العمر في الباطل.

ي ـ الإنصداد عن محبة الحق (إستهتار) وعلاماتها ← يفرحون بالضلال و يصدقون الكذب ← و يسرون بالإثم.

و يلاحظ أن جميع أسباب السقوط في جميع أعمال الإنسان العتيق الشريرة **تتعلق كلها بالمعرفة. فإما تعالي على الحق وإما رفضه وإما تجاهله وإما الجهل به. وهكذا**

ترتبط الخطية بالمعرفة رباطاً أكيداً منذ البدء.

* * *

ثانياً: النوع الثاني الإيجابي:
أعمال الإنسان الجديد المميزة والمتصلة بالمسيح
وأهمها المواظبة على الصلاة والتناول كطعام القيامة:

إجتماع المؤمنين باستمرار للإشتراك في كل صلاة و بالأخص القداس هو في حقيقته السرية تواجد متواتر مع المسيح القائم من الأموات «اصنعوا هذا لذكري»، تواجد مشترك، فهو الذي يدعونا لنتصل به اتصالاً فعلياً شمولياً، وليس اتصال معرفة هنا، أو اتصالاً بالفكر، بل اتصال جسمي ــ جسد ودم ــ ليدخل المسيح بشخصه في واقع الإنسان بكل عمقه وامتداده، لا لنتواجد معه فقط بل ليتواجد هو معنا حسب مسرة مشيئته: «لأنه حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي **فهناك أكون في وسطهم**» (مت١٨: ٢٠)، ونحن لا ندعوه ليتواجد معنا فقط، بل إذا خُتم الإجتماع بالتناول من الجسد والدم فإنه يكون بمثابة دخول سري فينا حيث نأكل ونشبع من وجوده ومن قيامته، لأن الجسد والدم يحملان قوة وفعل الفداء والحياة لنمو وثبوت الأعضاء في جسد المسيح السري القائم من الأموات: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» (يو١٥: ٤).

هنا العمل الصالح الذي أعدّه لنا الرب بنفسه هو في الحقيقة طعام القيامة السري النازل من السماء كل يوم ليعمل عمله و يفعل فعله العميق غير المنظور في خليقتنا الجديدة، و يثبّت الأعضاء الجدد في الجسد و يوحّدهم جميعاً، ليكون لهم وللجسد كله مصدر حب وفرح وإلهام كقوة متجددة وشكل واحد بالروح: «فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه، وإن كان عضو واحد يكرّم فجميع الأعضاء تفرح معه» (١كو١٢: ٢٦). كل فرد يأخذ من الملء والملء يزداد بصورة مستمرة بانسكاب مواهب الله الجديدة على الجسد كله: «وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً» (١كو١٢: ٢٧). و بالنهاية يصبح كل فرد ــ بسبب امتلاكه لصفات ومميزات الإنسان الجديد ــ له كل

ما للجسد من كرامة ومجد حتى مجد الرأس، والجسد له كل ما للأفراد في وحدة متناظرة فائقة هي أصلاً و بالأساس وحدة حب و بذل وانسجام وترفق، وهي الصفات التي لها القدرة الإعجازية على التجميع لبلوغ حالة تمجيد لله: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني **ليكونوا واحداً** كما أننا نحن واحد. وأنا ممجَّد فيهم» (يو١٧: ٢٢و١٠).

كيف أن استعلان العمل الصالح يمجد الله:

+ «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا **أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم** الذي في السموات» (مت٥: ١٦). هنا التمجيد الذي يقصده المسيح ليس التمجيد اللفظي وإنما انعكاس النور الذي ينبعث من الأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان الجديد فيكشف مجد الله للعالم. العالم **بطبيعته المادية** و بتركيبه المنطقي العلمي لا يعرف الله ولا يستطيع أن يعرفه من ذاته: «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله (أمور الروح) لأنه (لأنها) عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه (يعرفها) لأنه إنما يُحكم فيه روحياً، وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُحكم فيه من أحد» (١كو٢: ١٤و١٥). والأمور الطبيعية والمنطق العلمي بحد ذاته يمكن أن يؤدي إلى معرفة الله وإنما بتوسط الروح القدس الذي يكشف الصلة بين الخالق والمخلوق، ولكن العالم من نفسه أو الإنسان الطبيعي بتركيبه الطبيعي ليس فيه روح الله، لأن الروح القدس هو عطية الله الجديدة للإنسان الجديد: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم و يكون فيكم» (يو١٤: ١٧).

إذن أصبحت الأعمال الصالحة المعمولة بالروح القدس و بواسطة الإنسان الجديد المخلوق جديداً بالقيامة من الأموات، هي بمثابة الصلة الوحيدة بين عالم الماديات ومنطق الطبيعة و بين الله خالقها. فالعمل الصالح المعمول بالنعمة هو برهان الروح الوحيد لإظهار الله كخالق وكشف قوته المختفية وراء الطبيعة والماديات. وهذا هو مجال تمجيد الله الوحيد، ولكن يلزم هنا أن يكون العمل الصالح قد بلغ قوته وكماله في جمع المتفرقين إلى واحد ولمّ شمل الأعضاء جميعاً في جسد واحد يتحرك بصورة إعجازية فائقة على مستوى

الطبيعة في المحبة والألفة والبذل والفداء، حيث يصبح أيضاً وعاءً صالحاً يسكب الله فيه قواته الفائقة للمنطق العقلي، فتصبح الكنيسة بجملتها وبحد ذاتها كوحدة مجتمعة شاكرة مسبحة مستقبلة لعطايا ومواهب الروح القدس، برهاناً على وجود الله وعمله وصلاحه، وتكون بوحدتها القوية غير المنحلة هي معجزة العالم الجديد الشاهد لله وسبب تمجيده إلى الأبد.

ولكن الذي يعطل شهادة الكنيسة لله كخليقة جديدة في العالم في كل زمان ومكان هو فُرقتها وانقسامها، سواء في العقيدة الواحدة أو من جهة انقسام العقائد كلها، أو من جهة السلوك المادي. العالم الآن غريب عن الله ـــ بسبب تغرُّب الكنيسة عن طبيعتها وظهورها بهذه الصورة المنقسمة المتفرقة، المتشايعة لهذا الزمان ولنفسها وليس لله. فالكنيسة غير منظورة جيداً كعمل صالح، وغير موجودة كشهادة لله حية وفعّالة بالنسبة للعالم، وفُرقة الكنيسة وانقسامها وانشغالها بالماديات يجردها من جوهر العمل الصالح، ويجعل تصرفها يظهر وكأنه من صميم الطبيعة الأرضية. هذا تعيشه الكنيسة دون أن تدري أنها بذلك تبرهن للإنسان الطبيعي على عدم وجود الله في العالم!

(١٩٧١)

عيد القيامة
يوم الخليقة الجديدة

اليوم ياأحبائي يوم عيد، يوم تجديد، يوم خِلقة . والله الذي قال في القديم أن يشرق نور من الظلمة، اليوم أيضاً أشرق نوراً على البشرية، لأنه قد صار لها خِلْقة وتجديدٌ وحياةٌ.

ولكي أنبه ذهنكم لأهمية القيامة، ينبغي أن أذكّركم بأن كلمة: «القيامة — أناستاسيس» ἀνάστασις كلمة غريبة على البشرية، ليست من ضمن كلمات بني آدم. إنها فعل غير أرضي، ليس له أية علاقة بتراب الأرض ولا بأي خليقة تدب على الأرض.

القيامة فعلٌ جديد، حَدَثٌ، هبط إلينا من السماء، فعلٌ مفهومه يفوق الجسد واللحم، و يفوق العقل، و يفوق العواطف والمشاعر والتفكير وأعماق الضمير، إنه فعل جديد جداً على البشرية.

ياأحبائي — أنبه ذهنكم — القيامة خليقة جديدة، كما قال الله قديماً: «ليكن نور» (تك ١ : ٣)، فكان نور، وأمسك حفنة تراب ونفخ فيها لتكون إنساناً...

هكذا تماماً ياأحبائي في هذا اليوم، سوف تسمعون وترون وتحسون بقلوبكم أنه فعلاً قد صارت خليقة جديدة، والقيامة التي نتكلم عنها ليست غريبة عنا، أو على الأقل

ليست غريبة عن الذين يعيشون فيها الآن: «مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى» (رؤ٢٠: ٦)، نحن الآن نعيش القيامة الأولى، نفس هذا الفعل السماوي، نفس هذه الحياة الجديدة التي لم يكن يعرفها إنسان، قد صارت لنا في هذا اليوم بقيامة يسوع المسيح.

ولكن العجب أن الإنجيل يحدثنا حديثاً بسيطاً للغاية عن القيامة، هذه الحقيقة الخالدة، هذا الفعل السماوي، هذه المعجزة العظمى، لأنه إن كان المسيح قد صنع معجزات هذا عددها، وإن كانت قد صارت أيضاً معجزات في العهد القديم هذا عددها، ولكن لم تسمع البشرية قط ولم ترَ معجزة مثل هذه المعجزة التي نحن فيها مقيمون. ولكن بالرغم من هذا الإعجاز الكلي و بالرغم من هذا العمق، وهذا المفهوم الذي يعلو فوق كل مستوى عقلي، فإن الإنجيل يتحدث عنه ببساطة منتهى البساطة كأنه خبر، كأن ما حدث أمور عادية، لدرجة أن قارئها ربما تعبر عليه القيامة وكأنها عمل بسيط لا يسترعي إنتباهه.

ـ ١ ـ
«في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ» (يو٢٠: ١).

ما هذا؟ كلام وجمل ومبتدأ وخبر وفاعل ومفعول، ثم فجأة نجد مريم واقفة عند القبر تبكي، وملاكين بثياب بيض جالسين، قالا لها: «لماذا تبكين؟».
ـ «أخذوا سيدي»، «لست أعلم أين وضعوه؟» (يو٢٠: ١٣)، وكأنها بلبلة، ثم من بين هذا كله «إلتفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع» (يو٢٠: ١٤).
وهكذا دخل فعل القيامة، هكذا فعلاً ـ ياأحبائي ـ تماماً دخل فعل القيامة إلى أرض الإنسان، بهذه البساطة المتناهية جداً جداً. كخبر لا يحتاج إلى يقين: «قالت هذا والتفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع» (عدد ١٤). ياللعجب، دخل

المسيح أرضنا قائماً من الأموات ـــ وسوف نرى بماذا هو واقف، وبماذا قام.

يعوزني الوقت ياأحبائي والوقت متأخر جداً، الآن الساعة قاربت على منتصف الثانية بعد منتصف الليل، ولهذا أتمنى أن أجد آذاناً صاغية لأن الأمر جد خطير.

سوف تسمعون شيئاً عن القيامة، لم تسمعوه من قبل. والذي يسمع بوعي، سوف يحس بالروح، والذي سوف يحس بالروح سوف يحيا، يحيا القيامة.

الصليب والقيامة:

كنت قد حدثتكم سابقاً عن حرية الإرادة التي تقدم بها المسيح إلى الصليب[1] وشرحتها بدقة، ولكن فات عليَّ أن أشرح لكم كيف أسلم المسيح الروح على الصليب بمنتهى حريته أيضاً.

ليس فقط أن المسيح تقدم إلى الصليب بحرية إرادته، ولكن في مضمون الفعل «أسلم» الروح في الأصل اليوناني، يتضح أنه يشمل معنى تقديم الشيء بالإرادة. ولكي يزداد يقيننا بحرية المسيح في تسليمه، نقرأ الآية التالية التي قالها: «في يديك أستودع روحي» (لو٢٣: ٤٦).

ثم من هو الذي يقول هذه الكلمة؟... يقولها إنسان يحتضر في آخر لحظة من الموت؟! وبعد إعياء إبتداء من يوم الخميس غروباً بعد انتهاء العشاء السري مباشرة، لم يذق طعاماً يوم الخميس كله ثم ليلة الجمعة وبعد ذلك الصليب يوم الجمعة بحوادثه، بعد آلام وجلد على الظهر ٣٩ جلدة، بعد مهانة وفضيحة كافية أن تكسر النفس لا الجسد فقط، بعد كل هذا نسمع في الآخر «في يديك أستودع روحي» بمنتهى الهدوء. وفعلاً قد تم ما قد سبق أن أنبأ عنه المسيح أن «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها» (يو١٠: ١٨).

---

(١) راجع نص عظة: «يوم الصليب» التي أُلقيت يوم الجمعة العظيمة عام ١٩٧٣ ـــ بكتاب: «مع المسيح في آلامه حتى الصليب»، ص٢٠٧.

والآن وضح لدينا أنه يستخدم ذات سلطانه في أنه يضعها، ولكن اليوم وفي هذه الساعة ــ ياأحبائي ــ بنفس السلطان الذي به وضع روحه، والآن و بنفس السلطان ها هو يرفعها!...

قام المسيح، قام بإرادته وسلطانه وحده. حرية الإرادة في قيامة المسيح بهذا الجلال والبهاء و بنفس الجسد الذي تمزق على الصليب بجروحه النافذة، يقوم السيد بمجد وجلال عظيمين. هذا طبعاً لا يمكن في نظر أي إنسان، مهما بلغت به المماحكة الفكرية، إلا أن يقول أنها معجزة ليست على المستوى البشري على الإطلاق. لا يمكن ولم يحدث قط فيما مضى من الزمان، ولن يحدث إلى نهاية الزمان، معجزة أخرى مثل معجزة الصليب تتبعها قيامة بعد أكثر من ٣٦ ساعة. مستحيل، لذلك يقول القديس بولس الرسول وهو في يقين الرجاء أن المسيح صار إبن داود من جهة الجسد «وتعيَّن إبن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤). «تعيَّن» معناها (إستُعلن ولكن بخطة واضحة). أي أن المسيح استعلن بتدبير سابق إبناً لله بقوة من جهة روح القداسة، أو الروح القدس، بالقيامة من الأموات.

فالقيامة هنا ياأحبائي تضفي على المسيح قوة وجبروتاً، لأن ما بعد القيامة يثبت أيضاً أن القيامة كانت معجزة، لأن القيامة تبعها أو رادفها صعود، وسنرى قوة الصعود في حينه...

ليس هذا فقط، أن القيامة أضفت على المسيح «تعييناً» لدى ذهن الإنسان أن هذا ليس إنساناً، إذ هو أمر يفوق الإنسان بكثير جداً، أو كما عبَّر القديس بولس الرسول «أنه تعين إبن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات»، ولكن هذا الأمر شيء أكثر مما يعنيني، لأنه ينصب مباشرة على إثبات ألوهة المسيح، وهذه الساعة ساعة القيامة هي ساعتنا، يهمنا ما هو لنا فيها.

— ٢ —
درجات استعلان القيامة

في الواقع ياأحبائي، درجات استعلان القيامة ستسير درجة درجة حتى نرى نصيبنا فيها تماماً. فبشيء من التأمل نجد أن الإنجيل تدرج في إعلان القيامة على مستوى الأشخاص (راجع يوحنا ٢٠). أولاً ابتدأ بالمجدلية، وأنتم تعلمون من هي المجدلية. سوف نتأمل في سيرتها جيداً لأنها ستعطينا اليوم الشيء الكثير من الحب البشري والأمانة والإخلاص الذي يفوق العقل الذي ليس ما يسنده إطلاقاً من جهة المنطق. فبعد ما ابتدأت المجدلية تحس بالمسيح القائم من الأموات وتخاطبه، انتقل القديس يوحنا الرسول سريعاً في روايته ليكشف عن القيامة وهي تُستعلن قليلاً قليلاً في شخصين آخرين هما يوحنا ثم بطرس.

هنا التدرج في المحبة واضح، إذ بعد استعلانها للرسولين يوحنا و بطرس سوف ترون القيامة تستعلن قليلاً قليلاً، مع شيء من التوبيخ و يسندها كثير من البرهان، في العشرة المجتمعين في العلية. وهذه هي الدرجة الثالثة في الإستعلان.

و بعد هؤلاء المجتمعين في العلية تستعلن القيامة في تلميذي عمواس هذين الأخوين الطيبين جداً جداً!! اللذين كانا سائرين يتطارحان حديثاً عابساً عن ذلك النبي المزعوم الذي كانا يتطلعان إليه كنبي قادر أن يخلِّص، ولكنه خيب رجاءهما أشد الخيبة إذ مات. فرجعا بالبكاء والحزن إلى عمواس ليكملا بقية الأيام في خزي بسبب معلم تبعوه وكانوا يتمسكون به كنبي و يتعظمون بسيرته بين الرفقة، ثم إذا به يخذلهم و يُصلب، فيعودون إلى المدينة يغطيهم الخجل والعار بسبب ما سيعانونه من فضيحة وسط الأهل والأحباء. ولكن إذ نظر المسيح فوجد في قلبيهما شيئاً من الحب، أظهر ذاته لهما، وقد وضح هذا الحب في رواية الإنجيل عنهما لما أخبر القديس لوقا الإنجيلي كيف صارا يتطارحان الحديث مع بعضهما، عندما تركهما المسيح، قائلين: «ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا

إذ كان يكلمنا؟» (لو٢٤ : ٣٢).

هـذا الحـب الملتهب في القلب هو علامة حب دفين صامت لم يستطع أن يعلن ذاته أو يُستعلن بشيء من الإيمان، ولكن المسيح استطاع شيئاً فشيئاً أن يكشفه بعد أن و بخهما بالقول: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده، ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لو٢٤ : ٢٥ـ٢٧).

و بعد تلميذي عمواس، أنتم تعرفون الشخص الأخير، وهو الخامس في درجة الحب، الحب الشكاك، ولكن أخشى أن نكون نحن بعده، وهو توما حينما أعلن عن منهجه: «لا... كلكم صنف وأنا صنف آخر».

لقد ابتدأت القيامة تُستعلن للمجدلية بخط رأسي من السماء إلى الأرض، إذ أحست بالمسيح مباشرة، إحساساً رأته بالرؤيا غير الواضحة فقالت له: «ربوني»!! لا زالت تراه معلماً. أما توما فقد ابتدأ يقلب الوضع تماماً بخط رأسي يبتدىء من الأرض و يرتفع إلى فوق. قال: «إن لم أتحسس بأصبعي في جروحه فلن أؤمن» وكأنه يريد أن يتحسس السمويات كما يتحسس الأرضيات. إنه يريد أن يبتدىء بإحساس من الأرض و يصعد به إلى الإيمان بما في السماء. و بئس هذا الإيمان، لقد و بخه المسيح جداً جداً، وقال له: لا مانع هات أصبعك وضعه في جروحي ولتكن في إيمانك آخر كل إنسان، ولكن ياتوما «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو٢٠ : ٢٤ـ٢٩)!!

في هذه الدرجات الخمس ياأحبائي استُعلنت القيامة، ولكن الدرجة السادسة طبعاً هي: «**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**» (يو٢٠ : ٢٩).

✽

ـ ٣ ـ
« لا تلمسيني »

والآن نبتدىء الإستعلان درجة درجة مع المجدلية ، لقد ظنت أولاً أنه البستاني فقالت له : «ياسيد إن كنت أنت قد حملته فقُل لي أين وضعته وأنا آخذه» (يو٢٠ : ١٥)، ياللجرأة ، إمرأة ولكن جبارة جداً!! تريد أن تحمله هي وتمشي به ! قال لها يسوع : **يامريم !**... فالتفتت تلك وقالت له « ربوني» .

ياأحبائي ــ إن المسيح بظهوره في القيامة ، لم يظهر بهيئته تماماً التي كان يعيش بها ، كانت هيئته مختلفة ــ نوعاً ما . في إنجيل مرقس نقرأ: «وظهر بهيئة أخرى» (مر١٦ : ١٢). فهنا للمجدلية عذرــ نوعاً ما ــ ولكنها استطاعت حينما سمعت صوت المسيح أن تتبينه فقالت له : « ربوني». ياللأسف... لا يزال المسيح بالنسبة للمجدلية **مجرد معلم** . هنا يتدخل القديس يوحنا بتعليق من عنده على قول مريم للمسيح القائم من الموت « ربوني» «**الذي تفسيره يامعلم**»!! ثم أردف الإنجيل بسرعة رداً على قولها : «قال لها يسوع **لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد إلى أبي**» (يو٢٠ : ١٦ــ١٨). هنا موضوع حديثنا كله ياأحبائي في هذه الليلة ، أصعب ما قيل في القيامة ، سنأخذ منه نقطة إنطلاق لنتعزى بها ونأخذ منها القيامة السهلة التي تنسكب في قلوبنا انسكاباً تلقائياً كالنور.

فكما أعطانا الله يوم الصليب أن نتأمل معاً في الآية الصعبة جداً وهي: «**إلهي إلهي لماذا تركتني**» (مت٢٧ : ٤٦) وأخذنا منها نصيباً من القوة ، هنا سنأخذ أيضاً نصيبنا من القيامة من آية معقدة أشد التعقيد بالنسبة للشرح العقلي .

قال لها يسوع : «لا تلمسيني» ، من هنا سننطلق ياأحبائي لنفسر القيامة ثم الصعود ، وعلاقة القيامة بالصعود ونصيبنا من هذه ومن تلك .

لما رجعتُ إلى الأصل اليوناني، وجدت أن كلمة «تلمسيني» هي ἅπτω وهي تشمل معنى «يمسك في» وليس مجرد «يلمس»، والشراح المدققون الذين يعرفون اليونانية القديمة رفضوا أن تترجم كلمة «هاپتو» بكلمة «تلمسيني» لأن كلمة «تلمسيني» لها كلمة أخرى في اللغة اليونانية. إنما «هاپتو» تعني «يمسك في» أو «**يعبّط في**». و يلاحظ أن الكلمة العربية «يعبّط» هي يونانية متمصرة.

أرادت ياأحبائي أن تعبّط في المسيح، لأنها كانت تحبه حباً شديداً جداً، لأنها كما تعلمون كانت سابقاً امرأة ضعيفة تعذبت من الأرواح النجسة، سبعة شياطين، كانت حياتها كلها عذاباً في عذاب، و بعد ذلك تعطف عليها السيد وأخرج منها الشياطين (لو٨: ٢و٣) فصارت تتبعه كل أيامها وهي متعلقة به أشد التعلق. كانت بقلبها وعينيها و يديها وكل عواطفها تتبع المعلم.

طوبى للإنسان الذي يستطيع أن يكون مثل هذه المجدلية، أن يتمسك «هاپتو» بالمسيح بقلبه و بروحه، بنفسه وبجسمه، بعقله وشفتيه، و بكل ما يملك!...

ياأحبائي، ثقوا أنه بسبب هذه المجدلية أُعلنت لنا القيامة بصورة أوضح مما لو لم تكن هذه المجدلية في أحداث القيامة...

تأملوا معي، نحن الآن في الفجر والساعة الآن الرابعة إلا قليلاً، وذلك بحسب أدق الأبحاث في تحديد موعد القيامة. في الساعة الرابعة إلا قليلاً خرجت المجدلية من بيتها في أحد الأركان داخل أورشليم، بينما كان القبر خارج أورشليم. وتعلمون أن أورشليم مدينة لها باب مغلق وعليه حراس، والأبواب لا تفتح إلا بعد انبثاق النور (انتبهوا للكلام لأنكم ستجدون في الأناجيل الأربعة قصة القيامة من زوايا متعددة أربكت الشراح فعلاً)، لأن أحد الإنجيليين يقول: «**والظلام باقٍ**» قامت المجدلية، والثاني يقول: «**في الفجر والظلام باقٍ**» (يو٢٠: ١)، وآخر يقول: «**وإذ طلعت الشمس**» (مر١٦: ٢).

هل هناك «تعارض» بين الأناجيل؟ مع أنها قصة واحدة ومتقنة جداً!
أقول: قامت المجدلية من بيتها والظلام باقٍ فعلاً، و بالتحديد قبل الساعة الرابعة وصلت باب المدينة فيا بين الظلام والنور، أي في الفجر، حيث كان قد ابتدأ نور الفجر أن يشرق، وجلست هي والثلاث مريمات وراءها لأنهن كن متواعدات على هذا الميعاد، إلا أن المجدلية سبقتهن. وكانت كل واحدة منهن تحمل إناءين، واحداً على رأسها والآخر في يدها، أما الذي على رأسها فكان إناءً به حنوط ذائبة مثل المر والميعة و بعض الزيوت العطرية، وأما الذي في أيديهن فكان صرة بها قرفة وسليخة ومر وعود، هذه هي الحنوط الناشفة، شيء كثير جداً، كل واحدة كانت تحمل الكثير...

وصلن جميعاً وجلسن عند الباب، باب مدينة أورشليم المواجه لوادي قدرون، حتى فتح الحراس الباب، ثم خرجن وابتدأن المسير ليعبرن وادي قدرون، مسافة لا تقل عن نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة وابتدأن يدخلن البستان الذي فيه القبر، هناك بعيداً عن أورشليم.

كل هذا يرينا مراحل الأزمنة التي ذكرها الإنجيل. وفي الواقع ياأحبائي أن هذه المجدلية تُظهر أمانة وإخلاصاً لا يمكن أن يتصوره العقل. لماذا قامت مبكراً ياأحبائي؟ لا يجب أن نقرأ بدون وعي، كان متبقياً ساعات قليلة جداً و يبدأ الجسد في أن تفوح رائحة النتانة منه، هكذا تصورت المجدلية، لذلك قامت والظلام باق، ودموعها على وجنتيها، و بآخر سرعة، وربما استحثت الحراس في ذلك اليوم وترجتهم بشدة حتى يفتحوا لها الباب مبكراً عن موعده وانطلقت جرياً نحو القبر، لأنه كان قد مضى آنذاك أكثر من ٣٦ ساعة منذ الدفن.

هنا ياأحبائي، الإخلاص والحب والأمانة، يُتعجب لها، تريد في آخر لحظة أن تعمل شيئاً لمعلمها، ستدهنه بالأطياب وتلفه بالمر والميعة والسليخة.
آه يامريم، ألم تدري أن هذا ليس إنساناً يُحنَّط وليس إنساناً يُعطَّر بالعطور؟ ألم تقرأي عنه في نشيد الأنشاد: «فتى كالأرز طلعته من لبنان، وثيابه عطر»

(نش٥: ١٥)، ألم تقرأي أن «المر والميعة والسليخة من ثيابه» (مز٤٥: ٨)، المر والميعة المذكوران في المزامير سماويان في الواقع، عطر جميل زكي هو عطر الطهر والقداسة تفوح من الرب.

ألم تدري أن هذا هو الرب الذي سوف يعطر المسكونة كلها، الأرض والسماء معاً، برائحة قيامته التي سوف تزيح من البشرية كلها رائحة النجاسة ونتانة الخطية؟

— ٤ —
«الخليقة الجديدة في المسيح»

أعود ثانية للمجدلية و«ربوني»، «ربوني الذي تفسيره يامعلم، قال لها لا تلمسيني»، وسبق أن قلت أن «لا تلمسيني» هي في الأصل «لا تمسكيني، لا تمسكي فيَّ» لأني لم أصعد بعد إلى أبي.

إذن بين المسك والصعود علاقة وثيقة، الرب قال لها أن لا تمسك فيه لأنه لم يصعد بعد إلى «أبي».

ما هذه العلاقة؟ في الواقع ياأحبائي إن مريم أرادت أن تمارس علاقتها الروحية المحبوبة بمعلمها، تمسك فيه وتقبل يديه ورجليه حباً وإخلاصاً وأمانة. فابتدأ يقول لها: لا... لا، لا تقتربي مني، لا تمسكي فيَّ، أنا لم أصعد بعد إلى أبي. لماذا؟

في الواقع ياأحبائي، إن مريم لم تكن بعد قد انفتحت عيناها على الخليقة الجديدة، التي صارت للمعلم. أرادت أن تمسكه كما كانت تمسكه قديماً باعتبار أنه إنسان معلم.

هنا المسيح لم يسمح لها!! هذا هو الحد الفاصل، هنا ينبغي أن تكون انتباهة مهمة لنا جميعاً، للبشرية كلها، يوجد حد فاصل قاطع حاد بين الخليقة العتيقة و بين الخليقة الجديدة.

لا يمكن لإنسان وهو يحيا في الخليقة العتيقة أن يمارس أي علاقة عن قرب بخليقة جديدة.

لا يمكن أن حياة أرضية تنفتح على حياة سماوية.

لا يمكن أن تكون هناك خلطة للظلمة مع النور: «لا تلمسيني، لا تمسكي فيَّ» لأني لم أصعد بعد إلى أبي.

ولكن لم يكن هو الذي سيصعد، بل هي التي ستصعد فيه!!

هنا يا أحبائي ارتفع بذهنكم مرة أخرى لمفهوم الصعود الذي سوف يجوزه المسيح تواً، أو وشيكاً الآن، وسوف نرى.

الرب يسوع المسيح كما تعلمون، تجسد، ومعنى التجسد الذي أوضحته لكم مراراً، أنه أخذ جسداً منا أو أخذ جسدك وجسدي، وصُلب به لكي يبرئه و يبرره على الصليب، ومات لكي يوفي كل عقوبة الخطية ومخالفات الناموس، ثم قام بهذا الجسد عينه.

والمسيح الآن وهو واقف أمام المجدلية، يحمل جسداً هو في الواقع جسد المجدلية، وجسد كل إنسان على الأرض يؤمن بالرب يسوع المسيح. ولكن المسيح نظر فرأى أن هناك فاصلاً عجيباً بين المجدلية التي أمامه والمجدلية التي فيه أي جسده المقام من أجلنا، أيجوز هذا؟ ليت تكون انتباهة في قلبكم وذهنكم الآن، أيجوز هذا؟ أن تكون هناك صلة بين المجدلية التي في المجدلية و بين المجدلية التي في المسيح؟!

المسيح يحمل جسد المجدلية مقاماً من الموت مبرراً ومبرءاً من كل خطية، جسداً طاهراً نقياً، جسد البشرية الجديد، ولكن هذه الخليقة لم تصعد بعد إلى الآب لكي يكون لها قدوم إلى الآب و وجود مع الآب...

ثم أتقدم قليلاً لعلكم تتحسسون معي هذه الأفعال:

ولكي يكون للخليقة الجديدة جلوس عن يمين الآب، لكي يكون لهذه الخليقة الجديدة وحدانية: «ليكونوا واحداً فيك» (يو١٧: ٢١)، لأنه لا يمكن أن نمارس وحدتنا

مع المسيح الإبن إن لم تُقبل وحدتنا واتحادنا مع الآب أولاً: «لا يقدر أحد أن يأتي إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٤٤).

لذلك، وإن كانت البشرية المقامة الآن متحدة بالمسيح، وفي المسيح، وواحداً معه، إلا أنها لم تبلغ بعد وحدتها بالرب، حسب صلاة المسيح في إنجيل يوحنا ١٧: «كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا» (يو١٧: ٢٠).

نحن الآن في الدرجة الأولى، فنحن متحدون مع المسيح بالقيامة، جسد مبرر متحد بالمسيح أشد اتحاد، وحدة ياأحبائي وليس اتحاداً فحسب. قال لها: «لأني لم أصعد بعد إلى أبي» بجسدكم وخليقتكم التي طهرتها لكم. إلى هنا والكلام لذيذ جداً، ولكن الأمر يحتاج إلى انتباه.

أعود ثانية إلى «**لا تلمسيني**»، لا أريدك أن تأتي ناحيتي وتكلميني، ولا أريدك أن تمسكي فيّ وتحدثيني، ولا أريد أن نتبادل أبداً بل ولا يمكن أن نتبادل أي شيء من المعرفة والمحبة الآن «لأني لم أصعد بعد إلى أبي، ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

ـ ٥ ـ
بالصعود صرنا للمسيح إخوة

ياأحبائي، كلمة «لأني لم أصعد بعد» انتبهوا لها، قال لها يسوع: «لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد». هنا اللمس غير ممكن إلا بعد أن يصعد، ثم قال لها: «ولكن قولي لإخوتي أني أصعد إلى أبي وأبيكم». والفعل اليوناني في اللغة اليونانية يعني الإستمرار، أي أني سأمارس وشيكاً أو سأصعد في الحال أو سأصعد الآن. إذهبي خبريهم و بشريهم. حقاً لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد، **ولكن إذهبي وقولي لإخوتي** (وهذه أول مرة يدعو فيها المسيح التلاميذ كإخوة) كان كل مرة يقول لهم ياأحبائي، ياأولادي ولكن **ياإخوتي** هنا أول

مرة ينطقها، إذ هنا قد حدث شيء، الآن أنتم على وشك إدراكه، لقد أصبح الآن بكراً من الأموات «لكي يشبه إخوته في كل شيء» (عب ٢: ١٧). هنا الحالة الروحية التي سيحضرها أو سيخلقها المسيح لنا ــ يالمجدِكَ يايسوع بل يالمجدكِ يابشرية بقيامة يسوع. بقيامة المسيح أخذنا لقباً جديداً لأن الخليقة الجديدة أصبحت متحدة بالمسيح اتحاداً كلياً، في وحدانية مطلقة، أصبحنا إخوة المسيح و بالتالي بالنسبة للآب «أبناءً».

في هذه اللحظة التاريخية (إن جازت كلمة تاريخ)، هذه اللحظة الزمنية (إن جاز أننا نرجع للزمان)، في هذا الحدث الخطير، في هذا الحدث بالذات، صار للبشرية علاقة بالمسيح كعلاقة أخ بأخيه. لأننا اتحدنا به وتوحدنا فيه وصرنا معه أبناء للآب.

هنا ياأحبائي في هذه الجملة الصغيرة والتي أتعبت الشراح، تتكدس كل مواهب البشرية، كل نعم الخلاص، كل مفهوم القيامة والخليقة الجديدة والحياة الأبدية.

«إذهبي إلى إخوتي»: هنا حدث ارتقاء شديد جداً، من خليقة عتيقة في العبودية ــ بالكاد استطاع أن يسميهم «أحباء» حينما كان يعلمهم من قبل ــ ارتقاء إلى درجة «الأُخوَّة»، لأن الخليقة الجديدة خُلقت من المسيح و بالمسيح في المسيح، فصرنا فيه إخوة وهو صار لنا بكراً من الأموات، و باكورة من بين ثمار.

هذا فقط عبوراً على «**إذهبي قولي لإخوتي**» ولكن لنا كلام آخر فيها إذا استطعنا ذلك في هذه الليلة، أو نجعله لوقت آخر.

«إذهبي لإخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». لاحظوا هنا أن يوحنا في اختياره للكلمات والتلميحات والإشارات ليس هيناً، واحذر أن تعبر على أي كلمة وتظن أنه وضعها في موضعها بدون قصد، أو كأن ليس لها ضرورة حسب المنطق أو منطوق الكلمات وتسلسلها.

ما معنى، بل وما هي الضرورة، بل ما هو السبب في أن يقول هنا: «إلى أبي وأبيكم

وإلهي وإلهكم ؟ »... لا يا يوحنا لا... لا، أنت هنا في هذا التكرار تخبىء شيئاً، وضّح لنا هذا من فضلك !! لأن في سياق الكلام سابقاً قالها مرة واحدة وانتهى: «لأني لم أصعد إلى أبي».

ـ ٦ ـ
خليقة عتيقة وخليقة جديدة ـ حد فاصل بينهما

ولكن يعيد و يكرر و يضيف و يشير خفياً: «وقولي لهم أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

يا أحبائي إن الذي انتبه للكلام السابق، حالاً قلبه الآن سيلتقط المفهوم. هنا المسيح يتكلم عن نفسه كابن الله «لوغوس»، و يتكلم أيضاً عن الخليقة الجديدة التي يحملها في جسده، وهو في نفس الوقت يخاطب المجدلية. إذاً، فالخليقة الجديدة التي يحملها لها مقابل أمامه، وهي الخليقة العتيقة في المجدلية، وبهذين الاثنين يفسر المسيح الآن علاقة الآب بهم.

«أبي وأبيكم» هنا يتكلم المسيح عن أبيه، فهذه هي الأُبوّة التي بالطبيعة، الأبوة والبنوة اللتان على درجة التساوي بحسب الجوهر الإلهي.

ثم «إلهي وإلهكم» لاحظوا هنا السر، اسمعوا... اسمعوا وعوا الكلام جيداً!! هنا ليسا صنفين من الألوهة ولكن هناك صنفين من الخليقة، هنا خليقة عتيقة يكلمها، أي يكلم البشرية في شخص المجدلية والتلاميذ «إلهكم». أما «إلهي» هنا فهو يشير بها إلى الخليقة الجديدة التي يحملها المسيح في جسده بعد القيامة و ينطق بها باسم البشرية المجددة. أما «إلهك» فهنا يقصد المسيح إله الخليقة القديمة، فهو «يهوه» في العهد القديم، إله الإنسان العتيق إسرائيل الغليظ الرقبة، طبعاً أنتم تعرفونه من هو؟ مخيف ومرعب. مرة نزل «يهوه» على طورسينا فدخن الجبل واتقد ناراً. وارتعب الشعب جداً وصرخ

لموسى، واستعفى الشعب من سماع صوته وقال الشعب لموسى لا... لا... تكلم أنت معه وما يقوله لك الله قُله لنا أما نحن فلا نستطيع أن نبصره ولا نكلمه (راجع خر٢٠: ١٨ــ٢١).

هذا هو إله العهد القديم، هذا هو إله الخليقة العتيقة، نار آكلة. من ذا يستطيع أن يقف قبالة الله. من ذا يستطيع أن يحاججه، من ذا يستطيع؟ «الكل زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله» (مز١٤: ٣).

لا يمكن أن نقف أمام الله وجهاً لوجه، هذا هو إله العهد القديم، هذا هو إله الخليقة العتيقة.

و«إلهي»، هنا المسيح يتكلم باسم البشرية المجددة، البشرية التي قامت من الأموات مبررة من كل خطية. كان قد غلب الخطية والموت معاً، كسر شوكة الموت، وشوكة الموت هي الخطية، وقام «**بالجسد البشري طاهراً**» نقياً، و«**النفس البشرية قدوسة**» مقدسة، و«**الروح مبررة**».

هذه الثلاث صفات: طهارة الجسد، وقداسة النفس، وبرارة الروح، أحب أن أرسخها في ذهنكم: صفة الجسد للإنسان تطهير، والصفة بالنسبة للنفس **تقديس**، والصفة بالنسبة للروح **تبرير**.

في الواقع، ها قد وضح الكلام عن «أني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». هنا الصعود ياأحبائي سيكون لتقديم الخليقة الجديدة التي حملها المسيح في نفسه ووحّدها بذاته، أي باللوغوس، بالكلمة، بالبنوة الإلهية، بنفسه كابن الآب. هنا يقدم الخليقة الجديدة ليجلسها في السماء معه عن يمين الآب.

أنبه ذهنكم للآية: «أقامنا معه، وأجلسنا معه»، فالمسيح وهو يكلم المجدلية كان في حالة «**أقامنا معه**» فقط. هنا نحن قائمون مع المسيح، الآن في هذه الآية، في هذه اللحظة الزمنية أو في هذا الحدث العجيب. فحينما قال المسيح للمجدلية «لأني لم أصعد

إلى أبيكم» فقد كان المسيح قائماً ونحن قائمون معه، و بعد ذلك «أجلسنا معه في السماو يات» أي قدمنا إلى الآب، أي أنه باتحادنا بالمسيح الإبن ثم بجلوس المسيح الإبن عن يمين الآب بمفهوم التساوي ومفهوم القربى والوحدة والإتحاد، قرّبنا بالتالي و بالضرورة إلى الآب كخليقة مطهرة مقدسة بلا لوم، وأحضرنا أمام الآب في جسده المقام فصارت لنا بالآب صلة وصلات عن طريق الإبن، وصارت لنا وحدة — غير منظورة طبعاً — ولكننا نجني ثمارها منذ أن حدث ذلك وإلى اليوم والأبد.

«إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم». هنا ياأحبائي يكون بحسب التفسير الدقيق **الصعود قد تم تماماً**، وأنا متمسك بدقائق أزمنة الأفعال، والحوادث أيضاً تقف تماماً في صف هذا الشرح، لأنه بعد ذلك (في إنجيل متى ٢٨: ٩) أي بعد أن تم الصعود والعودة يقول أن المريمين قابلناه وأمسكتا بقدميه ولم يقل لهما شيئاً. كذلك لما وقف في العلية وأراهم نفسه قال لهم: «جسوني وانظروني» (لو٢٤: ٣٩)، هذا معناه أنه أكمل الصعود وحينئذ حدثت إمكانية الألفة معنا. معنى هذا أن البشرية قد صار لها وجود مع الآب و وجود مع الإبن كخليقة مجددة في حياة جديدة أبدية. ولكنها منحصرة فقط في المسيح يسوع، وما بقي إلا أن تنتقل من المسيح للكنيسة، ومن الكنيسة للبشرية كلها، وهذا أكمله المسيح في فعل واحد أو في آية واحدة، فيها من العمق الروحي ما يحتاج إلى وقفة وانتباه، وسنشرحها لنلاشي الغموض الذي فيها، أما هذه الآية فتتصل بسابقتها، و باتصال الآيتين ور بطهما معاً ينفتح أمامنا سر القيامة والصعود.

«ولما قال هذا نفخ وقال لهم إقبلوا الروح القدس».

ما هذا؟ وهل يمكن على مستوى القيامة فقط من الهاو ية، وعلى مستوى ظهوره في الجسد أن ينفخ و يعطي الروح القدس؟ وأين إذن ما سبق وقاله: «إني ماضٍ إلى الذي أرسلني، إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي» (يو١٦: ٥و٦)؟ علما بأنه سبق وأوضح أنه سيرسل الروح القدس «من عند أبي». ما معنى هذا؟... واضح جداً أنه لما نفخ الروح

القدس بعد القيامة وقال لهم إقبلوا الروح القدس، كان قد صعد حتماً ونزل ومعه الروح القدس من عند الآب كعطية للخليقة الجديدة.

لقد أخذ الروح القدس في ذاته كإبن متجسد، ولكن ليس في ذاته كلوغوس، لم يأخذ الروح القدس في نفسه كإبن أزلي، لأن الروح القدس معه قبل التجسد و بعد التجسد وهو في الأردن و بعد الأردن وقبل الأردن، فالروح القدس معه ومتحد به دون أي انفصال لا زمنياً ولا جوهرياً، لا لحظة واحدة ولا طرفة عين.

إذن حينما قال المسيح لابد أن أنطلق ليأتيكم المعزي، فهل معنى هذا أنه لم يكن فيه وقتئذ الروح القدس؟ لا طبعاً، فالروح القدس متحد فيه، إلا أنه لابد أن يأخذ الروح القدس من الآب ليعطيه لنا ليس للخليقة الجديدة التي فيه بل لينفخه في الخليقة العتيقة لتصير خليقة جديدة!! وهكذا وبهذا الروح القدس تتحد الخليقة الجديدة التي فيه بالخليقة الجديدة التي أمامه ــ أي التلاميذ ــ الكنيسة الجديدة.

ولتلاحظوا أننا هنا الآن في عملية خلق جديدة، هنا الروح القدس الذي أخذه المسيح من الآب، ونفخه في التلاميذ فهو إنما ينفخه ليس من نفسه فقط ولكن أيضاً من الآب، إذن فهنا خليقة جديدة.

ولعلكم تتذكرون أنه في سفر التكوين نفخ الله في آدم، فصار آدم نفساً حية.

و يلاحظ أن القديس يوحنا يشير في كلامه إلى شيء أعمق من الكلمات: فعندما نفخ قال لهم: «إقبلوا الروح القدس»، النفخ هنا ليس لبطرس أو لبقية التلاميذ على مستوى فردي، لكن القصد من النفخ هنا موجه للكنيسة مجتمعة. هنا الإشارة إلى حَدَث قد تم وهو إقامة الخليقة الجديدة مباشرة وللتو.

لما نفخ المسيح الروح القدس المحيي المرسَل من الآب في الخليقة العتيقة (التلاميذ) صيَّرها خليقة جديدة باسم الآب والإبن والروح القدس (الكنيسة).

— ٧ —

« غفران الخطايا، نفخة الروح من المسيح للكنيسة »

لقد تأكدنا أن المسيح صعد إلى السماء وقدم الخليقة الجديدة المطهرة المعفى عنها إلى الآب، التي كسر عنها سلطان الخطية والموت، وصارت مرة ثانية في رضى الآب بعد أن كانت في خصومة وقطيعة معه منذ آدم، منذ أن أغلق باب الفردوس في وجه الإنسان، وحمل الشاروبيم سيف نار متقلباً يحرس الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية أي إلى الآب.

وكانت الخطايا التي على البشرية تحجب وجه الآب عن الإنسان، ولكن دخل المسيح كسابق من أجلنا يحمل البشرية فيه واستطاع أن يصالحها مع الآب، وهكذا صالح الله الآب العالم لنفسه بالمسيح يسوع.

إذن فالله قد صالح العالم لنفسه بالمسيح، والمسيح نفخ الروح القدس في البشرية التي كانت في عداوة وبغضة وظلمة مع الآب، مبتعدة عن النور، نفخ فيها خليقة جديدة، حياة جديدة، حياة أبدية، وقال لهم «إقبلوا الروح القدس».

«إقبلوا» في اليوناني معناها «إمسكوا» λάβετε (أي مد يدك وخذ)، هنا النفخة وقبول الحياة الجديدة والخليقة الجديدة لابد وأن تكون فعلاً إرادياً، أي يلزم أن تمد يدك وتأخذ مثل القول الإلهي: «افغر فاك فأملأه» (مز٨١: ١٠)، أو «أنا اجتذبت لي روحاً» (مز١١٩: ١٣١ الترجمة القبطية في الأجبية). لابد أن يكون الخلق الجديد فعل إرادة وإلحاحاً «اقبلوا الروح القدس» روح الحياة، لقد كانوا في موت والروح المحيي نقلهم إلى حياة جديدة، و«القدس» هنا تقديس.

ولكن الآية التالية أيضاً لها قيمة بالغة «من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتموها عليه أُمسكت» (يو٢٠: ٢٣)، يالكثرة ما تراكم على هذه الآية من مفهومات خاطئة

أبعدتها جداً جداً عن حقيقتها.

هنا الآية مرتبطة بالآية التي قبلها التي فيها نفخ الروح القدس للكنيسة وقال لهم: «اقبلوا الروح القدس»، وهذه مرتبطة بـ«إني أصعد إلى أبي»، و«أصعد إلى أبي» مرتبطة بـ«لا تمسكيني» أي لا تقتربي مني ولا يكون لكِ معي عِشرة ولا محبة ولا تفاهم ولا حديث حتى تأخذي الحياة الجديدة.

فهنا الغفران في قول المسيح: «من غفرتم خطاياهم غُفرت» هو فعل من أفعال الروح القدس، هو نفخة المسيح بالروح في الكنيسة. وهذا فعله المسيح بالذات لكي يرفع الخطية التي هي العائق الذي يفصل بين الخليقة الجديدة والخليقة العتيقة، لأن الذي يفصل بين الخليقة العتيقة والخليقة الجديدة هو الخطية.

إذن لا يمكن الإنتقال من الخليقة العتيقة إلى الخليقة الجديدة إلا بواسطة الروح القدس وغفران الخطية. فهنا غفران الخطية متعلق تعلقاً شديداً جداً بالسلطان الجديد الذي أعطاه المسيح للكنيسة لكي تُغفر الخطية، لكي يكون للكنيسة سلطان لتجديد الخليقة العتيقة.

هنا لو وضعنا الكلام في ضوء ما يتم في المعمودية يظهر الأمر و ينكشف، لأن فعل غفران الخطية في الكنيسة لا يظهر بقوته المحيية و بأعلى مستواه بقدر ما يظهر في سر المعمودية. لأن الشخص المتقدم للمعمودية (وسنتصوره هنا إنساناً كبيراً) يعترف بخطاياه، ثم يجحد الشيطان، فيأخذ الحل والغفران الكامل، فهنا تُغفر له خطاياه السابقة بنفخة الروح القدس. أي لا يمكن أن يجرى فعل غفران في المعمودية إلا بواسطة الروح القدس.

لذلك، كان الأسقف قديماً هو الذي يعمد لأنه هو الذي ينفخ الروح القدس، ثم بسبب كثرة المعتمدين في الكنيسة استبدلوا نفخة الروح القدس بالمسحة، التي هي الآن

تمثل في الواقع نفخة الروح القدس وتساويها. ولكن مفهوم غفران الخطية ونفخ الروح لا ينكشف بسهولة في إجراء طقس مسحة الميرون، لذلك ضعف الربط بين المعمودية وغفران الخطايا، مع العلم بأن نفخة الروح القدس في الطقس القديم بواسطة الأسقف هي لإعطاء حياة أبدية وسلطان البنوة لله من داخل غفران الخطايا.

وبهذا أستطيع أن أقول أنه قد ارتبطت المعاني الآن، فسلطان غفران الخطايا أو عدم غفرانها بنفخة الروح القدس هو معطى للكنيسة للتفريق بين ما هو مستحق ومهيأ للحياة الجديدة لكي يعيش مع المسيح، و بين من ليس هو مستحق الذي لا تحل له هذه النفخة للغفران والحياة الجديدة.

و يلاحظ ياأحبائي، في ظهورات المسيح بعد القيامة أن المسيح لم يُستعلن لإنسان غير مختار البتة، بل كان المسيح هو الذي يظهر ذاته، وليس أن الإنسان يراه من نفسه، إذ لابد أن المسيح يُظهر ذاته.

فعملية الإنتقال من الخليقة العتيقة إلى الخليقة الجديدة تجيء باختيار وتمييز، وليس عفوياً. الرب يسوع المسيح كان يميز ويختار ما بين إنسان لا يظهر له ذاته وإنسان يظهر له ذاته ويهبه عطية الحياة الأبدية لكيما يتغير من حياة إلى حياة. هذا التمييز نفسه بين إنسان مستحق وإنسان غير مستحق قد أُعطي للكنيسة، ففي الآية «من أمسكتم خطاياه أُمسكت، ومن غفرتم خطاياه غُفرت» تسليم كامل ومطلق لقوة المسيح والروح القدس حيث أصبح للكنيسة التمييز بين الذي يوهب الحياة و بين من لم يتأهل بعد لنوال الحياة الجديدة.

□

وهكذا أكون قد عبرت على القيامة والصعود معاً، ولكن أعود فأربطها بيوم الخمسين.

أنتم تعلمون أن المسيح صعد في يوم الأربعين إلى الآب وأرسل الروح القدس كأقنوم قائم بذاته بدون نفخة و بدون وجود المسيح على الأرض، انتبهوا، هنا الحلول الآخر أو إرسالية الروح القدس الأخرى ليست لنقل الخليقة العتيقة في الرسل إلى خليقة جديدة، ولكن لإعطاء الخليقة الجديدة في الرسل التي هي نواة الكنيسة، إمكانية التحرك للعمل. ففي البداية أخذ الرسل كممثلين للكنيسة نفخة الروح القدس وسلطان غفران الخطايا ولكن قال لهم: «أقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالي» (لو٢٤:٤٨)، هنا كان التلاميذ ينتظرون قوة إضافية لحساب الكنيسة. حلول الروح القدس يوم الخمسين أي بعد الصعود بعشرة أيام كان لمهمة أخرى هي إعطاء الرسل قدرة على التحرك والكرازة والبشارة والتعميد، أي تجديد البشرية، أي «خلق الكنيسة». وهذه المواهب عينها سلمها الرسل للكنيسة مرة أخرى ممثلة في الأساقفة.

ـ ٨ ـ
«صعود المسيح طريقنا إلى شركة الثالوث»

لذا أريد أن أربط هنا بين الصعود الأول والصعود الثاني. الصعود الأول الذي صعده المسيح كان ليقدمنا إلى الآب ليوحدنا به ليصير الآب والإبن والروح القدس ثالوثاً مفتوحاً للإنسان.

لهذا ياأحبائي، صارت المعمودية بعد هذا باسم الآب والإبن والروح القدس، لكي ينال الإنسان الحياة الجديدة أو الخليقة الجديدة أو ينال الإنسان قوة الميلاد الثاني.

هنا أصبح الثالوث منفتحاً على الخليقة الجديدة والإنسان. أما بالنسبة للآب فبالصعود الأول الذي صعده المسيح، قدمنا إليه فصرنا مقبولين فيه وتصالحنا معه إلى الأبد بواسطة الإبن، وأما بالنسبة للإبن فمعروف أنه اتحد بنا اتحاداً كلياً، وأما بالنسبة للروح القدس فالمسيح نفخه بعد القيامة لغفران الخطايا ثم أرسله يوم الخمسين من عند

الآب لتكميل الخلقة الجديدة على الأرض.

لذلك، فإن الصعود والقيامة وإرسال الروح القدس يوم الخمسين لا يمكن فصلها بعضها عن بعض.

فإن كان المسيح تجسد فلكي يُصلب، وإن كان قد صُلب فلكي يقوم، وإن كان قد قام فلكي يصعد، وإن كان قد صعد فلكي يرسل الروح القدس.

كل هذه المفاعيل ياأحبائي صارت لنا، بل أجترىء بالفرح أيضاً وأقول صارت فينا. التجسد أصبح لحسابنا، الصليب أصبح جزءاً في حياتنا: «مع المسيح صُلبتُ» (غل٢: ٢٠)، القبر أصبح جزءاً من حياتنا وسيرتنا: «دُفنَّا معه في المعمودية وقمنا معه» (رو٦: ٤و٥)، والقيامة أصبحت لنا، ثم الصعود أصبح لنا: «أجلسنا معه في السماو يات» (أف٢: ٦)، ثم «سأرسل لكم المعزي» (يو١٥: ٢٦) ليمكث فينا، هذا هو رجاؤنا الذي نمارسه مجدداً كل صباح، كل هذه المفاعيل صارت لنا.

واليوم ياأحبائي، تجلت لنا القيامة في مفهومها السري العجيب في علاقة وحوار مذهل مع الجدلية، استطعنا أن نكشف فيه إمكانية الحياة مع الآب حيث لابد أن تكون من خلال التجديد أو من خلال القيامة أو من خلال الحياة الأخرى، ليس بالقيامة فقط لكن بالصعود أيضاً.

فهل أدركتم قيمة الصعود في حياتنا؟ وخصوصاً الصعود الأول، إنه بالصعود الأول قد صار لنا الحق والإستحقاق أن نقول لله «ياأبَّا.الآب»، قبل ذلك الصعود الأول ما كان ممكناً أن نقول للآب مثلما كان يقول المسيح له: «ياأبَّا.الآب»، ذلك كان غير ممكن. بالصعود الذي صعده المسيح ياأحبائي، ثم بالجلوس الذي أجلسنا المسيح بواسطته مع الآب صارت لنا دالة مع الآب، لو استطعت اليوم توصيلها لكم أكون قد بلغت القمة في توصيل روح القيامة والصعود لكم.

يـاأحبـائي، عشنا العمر كله كأننا لا زلنا في بُعد عن الآب، واليوم صارت لنا دالة مع الآب، اليـوم أُجلسـنـا عـن يمين الآب جلوس المحب للمحبوب، جلوس الألفة بعد العداوة المرة التي عاشها الإنسان في غضب الله.

يـاأحبـائي، دالتنا مع الإبن توصلنا لدالتنا مع الآب بالضرورة، ومعلوم أيضاً أنه غير ممكن أن نصل للإبن إن لم يجتذبنا الآب.

فـاليـوم يـاأحـبـائـي، قـد توطدت الصلة مع الآب إلى الدرجة التي فيها نشعر أننا مع المسيح وفي المسيح نستطيع أن نقف أمام الآب بلا لوم في المحبة كقديسين. نعم ياأحبائي وإن كـنا لم نكن قد أكملنا القداسة بعد، وإن كنا لم نكمل طهارة الجسد إذ لا زلنا ننتظر فـداء الجسـد بعد، وإن لم نكن قد أكملنا تبر ير الروح بعد، لكن و بالرغم من ذلك كله فنحن في الطر يق واصلون إلى ذلك.

فـنـحـن نحـاول أن نطهر الجسد ونقدس النفس شيئاً فشيئاً بهذه العشرة، فالمسيح إذا سـكن فينا بالروح فهويستطيع أن ينتقل بسهولة بين الروح والنفس والجسد، يطهر الجسد و يـقـدس الـنـفـس و يبرر الروح إلى الحد الذي يصير الجسد فيه متقبلاً تقديس النفس، وتصير النفس متقبلة برارة الروح.

وحيـنـئـذ متى متنا نصير في استعداد لإستعلان القيامة وأخذ الجسد الجديد الذي هو على صورة جسد المسيح في البر والقداسة.

يـاأحـبـائـي، فـلـيـعطنا الله في هذا اليوم أن نستمتع بالقيامة والصعود معاً، بخليقتنا الجـديـدة التي طـهـرهـا لنا المسيح وقدسها و بررها في ذاته وقدمها إلى الآب وختمها بختم الحـب وسـلـمـهـا إلـينا في نفخة الروح القدس التي نفخها في الكنيسة، والكنيسة بالتالي سلمتها لنا في كل كياننا في المعمودية والإفخارستيا وفي كل اعتراف وانحناءة رأس، وفي كل اعتراف بالخطية وكل انحناءة ركبة لأخذ حل وغفران من الكنيسة.

الـيـوم قـد صارلنا هذا كله، كل هذه العطايا والمواهب، نعم اليوم صعد المسيح وهو

ظافر وغالب. سبى سبياً وأعطى الناس كرامات.

صلاة

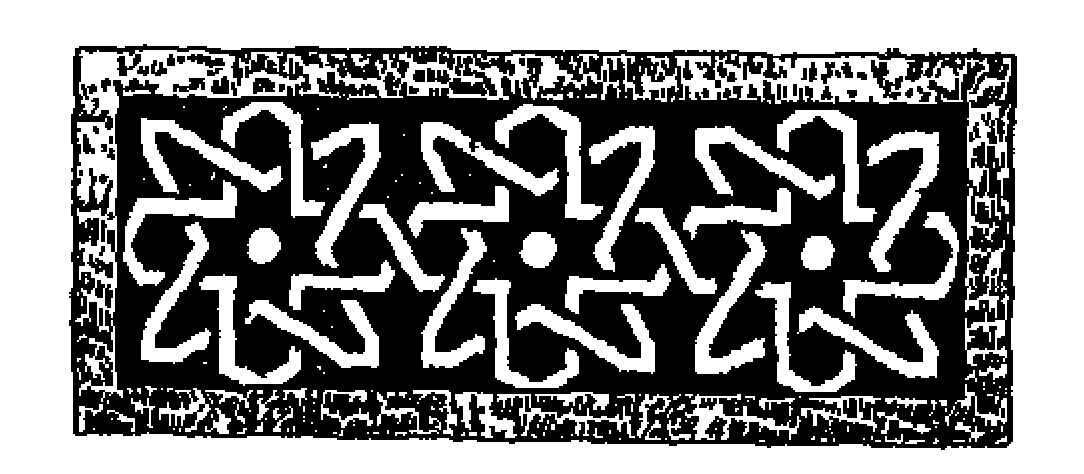
يا ابن الله، يا من صعدت بنا وقدمتنا إلى الآب لنكون أمامه في كل حين فيك وبك، وأنت شفيع وضامن تكميل خلاصنا إلى النهاية.

أعطنا سر قيامتك وسر صعودك وسر نفخة روحك القدوس فينا لنستمتع بقية أيام حياتنا بخليقة جديدة، بحياة جديدة، فيها ننسى ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدام لعلنا نبلغ القيامة.

نعم، يا ابن الله، لقد بلغناها فيك، وسوف نأخذ استعلانها يوماً بعد يوم.

نعم، بارك يا ابن الله في هذا اليوم ليكون لنا فيه غنى، ولتكون لنا فيه تسبحة تدوم إلى الأبد.

مبارك اسمك من الآن وإلى الأبد آمين.



القيـــــامـة

خريستوس آنستي...

هذا هو هتاف الكنيسة الأولى الذي ألهب الروح فيها، منبئاً بافتتاح عصر الملكوت.

في يوم الجمعة العظيمة استودعنا آدم في المسيح بلحن «غلغثا»، ميتاً على الصليب. وفي السبت الكبير دفنّاه بأطياب وحنوط للجسد، وبموته انتهى عصر البشرية العتيقة.

واليوم ينبثق نور الحياة الجديدة من ظلمة قبر الإنسان الأول، و يقوم المسيح، الإنسان الثاني، من بين الأموات باكورة الخليقة الجديدة ورأسها، معلناً بداية عصر الدهر الآتي وظهور ملكوت الله داخل القلوب.

يوم الجمعة العظيمة كان أعظم أحداث الخليقة الأولى قاطبة. كان يوم تصفية ليس لكل خطاياها وأوجاعها التي حملها المسيح في جسده على الصليب فحسب، بل كان تصفية جذرية ونهائية لعنصر الظلمة ورئيسها وجوهر الخطيئة ذاتها و ينبوعها. لقد دان الله الخطيئة والعالم في الجسد، فمات المسيح على الصليب حاملاً في جسده لعنة آدم وكل بنيه، وشوكة الموت مغروسة في جبينه. وبموت البار من أجل كل الأثمة بل من أجل البشرية الأثيمة كلها، تم حكم الناموس في كل ذي جسد!!

+ «فإن كان واحد قد مات من أجل الجميع، فالجميع إذن ماتوا» (٢كو٥: ١٤). وبموت الجميع في المسيح انتهت البشرية الأولى بكل لعنتها، ودُفنت في السبت الكبير استعداداً ليوم الخليقة الجديدة.

القيامة التي أكملها الرب في اليوم الثالث وفي الجسد الميت ذاته، بذات جروحه

المميتة العميقة الغائرة وجنبه المفتوح، هي بالنسبة للمسيح قيامة من بين الأموات؛ أما بالنسبة لجسد آدميتنا الذي مات به فهي خليقة جديدة: «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة!!» (٢كو٥: ١٧).

عندما انتهى العالم إلى قرار صلب المسيح، قال الرب لصالبيه: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة، الآن دينونة هذا العالم» (لو٢٢: ٥٣، يو١٢: ٣١)، فكانت هي الساعة الأخيرة في عمر العالم العتيق والإنسان الأول. و بقيامة الرب استُعلن العالم الجديد بإنسانه الثاني الجديد، عالم خلقه الله بيسوع المسيح ليكون الله فيه، والمسيح هو نفسه ملكاً عليه، وإليه ينقل الإنسان الذي يلده بروحه، مجدداً كل من يعتمد و يؤمن باسم إبنه؛ ينقله الآب من الظلمة الأولى وسلطان الشيطان إلى ملكوته الأبدي ونوره العجيب: «الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته» (كو١: ١٢).

فإن كانت القيامة بالنسبة للمسيح هي أولاً و بالضرورة قيامة: «**من بين الأموات**» لأن الذي صعد هو نزل أولاً، والذي قام هو مات أولاً؛ فالقيامة بالنسبة لنا لابد أن تكون قيامة «**من بين الأموات**»، و يتحتم لكي نقوم أن نموت أولاً.

إن القيامة التي قامها المسيح بكل مجدها وهباتها لم تأتِ من فراغ بل بدأت من قبر ومن ظلمة، من موت حقيقي، من تسليم كلي للذات في يدي الآب، من طاعة شجاعة مذعنة مريدة سارت بأقدام الحب حتى الموت موت الصليب!!

يستحيل أن نذوق القيامة ونحن لم نكمل واجبات الموت وطقوس الدفن الإرادي، لأن الذي يريد أن يقوم مع المسيح يتحتم عليه أن يعتمد لموته و يُدفن معه بإرادته حياً.

يستحيل أن ينقلنا الآب إلى نور ملكوت ابن محبته، ونحن فينا شيء من الظلمة. لا يمكن بل و يستحيل أن تعبر «**الخليقة العتيقة**» لتعيش في دائرة «**القيامة**»، لأن القيامة روحية هي، وروحية خالصة! المولود من الجسد جسد هو، وحسب الجسد يعيش و يفكر و يفرح ويحزن و يطمئن و يندم، حيث كل معيشته وأفراحه وأحزانه واطمئنانه

وندمه كلها تدور حول أمور الجسد والنفس والدنيا وغرورها وهمومها. أما حياة القيامة فهي بدء الميلاد الثاني، وهي بالروح. والمولود من الروح هو روح، ومعيشته كلها هي بالروح، وكل أفراحه وأحزانه واطمئنانه وندمه كلها تدور حول أمور الروح وهي بحسب الله يعملها، حتى الأكل والشرب والنوم أو أي عمل آخر فالكل يعمله لمجد الله!

فالإنسان الجسدي والإنسان الروحاني كلاهما يعيش في هذا العالم، وكلاهما يفرح ويحزن و يطمئن و يندم ويجوع و يعطش و ينام و يؤدي كل مهام هذه الدنيا؛ ولكن الأول يعيش و يعمل كل شيء للجسد ومن أجل الجسد وخوفاً على الجسد وحباً للجسد، ويموت مع الدنيا؛ والثاني يعيش و يعمل بالروح لمجد الله فقط، لذلك فهو يعيش فوق الدنيا ولا يذوق الموت أبداً.

لا يمكن بل و يستحيل أن يعبر الإنسان إلى دائرة القيامة والحياة الأبدية وهو بعد يعيش بالجسد أو من أجل الجسد أو خوفاً على الجسد أو حباً في الجسد.

هوذا الله قد خلق بقيامة المسيح من الأموات كل شيء جديداً، لأن الأمور العتيقة مضت كلها، لقد تصفت نهائياً على الصليب، مع كل ما لا ينسجم مع ملكوت الله.

لقد جمع الله في إبنه كل معاثر بني آدم مع تفاهات البشر وكل ما كان يعوقهم عن الله وما كان يعوق الله عنهم، وصلبها في جسده، حيث ماتت الآدمية عن كل ماضيها في الخطيئة والتعدي، ثم أكملت كل مستلزمات موتها في القبر والهاو ية. ثم أقامها المسيح معه في اليوم الثالث خليقة أخرى جديدة فيه ومنه، ليس فيها ما يعوقها عن المسير في جدة الحياة وبمقتضى ناموس الروح في ملكوت الله. وكأنما قوة الصليب بمفهومه كموت حقيقي قد صارت لنا باب الخلاص من كل ما يعوق الخلاص، حيث بقوة موت المسيح يموت الجسد وتموت فيه كل الأهواء مع الشهوات، ويموت العالم من داخل النفس ويخلص الإنسان من طوفان هلاك محيط.

بالصليب انتهى دهر «اللاخلاص»، دهر الخليقة العتيقة، آدم الخطية والموت

والأرض وكل شقائها . وبالقيامة ابتدأ دهر «**الخلاص الأبدي**»، دهر المسيح والخليقة الجديدة، جيل الإنسان الجديد المولود من فوق لميراث ملكوت الله .

الصليب صار كسيف لهيب النار المتقلب لحراسة الطريق المؤدي إلى ملكوت الله حتى لا يدخله أحد ولا شيء ما من الخليقة العتيقة!!

والقيامة هي الباب الجديد الذي افتتح به الرب أزمنة الخلاص وبهجة الملكوت وأنار طريق الخلود.

أما أزمنة الخلاص وبهجة الملكوت والحياة مع المسيح فلا تبتدىء من القيامة بل من خلف آلام الصليب، حيث في سر الألم والموت يعتمد الإنسان للمسيح لميلاد حياة جديدة وقيامة ليس فيها للألم أو الموت سلطان بعد على حياة الإنسان، إلا ما هو لتعميق الخلاص وكشف الرؤيا وتسهيل العبور.

أما الصليب بالنسبة للسائرين في بداية الطريق نحو الملكوت السعيد فيبدو ثقلاً لابد منه، يسألون بلهفة وحزن النفس لو أمكن أن يعبر عنهم أو يعبروا من دونه، وكأنهم يريدون أن يلبسوا مسكنهم السمائي على العتيق المرقع.

أما بالنسبة للذين استحثوا المسير وقاربوا النور، فيبدو الصليب أمامهم ضرورة حتمية، من أجلها بدأوا وعلى أساسها ساروا.

أما بالنسبة للذين هلت عليهم نسمات القيامة من بعيد، واستمعوا لنشيد الخلاص الصادق من وراء أسوار الجسد، واستيقظت أرواحهم واستعدت للحدث العظيم الآتي؛ فيبدو الصليب أمامهم وكأنه هبة الله العظمى ورحمة السلام الحقيقي وباب الخلاص، الذي جعل العبور من الموت إلى الحياة ومن الظلمة إلى النور ومن سلطان الشيطان إلى ملكوت الله ومن وُثُق الجسد العتيق إلى حرية أولاد الله في المجد، جعله أمراً ممكناً ومضموناً بعد أن كان شيئاً مستحيلاً!

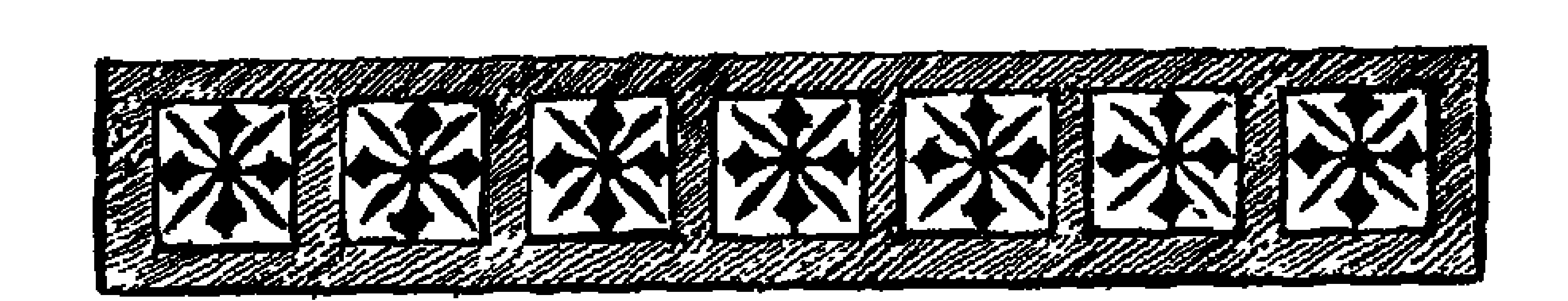
وهكذا: «إن كنا قد **صرنا** متحدين معه بشبه موته، **نصير** أيضاً بقيامته!!» (رو٦: ٥).

ويلاحظ هنا في هذه الآية أن «**الإتحاد**» الأول **في الموت** جاء بفعل ماضٍ «**صرنا**»، أما «**إتحاد**» **القيامة فيجيء** كفعل المستقبل الدائم «**نصير**»!! وهذا معناه أن اتحادنا مع المسيح في موته أمر، واتحادنا معه في قيامته أمر آخر، لأنه في موته كنا حقاً فيه، أي في جسم بشريته، فبشريته هي نحن، لأنه بتجسده أخذ الذي لنا ومات بما لنا.

أما في قيامته فلا يتأتى أن نتحد به تلقائياً، إذ يتحتم أن المسيح القائم من الأموات يدخل إلينا «**المسيح يحيا فيَّ**» (غل٢: ٢٠).

فنحن «**كنا في المسيح**» لما مات، ولكن لكي نقوم معه ينبغي أن «**يكون هو فينا**»، **يأتي**، و**يدخل** إلينا ويصنع منزلاً وإقامة!! ولكن لا يستطيع المسيح أن يعطي قيامته كفعل حياة جديدة إلا في إنسان أكمل موته تماماً عن حياته العتيقة. هذا ما كان قد سبق وعلّم به كثيراً. □

(١٩٧٤)



توما وإضافة «حقاً قام»

أوكتاف القيامة ــ أي اليوم الثامن:

ثمانية أيام مضت على خبر القيامة بتوكيدات وشهادات من ملائكة وشهود عيان كثيرين: مريم المجدلية، بقية النسوة، تلميذا عمواس، والأحد عشر.

و بالرغم من ذلك بقي توما وحده مصمماً على عدم قبول القيامة إلا بشروط خاصة!!

* * *

القيامة، حدث هام جداً بالنسبة لحياة المسيح على الأرض وتعاليمه كلها، **فهو يضفي** عليها اليقين والألوهة.

المسيح قام من الأموات، إذن تكون كل حياته على الأرض إلهية، وميلاده إلهياً «ياللطلقات الإلهية»، ولكن من موضع عكسي، فإن تعاليم الرب وميلاده العذري والنبوات الخاصة به تحتم ــ وقد صُلب ومات ــ أن يقوم. هذا هو منطق المسيح مع تلميذي عمواس: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان **بجميع ما تكلم به الأنبياء**، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده! ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (١).

---

(١) لو٢٤: ٢٥و٢٦.

ولأن القيامة آخر وأهم معجزة في حياة المسيح، إذ يتعلق عليها بالفعل برهان ألوهيته واعتباره مخلّص العالم والفادي، فالإنجيليون الأربعة يلقون عليها أضواءً عديدة. ولكن كل إنجيلي قدم الأخبار بطريقته الخاصة التي آمن بها ورآها مناسبة لإيمان من يكتب إليهم!!

إنجيل يوحنا

+ لأنه كان يكتب في سنة ١٠٠م. تقريباً والأناجيل الثلاثة كلها مقروءة، فلم يجد داعياً للتسجيلات التاريخية.

+ يعتمد على ذاكرته ليسجل الوقائع البارزة التي رفعت التلاميذ إلى ذروة الإيمان من وسط براثن الخوف والحزن واليأس والشك أيضاً:

١ ــ يختص برواية شك توما.
٢ ــ ظهورالمسيح ثامن يوم القيامة.
٣ ــ استعلان قيامته برواية محددة لأشخاص محددين بكل دقة: لمريم المجدلية/ لبطرس و يوحنا/لتوما.
٤ ــ إعطاؤه سلطان مغفرة الخطايا.
٥ ــ ونفخ فيهم الروح القدس.

إنجيل لوقا

١ــ إنجيل لوقا يجمع كافة أخبار القيامة على مدى أربعين يوماً ويركزها كلها كأخبار حدث، جمعها أولاً في عشية القيامة!! وهو عالم بذلك لأنه هو الذي أورد خبر الأربعين يوماً في (أع ١: ٣).
٢ــ ولوقا أيضاً يركز أخبار القيامة في محيط مدينة أورشليم فقط.
٣ــ كذلك يختص برواية تلميذي عمواس بالتفصيل.
٤ــ ظهور المسيح قبل الصعود.
٥ــ ظهوره لبطرس منفرداً.
٦ــ روايات الظهور في سفر الأعمال كلها للوقا.
٧ــ رواية الظهور التي أوردها بولس الرسول في (١كو١٥: ٥ــ٨) هي عن لوقا البشير:
(أ) ظهور المسيح لبطرس وللإثنى عشر في أورشليم.
(ب) لخمسمائة أخ مرة واحدة.
(ج) ليعقوب وكل الرسل (أورشليم).
(د) لبولس آخر الكل.

إنجيل مرقس

يختص بـ:
ــ بشارة الملاك للمريمات وسالومة.
ــ توبيخ التلاميذ على عدم إيمانهم.

إنجيل متى

يختص بـ:
ــ الزلزلة ونزول الملاك ورفع الحجر.
ــ ذعر الحراس من المنظر.
ــ تلفيق رؤساء الكهنة ورواية الحراس.
ــ أحاديث على جبل الجليل.

هـذا من جهة الإنجيليين الأربعة من جهة تخصص كل منهم في الرواية بانفراد وتمايز معين.

أما من جهة اتفاقهم في أخبار رواية القيامة فتتلخص في النقاط الآتية:
(أ) لا يعطي أيٌّ من الإنجيليين الأربعة أيَّ وصف لعملية القيامة أو لمنظر قيامته.
(ب) الإنجيليون الأربعة يشتركون في أن ظهور المسيح كان قاصراً على المؤمنين به فقط.
(ج) ظهور المسيح لم يقتصر على بعض الأفراد فقط بل وكان لجماعات برمَّتها أيضاً.
(د) ظهور المسيح بعد القيامة كان عملاً شخصياً إرادياً. فالمسيح هو الذي كان يُظهر ذاته حسب مسرة مشيئته.
(هـ) أخبار القيامة بدأت، في سرد الإنجيليين الأربعة، مشكوكاً فيها، والجميع في تردُّد شديد لقبولها.
(و) جميع أخبار القيامة لم تُقبل في البداية.
(ز) القيامة أخذت أول تقرير رسمي معتمد لها بعد ظهور المسيح حياً مع تلاميذه في العلية.
(ح) القيامة صارت رواية معتمدة لدى الإنجيليين الأربعة حيث تبتدىء بزيارة النسوة في الفجر كبداية حية للرجاء الجديد الذي غيَّر معالم الحياة على الأرض ومستقبل البشرية كلها.
(ط) رفع الحجر عن فم القبر كان بداية التساؤلات كلها.
(ي) ظهور الملائكة قبل ظهور المسيح كان توكيداً سماوياً لفعل القيامة مثل الميلاد.
(ك) الرب أظهر نفسه أولاً للمجدلية.

أما رواية انبثاق القيامة مع ساعات ما قبل فجر يوم الأحد والإعداد السابق لها فنضعها أمام القارىء موقتة بحسب ترتيبها:

(مت ٢٨ : ١): السبت قبل الساعة السادسة بعد الظهر:

ذهاب مريم المجدلية ومريم أم يعقوب، ذهبن ونظرن القبر أين وضعوه.

(مر ١٦ : ١): السبت بعد الساعة السادسة بعد الظهر:

ذهاب مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة لشراء حنوط للجسد.

(مت٢٨ : ٢ ـ ٤): الأحد باكراً جداً (عند الفجر):

جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر «وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن القبر».

+ وجلس عليه خارج القبر، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج.

+ ارتعد الحراس من الخوف وصاروا كأموات.

+ بشارة الملاك بقيامة الرب من بين الأموات وذهابه إلى الجليل.

توضيح أكثر

(يو٢٠ : ١): الأحد الساعة الخامسة صباحاً:

مريم المجدلية (باتفاق مع مريم أم يعقوب وسالومي وأخر يات) يبدأن مسيرتهن للقبر والظلام باق.

+ مريم المجدلية تسبقهن وترى ما حدث وتأتي مسرعة لبطرس و يوحنا.

(مر١٦ : ٢): الأحد الساعة الخامسة والنصف صباحاً:

الفوج الأول من المريمات والنسوة يصلن القبر (بعد المجدلية)، وكانت الشمس قد بدأت تظهر في الأفق.

+ رسالة الملاك لمن أنه قام، وأن يذهبن سر يعاً ويخبرن التلاميذ أنه يسبقهم إلى الجليل.

(لو٢٤ : ١): الأحد الساعة السادسة صباحاً:

الفوج الثالث من النسوة و بينهن «يُوَنَّا» (ومعهن أناس) يصلن القبر بينما لا يزال الوقت مبكراً، ولكن كانت قد «طلعت الشمس» (مر١٦ : ٢).

+ ومن داخل القبر ملاكان يعطيانهن بشارة القيامة والرسالة إلى الرسل.

(يو٢٠ : ٣ ـ ١٠): الأحد الساعة السادسة والنصف:

بطرس و يوحنا يسرعان إلى القبر، ويجدان الأكفان موضوعة، ويمضيان من حيث

أتيا. ومريم تقف وحدها خارج القبر تبكي، ونظرت داخل القبر فظهر لها الملاكان وصارا يحدثانها.

(يو٢٠: ١٤-١٨، مر١٦: ٩، مت٢٨: ٨و٩و١٠): الساعة السابعة صباحاً:

الرب يُظهر ذاته لمريم المجدلية كأول ظهور لقيامته.

ثم يظهر بعد ذلك مباشرة لبقية النسوة اللائي كن يركضن في الطريق ليخبرن التلاميذ برسالة الملاك أنه قام.

(لو٢٤: ١٣، مر١٦: ١٢): الأحد من الساعة الرابعة إلى السادسة بعد الظهر:

ظهور الرب لتلميذي عمواس، وقد بدأ النهار يميل، فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما فقاما.

(لو٢٤: ٣٤، ١كو١٥: ٥): الأحد بعد الساعة الرابعة بعد الظهر:

فقاما (التلميذان) في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم وهم يقولون أن الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان.

(لو٢٤: ٣٦، مر١٦: ١٤، يو٢٠: ١٩): الأحد الساعة الثامنة مساء:

ظهور الرب للتلاميذ الأحد عشر المجتمعين مع آخرين في أورشليم (في العلية)، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام!!

وعلى العموم نجد تدرجاً في الإيمان بالقيامة على مستوى درجات متتالية:

الدرجة الأولى: يوحنا يؤمن بالقيامة بدون أن يرى الرب، ولكن بمجرد أن رأى الأكفان موضوعة في القبر الفارغ ـ هنا الإيمان على مستوى تصديق الوعد.

الدرجة الثانية: مريم المجدلية تؤمن بالقيامة دون أن تتحقق من شخصية الرب، ولكن بمجرد أن تذكرت صوته.

الدرجة الثالثة: التلاميذ الأحد عشر، عندما رأوا وجسُّوا لحمه وعظامه وجروحه.

الدرجة الرابعة: توما بعد أن استوفى لنفسه خاصة شرط الإيمان بوضع أصبعه في

المجروح.

ثم الدرجة فوق الأولى: وهي التي أعطى الرب لها الطوبى، وهي إيمان الذين صدقوا القيامة بالخبر وحسب.

وبعد هذا السرد الوقائعي المحدد بساعاته وأشخاصه لحقيقة القيامة، يتضح للقارىء أن الأناجيل قدمت رواية القيامة بكل دقائق ملابساتها، وبالأخص جداً من جهة الشكوك وعدم التصديق الذي أبداه التلاميذ جميعاً وبلا استثناء.

فالقيامة لم يقدمها أي من الإنجيليين كحقيقة مقطوع بها، بل الكل تساوى في تقديمها كخبر غير مصدّق وغير معقول، بل ومدهش ومحير للعقول.

+ «فخرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن ولم يقُلْن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات» (مر١٦: ٨).
+ «فذهبت هذه (مريم المجدلية) وأخبرت الذين كانوا معه (التلاميذ) وهم ينوحون ويبكون» (مر١٦: ١٠).
+ «فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا» (مر١٦: ١١).
+ «وذهب هذان (تلميذا عمواس) وأخبرا الباقين فلم يصدقوا ولا هذين» (مر١٦: ١٣).
+ «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام» (مر١٦: ١٤).
+ «فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن» (لو٢٤: ١١).
+ «فقام بطرس ورأى الأكفان موضوعة وحدها، فمضى متعجباً في نفسه مما كان» (لو٢٤: ١٢).
+ «بل بعض النساء منا حيّرننا إذ كنّ باكراً عند القبر ولما لم يجدن جسده أتين قائلات أنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي» (لو٢٤: ٢٢-٢٤).

+ «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً، فقال لهم: ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟» (لو٢٤: ٣٦ــ٣٨).
+ «و بينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون، قال لهم: أعندكم طعام... فأخذ وأكل قدامهم» (لو٢٤: ٤١و٤٣).
+ «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن» (يو٢٠: ٢٥).

وهكذا وقف توما وهو واحد من الأحد عشر على قمة الشكاكين مصمماً على حتمية أن تكون القيامة بنفس الجسد الذي تمزق على الصليب وليس بأي جسد آخر بأي حال من الأحوال، وأن يكون على مستوى لمس اليد ووضع الأصبع في نفس الجرح النافذ وفي نفس الجنب المطعون.

ولكن لأن القيامة التي قامها الرب هي قيامة حقيقية بالجسد الميت فعلاً، لذلك لم يمانع الرب أبداً من تحقيق شرط توما، بل رحب بشرط توما وظهر خصيصاً ليكمل له إيمانه هذا. فصار إيمان توما واعترافه المفاجىء «ربي وإلهي» البرهان الأخير إزاء كل الشكوك وفوق كل الشكوك بأن المسيح «حقاً» قام!! و بأنه قام بجسده الذي تمزق على الصليب هو هو!!

ولكن لم يشأ القديس يوحنا الذي أورد خبر إيمان توما أن تقف الرواية عند هذه الصورة الحسية الخالصة للجسد، فأورد بشيء من الإشارة السرية (حسب عادته دائماً) أن بهذا الجسد المحسوس والمنظور هو هو، دخل الرب إلى العلية والأبواب مغلقة تماماً، لكي يعطي للجسد بقية الصورة الفائقة لمفهوم القيامة!! وفي ذلك إشارة ضمنية أيضاً إلى إمكانية دخول المسيح القلب والحواس مغلقة!! أو في غيبة من الحواس.

ثم يضيف الرب رداً على إيمان توما ــ مشيراً به إلى مستقبل الكنيسة كلها ــ «لأنك

رأيتني ياتوما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

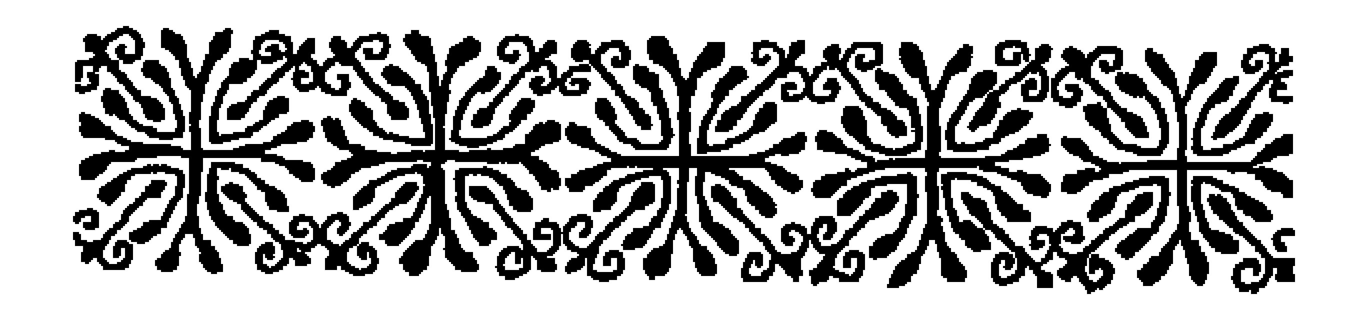
وهذه هي الطوبى التاسعة والأخيرة التي أضيفت على التطويبات الثمانية التي بدأ بها الرب خدمته والتي تفوقهن جميعاً.

ولكن في إعطاء الطوبى العظمى للذين يؤمنون بالرب يسوع وبقيامته من بين الأموات بدون شروط توما، أي بدون رؤيا أوعلامة حسية، إشارة ضمنية إلى تفوق مثل هذا الإيمان في نظر الرب على كل حال. فالإيمان بالمسيح وبقيامته من بين الأموات «عمل» بحد ذاته، وهوعمل فائق على كافة الأعمال التي يمكن أن يأتى بها أو يمارسها أي إنسان على أي مستوى.

فإن كانت التطويبات الثمانية التي ذكرها الرب قد جمعت كافة ما يمكن أن يأتيه الإنسان في الإيمان، فالطوبى التاسعة التي ختم بها الرب كافة تعاليمه فيا قبل وفيا بعد القيامة تأتى متفوقة على جميع التطويبات لأنها عمل يحوي كافة الأعمال جميعاً و يرتفع فوق كافة الشكوك المانعة للخلاص.

لذلك فضمون الإيمان الذي يحتويه المرد التقليدي «حقاً قام» = «آليثوس آنستي» هو هو «الطوبى» التاسعة التي ورثتها الكنيسة في أوكتاف (اليوم الثامن) من يوم القيامة السعيدة.

(١٩٧٤)



المسيح قام ... حقاً قام ...

«المسيح قام... حقاً قام».

«وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقُبر وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب».

هذا هو إيمان الكنيسة كلها من مشارق الأرض إلى مغاربها.

الكنيسة تربط دائماً الصليب والآلام بالقيامة. نحن نؤمن بالموت على أساس القيامة، ونؤمن بالقيامة على أساس الموت.

ليست تعبيراتنا عن القيامة وعن الصلبوت وعن الآلام تتحول من مجرد عقيدة محفوظة إلى مفاعيل داخلية.

حالة القيامة حالة غير منظورة ولا تدخل في محيط المادة والجسد في زماننا هذا. القيامة هي خارج دائرة المادة. هي ليست كالآلام والموت، فالموت نستطيع أن نحسه الآن بالجسد، أما القيامة فيكاد يكون من المستحيل أن نحسها بالجسد.

لذلك فكل اعتمادنا ــ حينما نتكلم عن القيامة ــ إنما هو على مفاعيلها الداخلية، على فعلها داخل كيان النفس. ذلك لأن القيامة حركة داخلية تحرك أعماق الإنسان دون أن يتحرك الجسد، إنها تغير الكثير جداً من ذهننا ومن سلوكنا وأفكارنا وحديثنا دون أن يحدث شيء ظاهري على المادة.

فعالية القيامة داخل النفس قوية جداً وعميقة جداً. ولكننا للأسف عشنا كل أيام

حياتنا نأخذ القيامة على أنها مفهوم عقائدي وتسبحة «خر يستوس آنستي... آليثوس آنستي»، ولم نحس ولم ندخل في مجال فاعلية القيامة التي تستطيع أن تغير كل معالم النفس البشرية.

□ □ □

ما هي القيامة قبل المسيح، وما هي القيامة في المسيح؟

قبل المسيح كان يوجد **حديث** عن القيامة من بين الأموات، وكان هذا «الحديث» عن القيامة له من يؤمن به وله من يرفضه. الصدوقيون مثلاً كانوا يرفضون القيامة بينما الكتبة والفريسيون كانوا يؤمنون بها (مت ٢٢: ٢٣).

ولكن لما جاء المسيح تحول الحديث إلى **حَدَث**، والكلام والحوار إلى **فعل**، والمناظرة إلى **رؤيا** محسوسة وملموسة... وهذا هو أساس دخولنا إلى القيامة.

كان معروفاً في تعاليم الربيين وفي لمحات من نبوات الأنبياء في العهد القديم أن بمجيء المسيا سوف يكون هناك مجد ماسياني على أساس مفهوم «قيامة»، ولكن دون وضوح.

وهذا ما نستشفه من إرسالية يوحنا المعمدان لتلاميذه حينما أرسلهم ليسوع يسألونه: هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ وكانت فرصة المسيح لينبه ذهن يوحنا المعمدان، وذهننا، بل وذهن العالم كله، وذهن كل باحث وقارىء، حينما نظر إلى التلميذين الآتيين وقال لهما: «إذهبا وأخبرا يوحنا بما **تسمعان وتنظران**: العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصُم يسمعون **والموتى يقومون** والمساكين يبشَّرون، وطوبى لمن لا يعثر فيَّ» (مت ١١: ٢-٦).

هنا **السمع يسجل الحدث، والنظر** يسجل الواقع. فالحديث عن القيامة صار حدثاً والمناظرة صارت رؤيا يُسمع عنها وتُنظر.

المسيح يعلن بالفعل ابتداء زمان المسيا، يعلنه أولاً في صمت، بأن أقام الموتى أمام عيونهم: «**الموتى يقومون**». ثم يعلن و يشرح أن إقامة الموتى هي علامة زمان المسيا كما تحدث عنه حكماء إسرائيل وكتبتهم. ثم يردف: «وطوبى لمن لا يعثر فيَّ»، لأنه إزاء هذا المجد المستعلن المنظور والمسموع ليت لا أحد يعثر في المسيح.

□ □ □

أما حوادث إقامة الموتى التي أتاها المسيح فسنختار منها أربعاً:

أولاها: إقامته لإبنة يايروس رئيس المجمع، وكان عمرها ١٢ سنة. وكان رد الفعل لهذه المعجزة أن «بُهت الجموع بهتاً عظيماً». أما يسوع فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك.

كان الرب دائماً لا يشاء البتة أن يعلن عن المعجزات التي تعلن عنه كمسيا، لم يكن يريد أنَّ خبره يسبقه، كان يريد أن المعجزات تتبعه لأنه كان أعظم من المعجزة. كان دائماً يطلب أن يصدَّق بكلماته أكثر مما بمعجزاته: «صدِّقوني أني في الآب والآب فيَّ وإلا **فصدقوني بسبب الأعمال نفسها**» (يو١٤: ١١).

أما الحادثة الثانية فهي إقامة ابن أرملة نايين ــ وكان شاباً يافعاً ومحمولاً على النعش خارج باب المدينة، والمدينة كلها خرجت تشيعه، فلم يكن ممكناً أن يمنع خبر المعجزة من الإنتشار. فكان رد الفعل عند الشعب: «**فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله**» (لو٧: ١١ــ١٧)، وتمجيد الله هنا هو تحقيق الإشارات إلى المجد الماسياني أي مجد المسيح نفسه.

أما الحادثة الثالثة فهي إقامة المسيح للعازر ــ وكانت بقوة واقتدار عظيم بعد أن انتن في القبر أربعة أيام (يو١١).

هذه حوادث قليلة لإقامة موتى ذكرها الإنجيليون. ولكن يبدو أن العدد كثير: «**والموتى يقومون**».

كذلك، مما يؤكد أيضاً حقيقة **زمان المسيا** ما حدث عندما صرخ المسيح بصوت عظيم وأسلم الروح «**إذ القبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور** بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين» (مت٢٧: ٥٣).

هنا صورة رائعة جداً للمجد الماسياني، لأن إقامة الموتى هنا لم تحدث هذه المرة بكلمة أو بأمر (كما في المرات الثلاثة السابقة). لكن انطلق المجد ليعلن عن شخصية ذلك «الميت» على الصليب.

من هذا ندرك تماماً أن القيامة من بين الأموات هي قوة كانت تتبع المسيح وتنبع منه كصفة أساسية لطبيعة ابن الله المتجسد. **هي قوة كامنة في المسيح استطاع أن يظهرها** و يعلنها على صورتين:

أ ــ إما **بالكلمة** ولو كان قد مضى على الميت أربعة أيام وأنتن.

ب ــ أو **تلقائياً** بلا كلام، كما حدث وهو على الصليب، عند موته.

إذن، فهناك صفة ملازمة للمسيح كامنة فيه انطلقت بموت المسيح لتعلن عنه:

إبن الله هو الحياة غير القابلة للموت، فلما أخذ جسداً قابلاً للموت ظهرت بالضرورة قوة القيامة الكامنة فيه. إذن **قوة القيامة هي نتيجة حتمية للتجسد**.

هذه مضادة، والإنجيل كله مضادة، والمسيح في حياته كلها كان مضادة. إنه يجمع النقيضين معاً في صلح رائع، يجمع الهوان والمجد معاً في مصالحة لا يمكن للإنسان أن يبلغ عمقها ومداها.

إن قوة القيامة حينما نقرنها بالجسد الميت أو القابل للموت، **فهي تعبير مبدع عن المجد الإلهي الذي رافق الهوان التجسدي**. «ولكن الذي وُضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد» (عب٢: ٩).

أي أن قوة المجد الإلهي الكائن في القيامة من الأموات وُجدت طبيعياً، جوهرياً، لاهوتياً، وحتمياً بالضرورة بسبب التحام «اللاهوت بالناسوت»، التحام الممجد بالمهان، التحام الحي غير القابل للموت بالجسد القابل للموت. وهكذا نشأت بالضرورة قوة قيامة من الأموات هي في مظهرها مجد، وهذا المجد وازن وعادل هوان التجسد.

وهكذا دخلت قوة القيامة كقوة إلهية سرية إلى العالم بتجسد المسيح، دخلت إلى الكيان البشري «هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له» (ثيئوتوكية الجمعة) ـــ هذا عمل مزدوج ولا يمكن فصلهما بعضهما عن البعض أبداً.

هذه القوة أحسها المسيح فيه وتكلم عنها، حينما قال عن نفسه: «إبن الإنسان يتألم و يُقتل وفي اليوم الثالث يقوم» (مت١٦: ٢١، مر١: ٣١، لو٩: ٢٢، ١٨: ٣٣)، قال أنه «سيُقتل» من عمق إحساسه بالهوان، وعلى نفس المستوى و بنفس القوة في التعبير قال «وسيقوم».

فالذي حمل هوان الجسد كان يحمل مجد القيامة، وكان المسيح يعيش في هذين الإحساسين المتضادين ـــ مبارك ومُسبَّح جداً هذا الذي جمع الهوان مع المجد، وصالح الألوهة مع البشرية.

بدأت مفاعيل القيامة في المسيح منذ بدء خدمته ولكن بصورة خاصة فردية في إقامة الموتى بكلمة!
ثم ظهرت هذه القوة بصورة عامة وفعالة ومنظورة عنه موته ـــ إنما مؤقتة أيضاً ـــ وحلت على أجساد القديسين الراقدين في القبور فقاموا.

ثم تشبتت هذه القوة ـــ قوة القيامة من الموت ـــ بصورة دائمة وأبدية كطبيعة جديدة للخليقة البشرية، إذ قام المسيح ليحيا إلى الأبد «ولا يسود عليه الموت بعد» (رو٦: ٩). وأعطى هذه القوة بصورة سرية للكنيسة، جسده الحي، بواسطة الروح القدس، باعتبار المسيح رأس الكنيسة و باعتبارنا أعضاءً أحياءً فيه، في جسده الحي

القائم من الأموات.

المسيح كان يدرك قوة مجد القيامة التي فيه، فأعلن عنها قبل حدوثها، تماماً كما أحس وأدرك فعل هوان الموت الذي قَبِل ورضي بإرادته أن يجوزه وأعلن عنه قبل حدوثه.

فحينما ارتضى المسيح أن يجوز الهوان، وجازه فعلاً، أي جاز موت العار على الصليب، ظهر بالضرورة الحتمية المجد الإلهي الماسياني بقيامته من بين الأموات.

«هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت (هوان الجسد) إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه» (أع ٢: ٢٤).

«الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً» (أع ٢: ٢٦).

وهكذا انفك عقال قوة القيامة الرائعة المجيدة، وتركها الرب حرة تحل على البشرية. خرجت من الرب بسماح منه وانطلقت وحلت على كل من ينتظرها حتى الأشخاص الذين ماتوا منذ زمن بعيد وكان عندهم رجاء أن يروا زمن المسيا ويفرحوا بيومه «لأنهم كانوا يطلبون وطناً أفضل أي سماوياً... رفضوا النجاة لأنهم كانوا يطلبون قيامة أفضل» (عب ١١: ١٦).

ياأحبائي إنتبهوا لأنفسكم هنا، إن لديكم من الإمكانيات أكثر مما للجسد الميت. فإذا كان الجسد الميت لشخص عاش في العهد القديم استطاع أن يلتقط قوة القيامة من الموت من على الصليب فكم وكم بالحري أنتم الذين تعيشون في ملء عصر النعمة، في ملء اتساع قيامة الرب.

هذا كله الذي صار من أجلنا ألا يكون لنا نصيب فيه مثل النصيب الذي صار لهذه الأجساد التي ماتت منذ زمن بعيد واستطاعت أن تلتقط قوة قيامة الرب التي انطلقت منه؟

ولكن يوم أن نرتضي أن نكمل واجبات الهوان، ستنطلق فينا وعلينا قوة القيامة لتعمل عملها من تبرير وتجديد حياة.

إذا قبلت الهوان والمذلة والآلام كما قبلها الرب فلابد أن تستعلن فيك قوة الله التي تنقض هذا الهوان.

بقدر ما يحتمل الإنسان بإرادته الهوان، بقدر ما ترفض إرادة الله أن تحمّله هذا الهوان.

الذي فيه مجد القيامة لا يمكن أن يُمسك في القبر أو في الهوان أو في الفساد «من اتضع ارتفع»، هذا قانون، من قَبِل الهوان قَبِل المجد، من قَبِل ذُلة الموت حلّت عليه قوة القيامة.

هذا هو المنفذ إلى قيامة الرب، هذا هو الباب الوحيد المفتوح أمامكم. القيامة حدث لا يختص بهذا الزمان، إنه فعل غير بشري. فأن نقبل الهوان وذلة الإماتة بالإرادة أو بالحري بمسرة حرية الإرادة، ففي الحال تحل علينا قوة القيامة. هذا هو المدخل الوحيد للقيامة.

فما وسيلتنا للقيامة إلا حمل الهوان أو إكمال عملية الآلام أو الاماتة؟ فكما أنَّ الآلام حركة، والآلام مرارة، أي فعل داخلي، فهكذا القيامة أيضاً. فإن تحركت الآلام في داخلك وعصفت بك وملكت عليك، حينئذ انتظر القيامة بنفس القوة وبنفس الحركة والفاعلية.

□ □ □

شهادات مجد القيامة:

وقد عُرفت قيامة المسيح من الأموات أنها «**مجد**»، و«**ارتفاع**»، و«**قوة**»، و«**نعمة عظيمة**»، و«**دينونة**»، و«**غفران**»، و«**تبرير**».

+ «إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا... شاهداً معنا بقيامته» (أع ١ : ٢٢).

+ «ارتفع **بيمين الله** وأخذ موعد الروح القدس من الآب» (أع ٢ : ٣٣).
+ «**وبقوة عظيمة** (مستمدة من القيامة نفسها) كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع. **ونعمة عظيمة** كانت على جميعهم» (أع ٤ : ٣٣).
+ «هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطي أن يصير ظاهراً ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم، لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات. وأوصانا أن نكرز للشعب ونشهد أن هذا هو المعيَّن من الله **دياناً** للأحياء والأموات، له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا» (أع ١٠ : ٤١).
+ «ولما تمموا كل ما كتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر، ولكن الله أقامه من الأموات... والذي أقامه الله لم يرَ فساداً... بهذا ينادى لكم **بغفران الخطايا**، وبهذا يتبرر كل من يؤمن به من كل ما لم يتبرروا منه بناموس موسى» (أع ١٣ : ٢٩).

ولقد أدرك التلاميذ والرسل الأوائل ما سبق وأعلنه الرب تماماً أن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويقوم من الأموات، وما كانت أذهان التلاميذ مغلقة عنه، بل بدأوا يفهمونه بل ويبشرون به بنفس الكلمات تقريباً. فنسمع من القديس بولس الرسول نفس هذا التعبير:
+ «فدخل بولس إليهم (في تسالونيكي) حسب عادته وكان يحاجهم، ثلاثة سبوت، من الكتب موضحاً ومبيناً أنه كان ينبغي **أن المسيح يتألم ويقوم من بين الأموات**» (أع ١٧ : ٢).

هي نفس الكلمات التي قالها الرب لتلميذي عمواس: «**أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده!!**» (لو ٢٤ : ٢٦).

القيامة بالنسبة لنا:

المسيح كان باكورة الراقدين. قيامة الرب تمت على أساس أنه باكورة. ومن هنا سنتأمل في القيامة باعتبارها تختص بحياتنا نحن، أي بقيامتنا نحن أيضاً.
بدأت الكرازة بالقيامة من بين الأموات بالنسبة للمؤمنين كنتيجة حتمية لقيامة

الـرب، فـقـيـامة الرب هي قيامتنا نحن. باعتبار أن قوة القيامة أعطاها لنا المسيح، تماماً كما كـانـت آلامه لنا ومن أجلنا، فلأن آلامه التي احتملها من أجلنا وعوضاً عنا، فهكذا صارت قيامته لأجلنا ولنا أيضاً بالضرورة.

والـقـديس بولس الرسول يعبِّر عن ذلك بآية مختصرة: «إن يؤلَّم المسيح يكن هو أول قـيـامـة الأمـوات مـزمـعـاً أن ينادي بنور للشعب والأمم» (أع ٢٦: ٢٣). أي أن المسيح لـكونه أول من خضع للآلام بإرادته وهو غير مستأهل لهذه الآلام، فقد صار بالضرورة هو أول قيامة الأموات، المزمع أن ينادَى به كنور للشعب والأمم معاً.

ولـكـن الـقـديس بـولـس الرسول يوضِّح ذلك جداً في رسالته الأولى إلى كورنثوس: «لكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين»، «فإنه إذ الموت **بإنسان (آدم)، بإنسان أيضاً (المسيح) قيامة الأموات**» (١ كو١٥: ٢٠و٢١).

أي أنـه إن كـنـا قد ورثنا الموت من آدم ونحن مظلومون، فسنأخذ القيامة أيضاً بنفس السهولة كمنعَم بها علينا، مقابل نفس الظلم الذي ظُلمنا به؛ تماماً كما ورثنا آلام الموت وهـوانـه من آدم دون أن يكون لنا دخل في سببها. هكذا نحن نأخذ أيضاً مجد القيامة التي في المسيح بالنعمة التي أُعطيت، و بصورة ممتازة فائقة.

ولـكـن إن كـانـت آلام الـموت هي من طبيعتنا، إلا أن القيامة ليست من طبيعتنا. المـسـيـح عـمـل هـنـا معجزة فائقة للوصف ليركب القيامة ومجد القيامة على جسد الهوان، تـمـامـاً كما أخـذ هـو طـبـيـعـة قـبلت الموت بالإرادة وليس بالاستحقاق: «في آدم يموت الجميع... في المسيح سيُحيا الجميع» (١ كو١٥: ٢٢).

كـذلـك في رسـالـة كـولـوسـي يـكرر القديس بولس هذه الموازنة ولكن بصورة واقعية أكثر: «هو رأس الجسد الكنيسة، الذي هو البداية، بكر من الأموات لكي يكون متقدماً في كل شيء» (كو١: ١٨).

أما في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى، فبينما يقدم لنا القديس بولس محاجاة ساخنة جداً ضد الذين ينكرون القيامة، يكشف لنا العلاقة الهامة والأساسية جداً التي تربطنا بقيامة المسيح ربطاً مبدعاً جداً:

+ «إن كان المسيح يكرز به أنه قام من بين الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات؟».

أي أن قيامة المسيح أنشأت حتماً وبالضرورة قيامة الأموات عامة.

أي أن قوة القيامة دخلت العالم بقيامة المسيح.

+ «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام».

أي أن قيامة المسيح ليست فردية، ليست شخصية منحصرة في شخصه، بل إن قيامة المسيح أنشأت قيامة عامة وشاملة لجنس البشر.

+ «وإذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم».

إذن، يقصد أن الكرازة بالمسيح تقوم أساساً وكلياً على قيامة المسيح من بين الأموات!! وأن إيماننا بالمسيح يقوم أساساً وكلياً على قيامة المسيح من بين الأموات!!

+ «فنوجد نحن شهود زور لله إن كان الموتى لا يقومون».

أي أن قيامة الأموات هي الأساس الصادق لشهادتنا أن الله أقام المسيح.

+ «وإن كان الموتى لا يقومون فالمسيح لا يكون قد قام».

أي أن قيامة المسيح برهانها وصدقها وفعلها وأثرها المباشر هو قيامتنا نحن من بين الأموات ــ فالقيامة ذات فعل مباشر فينا.

+ «إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم».

أي أن قيامة المسيح هي القوة العاملة والأساس لغفران خطايانا.

+ «إن لم يكن المسيح قد قام فالذين رقدوا في المسيح قد هلكوا».

أي أن حقيقة قيامة المسيح هي التي تجعل موتنا للحياة وليس للهلاك، فلأن المسيح قام، فنحن لا نهلك.

□ □ □

بحسب إيماننا المسيحي الأرثوذكسي هناك ثلاثة مفاعيل للقيامة:

أولها: القيامة الحاضرة الأولى: يجملها القديس بولس الرسول في آية واحدة في رسالة رومية، أن المسيح «أسلم لأجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥) أي هي التبرير.

ثانيها: القيامة الحاضرة التي نعيشها الآن: «حتى كما أقيم المسيح من بين الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته، فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه» (رو٦: ٤).

أي الحياة الجديدة التي نأخذها من المسيح ونحياها الآن، وهذه هي **القيامة الأولى**.

ثالثها: قيامتنا العتيدة التي سنقومها كلنا، وهذه هي القيامة الثانية، وهي رجاء ينبع من القيامة الأولى.

١ ــ القيامة الحاضرة الأولى
(التبرير)

بر المسيح ليس قوة تهبط علينا من فوق بل هو ثمرة آلام الموت الذي جازه المسيح. صحيح أن الموت أنشأ مجد قيامة، والقيامة اكتسبت لنا براً، ولكن الأصل والأساس هو الآلام والموت. فشركة الآلام هي المدخل لحصول بر القيامة. فإذا دخلنا آلام المسيح دخلنا في بر القيامة.

الخطورة التي تواجهنا في قبول هذه الحقائق أننا تعودنا فهمها نظرياً ولم نقف أمامها

وقفة جدية واقعياً لنعيشها بالفعل والقوة. نتمناها ولا نبذل الجهد الذي يجعل هذا التمني حقيقة مع أنه موهوب لنا مجاناً (أي بدون ثمن من جانبنا).

ولكن يلزمنا أن نفهم تماماً أننا حينما نقول: «بر مجاني» فهذا يعني في المفهوم الأرثوذكسي أن هذا البر مدفوع ثمنه الذي يساويه، ثمن البر هو دم المسيح فقط. ولكن لا يعني البر المجاني أننا نحصل عليه بدون سعي وجهد من جانبنا بالرغم من أن سعينا وجهدنا مهما بلغ حتى الدم والموت لا يدخل إطلاقاً في حساب ثمن البر!!

لهذا، يلزمنا أن نستيقظ على معاني البر والخلاص والفداء، لأنها وإن كانت محسوبة أنها مواهب مجانية، أي مدفوع ثمنها الذي يساويها وهو الآلام والموت والدم وقيامة المسيح إلا أننا لا يمكن أن نحصل عليها تلقائياً، بل يكون ذلك دائماً حصيلة إيمان وثقة ورجاء وطلب وإلحاح وعزيمة واحتمال وصلب!!

فلكي نأخذ البر يجب أن نكون على مستوى البر نفسه (لا على مستوى الثمن)، لابد أن نكون مستعدين أن نكون أبراراً. وأول مستوى للبر هو أن يكون عندك الإيمان أنه بالرغم من خطاياك الكثيرة، يمكن أن تحل عليك قوة القيامة وتتبرر وتصير بلا دينونة، أي تصير باراً.

البر هو عكس الدينونة. أن أصير باراً يعني أني إنعتقت من الدينونة، ولكن خروجي من الدينونة لا يعني أني لست خاطئاً، ولكني خاطىء تبرأت، خاطىء وأول الخطاة ولكني بار. ليس كأني أنا الذي دفعت الثمن ولكن المسيح هو الذي دفع ثمن خطاياي بدمه.

اليوم يوم القيامة، يوم التبرير، إن لم تكن أنت اليوم باراً فليس لك أن تعيِّد عيد القيامة إلى أن تتوب عن عدم اعتقادك أنك بار بدم المسيح وقيامته.

اليوم عطية البر المجاني، اليوم ثمرة أتعاب المسيح.

حينما تنال منه البر تفرّح قلبه جداً لأنه سيرى صليبه قد أثمر.

يوم أن تصبح باراً تقول : « هلليلو يا » كما قلناها في لحن «پيك اثرونوس» ، بنغمة كرقص ذي صفين ، بفرح وتهليل جداً ، لأن بالصليب دُفع ثمن الخطية كلها .

حينما يدخل البر داخل القلب يحس الإنسان أنه بار لأن ثمن خطاياه قد دفع ، لأن الرب قام وانطلقت منه قوة القيامة مجاناً .

كل إنسان في انتظار مجد القيامة يأخذها ، كل إنسان يقول « أنا بار» و يفغر فاه ، تدخل قوة القيامة في أحشائه وتملأه ، و بعد ذلك فليهلل كما ير يد .

اليوم انطلقت قوة قيامة الرب وهي باستعداد الحلول في كل قلب مستعد لها . الإستعداد يدور حول إمكانية إحساسك بأنك قد تبررت بدم المسيح .

و بعد ذلك ، بعد أن يدخلك بر المسيح تصير على مستوى الحياة الجديدة ، جدة الحياة .

٢ ــ القيامة الحاضرة التي نعيشها

التبر ير هو المدخل الوحيد لجدة الحياة أو القيامة الأولى . دخولنا في جدة الحياة أي القيامة الأولى هو قداسة حسب مشيئة الله ، قداسة ليست منا أصلاً ، لكنها ثمرة التبر ير الذي اكتسبه لنا المسيح بقيامته .

يأخذ القداسةَ كلُّ من آمن بقيامة المسيح و بقوة قيامته ، لأنها تحل مجاناً على كل قلب عنده استعداد أن يقبلها ، فيصير قديساً و بلا لوم في المحبة أمام الآب في السماء .

برهان هذه الحياة الجديدة الظاهري خدمة لله بكل تقوى ووقار، والشهادة الفعالة بالسلوك حسب المسيح .

أما أثرها الداخلي الواضح فهو السرور والفرح والبهجة الدائمة التي هي مفاعيل القيامة التي تسود على مفاعيل الموت !!

وصدق حياتنا التقوية إنما ينبع من و يشهد لقيامة المسيح وحياته، لأن قيامة المسيح وحياته صادقة وفعالة!!

٣ ــ القيامة المستقبلة (الثانية)

من هذه الحياة الجديدة يتولد لنا يوماً بعد يوم إحساس بالحياة الآتية. حصولنا الآن على رجاء القيامة من بين الأموات العتيدة أن تتم في أجسادنا في عدم فساد، هذا نحصل عليه، يوماً بعد يوم، من صميم جدة حياتنا التي نحياها الآن بحياة المسيح.

و بقدر ما نتعمق في تقوى الحياة المسيحية في الحاضر، بقدر ما يزداد إحساسنا اليقيني الداخلي بالقيامة العتيدة لأجسادنا. وهذا يتجسم في رجاء قوي ساخن يكاد يغلب نفس الشعور بالموت و يلغي الخوف منه ومن ضعفاته سواء كانت هذه الضعفات مرضاً أو تهديداً بقتل أو خطراً أو جوعاً أو عرياً أو سيفاً... إلخ.

القيامة فعل إلهي متحرك وفعال وخلاّق ومجدّد (فالمسيح بعد أن قام مشى وتحرك). هكذا المفاعيل الثلاثة للقيامة: البر ــ جدة الحياة ــ رجاء القيامة الثانية، هذه كلها مفاعيل، حركة، قوة، انتقال، ارتقاء مستمر!!

لهذا تواجهنا أيضاً خطورة مخيفة ياأحبائي: لأنه إذا لم نحصل بالفعل على قوة التبرير كفعل وحركة وعمل له ثماره و برهانه، فهذا معناه أن القيامة لم تدخل حياتنا بعد كقوة وفعل وحركة، و بالتالي لن نذوق جدة الحياة أو نحصل على رجاء القيامة. نحن محسوبون أعضاء في جسده السري، فإذا لم نتحرك بحسب مشيئة وإرادة هذا الجسد السري بحسب فعالية قيامته نصبح أعضاءً عاطلين.

أما برهان صدق حركة القيامة وفعاليتها فينا، فيظهر على مستوى حركة موته وآلامه فينا تماماً، فإذا كنا في سلوكنا وحياتنا نعيش آلامه وصليبه كشركاء أمناء فيها ولا

نستعفي من مرارتها أو استمرارها أو شدتها مهما بلغت حتى إلى حدود الموت، فنحن حتماً سندخل في فعالية قيامته وحركتها كحياة جديدة كما يقول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس: «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح (المسيح الحي والقائم فينا) تكثر تعزيتنا أيضاً» (٢ كو١: ٥).

هذا ليس كلام وعظ ولكن تجربة روحية.

ينبغي أن نتيقن تماماً أن ثمار موته توازي تماماً ثمار قيامته. ولكن الأولى هي التي تمنح الثانية وجودها وكيانها فينا، على مستوى ما قاله المسيح أن «كل من اتضع ارتفع» ولكن العكس خطير، أي من ارتفع دون أن يتضع يسقط.

فالقيامة بهذا المعنى هي النتيجة الحتمية للآلام، كالمجد بالنسبة للهوان. فالآلام التي تجزع منها هي هي لك باب القيامة الوحيد!!

معنى العيـــد

ماذا يعني عيد القيامة لنا؟

المسيح قام من بين الأموات ناقضاً أوجاع الموت وكاسراً شوكة الموت التي هي الخطية. إذن فنحن اليوم نعيد:

عيد انتصارنا على الموت والخطية...

عيد انتهاء أزمنة طغيان الشيطان وكسر سلطانه القديم...

الموت موجود ولكن لا سلطان له علينا نحن الذين نعيش القيامة.

الخطية موجودة ولكنها فاقدة لسلطان قضائها ضدنا نحن الذين نعيش القيامة.

هذا هو عيد القيامة، فإن كنا لا نحس ولا نؤمن أننا انتصرنا على الموت في شخص المسيح وكسرنا شوكته التي هي الخطية، فنحن نكذب إن كنا نقول أننا نعيد للقيامة.

«خريستوس آنستي. آليثوس آنستي» معناها انتصرنا على الموت وكسرنا الخطية،

ونحن نعيش الآن حياتنا في المسيح المقام أزمنة الخلاص الجديدة «الأشياء العتيقة قد مضت وهوذا كل شيء قد صار جديداً» (٢ كو٥ : ١٧).

هذه هي حقيقة عيد القيامة بالنسبة لإيماننا، فإما نأخذها هكذا وإما نحن نضحك على أنفسنا. فعيد القيامة هو عيد النصرة على الموت وانهزام الخطية أمام بر المسيح.

أما الموت الذي يعمل الآن في العالم، فهو خطية وشر كاذب لا سلطان له. لقد حطم المسيح بقيامته قيود الموت وداسها وأفقدها سلطانها، وكسر شوكة الموت السامة كما ينزع الإنسان الناب السام من فم الحية.

قوة القيامة تعطي الإنسان رؤيا صحيحة جداً وصافية للغاية، يرى فيها الإنسان الموت بلا موت، والخطية بلا قوة، فيضحك عليهما، كما يلعب الطفل بحية من البلاستيك!!

الكنيسة تكرِّم عيد القيامة تكريماً فائقاً جداً عن كل عيد، لأنها تستمد منه رؤيتها الصافية لإدراك سلطانها الجديد الذي أخذته من المسيح لتحيا به حياتها الجديدة منتصرة على الموت وكل ما يؤدي للموت، منتصرة على الخطية وقادرة أن تلغي كل قوتها وفعلها بالتمام، منتصرة على العالم لأن روح القيامة هو هو الغلبة والنصرة التي غلب بها المسيح العالم.

ونحن نستلم من الكنيسة هذا الإيمان لا كأنه مبدأ أو فكرة نؤمن بها، ولكن كقوة حقيقية لقيامة المسيح تنبعث منه وتسكن أعماق كياننا كله.

* * *

صــلاة

+ المجد لك يارب في كنيستك التي استودعتها سر قيامتك، سر مفاعيل حية، استلمتها منك يارب في أسرارها وفي قديسيها من خلال السر ومن خلال التقليد بالكلمة و بالقدوة الحسنة والسلوك.

+ فياإبن الله، يامن استودعت كنيستك هذا الغنى كحركة وفعل دام وسيدوم إلى الأبد، افتح قلبنا اليوم لكي نستقبل يوم قيامتك كفعل قيامة حقيقية، كفاعلية بر تسكن قلبنا، بر مجاني مدفوع ثمنه بالكامل، وكحياة جديدة نعيشها منذ هذه اللحظة، كفعل يسكننا لا كفكرة أو نظرية.

+ أتوسل إليك يارب أن تعطينا أيضاً رجاء القيامة من بين الأموات، رجاءً حياً يسكن قلوبنا نستطيع أن نغلب به كل خوف من الموت، وكل انزعاج وكل ما يؤدي إلى الموت، كل الأمراض بأنواعها، وكل مخاوف وزعازع هذا الدهر وتهاويله الكاذبة. لأنك دست الموت فمات الموت... ورفعت عن الخطية سلطانها.

+ لا موت ولا خطية اليوم، فاليوم يوم قيامة، قيامة المسيح التي صرنا بواسطتها غير واقعين تحت سلطان الموت أو سلطان الخطية! اليوم نأخذ البر الذي هو انعتاق من كل دينونة إزاء الخطية.

+ أعطنا ياإبن الله مما اذخرته في كنيستك من أسرار، كمفاعيل حياة نذوقها، نعيشها، نفرح بها أمامك. ولا تجعل للموت سلطاناً علينا بعد ولا الخطية، بل في قيامتك وملء قوتها أيها القائم المنتصر على الموت فلتعطِ حياة، لتعطِ تبرراً، لتعطِ رجاءً لقيامة حية عتيدة تسكن أعماق كياننا وإيماننا.

والمجد لك في كنيستك منذ الآن وإلى أبد الآبدين. آمين. □

(١٩٧٥)

□□□□□

القيامة والمصالحة (*)

مقدمة :

إن خبر قيامة الرب يسوع من بين الأموات حدث هائل جديد كل الجدة، دوّى في أورشليم كلها وفي الجليل وكل فلسطين. فالقيامة ليست تقليداً إيمانياً، ليست تعليماً متوارثاً، بل هي حدث مفاجيء كل المفاجأة على العقلية اليهودية لم يمهَّد له بالتعليم، بل واقع ظهر في أفق الأوساط الدينية فأحدث ارتباكاً وانزعاجاً شديدين، أمر لم يكن متوقعاً في الديانة اليهودية، وكان مرفوضاً رفضاً كاملاً من الوثنية، ولكن ما العمل؟ ها هوذا يسوع المسيح قائم من الأموات!!

ولكن العجيب أن قيامة المسيح بدأت في الحال كمركز إشعاع يشرح كل العهد القديم والصليب وكل تعاليم الرب. و بقيامة المسيح من الأموات تعيَّن في الحال رب الكنيسة الجديدة!!

والعجيب أن قيامة الرب من بين الأموات فوق أنها صارت في الحال قوة ورجاءً للرسل، إذ نزعت عنهم كل الخوف من الرؤساء، فابتدأوا يظهرون و يشهدون و يتكلمون علناً أمام الرؤساء وفي المجمع ووسط الشعب؛ فإن القيامة صارت لهم بمثابة المفتاح الأول لفتح مغاليق المعرفة المستترة في العهد القديم. لقد استنارت عقول التلاميذ بالقيامة فاستطاعوا أن يشرحوا كل الأسفار بقوة و يقين على أعلى ما تكون المعرفة.

(*) عظة عيد القيامة المجيد عام ١٩٧٧ ألقيت بدير القديس أنبا مقار ــ وادي النطرون.

علماً بأن العهد القديم شحيح كل الشح في موضوع القيامة من الأموات، لأنه لم يُشر إليها بوضوح، ولم يعطِ تعاليم مركزة عنها. ولكن كل ذلك لم يقف حائلاً أمام الإستنارة العظمى التي ملأت ذهن وقلب التلاميذ، فاستشهدوا عن القيامة حتى بما كتب في العهد القديم بقوة هكذا:

+ «وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١ كو١٥: ٤). والإشارة هنا واضحة إلى مز١٦: ١٠ حيث يقول: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. وقدوسك لن يرى فساداً».

كذلك في سفر الأعمال ٢: ٢٥ــ٣٦: «لأن داود يقول فيه كنت أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني لكي لا أتزعزع. لذلك سُر قلبي وتهلل لساني حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرفتني سبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك. أيها الرجال الإخوة يسوغ أن يقال لكم جهاراً عن رئيس الآباء داود أنه مات ودُفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه، سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تُترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهودٌ لذلك. وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه. لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول: قال الرب لربي اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً جميع بيت اسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً».

كذلك في هوشع ١٣: ١٤: «من يد الهاوية أفديهم، من الموت أخلصهم أين شوكتك ياموت. أين غلبتكِ ياهاوية».

وإشعياء ٢٥: ٨و٩: «يُبتلع الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه. و يقال في ذلك اليوم هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلّصنا (لسان حال التلاميذ يوم القيامة)، هذا هو الرب انتظرناه نبتهج ونفرح بخلاصه (فرح القيامة)».

وهوشع ٦: ١: «هلم نرجع إلى الرب لأنه هو أفترس فيشفينا، ضَرَب فيجبرنا، يحيينا بعد يومين. وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه».

وحزقيال ٣٧: ١٢ـ١٤: «لذلك تنبّأ وقُلْ لهم هكذا قال السيد الرب هانذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم... فتعلمون أني أنا الرب، عند فتحي قبوركم وإصعادي إياكم من قبوركم ياشعبي. وأجعل روحي فيكم فتحيون».

ولكن لم يتعوق ذهن التلاميذ كثيراً حول شرح التراث القديم فيا يخص هذا التعليم عن القيامة، بل انطلقوا يبنون فكر العهد الجديد على هذا الأساس الجديد: «القيامة»، فالمسيح نفسه قائم أمام عيونهم!! بل وظل يتراءى لهم أربعين يوماً، لقد صار هذا هو الأساس الجديد للعهدين القديم والجديد معاً وأساس المسيحية كلها والحياة الأبدية.

هذا اليقين الشديد نسمعه من فم بولس الرسول (١كو١٥: ١٤و١٥و٢٠):
+ «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا و باطل أيضاً إيمانكم، ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح».
+ «ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين» (امتداداً لقيامة المسيح من الأموات).

كذلك نستطيع أن نقرر أن كرازة التلاميذ والرسل منذ أول لحظة كانت تقوم على أساس قيامة المسيح من الأموات!! فقد حدث عندما أرادوا انتخاب رسول ليخلف يهوذا قالوا هكذا: «فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا، يصير واحد منهم شاهداً معنا بقيامته» (أع١: ٢١و٢٢).

وهكذا بدأت الكرازة بقيامة الرب كأساس للإيمان كله، حتى أنه لما أراد التلاميذ أن يبرهنوا على حادثة يوم الخمسين أنها انسكاب سمائي، لم يبرهنوا على ذلك إلا على أساس قيامة الرب يسوع من الأموات: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال

لهم: ... هذا الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه! ...، فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه»!! (أع ٢: ١٤و٢٤و٣٢و٣٣).

وهكذا صارت قيامة المسيح منذ أول لحظة أساس الإيمان المسيحي كله:

١ ــ أن المسيح تعيَّن بهذا أنه هو ابن الله، بقوة و يقين وشهادة الروح القدس، و بآيات ومعجزات.

٢ ــ وأنه ثبت يقيناً أن الموت الذي ماته على الصليب هو لحمل خطايانا، وأن قيامته هي لأجل تبريرنا من كل خطايانا.

٣ ــ وأنه أعطانا بقيامته من الأموات هذه حياة جديدة، إذ اعتبر نفسه كباكورة لنا ونفخ فينا من حياته.

٤ ــ وأن قيامته من الأموات هي تمهيد لمجيئه الثاني لتكميل مجد الخلاص علانية.

ولكن في هذا العيد ــ كما في يوم الجمعة العظيمة ــ نريد أن نفحص معنى الموت والقيامة بالعمق اللاهوتي، حتى نبني أنفسنا وإيماننا على أساس إنجيلي وآبائي.

□

علمنا ياأحبائي في عظة الجمعة العظيمة عن الصليب، أن الموت عنصر غريب على الإنسان، لأنه في الحقيقة هو مضمون اللعنة ــ كفعل عقوبة ــ التي دخلت إلى طبيعة آدم بالتعدي على نواميس الله «موتاً تموت»!!

والموت ياأحبائي كما شرحت أيضاً هو في الحقيقة عنصر التمزق الذي حدث بين النفس والجسد بعد أن كانا في ألفة قوية. فالنفس كانت قادرة بنسمة القدير ــ كنعمة خاصة يستمدها الإنسان من الله لحظة بلحظة ــ أن تحيي الجسد. هذه القوة المحيية يسميها القديس غريغوريوس النيسي: ζωτική δύναμις

لقد فقدت النفس هذه الألفة الدائمة مع الجسد بفقدان هذه القوة المحيية الفائقة، فبدأ التخلخل بين النفس والجسد بمجرد أن رفع الله نعمة هذه الحياة الدائمة معه بقوله للإنسان: «موتاً تموت» !! هنا الموت فِعْلُ عقوبة تغلغل الكيان الداخلي للإنسان. هذا التخلخل بين النفس والجسد، الذي هو نتيجة اللعنة ورفع نعمة الحياة الدائمة مع الله، هو بداية الفساد: فساد كل شيء في الإنسان، عقله وذهنه وإرادته ونفسه وجسده. هذا الفساد زحف على كيان آدم وصار طابعه العام !! وصار الفساد هو النتيجة الملازمة للموت !!

فإذا عدنا إلى الصورة الآدمية الأولى قبل اللعنة، نجد نعمة الحياة الدائمة مع الله التي كان ينعم بها الإنسان الأول، آدم وحواء، في حضرة الله بمعزل عن التغيير والفساد تحت تأثير الزمان. ولكن بمجرد حدوث اللعنة كفعل عقوبة رُفعت هذه النعمة الدائمة من الكيان البشري، ودخل الكيان البشري تحت الفساد بتأثير الزمان، بسبب غياب النعمة الواقية، نعمة الحياة والقيام الدائم في حضرة الله حيث كان يستمد الإنسان من الله الحياة مع الحكمة والبصيرة و يعيش في مجال قوة أرفع من كل الخليقة التي كان يسودها، وطبعاً كان يسودها بالقوة والنعمة الفائقة التي كان يستمدها من الله !

وبمجرد دخول الإنسان مجال التغير المفسد تحت تأثير الزمان وتحت تأثير الخطيئة بناموسها الرابض في كل الأعضاء فقد الجسد قدرته على مواجهة ناموس القداسة والبر الإلهي، كما فقد قدرته على مواجهة واقع الحياة ومتطلباتها؛ فبدأ العنصر الجسدي يرضخ لناموس الخطية المخرب، و يستهدف للإنحلال والعجز والمرض واستنزاف طاقاته تمهيداً للموت.

كما بدأت النفس تُستهدف لعجز الجسد وقصوره، وتُستهدف هي الأخرى للواقع المريض في الخارج والداخل، وتفقد اتزانها مع الجسد وتفقد قدرتها على احتفاظها بالمثل العليا، فبدأت تتغرب عن الجسد والواقع المثالي قليلاً قليلاً استعداداً للتخلي عن الحياة في الجسد جملة !!

هذه هي النتيجة الحتمية للموت الذي دخل إلى العالم باللعنة، تمزُّق بين النفس والجسد ووقوع كل منهما تحت تأثير الخطيئة واستهداف كليهما للفساد!... فالفساد هو التعبير الواقعي أو العملي للموت العامل بالخطيئة واللعنة!!

صحيح أن الموت هو عدو الإنسان الأعظم ومأساته الكبرى ومشكلته المحيرة التي استنزفت كل وقته وتفكيره وتدبيره ليتلافى حدوثها أو على الأقل يؤجل حدوثها بكل وسائل العلم والمعرفة، ولكن هيهات! فآخر عدو يُبطَل هو الموت!! بحد تعبير الكتاب.

ولكن ما معنى إبطال الموت؟ أليس هو إيقاف عوامل الفساد استعداداً لمصالحة النفس مع الجسد وتهيئتها للقيامة؟؟ وكيف تتصالح النفس مع الجسد لوقف الفساد واستعادة الحياة دائمة بلا تخلخل أو انقطاع؟ أليس برفع الخطيئة واللعنة للعودة إلى الله والإتصال الدائم به لنوال نعمة الحياة الدائمة مرة أخرى؟ هذا الذي أكمله المسيح بالفعل على الصليب والقيامة وأعطانا عربونه منذ الآن؟

إذن، على ضوء معنى الموت وإبطاله تكون حقيقة أو قوة القيامة في المفهوم المسيحي هي رفع اللعنة، لإبطال الموت ولوقف الفساد نهائياً، استعداداً لمصالحة جديدة بين النفس والجسد، لقبول حياة جديدة ليست كالحياة الأولى.

موت وقيامة المسيح كنموذج عالٍ:

أما من جهة المسيح، فنجد أن الكتاب سبق فوعد بجزم قاطع أنه لن يرى فساداً: «لن تترك نفسي في الهاوية ولن تدع قدوسك يرى فساداً» (مز١٦ : ١٠). وهذا ما تم بالفعل إذ يقول: «أين شوكتك ياموت. أين غلبتك ياهاوية» (هوشع ١٣ : ١٤).

ما معنى ذلك؟

معناه أنه كإبن الله سيقبل اللعنة نتيجة قبوله خطايا غيره في جسده، وبالتالي يأخذ عقوبة الموت عن الآخرين، وتنفصل نفسه بالفعل عن جسده. ولكن يمتاز هذا الموت دون جميع حالات الموت الذي عاناه كل إنسان في الوجود بغياب عنصر ناموس الخطيئة

المدمر والمفسد للجسد، وذلك بسبب قداسة المسيح الفائقة ولاهوته، فهو حامل خطايا ولعنة، ولكنه ليس خاطئاً ولا ملعوناً «لن تدع قدوسك يرى فساداً». لذلك يكون موت المسيح موتاً بلا فساد، أي يظل الجسد في أقدس وأطهر حالة مهيّئاً لقبول النفس في أية لحظة. وهذا ما تم بالفعل في اليوم الثالث.

المسيح هنا، كنموذج، صنع بقيامته أول مصالحة للإنسان بين النفس والجسد المنفصلين بالموت، برفع اللعنة وبالتالي إلغاء عقوبة الموت نهائياً، إذ بموته أمات الموت كذلك: «إن المسيح بعدما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد» (رو٦: ٩).

في القيامة بلغ التجسد كماله النهائي إذ دخل الإتحاد إلى الحياة الأبدية. لقد انغرست الحياة الأبدية في الجسد البشري واستُعلنت فيه بنصرة فائقة على الموت على أساس من غياب حالة الفساد التي كانت تمنع الحياة.

فالقيامة لحياة دائمة لا يسود عليها الموت بعد حدثت نتيجة غياب عنصر الفساد نهائياً، بل وعوضاً عن الفساد كان الروح القدس (روح القداسة) هو الفعّال في هذه المصالحة: «تعيَّن إبن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤)، على أساس أن كلاً من النفس والجسد عند المسيح كانا ــ حتى بعد انفصالهما: واحد منهما في القبر والآخر في الهاوية ــ كانا متحدين بلاهوت المسيح كإبن الله إتحاداً أقنومياً، كلٌ منهما على حدة. وأخيراً أتت نفسه واتحدت بجسده في ثالث يوم وقام من بين الأموات.

هنا قيامة المسيح هي بداية حياة جديدة لا يسود عليها الموت. إذن، فهي ليست عودة إلى الحياة الأولى ــ وإن كانت امتداداً لها ــ ليست مجرد قيامة جسد أو قيامة جسدية، بل حالة تجلي رائعة لكيان جديد بين النفس والجسد أعلى من الحياة الأولى، حالة غير خاضعة للزمن ولا للطبيعة ولا للتغيير بعد. فالمسيح مات وقام من الأموات، لا ليعيش حياته أو حياتنا الأولى، بل مات ليستخلص كل عوامل الموت وتأثيراته من كل الجسد

والـنفس، وليعطينا حياة جديدة تختلف تماماً عن حياتنا الأولى لا يسود عليها الموت بكل تأثيراته ولا الزمان بكل تغييراته.

ومـعروف في تـقليد الكتاب المقدس أن الملاك لما دحرج الحجر عن فم القبر في فجر الأحـد، لم يـصنـع هـذا لـيسهل قيامة المسيح، بل ليعلنها؛ لأن الجسد الذي قام دخل به المسيـح إلى الـعلية والأبواب مغلقة، فهو جسد متجلي، جسد ممجد، جسد سمائي، كان يـتـراءى في أمـاكـن مـتـعـددة في لحظة واحدة، ولم يكن من الكثافة حتى يمكن تتبعه أو مـلاحـظته كالأول، شأن كل السمائيين. ولكنه أكل وشرب أمام تلاميذه، الذين لمسوه بـأيـديهم حتى لا يظنوا أنه روح. هنا محاولة هامة من طرف المسيح للتأكيد على أن قيامته حـقـيقية كإمتداد لحياته معهم، ولكن لا تفيد عودة إلى نفس مستوى العلاقات الأولى أو نفس الرسالة الأولى، إنما لتؤكدها وتشرحها.

ولـكـن في كـل ذلك لا تُعتبر قيامة المسيح مجرد قياس أو نموذج عادي لقيامة بشرية، فـهـو إبـن الله الـقائم بالجسد من الأموات. فإن كانت قدراته قبل الصليب والقيامة إلهية وفـائـقـة على كـل الـبشر، فـكـم تـكـون بعد أن دخل في هذه الحالة العليا السماوية من الـتـجلي الـدائم؟... ولكنه في قيامته وتجليه الفائق كان يحمل البشرية ويجسد بشري على كل حال، فكان كباكورة لكل بني البشر الذين ماتوا على رجاء القيامة.

قيامة البشر من بين الأموات:

بـنـفس منطق القيامة التي أكملها المسيح لنا، ستتم قيامتنا، أي على أساس مصالحة النفس مع الجسد وهو في حالة شبه ممجدة، وذلك بإبطال سلطان الموت (آخر عدو يبطل) الـقـائم على الـفـسـاد. وهـنـا أقـدّم لكم أيها الأحباء صورة صافية لفكر الآباء عن مفهوم الـعـلاقـة بين المـوت والـقـيـامـة على أساس خلع الجسد ولبسه الذي جاء في رسالة بولس الرسول (٢ كو ٥):

يقول القديس **يوحنا ذهبي الفم**[1] في رسالته عن القيامة من الأموات:

---

(1) 6 M.G., L, C, 427-428.

[ليس الجسد هو الذي نخلعه عنا (في القيامة) وإنما الذي سنخلعه هو الفساد، فالجسد شيء والفساد شيء آخر. فلا الجسد هو الفساد ولا الفساد هو الجسد. صحيح أن الجسد يفسد ولكنه ليس هو الفساد، فالجسد يموت ولكن الجسد ليس هو الموت!! أما الجسد فهو عمل الله وخلقته، ولكن الموت والفساد إنما دخلا بالخطيئة، لذلك فكأنما بولس الرسول يقول: سأخلع عني هذا الشيء الغريب الذي لا يناسبني، ولكن هذا الشيء الغريب ليس هو الجسد وإنما الفساد. فالحياة الجديدة لا تبطل ولا تلغي الجسد وإنما تلغي ذلك الذي كان متعلقاً بالجسد أي الفساد والموت].

هذه صورة واضحة معبِّرة أشد التعبير عن تقليد الكنيسة العامة فيا يخص قيامة الجسد بدون فساد. فالجسد بمثابة حبة حنطة تقع في الأرض لتقضي فترة شتاء الموت المظلم في القبر، تنتظر فجر القيامة للدخول في ربيع الحياة الأبدية.

هذا كله تستمده الكنيسة من تعبيرات القديس بولس الواضحة: «لكن يقول قائل كيف يُقام الأموات؟ و بأي جسم يأتون؟...»، أسئلة محيرة.

قيامة الأموات هي هذه: «يُزرع في فساد (الموت وحياة ما قبل الموت)، و يُقام في عدم فساد. يُزرع في هوان، و يُقام في مجد. يُزرع في ضعف، و يُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً (متعلقاً بقوانين الأرض)، و يُقام جسماً روحانياً (متعلقاً بقوانين السماء)... ليس الروحاني أولاً بل الحيواني و بعد ذلك الروحاني... وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح). فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد» (١ كو١٥: ٣٥و٤٢ــ٥٠).

هذه هي القيامة في الإيمان المسيحي: حياة بالنفس والجسد وإنما في أسمى إمكانياتها الروحية.

وبولس الرسول في موضع آخر ــ أي في رسالته الثانية لكورنثوس ٥ ــ يوضح أكثر أهمية وجود الجسد إنما في حالة روحانية أسمى: إن القيامة ليست هي حالة عُري إذ نكون قد خلعنا الجسد، بل نلبس صورة السمائي فوق الجسد، نلبس قيامة الرب يسوع على الجسد فيُبتلع الموت الذي فيه:

+ «فإننا في هذه أيضاً نئن مشتاقين أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء (صورة جسد مجد المسيح القائم من الأموات). وإن كنا لابسين (الجسد) لا نوجد عراة (بدون جسد). فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين (بالجسد الترابي)، إذ لسنا نريد أن نخلعها (أي نخلع الخيمة ــ أي الجسد) بل أن نلبس فوقها ,,صورة السمائي،،. لكي يُبتلع المائت بواسطة الحياة (القيامة)» (٢ كو ٥: ٢ــ٤).

يشترك في نفس هذا التعليم بكل وضوح ودقة كل من القديس الشهيد أغناطيوس والقديس إيرينيئوس. كما يقول **القديس أثناسيوس**(٢) في رسالته عن التجسد فيما يخص الموت ثم القيامة:

[كما تسقط البذرة وتُدفن في الأرض، هكذا نحن لا نهلك عندما نموت ولكننا نقوم كأننا زُرعنا].

هذا التراث قديم جداً في الكنيسة، إنه رسولي، يقول عنه **أثيناغوراس**(٣):

[إن الجزء البشري الذي يستقبل العقل والفهم هو شخص الإنسان عموماً وليس النفس وحدها، لذلك يتحتم أن يظل الإنسان إلى الأبد صاحب نفس وجسد معاً. وهذا يستحيل، إذا لم تكن هناك قيامة، فإذا لم تكن هناك قيامة، بَطُل أن يكون هناك كيان بشري].

من هذا كله يتبين أن فكر الآباء عن القيامة كان تقليداً ثابتاً إنجيلياً بحسب واقع قيامة المسيح التي رآها ولمسها التلاميذ وعايشوها وأكلوا وشربوا معها وتحدثوا إليها، فصار

---

(2) 21 M.G., xxv, p. 123.

(3) De resurrectione mort, 13 p. 63 Schwartz.

تعليمهم من واقع حي وتقليد شديد الرسوخ.

فالقيامة ــ كما يقول القديس غريغوريوس النيسي ــ ليست عودة إلى الحياة الأولى بأي حال من الأحوال، ولا هي تكرار أفضل لصورة ما نعيشه الآن بأي حال من الأحوال، لأن هذا التصور هو البؤس كل البؤس، كما يقول النيسي بل هو بؤس بلا نهاية!! ولكن كما يقول بولس الرسول، فإن الرب نفسه سيكون عاملاً بروحه في قيامتنا بقوة قيامته لتغيير جسدنا ليكون على صورة جسده «الذي سيغير (بنفسه) شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده».

صلاة

إلى الذي مات عنا وقام.
هكذا أحببتنا ياإبن الله.
قدمت الحياة رخيصة على الصليب،
اشتريتنا بالدم يوم الجمعة، وحررتنا فجر الأحد.
حررت أرواحنا من رقّ الموت والهاوية والفساد، وصالحتنا مع أبيك.

الشكر لك والتسبيح والمجد الدائم، ياإبن الله، يامن صنعت عجباً لحسابنا، أتوسل إليك يامن صالحت النفس بالجسد، أن تصالح نفوسنا بأجسادنا يارب.

أجسادنا ثقيلة جداً على نفوسنا، صارت مرذولة لا تريد أن تستجيب لمطالب النفس والروح. كم صارت أجسادنا ثقيلة ورذيلة نطالبها بالقيام والوقوف فتتكاسل وتتراخى، ألا ليتك تعطينا قيامة صادقة حقيقية للجسد والنفس.

ليتك تعطينا مصالحة عميقة وسرية لكيلا يتمرد الجسد فيا بعد على الروح بل يتصالح معها و يستجيب، والروح أيضاً تتصالح مع الجسد في ألفة أنت كونتها بعد خصومة دامت آلاف السنين، أيها القائم من الأموات، بمصالحة عظمى بين النفس والجسد. ليتك تصالح نفوسنا مع أجسادنا.

ثم، ألا ليتك تصالح نفوسنا بنفوسنا. كم مرة تضيق نفوسنا بإخوتنا، كم مرة نضيق

بالناس والآخرين. وأنت يارب الذي صالحت الكل فيك، وصالحت البشرية بأبيك.

هذه هي قوة القيامة، قوة المصالحة العظمى، ليتك في هذا اليوم المبارك، تشفي خصومتنا إن كان في داخلنا أو في خارجنا. إلغِها ياربي كما ألغيت الموت.

إلغِ الخصومة من أعماقنا كما ألغيت الفساد لكي يدب الصلح والسلام بين أنفسنا وبين الآخرين، كل الآخرين يارب. لا يعود لنا عدو لأن القائم من الأموات لا يرى أمواتاً بل يرى حياة ويبارك كل الأحياء فيك ياإبن الله.

فأعطنا نحن الذين دعينا أبناء قيامة ونور أن نتصالح مع كل إنسان في الوجود.

أيها القائم من الأموات، لتعطِ كنيستك بذرة المصالحة حتى تأتلف الأعضاء كما تأتلف المرافق في الجسد بالأُزر والمفاصل سهلة الإنحناء والإلتواء ليسير الجسد ويقوم ويستقيم.

سيدي الرب، هكذا أقمت كنيستك بعد خصومة وتفتت من جراء ميراث آدم المرّ، أعطيت الرسل والتلاميذ ومن بعدهم الأساقفة على ممر الأجيال وكل شعبك صلحاً وسلاماً لكي يأتلف الجميع فيك وبك في كنيستك ويقبلوا بعضهم قبلة المصالحة، ليقدموا ذبيحة السلام والفرح والتسبيح.

هكذا ياربي نطلب بقوة القيامة وحقها أن تتصالح الكنيسة بالحق حتى لا تكون القبلة مجرد دعاء شماس من وراء المذبح، لا يستجيب له أحد، وإن استجاب له فالقلب بعيد كل البعد عن كل القلوب بل ومتنافِر كل التنافر، ليتك ياربي تعيد لكنيستك صلحها وسلامها: «آزپاز يستا» ἀσπάζεσθτε بالحق وبالفعل وبالقوة تسكن كنيستك يارب لتكون القبلة بالقلب ليتصالح أعضاء كنيستك رؤساء بمرؤوسين، أساقفة مع كهنة، وكهنة مع شمامسة، والكل مع شعبك. ليقدم لك الشعب عبادة مقبولة كما من فم واحد.

ثم يارب، أنت الذي أنشأت كنيسة واحدة وليس كنائس، لم تقسم الرسل إلى قسمين ولا إلى خورسين قبلي وبحري أو شرق وغرب، بل جعلتهم خورساً واحداً، أريتهم

دمك ثم أريتهم حبك وقلت لهم إن كنتم تلاميذي فليكن لكم حب بعضكم لبعض ليعرفوا أنكم تلاميذي.

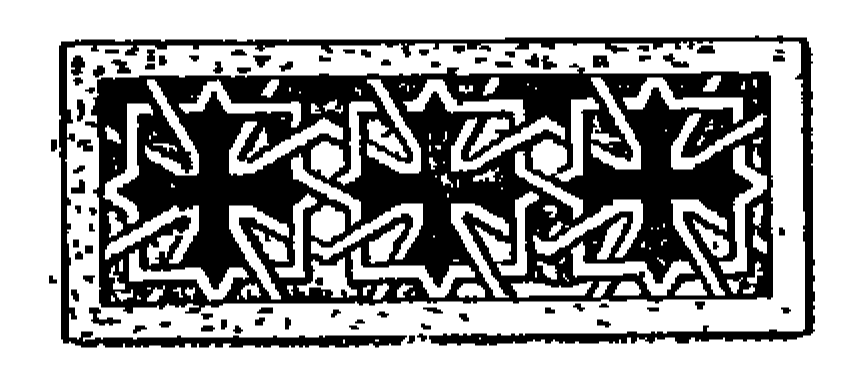
سيدي الرب، انقطع الحب والسلام بين أعضاء الكنائس، فهي كاذبة إن قالت أنها كنيسة الرسل، وكاذبة إن قالت أنها كنيسة واحدة مقدسة جامعة.

فالآن يارب، يامن أسكنت تلاميذك قوة قيامتك، فسلكوا بها، وحل الروح القدس عليهم بسبب هذه الأُلفة، وامتلأت كنيستك الأولى مواهب وقوى ونعمة فوق نعمة. الآن افتقد كنيستك المنقسمة المتفتتة ليعود لها صلحها وسلامها، لتعود لها أُلفتها، لكي يحل روحك القدوس فيها و يعود إليها جمالها وبهاؤها و ينسكب عليها روحك القدوس، فتكون الشهادة بصدق الحياة وصدق السلام والمحبة.

آمين اسمع يارب في كنيستك في هذا اليوم المبارك، ألق صلحاً وسلاماً على وجه الأرض كلها حتى يهتم كل إنسان بخلاص نفسه.

لك المجد في كنيستك من الآن وإلى أبد الآبدين. آمين.

(١٩٧٧)



القيامة والفداء
في المفهوم الأرثوذكسي

ياللفرحة العظمى التي تعيِّد بها الكنيسة لقيامة المسيح من بين الأموات، وهي تردد بلا انقطاع هذه الأيام «اخرستوس آنستي».

فاخرستوس آنستي بالنسبة للكنيسة معناها أنه قد كمُل الفداء، وأنه قد صار حقاً من حقوق كل الخطاة أن يستلموا بالإيمان وبلا ثمن صك الحرية والخلاص من عبودية الخطية والموت، وقبول الدعوة للحياة الأبدية.

ولكي نحصل على إيمان بالقيامة له هذه القوة، يلزم أن ندخل في عمق إيمان الكنيسة الذي يربط ربطاً شديداً: **بين سر العشاء في مساء الخميس، وبين سر الصلبوت في يوم الجمعة، وبين سر القيامة في فجر الأحد.**

في العشاء مساء الخميس كشف الرب لأول مرة عن معنى وحقيقة الصليب القادم الذي طالما تكلم عنه باعتباره آلاماً كثيرة وموتاً وحسب، ولكن فجأة وهو على العشاء أوضح بمنتهى الإختصار والسرية أنه سيقدم نفسه ذبيحة عن العالم وأن هذه الذبيحة **ستقدَّم لله الآب كاملة، كذبيحة الفصح تماماً، جسداً مكسوراً يأكلونه ودماً مسفوكاً يشربونه لمغفرة الخطايا وللحياة الأبدية.**

ولكن الذي أدهش التلاميذ على العشاء والذي لا يزال يدهش العالم كله أن المسيح

في عشاء الخميس لم يكن يشرح نظرياً كيف سيُذبح يوم الجمعة، بل استبق الحوادث، إذ قبل الصليب بيوم كامل قدّم نفسه لتلاميذه مذبوحاً ليس كمجرد عمل من أعمال النية وللتوضيح، ولكن كفعلٍ كَسْرٍ وذَبْحٍ وسَفْكٍ فعلي أكثر وأعمق وأوضح مما حدث يوم الجمعة على الصليب، بحيث أن كل أسرار تقديم المسيح نفسه ذبيحة على الصليب يوم الجمعة والتي يستحيل أن يراها أو يفهمها إنسان على الأرض، بادر المسيح في عشاء الخميس وكشفها وأوضحها لتلاميذه عملياً.

فالمسيح بعد ما كسر الخبز ومزج الخمر قدّمها لتلاميذه لا بصفتها مجرد تمثيل أو رمز لكسر جسده وسفك دمه على الصليب، بل قال لهم: «**هذا هو جسدي المكسور. هذا هو دمي المسفوك**». **فهنا أحدث المسيح فعلَ ذبحٍ إرادي بسر لا يُنطق به.**

ثم أعلن سبب كسره أو ذبحه وهو: «**عنكم**»، ثم كشف لماذا سيُذبح عنهم، إذ قال لهم: «**لمغفرة الخطايا**».

ثم وأكثر من هذا كله، إذ بعدما أكمل فعل الكسر والسفك الفعلي لجسده ولدمه بالسر، أمرهم أن **يأكلوا منه و يشربوا**، لا كخبز مكسور أو خمر ممزوج بعد، بل «**جسداً مذبوحاً**» فعلاً، موضحاً بهذا **أن سر يوم الجمعة حاضر أمامهم كفصح إلهي حقيقي، فموت الصليب يوم الجمعة لن يكون مجرد تقدمة للآب عن خطايا العالم وحسب، بل ذبيحة حب وعشاء دائم يأكل منها العالم كله.**

وبهذا كشف المسيح في عشاء الخميس بكل وضوح وعلانية أن ذبيحة نفسه التي سيضعها على الصليب هي هي ذبيحة الكفارة التي لا يقدمها أمام الله الآب بفعل تلقائي عن الناس وحسب، بل **ذبيحة حب شخصي لا تتم الكفارة فيها إلا بالإشتراك الفعلي فيها**، وهكذا شرح المسيح في سر عشاء الخميس **أن الشركة الفعلية الكاملة في الإيمان بالمسيح المصلوب كذبيحة للخلاص وغفران الخطايا، لابد أن يحققها الأكل الفعلي من الجسد والشرب من الدم بحسب السر الذي تممه في عشاء**

الخميس، وبذلك فقط تتم الكفارة ويتم الغفران ويتم الإتحاد بالمسيح للإمتداد في الحياة الأبدية.

بهذا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية أن عشاء الخميس الذي هو الإفخارستيا، وصلبوت يوم الجمعة، هما سر واحد لا يمكن إدراك الواحد بدون الآخر، ولا يمكن نوال سر قوة الواحد منهما بدون الآخر، والحب كان هو الدافع لهما كليهما. فعندما جلس للعشاء قبل عيد الفصح قال عنه يوحنا: «وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب، إذ كان **قد أحب خاصته** الذين في العالم **أحبهم إلى المنتهى!!**» (يو١٣: ١). هذا الحب مات به يسوع، وبه أيضاً قام!!

ولكن مرة أخرى عندما نتعمق في أسرار عشاء يوم الخميس نرى الإعلان عن سر القيامة ضمن الإعلان عن سر موته واضحاً غاية الوضوح، إذ بينما **يقدم المسيح نفسه** لتلاميذه ويقول لهم: «خذوا كلوا جسدي مكسوراً، وخذوا اشربوا دمي مسفوكاً»، **يقدمهما بنفسه** ليس ميتاً بل حياً، **وبيديه،** فالمسيح في سر عشاء يوم الخميس كان مذبوحاً وقائماً معاً، ميتاً وحياً معاً. هذا السر مدهش إذ استطاع المسيح أن يكشف به بكل قوة وإنما في سر عجيب عن القيامة المحققة والكائنة في الموت المزمع أن يتم على الصليب يوم الجمعة!! **«أنا هو الأول والآخر، الحي وكنت ميتاً، وها أنا حي إلى أبد الآبدين»** (رؤ١: ١٧و١٨).

وبهذا ندرك عظمة الإفخارستيا التي أكملها المسيح في عشاء الخميس والتي تكملها الكنيسة حتى اليوم، باعتبارها السر الذي يشرح ليس فقط أسرار الصليب يوم الجمعة، بل سر المسيح الميت الحي، وسر الفداء بكامله وبكل دقائقه، باعتبار أن الموت الذي حكموا به على المسيح لم يكن إلا ذبيحة حب إرادية وكفارية تحمل في مضمونها **قوة الموت عن الآخرين، وقوة القيامة بالآخرين،** وأنها بناءً على ذلك ذبيحة قادرة أن تعطي عوض الموت عن خطايا الماضي **الحياة الأبدية،** وذلك بما تحمله هذه الذبيحة من سر الشركة المفتوحة على الإنسان، الشركة في جسد ودم المسيح المذبوح والقائم.

بهذا فهمت الكنيسة أن الموت على الصليب كان ذبيحة حية ومحيية بآن واحد، كفارية وقادرة أن تقيم من الموت أيضاً، **هذا كله فهمته الكنيسة عبر أسرار سر العشاء.**

وهنا أيضاً تعود الكنيسة إلى أسرار العشاء الأخير وتكشف عن حقائق جوهرية بالنسبة لحوادث يوم الجمعة!

فالصليب لم يكن للمسيح ــ كما توهمه وكما انتهى إليه رؤساء الكهنة ــ آلة موت وتعذيب له كخاطىء ومجدِّف: «اصلبه اصلبه»، بل كان في علم الآب وفي أعماق المسيح أداة بذلٍ بدافع حب فدائي جارف بمقتضى ما أدركته الكنيسة من أسرار العشاء الأخير وأحاديث المسيح السرية في إنجيل يوحنا. ألم يسبق و يكشف عن نوعية موته؟ «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣).

وهكذا تحوَّل الصليب بواسطة القيامة من مفهوم العقوبة والموت في يد الصالبين إلى أداة فعَّالة للحب الإلهي في يد الراعي الصالح الذي فدى خرافه، والذي لا يزال يذهب وراء الخروف الضال إلى أقصى الأرض. أي مكان في العالم أيها الأحباء لا يوجد فيه صليب مرفوع؟ صليب يبحث عن الخطاة ليردهم إلى حظيرة الآب. لقد صار الصليب آلة فرح لكل من أدرك سرَّ الغفران الذي فيه، بل سر الحب الإلهي «**لأنه أحبني وأسلم نفسه لأجلي**» (غل٢: ٢٠).

هكذا فالمسيح لم يمت إلا لكي يقدم نفسه ذبيحة عن خطاة الأرض كلها، ثم من خلال هذه الذبيحة يعطي جسده المكسور ودمه المسفوك لكل إنسان على غرار يوم الخميس ليأكل و يشرب غفراناً وقيامة وحياة أبدية.

فالمسيح لا يزال يمارس في كل كنيسة و بين أحبائه سر عشائه، فعلى كل مذبح يقدِّم بيديه ــ مثل عشاء الخميس تماماً ــ جسده ودمه للمتناولين غفراناً للخطية وحياة أبدية، حيث صار سر الإفخارستيا الآن حاملاً لنا كل قوة عشاء الخميس من حب بلغ حتى

المنتهى، مع كل قوة الآلام التي تحملها الجسد على الصليب، مع قوة القيامة التي قام بها الجسد تاركاً القبر فارغاً.

ولكن لا يغيب عن بالنا أيها الأحباء أن مثل هذه المعاني العميقة المذخرة في سر عشاء الخميس، وكل النور المضيء الذي انبعث منها ليكشف مجد الصليب، لم يدركه التلاميذ قط **إلا بعد أن تحققوا من قيامة المسيح**، فأثناء العشاء لم يفهم التلاميذ شيئاً بالمرة من كل ما قاله وشرحه الرب، لقد مرت عليهم كلمات المسيح عن العهد الجديد والدم المسفوك وغفران الخطايا والحياة الأبدية كأنها بلا معنى، بل يقول الكتاب: «قد ملأ الحزن قلوبهم». ولما حضرت الساعة و بدأت إجراءات القبض وواجهوا خروج القضية وإعلان الصليب، انزعجوا وهربوا، و بعضهم أنكر بالرغم من كل ما سبق وأعلنه المسيح لهم، وكأن المسيح لم يُقِمْ إفخارستيا ولا غسل أرجلهم ولا تكلم ما لا يقل عن ست ساعات متوالية ــ بحسب توقيت إنجيل يوحنا ــ عن موته وعن قيامته وعن عودته وإرساله المعزِّي، وأنه لن يتركهم يتامى وكيف سيراهم وسيفرحون، كل هذا تبخَّر أمام رعبة العنف وظهور جند رؤساء الكهنة وإجراءات القبض...

لذلك تقع القيامة في لاهوت الكنيسة من مفهوم الصليب ــ الذي هو ذبيحة إرادية للتكفير عن خطايا العالم كله ــ **تقع موقع الأساس والقمة معاً**. إن سر القيامة كحقيقة إيمانية ملموسة كان كنور بهي سمائي، عندما دخل قلب التلاميذ قَلَبَ كل أحزان الصلبوت المهينة والموجعة إلى كرامة وعزة ونصرة ومجد. فالموت صار فداءً والقبر الفارغ صار منبع حياة بعد أن كان مستودع موت.

لذلك كان ليس بلا سبب ما قاله بولس الرسول: «**إن لم يكن المسيح قد قام فباطل هو إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم**» (١ كو١٥: ١٧). ولكن الحقيقة الأكثر أهمية في لاهوت الكنيسة، والكنيسة تؤمن بالفعل أنه قام، هذه الحقيقة هي: «**إن كان المسيح قد قام وقيامته صارت فينا حقيقة، فإيماننا حق ونحن لسنا بعد في خطايانا**». أي أن قيامة المسيح التي قامها بالجسد في اليوم الثالث صارت هي القوة

الأساسية الفعالة في مغفرة الخطايا، و بالتالي فالقيامة هي في عرف الكنيسة عماد مفهوم الكفارة. أي لا نستطيع أن نقول إن الموت الذي ماته المسيح هو- بحد ذاته - دفع لثمن خطايانا واسترضاء الله لرفع غضبه عنا. **فالقيامة هي التي جعلت موت المسيح له هذه القوة والكفارة والمصالحة.**

لذلك حينما نعود إلى نشيد الكنيسة المبهج «اخرستوس آنستي»، ندرك لماذا هذه البهجة الطاغية التي ألغت كل أحزان الصليب وآلامه، بل وألغت من كياننا بالفعل كل أوجاع الخطية والموت! لأنه إن كان المسيح قد قام، فإيماننا حق ولسنا بعد في خطايانا، وصليبه هذا إنما كان مجداً وليس عاراً، **وجسده ودمه الذي نأكله ونشربه إن كان هو جسد صليبه فهو جسد قيامته أيضاً، ولنا فيه شركة في القيامة عينها بكل تأكيد مع حياة أبدية...**

فالقيامة جعلت عار ولعنة الصليب نعمة وخلاصاً ومجداً!! **وجعلت الجسد المكسور والدم المسفوك ليس حياً فحسب بل محيياً!!**

بل وإن كان الموت دُفع ثمناً لخطايانا، فالقيامة زادت هذا الثمن بأن جعلته ثمناً **مقبولاً**، ومقبولاً **علناً ودائماً** في السماء والأرض!!

لذلك ما أحوجنا الآن إلى قيامة بنفس القوة والعلانية التي استعلنها التلاميذ في اليوم الثالث، لتلغي كل مفهوماتنا الخاطئة عن الخوف من الآلام والصليب، ولتكون بداية لإيماننا والقوة التي نستمد منها قدرتنا لا على فهم قوة صليب المسيح على مغفرة خطايانا، بل وعلى تحملنا لآلام الصليب عينها بكل فرح، حتى لا تصبح الآلام فيا بعد آلاماً بل شركة في مجد، كما اكتشف ذلك بولس الرسول قائلاً: «إن كنا **نتألم** معه لكي **نتمجد** أيضاً معه» (رو٨: ١٧).

هكذا أصبحت القيامة في عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية تقوم كأساس لعمل الفداء الذي كان في قلب المسيح منذ الإبتداء، أي لم يكن الفداء مجرد أن يدفع المسيح ثمن

خطايا البشرية وحسب، أو مجرد أن يرفع غضب الله عن العصاة الذين صاروا عبيداً للإثم وحسب، ولكن الفداء كان يعني عند المسيح بالدرجة الأولى شيئاً فوق الغفران والمصالحة وهو أن يعيد للإنسان الحب والحياة الأبدية التي فقدها بالتعدي والإنفصال عن الله. وهذا كان يُعتبر من مضمون مفهوم التجسد أصلاً ــ كما فهمه آباء الكنيسة مثل القديس أثناسيوس الذي يقول: [إن الكلمة صار إنساناً حتى نصير نحن آلهة فيه (أي شركاء في الطبيعة الإلهية)].

فغاية التجسد لم تقف أبداً عند كفارة الصليب والفداء بالدم عند آباء الكنيسة الأرثوذكسية(١)، بل تجاوزتها دائماً إلى القيامة لتجديد الإنسان كغاية عظمى للتجسد. لماذا؟ لأن الإنسان لم يقف عند حد السقوط في الخطية وحسب، ولم ينته إلى حالة الفُرقة عن الله والوقوع في الغضب الإلهي وحسب، حتى إذا رُفعت خطاياه أو صولح مع الله عاد إلى حالته الأولى ــ ولكن ياللحزن والمرارة إن الإنسان تعدى ذلك كله إلى فقدان مواهبه وتشوهت صورة الله فيه، بمعنى أنه فقد قدرته نهائياً على معرفة الله وحبه، وبالتالي فقد القدرة على العودة للحياة مع الله بأي وسيلة سواء كانت بالتطهير أو بالمعرفة أو بالتعليم.

هذا نسمعه من المسيح نفسه عندما أثار هذه القضية مع نيقوديموس معلم الناموس، عندما قال له: «ينبغي أن تولدوا ثانية، إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ولا أن يدخل ملكوت الله». أي أن المسألة ليست دفع دين خطايا وحسب، بل الأمر يحتاج إلى تجديد خلقة الإنسان!!

قيامة المسيح من بين الأموات بنفس الجسد الذي مات به، يعطي الرد العملي والجواب الإلهي عن كيفية الميلاد الجديد للإنسان كخليقة جديدة، فقدرة المسيح

---

(١) يقول بعض العلماء المشغولين بالمقارنة بين قديسي الغرب وقديسي الشرق أن قديسي الغرب دائماً يحملون جراح الصليب أما قديسو الشرق فدائماً يضيئون بتجلي القيامة.

على إعادة الحياة للإنسان بقيامته من الأموات صارت هي رجاء الكنيسة الأعظم منذ يوم القيامة حتى الآن.

فالمسيح بقيامته حياً منتصراً على الموت، وليس على الخطية فحسب، فتح الباب لأول مرة وإلى الأبد لدخول الإنسان مرة أخرى إلى ملكوت الله أي إلى الحياة الأبدية بعد أن دفع ثمن خطاياه على الصليب.

وهكذا فإن قيامة المسيح تكشف لنا عن الدافع الأقوى الذي هو وراء الصليب. فالذبيحة التي تمت بكل رضى الابن وبكل مسرة الآب الذي سحقه بالحزن كان وراءها تعطفاتٌ أبوية ومحبة فائقة من الرب يسوع نحو الخطاة والبشرية كلها، **لا لكي تُغفر لهم خطاياهم وحسب بل لكي تخلقهم جديداً فيه وبروحه**، ليقدمهم معه في حبه للآب أيضاً بعد أن يغتسلوا في دمه، يقدمهم في قيامته وجلوسه عن يمين الآب ليكونوا بلا لوم أمام الله أبيه في المحبة، ليكونوا خليقة جديدة تتنفس بروح الله، محبوبين مثله ـــ أو بحسب تعبير المسيح نفسه: «**ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به**» (يو١٧: ٢٦).

لذلك تعتبر الكنيسة الأرثوذكسية أن الفداء استمر حتى إلى بعد دخول المسيح الأقداس العليا: «**دخل إلى الأقداس كسابق لأجلنا ووجد لنا فداءً أبدياً**» (عب٩: ١٢).

وهكذا يمتد لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية مُركّزاً على محبة الله كدافع أساسي حتى النهاية من الصليب إلى القيامة ثم إلى الصعود، بل إلى الدخول إلى الأقداس العليا والجلوس عن يمين الآب حتى يضمن التكميل النهائي للفداء! فالمسيح حي إلى الآن وحتى وبعد أن أكمل الموت عنا وبرّرنا بدمه، لا يزال بدالة الحب الذي أكمل به الفداء يشفع فينا أمام الله أبيه، حتى لا يقع علينا أي غضب أو لوم بسبب جهالتنا وتعدياتنا اليومية: «ولكن الله **بيّن محبته لنا**، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا،

فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب» (رو٥ : ٩).

لذلك كم نخطىء أيها الأحباء الآن بعد أن تم هذا الخلاص العجيب المجيد بكل مراحله، حينما نفرق بين الصليب والقيامة في أنفسنا فنجعل الصليب في قلبنا وذهننا منطقة حزن وعار، نتحاشاه ونجزع منه، في حين نجعل القيامة تهليلاً ومجداً نرجوها ونطلبها، **أليست القيامة هي ثمن الصليب والصليب هو ثمن القيامة؟** والإثنان كانا مجداً واحداً ليسوع ولنا؟

ألم يكن الصليب في نظر الآب هو مجد المسيح الحقيقي بينما كان المسيح معلّقاً عليه وحوله العار من كل جانب؟

ألم يكشف عن ذلك المسيح نفسه في صلاته الخاصة للآب بعدما خرج يهوذا ليكمّل الخيانة والتسليم وتيقّن المسيح أن ساعة الصليب صارت على الأبواب؟ «فلما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً، فلما خرج قال يسوع: الآن تمجّد ابن الإنسان وتمجّد الله فيه، إن كان قد تمجّد الله فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويمجده سريعاً» (يو١٣ : ٣١).

هذه كانت هالة المجد التي رآها يسوع مسبقاً تحيط به وهو على الصليب وفي القيامة بقدر واحد!!

الكنيسة الأرثوذكسية تدرك بحاسة لاهوتها المرهفة أن المسيح أخضع نفسه للموت مع أنه غير خاضع له البتة. فالقيامة كانت حاضرة فيه، ولم يسمح بأن يُصلب أو يموت إلا بقدر ما التزم هو به من نحو المحبة للخطاة: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه»، وما ألزمته به طاعته للآب: «أطاع حتى الموت موت الصليب» (في٢ : ٨).

من أجل هذا يقول الكتاب وتقول النبوات **إنه كان من المستحيل أن يُمسَك في القبر، فالقيامة هنا جاءت لتؤكد موته الإرادي!!**

كم مرة أشار المسيح إلى هذه النقطة الحساسة الجوهرية: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها (أقوم) أيضاً» (يو١٠: ١٨)، «الكأس الذي أعطاني الآب ألا أشربها» (يو١٨: ١١)، «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧). وحينما حاول بيلاطس أن يُظهر تفوقه على «ملك اليهود» بأنه قادر أن يصلبه وقادر أن يطلقه، اعترض عليه المسيح في الحال: «ليس لك عليَّ سلطان البتة **إن لم تكن قد أعطيت من فوق**» (يو١٩: ١١).

لقد أكمل بيلاطس عمله وتمم لرؤساء الكهنة مشتهى قلبهم وصلب لهم يسوع كما أرادوا، وكما أراد الشيطان تماماً أن يكون، حتى يصبح الصليب عاراً للمسيح ونقمة نهائية وتتخلص منه الأمة اليهودية إلى الأبد، ولكن الرب بقيامته المنتصرة من بين الأموات بدَّد كل خطتهم التي أحكموها مع رئيس هذا العالم وسلطان الظلمة، وقلب الوضع فصار الصليب للمسيح ولكل من يؤمن بالمسيح مجداً وسلاماً، وصار الصليب للشيطان ولكل مبغضي إسم المسيح عاراً ورعبة!...

القيامة أجلست المسيح في السموات ملكاً للملوك ورباً للأرباب وسيداً للدهور كلها، وجعلت موت المسيح كفارة ليس فقط لمغفرة الخطايا ومصالحة العالم مع الله، بل وأيضاً تجديداً للخليقة البشرية **وتحولاً جذرياً في صميم طبيعة الإنسان من حياة مادية حسب الجسد لحياة روحية حسب الروح، إعداداً للفاسد لكي يلبس عدم الفساد منذ اليوم وللمائت لكي يلبس عدم الموت منذ الآن**، حسب قول القديس يوحنا في سفر الرؤيا: «**من هو مقدَّس فليتقدَّس بعد**» (رؤ٢٢: ١١).

لأن سيرتنا في المسيح يسوع هي منذ الآن تُكتب لنا في السماء، في جِدة الروح لنملك مع المسيح. وكل أعمال الكنيسة اليومية صارت معروفة ومقروءة لدى كل السمائيين، لأن المسيح الجالس عن يمين العظمة في السموات هو أيضاً ملك القديسين لكنيسة السماء، وهو هنا للكنيسة على الأرض رأسها وعريسها، كما يقول بولس الرسول: «لكي

يُعرّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف٣: ١٠و١١) — سواء كان في سر العماد عندما يتم الموت مع المسيح والقيامة مع المسيح لنوال الميلاد الجديد الذي يؤهلنا لدخول ملكوت السموات ورؤياه منذ الآن، أو في سر الشكر عندما يُستعلن جسد المسيح ويحل الروح و يشترك المؤمنون في الذبيحة، و يبشرون بموته و يعترفون بقيامته تمهيداً لنوال شركة قيامته.

لذلك كل مرة تنشد الكنيسة «اخرستوس آنستي» إنما تردد أصداء استجابتها في السماء وسماء السموات من ألوف وربوات القديسين: «**حقاً قام**»!...

(١٩٧٨)

«وأراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة»
(أعمال ١ : ٣)

لا يلزمنا كثيراً أن نصف مقدار الحزن واليأس والتمزق الذي أصاب التلاميذ بعد أن وضع يوسف الرامي ونيقوديموس جسد المسيح في القبر، المسيح الذي كان أملهم الأعظم وأمل فداء إسرائيل كلها. نعم لقد دُفن المسيح في القبر وهم واقفون من بعيد جداً ينظرون دفن آمالهم بعيونهم، لقد انطفأ نور رجائهم الأخير لما أدركوا أن المسيح مات حقاً، فعادوا واجتمعوا سراً ــ خوفاً من اليهود ــ للتشاور، ماذا سيقولون للناس، وماذا سيكون ردهم على أسئلة كل الذين كانوا قد وضعوا أملهم أيضاً في يسوع؟... هذا الخوف وهذا الضعف وهذا الأمل المطفأ الذي أصاب التلاميذ عن فداء منتظرٍ كان وشيكاً، هذه الصورة الحزينة هي نفسها الصورة التي كانت ستظهر بها كنيسة العهد الجديد عن المسيح الذي مات ولم يقم. لقد كان أمل التلاميذ الملتهب عن المسيح وهو حي «أن الملكوت سيظهر سريعاً» ــ على يديه ــ ولكن للأسف بعد أن مات أمام عيونهم تحول إلى أمل كأمل مرثا أخت لعازر الميت حينما قالت للمسيح: «أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» (يو١١: ٢٤). إيمان لا يسعف أي إنسان على جهاد أو كرازة من أي نوع.

تصوروا أيها الأحباء أن يكون هذا هو شكل الكنيسة، لو لم يكن المسيح قد قام، بولس الرسول تصور ذلك فصرخ في وجه الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالقيامة: «إن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، **وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور** لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام

المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون. لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام **فباطل إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم. إذن الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس، ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين**» (١ كو١٥: ١٣ــ٢٠).

من أجل هذا قد حرص المسيح بعد قيامته أن يؤكد لتلاميذه وللأخصاء حقيقة قيامته بكل البراهين الممكن أن يستوعبها عقل الإنسان بل وحواسه أيضاً، حتى إذا رسخت حقيقة القيامة صارت هي الأساس الذي ستنطلق منه الكرازة بالمسيح المصلوب من أجل خلاص العالم وبالموت الذي ماته فداءً لكل من يؤمن به لتكون له نفس الشركة في قيامة المسيح والدخول للحياة الأبدية. هذا التأكيد نجده واضحاً جداً في حديث الرب مع توما حينما دعاه الرب بمنتهى الوداعة واللطف دون أن يؤنبه على الكلام الذي قاله، وطلب منه أن يمد أصبعه و يتحسس موضع المسامير و يده أيضاً لتدخل بجملتها في الجنب المفتوح، وقال له: «لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو٢٠: ٢٧).

كذلك كان الداعي الوحيد الذي يكمن وراء دعوة الرب للتلاميذ أن يذهبوا إلى الجليل بالذات لكي يروه و يتقابل معهم هناك، هو أن الرب يريد أن يتراءى لهم في نفس الأماكن وبنفس الأوضاع المعروفة لديهم، و يتحدث إليهم في نفس الأماكن ذات الذكريات الحلوة، حتى يتحققوا نهائياً من استمرار وجوده بنفس الحب وبنفس الرعاية والمودة.

ولقد تدرج المسيح في إعلان قيامته كما جاء في إنجيل يوحنا من مجرد الظهور بهيئته الأولى لمريم المجدلية والنسوة، إلى الظهور بصورة إعجازية للتلاميذ وهم مجتمعون في غرفة مقفلة الأبواب وإعطائهم التحية المعتادة أن يسمعوها من فمه: «السلام لكم» مرتين، إلى حديث مطول ودعوة لِلَمس جروحه، واشتراكٍ معهم في العشاء بحيث يروه بعيونهم

وهو يأكل أمامهم من طعامهم؛ ثم بعد أسبوع عاد وظهر لهم مرة أخرى خصيصاً من أجل توما. كل هذا صنعه المسيح ليحقق لهم وجوده الكامل بالجسد الذي صلب به ومات، ولكي ينتهي بهم إلى إيمان وثيق أنه هو هو الرب بجروحه المميتة وقد قام من الأموات غالباً الموت، وكسيد للحياة الآن بدأ يكمل معهم نفس الرسالة التعليمية الأولى قبل حوادث الصلب مضافاً إليها التكميل الذي تم بذبيحة موته على الصليب تكفيراً ومغفرة لخطايا العالم، ثم القيامة من الأموات التي أكملها لإعطاء الإنسان بعد مغفرة خطاياه الحياة الأبدية التي لا موت فيها بعد.

و يضيف إنجيل لوقا نوعاً من التأكيد من جانب الرب مشدداً فيه على حقيقة ونوعية قيامته من الأموات أنها ليست قيامة بالروح بل قيامة حقيقية بالجسد، بشيء من التأكيد والتشديد مُلفتٍ للنظر جداً: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم، أنظروا يديَّ ورجليَّ (القديس يوحنا البشير يضيف «وجنبي» لأنه كان بجوار الصليب ورأى الطعنة بعينيه) أني أنا هو (إجو إيمي ἐγὼ εἰμί) جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لو٢٤: ٣٨و٣٩). المسيح يؤكد أنه قام بلحمه وعظامه، ولهذا يصرخ بولس الرسول في عُمق فَهمِه لشركة القيامة مع المسيح وعُمق رؤياه وإيمانه «إننا من لحمه وعظامه»، أي أن قيامتنا الآن حقيقية كحقيقة قيامة المسيح نفسها التي رآها وعاينها ولمسها التلاميذ وكل الشهود، وهكذا نحن نرى في شهادة بولس هذه القوية والثابتة والمتيقنة بصورة إيمانية مذهلة مدى نجاح المسيح في إعلان قيامته للتلاميذ إلى الدرجة التي استطاعوا فيها نقل هذه الحقيقة الإيمانية للعالم كله ولإنسانٍ مثل بولس لم يَرَ الموت ولا رأى القيامة في حينها!!

وبهذه القوة الجديدة المملوءة رجاءً وحياة و براً وتقديساً، المستمدة من قوة قيامة الرب مباشرة، بدأت رسالة التلاميذ. ولكي يقتنع القارىء بخطورة وعظمة وسر هذه القوة الفائقة التي نالها التلاميذ، فليلتفت القارىء إلى التصريح الخطير الذي صرّح به المسيح للتلاميذ بعدما تيقن أن حقيقة القيامة وسرها الإلهي قد استقرت فيهم وملأتهم فرحاً

وسلاماً إذ قال لهم وهو ينفخ فيهم الروح القدس: «فقال لهم يسوع أيضاً (ثانية) سلام لكم. كما أرسلني الآب أرسلكم أنا». إذن فقد نال التلاميذ من روح القيامة قوة على الإرسالية من مصدر عال جداً من فوق من الله ومن شخص المسيح و بقدر موازي (ولا نستطيع أن نقول مساوي) لإرسالية الآب للمسيح نفسه «**كما أرسلني الآب أرسلكم أنا**».

هنا نستطيع أن ننتبه لماذا ألح المسيح في إظهار نفسه وإعلان قيامته بطرق ومواقف كثيرة، ولأشخاص كثيرين بتأكيد متلاحق حتى تصل روح القيامة إلى أعماق إيمان التلاميذ، لأنه بمجرد أن أدرك التلاميذ هذا السر وقبلوه كقوة في قلوبهم دخلتهم في الحال قوة وروح الإرسالية ليكونوا رسل المسيح بالقدر الذي يستطيع المسيح أن يكمل بهم إرسالية الآب له. روح القيامة هنا أحدثت تغييراً جوهرياً في كيان التلاميذ وعملهم ورجائهم وغاية حياتهم إذ حولتهم من خائفين من اليهود والرومان بسبب عار الصليب إلى مبشرين لليهودية والسامرة وأورشليم وروما وأقصى الأرض بالمسيح المصلوب والقائم من الأموات، لإعطاء العالم كله ــ كل من يؤمن ــ خلاصاً وحياة أبدية باسمه. هذا نسمعه واضحاً جداً في محاكمة بولس الرسول أمام رؤساء الكهنة والوالي الروماني: «على رجاء قيامة الأموات أنا أُحاكم» (أع٢٣: ٦).

ثم لا يفوتنا هنا أن نبرز حقيقة في غاية الأهمية تخص حياتنا كلنا وخلاصنا كلنا وأعمالنا وأخلاقنا وسلوكنا وكل أفكارنا ومبادئنا، وهي أن ما أظهره الرسل من الجبن والخوف حتى الإنكار والهرب منذ أول حوادث الصلب حتى النهاية بسلوك مشين و بخهم عليه المسيح بشدة واعتبره قلة إيمان و بطءاً في القلب مهيناً لقبول الحقائق الثابتة المعلنة سابقاً؛ كل هذا تغيّر في لحظة قبول حقيقة القيامة. لقد تحول التلاميذ إلى مبشرين بعار الصليب والمصلوب، حباً في خلاص أصغر النفوس إلى أقصى الأرض، بل تحول الخائفون من العار إلى شهداء أمام ولاة وملوك يمدون الأيدي للصلب والرقاب للسيف بسلام وحب وفرح وكأنهم سيذهبون إلى حفلة عرس.

القيامة وتغيير الأخلاق والسلوك :

الحقيقة التي نشدّد عليها هي التغيير الجذري في الأخلاق والسلوك الذي حدث للتلاميذ نتيجة قبولهم حقيقة القيامة !! ماذا حدث ، ولماذا حدث ؟

١ ـــ لقد تأكد التلاميذ بصورة قاطعة وثابتة جداً من ظهور المسيح وحديثه معهم أن المسيح حيٌّ وأنه سيبقى حياً إلى الأبد لكل الأجيال القادمة وسيُكمِّل وجوده معهم امتداداً لوجوده السابق تماماً و بصورة أكثر فاعلية ، هذا الشعور اليقيني باستمرار وجود الرب معهم ألهب قلوبهم وجعلهم يطيرون من الفرح إذ لم يعودوا يرتكزون على أنفسهم في الحياة بل انطلقوا من ذواتهم إلى الذات الأعظم يتمادون في الشهادة بشجاعة منقطعة النظير، لا يخافون من تهديد أو وعيد أو ضرب أو سيف أو موت ، هذا من جهة أنفسهم . لماذا ؟ لأنهم خرجوا عن أنفسهم لما خرجوا من إحساسهم بوجودهم بمفردهم .

٢ ـــ عندما تيقن التلاميذ أن الرب سيكمل وجوده بصورة دائمة معهم ومع الأجيال القادمة أدركوا تماماً أن كيانهم قد بدأ يرتبط بالكيان السري للكنيسة الذي سيبقى إلى الأبد من جيل إلى جيل والرب معها يؤيدها بوجوده كرأس مُدبِّر لها كما كان رأساً مُدبِّراً للتلاميذ كل أيام وجوده معهم . هذه اليقينية جعلت التلاميذ يشعرون بعمق الصلة التي تربطهم بالمسيح ، هذا الشعور أخرجهم عن ذواتهم وجعلهم يبدأون بالكرازة فوراً و ينطلقون بقوة لا تقاوَم ونعمة مؤيِّدة حسب وعد الرب لهم ، فصاروا يشهدون في كل العالم ـــ لماذا ؟ لأنهم ارتبطوا بالآخرين في شخص الرب .

٣ ـــ رَبَط التلاميذ بين حياتهم وكيانهم في المسيح ، وحياة المسيح في الكنيسة في كل الأجيال القادمة : « **ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر** » (مت٢٨ : ٢٠)، ومن هنا بدأ الشعور بالمسئولية العظمى التي تكلم المسيح بخصوصها معهم مطوّلاً ، فبدأ بقوله : « كما أرسلني الآب أرسلكم أنا » (يو٢٠ : ٢١)، ثم تيقنوا أن الإرسالية هنا لن تنتهي بحياة التلاميذ كقول الرب : « إلى انقضاء الدهر» . هنا نشأ شعور طاغٍ بأهمية تسليم الإيمان كله مرة واحدة لكل الذين قبلوا الإيمان يهود وأمميين

بكل غيرة وكل إنكار ذات، إذ لم يكن همهم تكوين كراسي ورئاسات وأسماء وتيجان وأعداد، بل تسليم الإيمان نفس الإيمان بكل قوته وحرارته وثقله لضمان استمرار وجود الرب في الكنيسة، لأن وجود الرب واستمرار وجوده في الكنيسة هو غاية إيمانهم وغاية رجائهم وغاية سعادتهم. وهذا أيضاً بحد ذاته أعطى التلاميذ تجرداً من الذات منقطع النظير، ووضح بكل بيان ــ بمقتضى الحوادث والمحاكمات ــ مدى صدق إيمانهم هذا ومدى عمق التغيير الجذري الذي امتد إلى كل كيانهم وسلوكهم.

٤ ــ كما أن روح القيامة أعطت التلاميذ مفهوماً آخر لمعنى الوجود والحياة في العالم بعدما قام المسيح أمامهم حياً بنفس جسده الميت سابقاً، إذ تغير الأساس الذي كانوا عليه يعيشون، فلم يعد العالم موطناً يعملون فيه لتثبيت وجودهم وسعادتهم من أمواله وأخذه وعطائه، ولا عادت أنفسهم ترتبط بالأرض التي أشقتهم فيما سبق، بل أدركوا بروح القيامة أنهم كانوا فعلاً أمواتاً في هذا الدهر ومُستعبدين لإلتزاماته، والآن هم يعيشون لعالم القيامة أحراراً لا لحساب أنفسهم فيما بعد بل لحساب من مات من أجلهم وقام. فالمسيح صار وطنهم الذي يستمدون منه وجودهم وكيانهم وإسعادهم وكل آمالهم ورجائهم. هذا التغير الجذري في العلاقة بالعالم أعطاهم سلوكاً روحياً تعففياً أدهش اليهود والرؤساء والملوك والعالم كله، هؤلاء الصيادون كيف صاروا أحكم من كل حكماء هذا الدهر، بل كيف صاروا أعلى من كل ما يُحزن و يُفرح في هذا العالم؟! ولكن السر الوحيد هو روح القيامة التي حوّلت نظرتهم تحويلاً جذرياً من العالم إلى المسيح، من عالم الخطية والموت والفناء إلى عالم البر والقداسة والحياة الأبدية.

٥ ــ ولقد أحدثت القيامة حركة واحدة مذهلة داخل نفوس التلاميذ هي هي من نفس نوع الحركة التي أقامت الجسد المثخن بالجراح والنازف لكل دمائه والميت تماماً دون أن يعتوره الفساد، إنها حركة المضادة العظمى التي دخلت العالم فأذهلته وغيّرت طبائعه: أن يجتمع الموت والحياة معاً، أن يجتمع عار الصليب وهوانه مع فخر القيامة ومجدها. ولكن في مفهوم بشري نقول إن حركة القيامة أدخلت في عمق أعماق الضمير

لدى التلاميذ إمكانية اجتماع الألم مع تمجيد الله، هذا هو سر السلام الذي يفوق العقل الذي سكن قلب التلاميذ!!

إنها الحركة التي أعوزت العالم بكل رسله وأنبيائه إلى ما قبل القيامة. لقد نجح التلاميذ والقيامة حاضرة أمامهم، أن يحتضنوا سر الألم مع سر المجد معاً وفي جسد واحد وفي ضمير واحد بروح القناعة بل الرضى بل الشكر بل الفرح، فكان السلام وكان الفرح الذي لا يمكن أن ينزع منهم.

هذا يعتبر ياأحبائي البذرة السرية التي تنبثق منها كل إمكانية التغيير في الأخلاق والسلوك؛ بل وكل أساس لتجديد الطبيعة البشرية التي تقوم على المصالحة بين الضعف والهوان والإستسلام للظلم حتى الموت بروح الصليب من ناحية مع الشموخ والثقة والتفوق بروح القيامة من الناحية الأخرى.

إن روح القيامة جمعت وصالحت المضادات والمستحيلات وعملت منها طبيعة جديدة للإنسان يمكن أن يرتقي بها إلى سماء السموات.

لقد جمعت القيامة بين الإنهزام واليأس والفشل المحقق بحسب الظاهر وبيد الإنسان، مع النصرة والرجاء والنجاح الذي لا يُحدُّ بحسب الجوهر وبيد الله!!

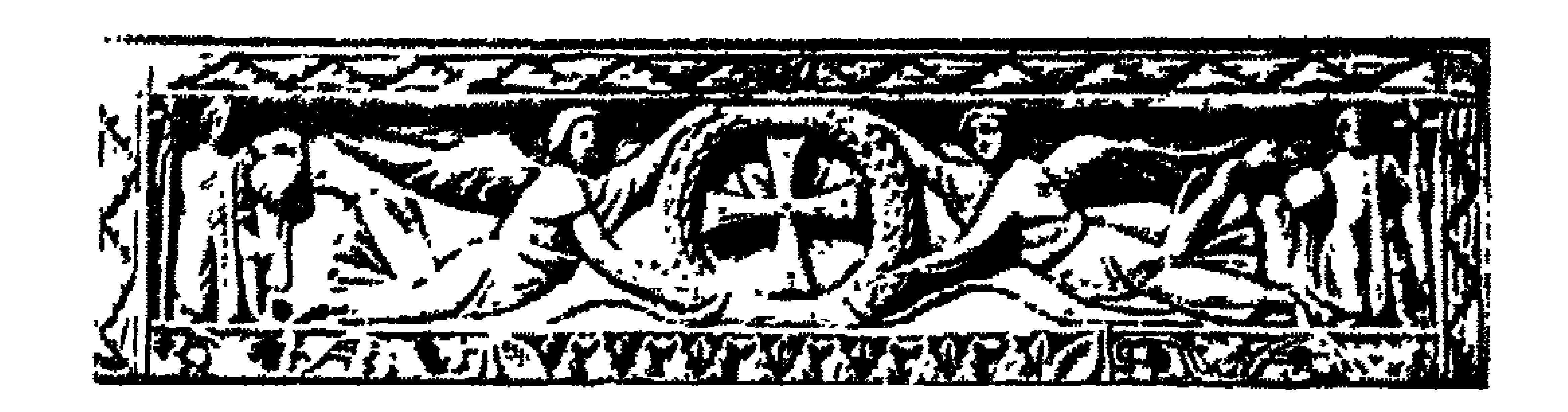
لقد صنع المسيح بالصليب وموت العار أول حدٍ للمعادلة الصعبة بل المستحيلة لخلاص الإنسان بدفع ثمن خطاياه، وأكمل بالقيامة في اليوم الثالث الحد الثاني لهذه المعادلة المستحيلة، وأكمل بالفعل خلاص الإنسان بإعطائه الطبيعة الجديدة غير المائتة فيه ليحيا بها مع الله إلى الأبد.

لقد دخل التلاميذ بكل كيانهم حدّي هذه المعادلة المستحيلة عندما آمنوا بصليبه وقيامته فبلغوا سر التغيير بالقوة الإلهية إن كان في الأخلاق أو السلوك، فأكملوا رسالة المسيح بالآلام دون أن يفقدوا سلامهم أو فرحهم أو رجاءهم لحظة واحدة لأن عيونهم كانت نحو القيامة.

ثم فليلاحظ القارىء جداً أن المسيح لم يترك لتلاميذه قوانين محددة، ولا فرائض، ولا نصوص أقوال، ولا توصيات مكتوبة لتكون أساساً لبناء كنيسة الدهور وجميع الأجيال. كل ما سلمه المسيح لتلاميذه هو قوة قيامته مع شخصه الحي، ووجوده الدائم كقائم من الأموات.

وهذه القوة الهائلة التي كانت أساس كل البشارة في العالم كله وأساس التغيير والخلاص لكل شعوب الأرض والتي من أجلها جن جنون اليهود وعملوا المستحيل لكي يطفئوا جذوتها، فاضطهدوا التلاميذ ثم حاكموا بولس أكبر المبشرين بقيامة الرب: «على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم» طالبين موته بكل جهد؛ ولكن بالنهاية انطفأوا هم وبقيت القيامة النور الوحيد الذي يمد العالم بقوة جديدة للكرازة كل صباح.

(١٩٧٨)



الإيمـــان بالمواعيـــد

قبل القيامة: «ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل» (مر١٤: ٢٨).
بعد القيامة: اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل، هناك ترونه كما قال لكم» (مر١٦: ٧).

حينما ابتدأ الرب يفاتح تلاميذه جهراً بقرب الساعة والآلام، والموت الذي ينتظره على الصليب، ابتدأ الحزن يخيم على التلاميذ مع كآبة مُرة؛ لاحَظ الرب ذلك وقال لهم: «لأني قلت لكم هذا ملأ الحزن قلوبكم؟ إنه خير لكم أن أنطلق...» (يو١٦: ٦و٧)، «وعندكم الآن حزن، **ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم**، ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو١٦: ٢٢)، «كلكم تشكّون فيَّ في هذه الليلة لأنه مكتوب إني أضرب الراعي فتتبدد الخراف. ولكن بعد قيامي أسبقكم إلى الجليل»! (مر١٤: ٢٧و٢٨).

لقد نسي التلاميذ هذا الوعد، و يالتعاسة الإنسان إذا نسي وعد الله، فإن فرحه لا يثبت، بل سرعان ما ينتزعه العالم منه. وإيمانه يكون دائماً في مهب الريح ونهباً للشكوك والهواجس والأحزان.

لقد سألني واحد من الرهبان مرة عن **كيف يتقوى الإيمان؟** فقلت له في الحال:
بالتمسك بمواعيد الله!! فالتمسك بمواعيد الله هو الوقود الذي يشعل حرارة الإيمان!

ولكن إن كان التلاميذ قد نسوا هذا الوعد، فالملائكة الذين ينفذونه لا يمكن أن ينسوا الوعد أبداً لأنه عملهم. فأول حديث دار بين الملائكة و بين البشر بعد قيامة الرب كان مباشرة **تذكرة بوعد الرب!** هذا هو عمل الملائكة الذين لا يكفُّون عن معونة المختارين: «ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندهشن، فقال لهن لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. قد قام. ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذي وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما **قال لكم**» (مر١٦: ٥ــ٧).

أما الرب فسرته الشخصية أن يحقق مواعيده مع أحبائه حتى يملأ الفرح قلوبهم ــ كقوله ــ ولكن بعد ليل من الإمتحان طويل ومظلمٍ مليء بالشكوك والأحزان حتى إلى ملء اليأس من الحياة، كقول القديس بولس الرسول: «حتى يئسنا من الحياة» (٢ كو١: ٨)؛ ولكني **سأراكم** أيضاً فتفرح قلوبكم»، «اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك **يرونني**» (مت٢٨: ١٠).

ولكي نعرف كيف نتمسك بمواعيد الله، يلزم أن نفهم معنى «الوعد» في الكتاب المقدس. فالعجيب أن هذه الكلمة لا توجد في العهد القديم على الإطلاق. فكلمة الوعد ἐπαγγελία غير مستخدمة في العهد القديم بعكس ما كنا نتوقع، لأن القديس بولس الرسول استخدمها بإفراط حتى رسخ في ذهننا أن العهد القديم مليء بمواعيد الله، وأنه كله يخدم وعد الله.

ولكن الذي يحل محل كلمة «إيانجليا» في العهد القديم هو «**يقول** الرب» أو «كما **قال** الرب»، و بالعبرية «آمار أي قال». وكذلك كلمة «ديبِّر» أي تكلم. ففي هاتين الكلمتين يكمن المعنى الكامل للإيبانجليا أي «الوعد» بكل قوته. وهذا يرفع بالفعل أمامنا كل العهد القديم، الذي هو قول الرب وكلامه، إلى مستوى الوعد والمواعيد الصادقة النافذة بكل كلماته أو حروفه حتى حرف «اليوتا». كما يقول الرب يسوع «الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (مت٥: ١٨).

ونكتشف هذا العمق في المعنى من كلام داود النبي: «والآن أيها الرب الإله **أقم إلى الأبد** الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته، **وافعلْ كما نطقت**» (٢صم٧: ٢٨).

وهنا ينتبه ذهننا في الحال إلى سبب التأكيد الذي أكّد به الملاك رسالته للنسوة الباكيات أمام القبر الفارغ، «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما **قال لكم**» (مر١٦: ٧). فكأنما الملاك يريد أن يفتح بصيرة التلاميذ على أن الوعد قد تحقق لأنه لابد أن يتحقق، لأن كلمة المسيح هي هي كلمة الله «كما قال لكم».

١ ــ ومن هنا إذا عدنا إلى الإنجيل، نجد الرب نفسه طالما حاول أن ينبه ذهننا أن **كل ما يقوله هو وعد أبدي وهو هو كلمة الله المحتم تنفيذها**، وذلك بقوله: «**آمين آمين أقول لكم**»، وهي التي تساوي في قوتها وفي فعلها المحقق ما جاء في العهد القديم: «**هكذا الرب تكلم**» أو «**هكذا يقول الرب**». وقد زاد المسيح من كشف قدرة كلمته على النفاذ حينما قال: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يو٦: ٦٣).

وهنا أيضاً يجدر بنا جداً إن كنا نطلب إيماناً حياً نافذاً، أن نعود إلى الإنجيل ونلتقط كل كلمة من كلام المسيح وكل قول من أقواله، ونرفعه داخل قلوبنا إلى مستوى الوعد الأبدي ونتمسك به حتى الموت، حسب رؤية داود النبي و بصيرته النافذة في قوله: «**أقم إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به**... وافعل كما نطقت» !!

٢ ــ كذلك إذا عدنا إلى المضمون الإلهي لكلمة الوعد ἐπαγγελία ، وما يرادفها في العهد القديم «هكذا قال الرب»، نجد أن قوة «الوعد» الكائنة في «هكذا قال الرب» تحققت دائماً على المستوى الواقعي برؤية الله أو سماع صوته سواء كان مع ابراهيم أو إسحق أو يعقوب أو صموئيل أو داود، المعتبرين من جهة الخلاص آباء الموعد! ولكن كانت رؤية الله في العهد القديم على مستوى الظهورات الشخصية المحدودة و بصورة

رمزية، وهذه كلها قيل في العهد القديم نفسه أنها كانت تمهد **لظهورات المسيح المخلّص علناً: «ويراه كل بشر»** (إش ٤٠ : ٥).

لذلك، بكل ارتياح نستطيع أن نربط بين هذه الآية التي تبدو لنا صغيرة غاية الصغر «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه، كما قال لكم»، وبين كل مواعيد الله في العهد القديم، بل كل ما سجّله الوحي تحت كلمة «هكذا قال الرب» أو «الرب تكلم» بخصوص نية الله في الخلاص.

هنا تتم جميع النبوات وتتحقق جميع مواعيد الله وكلماته التي نطق بها بالروح على فم أنبيائه وقديسيه منذ الدهر، فقد أكمل الخلاص إكمالاً، وتحقق الوعد في صميم الزمن، **ورئي المخلّص** علناً، قائماً من الأموات. هناك في ربوع الجليل المدعو جليل الأمم تمت كلمات الله منذ البدء حيث تراءى الرب للأحد عشر رؤيا العين واللمس، وللخمسمائة أخ مرة واحدة، وللقديس بولس الرسول في نصف النهار بمجد أكثر لمعاناً من الشمس، هؤلاء صاروا شهود صدق للقيامة ولرؤية المخلص شخصياً بكل مجد الله. وصار حقاً «الله معنا»!! وصارت القيامة من الأموات معجزة الإنسان الجديد، منظورة وملموسة في شخص الرب المقام.

هكذا يشهد بولس بهذا الحق الأبدي بكل قوة وغيرة أمام الملك أغريباس وكل رؤساء الكهنة واليهود المجتمعين لمحاكمته: «والآن أنا **واقف أُحاكم على رجاء الوعد الذي صار من الله لآبائنا**. الذي أسباطنا الإثنا عشر يرجون نواله عابدين بالجهد ليلاً ونهاراً. **فمن أجل هذا الرجاء أنا أُحاكم** من اليهود أيها الملك أغريباس... **وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون،** إنْ يُؤلَّم المسيح يكنْ هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن ينادي بنورٍ للشعب وللأمم!!... وأنا قائم أمام المجمع من جهة **هذا القول الواحد الذي صرخت به واقفاً بينهم إني من أجل قيامة الأموات أحاكم منكم اليوم**» (أع ٢٦ : ٦ــ٣٢، وراجع أيضاً ص ٢٤ كله).

من هذا كله يتضح أمامنا لماذا صمم الرب أن يتراءى لتلاميذه وللكثيرين، **لأن بظهوره علناً يتم كل وعد الله ويحقق المسيح الوجود والمسيرة الدائمة لله بين بني البشر**، لأن قيامته من الأموات هي هي بمثابة رؤية الله نفسه التي وعد بها «من رآني فقد رأى الآب» (يو١٤: ٩)، بل وأيضاً وجوده ومسيرته الدائمة مع بني البشر: «أسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (٢كو٦: ١٦).

ولمزيد من النور والوضوح يشرح لنا القديس بولس الرسول مدى الإرتباط العميق والهام جداً بين رؤية الرب في الجليل لكثيرين حسب سابق وعده: **«كما قال لكم»**... **«أسبقكم إلى الجليل»**، ليكونوا شهود قيامته، وبين بناء الخلاص بكل أبعاده وأعماقه!!

إسمع كيف يربط القديس بولس الرسول، وكيف يوضح تحقيق كل أسرار مواعيد الله العظمى والثمينة برؤية يسوع المسيح قائماً من الأموات على يد شهود:
+ «من نسل داود هذا **حسب الوعد** أقام الله لإسرائيل مخلّصاً يسوع،... لأن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. **وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت تمموها** إذ حكموا عليه... ولكن الله أقامه من الأموات وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب. ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا، أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم إذ أقام يسوع... بهذا ينادَى لكم بغفران الخطايا، وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى» (أع١٣: ٢٣—٣٩).

نعود مرة أخرى «**لوعد** المسيح» لتلاميذه قبل الصليب أنه سيسبقهم إلى الجليل بعد قيامته، ثم إرساله الملاك بعد قيامته مباشرة ليذكرهم بوعده السابق هذا لكي يتوجهوا إلى الجليل حيث رأوه هناك بالفعل، وصاروا شهوداً له في العالم أجمع.

وهكذا نؤكد للقارىء أن هذا «**الوعد**» عينه نحن الآن نعيش في ملء تحقيقه بكل

فعاليته وفي ملء قوته ونعمته، لأن إيماننا بالمسيح إنما يعتمد أساساً على هذه الشهادة عينها التي نقلها لنا التلاميذ الذين عاينوه و بولس الرسول الذي رآه في السماء، ووصفوا لنا ما رأوه بكل دقة واهتمام وأمانة: «وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا و باطل أيضاً إيمانكم ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح» (١كو١٥: ١٤و١٥).

هكذا قد صار التزاماً علينا نحن أيضاً أن نؤمن بقيامة الرب على مستوى إيمان التلاميذ تماماً، بل ونؤمن بظهوره و بكل ما أظهره الرب من جسده المجروح والمطعون وكأننا رأيناه ولمسناه بالفعل مثل توما والأحد عشر، هذا الإلتزام نستشفه بكل خوف وانتباه من قول الرب وتعنيفه لتلاميذه «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون **ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام**» (مر١٦: ١٤).

فإن كنا نؤمن حقاً بهذه الشهادة التي يقدمها لنا التلاميذ ولم نقسِّي قلوبنا تجاه البشارة المفرحة، فنحن ننال حتماً كل ما ناله التلاميذ بهذا الإيمان: «**بهذا ينادَى لكم بغفران الخطايا. وبهذا يتبرر كل من يؤمن**».

التلاميذ هنا لا ينقلون لنا تعليماً أو نظرية عن الخلاص والتبرير، ولكن ينقلون لنا خبرتهم التي نالوها والتي عاشوا فيها، فألهبت قلوبهم ولم يهدأوا حتى أوصلوها للعالم كله. هم لم ينالوها إلا بإيمان الرؤيا والعيان للتأكيد، بسبب عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم كما و بخهم الرب، ثم سلموها لنا بالخبر أي بالكلمة المنطوقة بالروح القدس فازداد إيماننا جزاءً وطوبى: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو٢٠: ٢٩). ثم أسسوا إيمانهم بالموت والقيامة، بالنظر واللمس، **ونحن ننال إيماننا بالآمين التي نقولها في نهاية كل إفخارستيا!! مبشرين بالتالي بموته ومعترفين بقيامته.**

فإن كان سر القوة في إيمانهم عندما تحقق لهم وعد المسيح وسبقهم إلى الجليل فرأوه، فهو لا يزال أيضاً سر قوة إيماننا، بهذا الوعد عينه، عندما نستعلنه لا بالعين بل بإيمان

التسليم القلبي، في يقين الثقة بأمانة الذي وعد!!

ومن جهة هذا الإيمان بالخبر الذي ورثناه عن إيمان العيان، القائم على خبر اليقين والثقة في الذي وعد؛ ينبه قلبنا القديس بولس الرسول أن هذا الإيمان هو هو مصدر عزائنا القوي، وذلك بوصف غاية في الحكمة والفطنة و بإتقان مبدع في قوله:

+ «لما وعد الله ابراهيم إذ لم يكن له أعظم يقسمُ به، أقسم بنفسه، قائلاً إني لأباركنّك بركة وأكثِّرنك تكثيراً، وهكذا إذ تأنّى ــ إبراهيم ــ نال الموعد... **ولذلك إذ أراد الله أن يُظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد (لنا نحن)** عدم تغيُّر قضائه توسط بقسم، **حتى بأمرين عديمي التغير (الوعد والقسم) لا يمكن أن الله يكذب فيها، تكون لنا تعزية قوية** نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء (الإيمان غير المنظور بالآتي) الموضوع أمامنا الذي هو (أي الرجاء) لنا كمرساة (يعني الهلب) للنفس، **مؤتمنة وثابتة**، تدخل إلى ما داخل الحجاب (أي أن رجاءنا بتكميل الخلاص عند الله في السماء أصبح بالنسبة لنا هو بمثابة ربان السفينة وهو يلقي بكل ثقة واتكال بالهلب ــ الرجاء ــ في قاع لجة البحر غير المنظور الذي يشبهه القديس بولس بما هو غير منظور داخل السماء، فيجد ربان السفينة السلام والإطمئنان والعزاء بالنجاة)، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا (الهلب الإلهي لمركبنا البشري)» (عب٦: ١٣ــ٢٠).

هذا وصف وتشبيه في غاية الإبداع، فإيماننا الآن قائم على الرجاء بغير المنظور الذي أكمله وسيكمله المسيح عنا، ولكن بثقة وثبات و يقين. فكما أن الهلب إذا ألقاه ربان السفينة في البحر يدخل ظلمة لجة البحر غير المنظور و يرسو على القاع فيكون سلام وثبات ونجاة للمركب ــ طالما كانت المركب مشدودة شداً ثابتاً متيناً بالهلب ــ هكذا صار رجاؤنا ونحن متغربون هنا في هذا العالم، ولكن مشدودين ومثبتين في السماء بواسطة الرب يسوع الذي اخترق الحجاب الفاصل بين هذا العالم والعالم الآخر غير المنظور لنا، فدخل داخل الحجاب إلى الأقداس العليا غير المنظورة وغير المدركة ونحن ممسوكون فيه، فوجد لنا فداءً أبدياً (عب٩: ١٢).

فلأننا مشدودون وثابتون في المسيح، صرنا نستمد منه سلامنا وثباتنا يوماً بيوم بل كل دقيقة في وسط لجة هذا العالم المضطرب.

أما واسطة الثبوت والإرتباط بالمسيح الذي صار مرساة إيماننا ورجائنا، فهي المواعيد التي ورثناها والتي هي أصدق من كل ما يمكن أن نتكل عليه في هذا الدهر، لأن هذه المواعيد قائمة أصلاً — كما يقول بولس الرسول — على أمرين عديمي التغيُّر لا يمكن أن الله يكذب فيهما: الوعد والقَسَم!!

من أجل هذا صار التمسك بمواعيد الله هو بمثابة تصديق وعد الله وتصديق القسم الذي أقسمه، وبالتالي تصديقه شخصياً. وهذا بحد ذاته كفيل بأن يشعل إيماننا إشعالاً، لأنه ارتباط سري بالله على أعلى مستوى يهيىء للإنسان فرصة «**المسك**» بالله عن طريق مواعيده. هذا هو جوهر الإيمان، وهذا هو طريق الدخول الدائم إلى حضرة الله بواسطة يسوع المسيح الذي فيه تحققت كل مواعيد الله.

+ «**لأن كل مواعيد الله فيه هي النعم والآمين لمجد الله بواسطتنا (البشارة). ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله**... أنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته (الرباط الجديد الذي ارتبط به الله معنا الذي لا يمكن أن ينحل أو ينقطع) بالموت، **ليحضركم (بهذا الرباط) قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه. إن ثبتُّم على الإيمان (أي الإرتباط بالمسيح) متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل (مرساة النجاة، كلمة الخبر بالبشارة)**» (٢كو١: ٢٠و٢١، كو١: ٢١—٢٣).

التمسك بمواعيد الله مصدر قوي للتعزية:

وهكذا كما بلغت فرحة التلاميذ ذروتها لما رأوا الرب في الجليل بعد قيامته يسير بينهم ويُعزِّي قلوبهم ويهدِّىء عواطفهم، هكذا وبنفس المقدار ينفتح لنا باب العزاء نفسه وبقوة أكثر عندما نبلغ حالة التصديق القلبي لما جرى في ربوع الجليل وبكل ما حدث

أمام التلاميذ ونسترجع جميع مواعيد الله التي أكملها المسيح في نفسه من أجلنا .

فحينما قال الرب : «اثبتوا فيَّ» (يو١٥ : ٤)، لم يترك الدعوة لتكون من جانب واحد كمعادلة ناقصة تحتاج منا إلى جهد، كأن نطلع إلى السماء لنحدر المسيح، بل استطرد المسيح وقال : «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم» . نعم، **فالتمسك بالمسيح لا يكون قط من جانب واحد، فالرب ماسك بنا يشدنا إليه بقدر ما نسلِّم أنفسنا له بالإيمان. فالرب هو الذي دعا التلاميذ لرؤيته، فسارع التلاميذ إليه.**

وهكذا بقدر ما نشق في مواعيده ننالها ونصير ورثة مع الذين أُعطيت لهم، بكل استحقاق، هم بالعيان ونحن بالإيمان !!

و بالنهاية نجد أن التمسك بمواعيد الرب يُدخلنا معه في ثبوت متبادل ينتهي إلى عزاء قوي وفرح دائم، وهذا يجعلنا شهوداً صادقين للقيامة .

(١٩٧٨)

بين الإيمــان والرؤ يــا
«طوبى للذين آمنوا ولم يروا»

لا يـزال عـالـقـاً في أذهـان كـثير مـنـا أن الإنسان الذي يكشف الله عن عينيه ليرى مـلائـكـة أو قديسين أو شخص الرب نفسه، يكون ذا امتياز فائق، ومن أجل هذا تلتهب قـلوبنا في شوق ورجاء كثير كل يوم بحزن ودموع أن نؤهَّل لرؤ ية وجه الرب أو أن نقترب إلى استعلانه لنستمتع بأقصى سعادة نتصورها.

وفي الحـقـيـقة لم يترك الرب لنا هذا المجال بهذه الصورة السالبية المحزنة، التي يبدو فيها الحرمان من رؤ ية المسيح هو في الغالب الصورة العامة بين المؤمنين.

لـذلـك حـرص الرب عندما شك توما في قيامته من بين الأموات أن يوضح لتوما ولنا أن إمـكـانـيـة الـرؤ يا لقيامته ولشخصه أمر ميسور وهو يعطيه لمن يشاء، وقتما يشاء بحسب الحاجة الماسة إلى هذا الإستعلان.

وعلى أسـاس هـذا ظهر الرب في اليوم الثامن من قيامته خصيصاً لتوما، وأعطاه كل مـا ألحَّ عليه حتى يكتمل إيمانه و يكتمل إيمان الرسل جميعاً الذين ستوضع عليهم مسئولية الـكـرازة، فـقـال له: هات أصبعك ياتوما وآلمس جروحي، وهات يدك وضعها في جنبي «ولا تـكن غير مؤمن بل مؤمناً»، ثم استطرد الرب مباشرة ــ دون أن يوبخ توما على هذا الـتـخاذل في الإيمان بقيامة المسيح ووضع شروط الرؤ يا العينية واللمس باليد للإيمان ــ قائلاً: «لأنك رأيتني ياتوما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

وهنا يقصد الرب بـ«الذين آمنوا» ، التلاميذ والأحباء في ذلك الوقت أو من جميع الأجيال الذين سوف تمتد بهم الأيام إلى أواخر الدهور. هنا نجد أن الرب يوافق على الرؤ يا العلنية والملموسة أيضاً لقيامته ، ولكن يعود و يضع الإيمان بدون رؤ يا على مستوى أعلى !!

هذه في الحقيقة يمكن أن نعتبرها بكل يقين وثقة أنها آخر وأعظم طوبى أو بمثابة ختام النعمة العظمى التي منحها المسيح للكنيسة ، فقد منح الرب قبل الصليب ثماني تطو يبات لمختار يه (في إنجيل القديس متى)، وأضاف عليها سبعة تطو يبات أخرى في مناسبات أخرى، وأبقى هذه الطوبى بعد القيامة ليمنحها لكنيسة الدهور الآتية كلها: «**طوبى للذين آمنوا ولم يروا**» .

ونحن إذا تعمقنا موضوع الرؤ يا من الناحية الروحية سواء في الجهاد النسكي أو التصوفي بالتأمل، نجد أن غاية المفهوم العملي والإنجيلي لرؤ ية الله في شخص المسيح رؤ ية علنية يعني الوصول إلى حالة إدراك الله في ذاته ، ومعروف بوجه التحديد القاطع أن الله غير مدرَك إدراكاً كاملاً إلا من ذاته ، أي أن الله وحده هو الذي يدرك ذاته ، فالله لم يره أحد قط إلا الإبن وحده الذي هو في حضن الآب وهو الذي رأى وخبَّر.

لذلك يقول المسيح بغاية الوضوح والدقة أن لا أحد يعرف الإبن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الإبن. ثم يستطرد المسيح لكي لا يغلق على الإنسان في الجهل الكلي بالله، فيقول: «**ومن أراد الإبن أن يعلن له**» (مت ١١ : ٢٧)، أي أن الله يمكن أيضاً أن يصير مدرَكاً لدى الإنسان إنما جزئياً و بالقدر الذي يعطيه الإبن حسب مطلق مشيئته، **بالإعلان** الذي يعطيه من ذاته ، و بواسطة الروح القدس، وفي حدود إمكانية الإنسان الروحية وقدرته على الأخذ والقبول والتصديق. وذلك يكون غالباً لسبب خاص يراه الرب ضرور ياً ، لأن الروح **يعطي** كل واحد كما يشاء **كما قسم لكل واحد من إيمان**؛ و يؤكد المسيح أن ذلك يكون بواسطة الروح القدس: «يأخذ مما لي ويخبركم» (يو١٦ : ١٤).

هنا تدور الرؤيا كلها حول **معرفة الله وإدراكه** التي تنتهي بحصيلة واحدة، سواء في العهد القديم أو العهد الجديد أو في تاريخ الكنيسة أو حياة جميع قديسيها، وهي أن رؤية الإنسان لله محدودة جداً ولم تبلغ قط إلى حد الإدراك الكامل، وأنها لا تأتي إلا بحسب إرادة الرب يسوع: «**ومن أراد الإبن أن يعلن له**» (مت١١: ٢٧). هذه الآية توضح محدودية هذا الإختبار جداً، بعكس الإيمان الذي جعله الله إلتزاماً: «من ينكر الابن ليس له الآب» (١يو٢: ٢٣)، «من لم يؤمن بالإبن يمكث عليه غضب الله» (يو٣: ٣٦)، «ومن لم يؤمن يُدَنْ» (مر١٦: ١٦).

وهنا نأتي إلى دعوة الله للإيمان بالمسيح بدون رؤيا، ونسأل لماذا أعطى المسيح التفوق للإيمان به بدون رؤيا على الإيمان به الذي تم بالرؤيا على مستوى توما؟

هنا المسيح لا يتعطف على المستوى الأقل (الإيمان بدون رؤيا)، و يعطيه الطوبى لكي يساويه بالمستوى الأعلى (الإيمان بالرؤيا)، ولكن المسيح أعطى الطوبى للإيمان بدون الرؤيا على أساس، و بناءً على أصول وحقيقة وقانون إلهي وهو **أن الإيمان البسيط بشخص الرب يمكن أن يبلغ بالإنسان في كل الأمور المختصة بالله إلى حد متفوق جداً على الرؤيا.**

فالإيمان البسيط الواثق بالمسيح يبلغ بالإنسان إلى قبول المسيح قبولاً كاملاً وكلياً في ذاته «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (فيه)» (يو١: ١٢)، أي يصير شخص الرب في صلة قلبية داخلية دائمة في ضمير الإنسان تزداد كل يوم عمقاً واختباراً حتى تصل إلى حد صلة العروس بالعريس، أي الإتحاد السري أو زيجة النفس بالمسيح حيث تصبح النفس مملوكة كلياً له، فتصير النفس مع الرب روحاً واحداً «أما من التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو٦: ١٧)، حيث لا تعود النفس تحيا من ذاتها بل تحيا من المسيح و بالمسيح حتى إلى الدرجة التي يصير فيها المسيح هو الذي يحيا فيها.

هـنـا الإلـتـصاق بالرب، أو حياة الرب داخل النفس الذي يُعبِّر عنه القديس بولس الرسول والـذي سبق وعبَّر عنه الرب يسوع بالثبوت المتبادل فيه، والحياة المتبادلة معه؛ هـذه الحـالـة مـن الإتحـاد والحـب ارتـفـع بها المسيح إلى درجة فائقة في سر الجسد والدم إذ جـعـلها تبلغ حد أكله وشربه. فليس هو التصاقاً وحسب بل اتحاد عميق. هنا استعاض المـسـيح عـن رؤيـا الـعين ولمس اليد لجسد قيامته كواسطة للتحقق من شخصه أو لبلوغ حالة معرفة وإدراك له: «ربي وإلهي»، استعاض عنها بوسيلة أخرى متاحة للجميع وهي أنـه يـعطي شخصه كله سراً ومجاناً لكل إنسان للإيمان به!! لا على أساس الرؤية بل على أساس تـغـمـيض العين وفتح الفم لنتناوله داخلياً بالإيمان بدون عيان «من يأكلني يحيا بي»، «من يأكل جسدي و يشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو٦: ٥٦و٥٧).

هـذا كـلـه يجـمـعـه الـقـديـس بـولـس الـرسـول دائماً في هاتين الكلمتين: **«آمن... فتخلص»**.

هـنـا الإيمـان هـو على أساس قبول المسيح الكلي بالسر الممنوح لنا، سواء المعمودية أو الجسـد والـدم. لـذلـك فـإن اسـتـجـابـة الإيمـان الـصـحيح تكون بالإلحاح المباشر لقبول المـعـمـودية، واستجابة المعمودية هي قبول الجسد والدم؛ إذ بمجرد أن ينفتح قلب الإنسان بـالإيمـان يـظـل هذا الإيمان فعالاً كقوة سرية لا تهدأ حتى يبلغ الإنسان حالة التبني لله في شخص المسيح.

إذن فـكـلـمة «آمن فتخلص» لا تعني ببساطة أن مجرد الإيمان القلبي يوصلنا إلى حالة الخلاص، لأن الخلاص الـكـامـل يستحيل بلوغه إلا ببلوغ حالة قبول المسيح قبولاً كلياً وشامـلاً؛ أي الـتـصـاق بـالـقـلب، واتحاد بالسر، واعتراف دائم بالفم!! من واقع حياة جديدة وعلاقة عملية تُعبِّر عن اتحاد زيجي لا ينفصل.

وهذا يتم:

أولاً: بـالمـعـمودية للموت والقيامة مع المسيح، أي بالميلاد من فوق، لنكون من لحم

المسيح وعظامه وحتى نكمل شركة الموت والقيامة معه.

ثانياً: بأكل الجسد والدم لقبول حياة متجدده.

ثالثاً: بالتمسك بالإعتراف بالمسيح إلى آخر نسمة من حياة الإنسان.

ولكن الرؤية بالعيان أو حتى بلمس اليد لجروح المسيح القائم من الأموات لا يمكن بل ومستحيل أن توصلنا إلى حالة قبول المسيح قبولاً يبلغ إلى حالة اتحاد زيجي، لقد أنشأت هذه الرؤيا عند توما مجرد اعتراف بحقيقة الرب: «ربي وإلهي».

بل والأكثر من ذلك أن التلاميذ عندما رأوا الرب لأول مرة في العلية عشية قيامته وسمعوا صوته وهو يحييهم بلهجته المعهودة: «سلام لكم»، **لم يصدقوا أنه المسيح، بل شكّوا كلهم وقالوا أنه روح!!**

إذن فالرؤيا للرب نفسه مهما كانت صحيحة وواقعية ومسموعة، إلا أنه قد يصاحبها شك وعدم تصديق!

وهكذا تظل الرؤيا، مهما كانت صحيحة، في حاجة إلى إيمان لكي يتم التصديق ويتم القبول. لذلك فإن المسيح بعدما أظهر نفسه لهم ابتدأ يوبخهم على عدم إيمانهم لأنهم لم يصدقوا أخبار قيامته!

من هذا نرى لماذا شدّد الرب على الإيمان أكثر من الرؤيا: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا»، إذ وضح تماماً أن رؤية الرب نفسه واقفاً ومتكلماً بشخصه لم تسعف التلاميذ لكي يؤمنوا به أو حتى يصدقوه، بل شكّوا!

فواضح الآن أن بالإيمان الواثق وحده نبلغ إلى حالة قبول شخص الرب الحي قبولاً كاملاً بكل يقين، أعظم من يقين الرؤيا واللمس، وذلك بالحب الفائق الذي يلهب قلوبنا كل يوم لنموت له ونحيا له؛ ليحيا هو فينا بسره الفائق، فنستمتع بوجوده ونتحد به كاتحاد العروس بالعريس بفرح هو أبهج من فرح عروس وعريس، وذلك كله دون أن

نراه رؤيا العين كما يقول القديس بطرس الرسول: **«الذي وإن لم تروه تحبونه، ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد، نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس»** (١بط١: ٨و٩).

واضح هنا من كلام القديس بطرس، أن الرؤية العلنية للرب صارت بعد تأكيد الرب لتوما: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا»، صارت خارجة عن منهج حياة الإيمان بالرب يسوع في الكنيسة، أي صارت ليست من مستلزمات الإيمان.

ثم واضح أيضاً أن الرؤية العينية إذا امتنعت، لا يمكن أن تمنع الإيمان. كما أنه واضح من كلام القديس بطرس ومن سيرته كلها أن الرؤية إذا جاءت لا تزيد الإيمان المتأصل في القلب أو تكمله شيئاً، ولكنها أي الرؤيا إذا جاءت بعد إيمان فهي تكون دعوة لرسالة عاجلة وخطيرة.

كذلك واضح لنا من كلام القديس بطرس الرسول باعتباره أكبر وأخطر إنسان اختبر الشك واختبر الرؤيا، ثم بعدها اختبر الشك أيضاً، ثم اختبر الإيمان وانتهى إلى تقرير هذه الحقيقة الإيمانية التي هي إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها علاقتنا بالمسيح: **أن الإيمان بدون الرؤيا يمكن أن يبلغ إلى حالة حب صادق للرب «الذي وإن لم تروه تحبونه»**. ثم أن هذا الحب القائم في سيرة الإيمان الصادق قادر أن يبلغ بنا حتماً إلى حالة من الإبتهاج تفوق العقل والمنطق، إذ ليس لها من سبب يراه أو يعقله الإنسان، بل هي حالة ابتهاج بواقع غير منظور وغير محسوس هو في الحقيقة **قائم على سر وجود الرب نفسه داخل القلب «ليحل المسيح بالإيمان** في قلوبكم وأنتم متأصلون **ومتأسسون في المحبة»** (أف٣: ١٧و١٨).

ثم يتوج القديس بطرس هذا الإختبار الروحي العجيب القائم على الإيمان والحب والإبتهاج بدون رؤية عينية على الإطلاق، بأنه يبلغ بنا حتماً إلى حالة كرازة لخلاص الآخرين، لأن فرحة الإيمان بالرب و يقين الإبتهاج بقيامته هي أعظم بشارة بقيامة الرب نقدمها من واقع حياتنا يمكن أن تؤثر جداً في الخطاة فتجذبهم للحياة الأبدية.

فالتلاميذ ــ بعد أن عبروا على منطقة الشك والخوف وعدم التصديق وهم في واقع الرؤية العينية لشخص الرب واقفاً أمامهم ــ دخلوا في يقين الإيمان بالقيامة كعطية فائقة من الرب، وفي الحال دخلهم فرح وابتهاج يقول عنه القديس بطرس الرسول كمختبر أنه «لا يُنطق به ومجيد»، وذلك كنتيجة حتمية للإيمان بالقيامة.

ومن واقع هذا الإبتهاج والفرح الدائم الذي غمر حديثهم وسلوكهم وكل حياتهم صاروا بالتالي رسلاً للإيمان بالقيامة من الأموات، لتوصيل هذا الإيمان عينه بكل ابتهاجه لخلاص الآخرين.

وأصبحوا بسر سلوكهم هذا المملوء من الفرح والإبتهاج في الإيمان بالقيامة يجتذبون بدون جهد ألوف الخطاة إلى التوبة والإيمان بالمسيح، «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة، وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام (الإفخارستيا) **بابتهاج وبساطة قلب مسبِّحين الله، ولهم نعمة لدى جميع الشعب، وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**» (أع ٢ : ٤٦ و٤٧).

(١٩٧٨)

«يا سمعان بن يونا أتحبني ؟»
(يو٢١: ١٥)[1]

كان ذلك بعد القيامة، حينما استبطأ بطرس مجيء الرب إلى الجليل حسب وعده، فأغوى ستة آخرين من التلاميذ: توما ونثنائيل و يوحنا و يعقوب أخاه واثنان آخران، ليذهبوا إلى قاربهم القديم ليصطادوا، وما أشبه الجديد بالقديم! «ولما رأى الشعب أن موسى **أبطأ** في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هرون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن موسى هذا، الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه» (خر٣٢: ١).

هذا هو القديس بطرس نفسه، الذي بعد تجربته المُرّة بسبب تسرعه في قطع الرجاء لاستبطائه ظهور الرب، يعود و ينصحنا بتأكيد قائلاً في رسالته المباركة: «هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء، فيهما أُنهض بالتذكرة ذهنكم النقي لتذكروا الأقوال التي قالها سابقاً الأنبياء القديسون و وصيتنا نحن الرسل — وصية الرب والمخلّص — عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون، سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين **أين هو موعد مجيئه** لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا من بدء الخليقة،... **ولكن لا يَخْفَ عليكم هذا الشيء... لا يتباطأ الرب عن وعده لكنه يتأنى علينا!!**» (٢بط٣: ١—٩).

---

(١) نص الكلمة التي أُلقيت في الأحد الرابع من بعد القيامة بدير القديس أنبا مقار — بر ية شيهيت.

نـعـم، فـهذه هي نفس علة كل الذين ارتدوا عن نشاطهم وحماسهم وغيرتهم المقدسة في الجـهـاد والمـسيـرة وراء الـرب: إنهـم بـدون تروي و بدون وجه حق قطعوا الرجاء من تحـقـيـق مـواعـيد الله، غير عالمين أنه يستحيل على الرب أن يبطىء أو يهمل أو يتخلى عن المعونـة، ولـكـنـه كما يـؤكد لنا القديس بطرس الرسول ـ الخبير في قطع الرجاء ـ «**لا يـتـبـاطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا، وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة**» (٢بط٣: ٩).

مـنظر حز ين على بحيرة طبر ية ونور الفجر بدأ يكشف عن مأساة التلاميذ، سبعة من أمـهـر الـصـيـادين يـقـضون الليل كله في بحيرة ضحلة المياه مليئة بالسمك ولا يصطادون سمكة واحدة!!

نـعـم، فالرب واقف على الشاطىء يراقب تلاميذ القيامة المتمردين، صيادي الناس الـذيـن عـادوا إلى صـيد السمك. و بناءً عليه، فقد أعطى الرب أمره حسب سلطانه على سـمـك الـبـحـر الـسالك في البحار أن يهزأ ببطرس ورفاقه لعلهم يفقدون تعلقهم بصنعتهم القديمة ومهارتهم الأولى إلى الأبد.

+ «يـاغـلمان ألعل عندكم إداماً؟» (يو٢١: ٥) (ولا سمكة واحدة للأكل بحسب الـنـص الـيـونـاني الـقـديم). قـالهـا الـرب بصيغة استنكار ية! وكأنه يهزأ بصنعتهم وفنهم كـصـيـادي سمك للبيع والتجارة، لأنهم لم يحصلوا حتى على ما يأكلوه بعد ليلة طو يلة من الجهاد والعرق!...

ولكن الرب لا يحتقر الصيد ولا يكره السمك أو يسترذل التجارة، فهو الذي قال لهم بـعـد هـذا الـفـشـل الـذر يـع: «الـقـوا الـشـبـكـة على جـانـب السفينة الأيمن فتجدوا» (يـو٢١: ٦)، فـاصـطـادت صـيداً ممتازاً جداً، أي صيداً قابلاً للتجارة بلا أدنى شك، لا تحـتـمـلـه أية شـبـكـة صـيـاد، ١٥٣ سـمـكـة (يـو٢١: ١١)، من أكبر الأحجام في كل البحيرة!!

هذا هو الصيد بدون الرب — ولا سمكة واحدة — وهذه هي أعمال الحياة كلها بدونه. وهذا هو الصيد الثمين المذهل، وهذه هي كل الأعمال بكلمة الرب وحضوره!! الصيادون هم الصيادون، والمركب والشبكة هي هي، والسمك في البحر كما هو. ولكن الفرق شاسع جداً بين أن يصطاد التلاميذ كمعلمي صيد بحسب فن الصيد، و بين أن يصطادوا كتلاميذ الرب بحسب طاعتهم لكلمته «**على كلمتك نلقي الشبكة**»!

وهكذا تدخل كلمة الله بعد القيامة إلى صميم عملنا اليومي مهما كان نوعه، فتحوّل الفشل وجهاد الليل بل العمر كله دون أن نصطاد شيئاً إلى معجزة اصطياد ١٥٣ سمكة.

هذا هو أول درس يلقّنه لنا المسيح بعد قيامته، فكأبناء قيامة، نحن لا نعيش ولا نعمل ولا نربح بعد بحسب قوانين وأصول وفنون ومهارات هذا العالم فقط، ولكن نستمد دقائق حياتنا وكل نجاحنا ومهارتنا بالدرجة الأولى من الواقف على شاطىء الحياة، الذي يعطي توجيهاته أولاً بأول لكي يحوّل أعمالنا كلها من جهاد الذات المضني إلى معجزات، ولحساب الملكوت!...

فمعجزة صيد السمك ينبغي أن تكون هي مفتاح سر جهادنا وتفكيرنا لكل أعمالنا في حياتنا الجديدة بعد أن قبلنا روح القيامة «على كلمتك ألقي شبكتي».

و يعلق على هذا القديس كيرلس الكبير بقوله، إن فشل التلاميذ في الصيد طول الليل معتمدين على مهارتهم يمثل فشل الذين اعتمدوا على الناموس في العهد القديم بسبب عدم التجائهم والتصاقهم بالله رب الناموس؛ وأما الصيد العظيم الذي أتى في النهاية بلا جهد، فهو يمثل ثمر النعمة الذي اصطدناه بشبكة الإنجيل مجاناً ونحن معتمدون على المسيح وعلى كلمته.

كما يقول أيضاً إنه ينبغي أن تنتقل الشبكة من الشمال بحسب تدبير ناموس موسى، إلى اليمين بحسب تدبير المسيح.

وهذا يذكّرنا بصلاة قسمة القداس التي يقول فيها: «وعوض الخطية المحيطة بالعالم مات الإبن بالصليب، وردّنا من التدبير الشمالي إلى التدبير اليميني» (الخولاجي المقدس ـــ القسمة السريانية).

وهنا جيد جداً أن نشير إلى صحة المعتقد القبطي الأرثوذكسي في حركة الرشم بالصليب من الشمال إلى اليمين، لأنها تعني تماماً ما يقوله القديس كيرلس الكبير وما تقوله القسمة السريانية، بعكس ما يجريه الروم إذ يجعلون الرشم من اليمين إلى الشمال.

الرب يوبخ:

لقد أدرك التلاميذ في الحال لما وجدوا الشبكة مثقلة بصيد لم يحدث له مثيل في حياتهم، أنه الرب نفسه. فأسرع بطرس كعادته وألقى بنفسه في الماء ليكون أول من يتحقق من الرب و يصفي حسابه.

و بعد أن جذب بطرس الشبكة وعدّ السمكات، وهو في ذهول مما يرى أمامه، لأن السمك ووزنه كان فوق طاقة حمل الشبكة، والمعجزة تصرخ في وجهه أن الأمر يحمل ولا شك تعليماً خطيراً، جلس و بقية التلاميذ الستة حول الرب لسماع الدرس الأخير: «ياسمعان بن يونا أتحبني؟».

لقد آمن التلاميذ الأحد عشر بقيامة الرب لما رأوه وجسوه؛ **ولكن شتان بين أن نؤمن وبين أن نحب.** أن نؤمن بالرب، فهذا لا يتعدى التصديق. ولكن **أن نحب، لا يمكن إلا أن نتبعه!!**

لقد آمن التلاميذ بالرب المقام؛ وها هوذا يضبطهم هاربين إلى عزاء العالم مرة أخرى ليغرقوا في همومه وفساده من جديد!

كان إيمان التلاميذ، و بالأخص بطرس حتى ذلك الوقت، يحتاج إلى دفعة حب لكي يقووا على ترك الشباك وكل الماضي مرة واحدة واتباع الرب في حب و ولاء صادق

مهما كلفهم من فقر وعوز وفقدان وسائل العيش المريحة، حتى وإلى الموت!

والرب حينما يطرح السؤال: «ياسمعان بن يونا أتحبني؟» لا يريد من بطرس الجواب، ولكنه ينبه بطرس إلى فقدان «المحبة» من الإيمان، هذا العنصر الهام جداً في علاقتنا بالرب.

والرب لا يزال يطرح هذا السؤال لكل واحد منا، فالإيمان بالرب شيء وحب الرب شيء آخر، الأول يربطنا بالرب فكرياً، والثاني يربطنا به روحياً وجسدياً وقلبياً.

وعلاقة الحب بالنسبة للرب تعني عبادة صادقة جداً، واتباع الرب من كل القلب. لذلك لا يستطيع أحد أن يتبع الرب يسوع من كل قلبه إلا إذا ارتبط بالرب برباط المحبة التي تكون علامتها ظاهرة جداً في اتِّباع الرب على درب الصليب. لذلك لما أكّد بطرس حبه للرب ثلاث مرات، قال له الرب: «اتبعني».

«المحبة» التي يطلبها الرب ليست هي التي نعرفها بعواطفنا البشرية، فمحبة العاطفة شيء ومحبة الرب بالروح شيء آخر. فكلمة «المحبة» التي جاءت على لسان الرب ليست هي كلمة «فيلو φιλῶ» اليونانية بل كلمة «أجاپاس ἀγαπᾶς»، وهو الحب المقدس السمائي الذي يعني تماماً ما كان تجرأ عليه بطرس نفسه يوماً ما بقوله للرب: «فأجاب بطرس وقال **وإن شكَّ فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً،... ولو اضطررت أن أموت معك، لا أنكرك!!**» (مت٢٦: ٣٣و٣٥)... «**لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن، إني أضع نفسي عنك**» (يو١٣: ٣٧). هذا هو ما يعنيه الرب هنا تماماً من قوله لبطرس: «ياسمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء (التلاميذ)».

وكأن الرب مرة أخرى ينبه بطرس إلى مدى ابتعاده عن وعده السابق «ها نحن قد تركنا كل شيء (السمك والأسرة وكل المعيشة) وتبعناك» (مت١٩: ٢٧)، والتزامه السابق باتباع الرب والسير وراءه حتى إلى السجن، وأن لا ينكره حتى ولو أنكره الجميع، بل وأن يموت بطرس عن المسيح نفسه، هذه الوعود التي تجرأ عليها مُظهراً تفوقه في حب

الـرب أكثر من بقية التلاميذ، وذلك قبل أن يدرك معنى «الحب الحقيقي» — ἀγαπᾷς — و ينال موهبته، ولكن الآن حان ميعاد فهم كل شيء وتصفية الإدّعاء البشري لقبول أعمال لم يكن في استطاعته قبولها سابقاً بالكلام والشجاعة، فالرب الآن مات عن بطرس وفداه من ذاته وكبريائه وكل أخطائه، وقام أخيراً **لا ليوبخ بل لكي يمنح هبات الحب العظمى** التي كانت تنقصه: «قال له سمعان بطرس ياسيد إلى أين تذهب؟ أجابه يسوع حيث أذهب (الصليب) **لا تقدر الآن أن تتبعني ولكنك ستتبعني أخيراً**» (يو١٣: ٣٦).

الرب هنا يلقن بطرس مفهوم الإيمان الصحيح بالرب، فهو لم يقل له أتؤمن بي، بل أتحبني؟، وبالتالي يضع أساس الإيمان الرسولي للكنيسة كلها، الإيمان العامل بالمحبة — ἀγαπᾷς — المحبة الإلهية الملتهبة نحو الرب يسوع والتي هي القوة الدافعة لإتّباع الرب — الذي خلصنا بصليبه من كل معوقات المسير وراءه — دون النظر إلى التكلفة مهما كان الثمن باهظاً، لأن محبة الرب يسوع تعني قبول موته الذي ماته بالحب عني «الذي أحبني وأسلم ذاته عني». هذا هو الحب — ἀγαπᾷς — الذي إذا اشتعل في قلبي فحتماً سيقودني للمسير وراءه حتى إلى الصليب «يحمل صليبه و يتبعني».

لقد ظن سمعان بطرس في شجاعته وحبه العاطفي غير الإلهي أن بمقدوره — بإيمانه العاطفي — أن يموت عن الرب! فلما دخل هذا الحب العاطفي البشري — φιλῶ — الإمتحان انتهى إلى إنكار بل الى لعن وتجديف وقَسَم أن بطرس لا يعرِف المسيح «لست أعرف هذا الرجل»، وتركه يموت وحده وهرب!!

ولكن لما تقبّل بطرس هبة الحب الإلهي — ἀγαπᾷς — من الرب القائم، ومن خلالها أدرك بيقين الإيمان أن وراء الموت قيامة ومجداً أبدياً، استطاع القديس بطرس الرسول أن يموت على أمانة الشهادة للمسيح ويموت حباً، مصلوباً ومنكساً بملء اختياره، لأن هذا هو عمل الحب الإلهي — ἀγαπᾷς — الذي لا يمكن أن يموت أبداً «ومن يحيا (بالحب) مؤمناً بي فلن يموت إلى الأبد» (يو١١: ٢٦ — الآية مصححة). أو كما يقول

القديس أغسطينوس: «لأنه قد دفع الثمن عنك فأصبح الواجب عليك أن تتبع مَن اشتراك»[1].

هنا نلاحظ أن القديس بطرس الرسول كان يستخدم حريته قبل أن يرتبط إيمانه بحب الرب لإتيان أعمال أكثر من إمكانياته، فانتهت به هذه الحرية الكاذبة إلى إنكار الرب والتجديف عليه هرباً من مسئولية تبعيته للرب مجرد تبعية، ولكن لما نضج إيمان بطرس، وتحرك في القلب الحب الإلهي الصادق، قادته حريته إلى أن يمد يديه بمنتهى الشجاعة والرضى و يتبع الرب بكل افتخار ليُصلب!

نتعلم من هذا أن الحرية في الروحيات قبل نضوج الإيمان والحب تؤدي حتماً إلى الإبتعاد عن الله. ولكن حينما يبلغ الإيمان إلى مستوى حرية أولاد الله بالحب والطاعة، حينئذ ينقاد الإنسان بروح الله و يكون قادراً حتى على صلب الجسد سواء بالإرادة أو بأيدي الآخرين.

ارع غنمي:

حينما أجاب بطرس الرب بانكسار قلب: «يارب أنت تعلم كل شيء، أنت تعرف أني أحبك» (يو٢١: ١٧)، ولم يتجاسر أن يؤكد أكثر من ذلك كسابق عادته مدركاً مقدار خطئه في تهوره السابق، بادره الرب في الحال؛ رداً على هذا الإعتراف المخلص أن «ارعَ غنمي»، معلناً بذلك أنه قَبِل اعتراف بطرس ومحبته!! ومنحه وظيفته مرة أخرى!!

وهنا يتضح لنا عظم قدر محبتنا للمسيح باعتبارها أنها هي التي تعطي الإمتياز للقيام بأعمال الرب ورعاية غنمه!! فلو تذكرنا دعوة الرب الأولى لبطرس من صيد السمك لصيد الناس (لو٥)، نجد أن المنظر أمامنا يتطور بسرعة و يتلاحم، ففي بداية الخدمة

(1) St. August. on Gosp. of John, Hom. CXXIII.

الـرسولية دُعي بطرس ليصطاد الناس عِوَض صيد السمك، والآن تتحول الدعوة من صيد الناس إلى رعايتهم.

والـتـرتيب هنا في التدبير الإلهي واضح، أنه بعد صيد الناس من لجج مياه بحر العالم المتلاطمة يتحتم إطعامهم ورعايتهم. وكأنما معجزة صيد السمك هنا تنطق لتنبه الذهن بأن إطعام القطيع رهن بإلقاء الشبكة على الجانب الأيمن، أي الإتكال الكامل على كلمة الرب وليس السعي بالجهد والبر الذاتى طول الليل!!

وهكذا تبدو أمامنا قصة صيد السمك بعد القيامة محمّلة بأسرار وإشارات عميقة تخص الكنيسة كلها في الصميم، وللرعاة بصفة خاصة. وعلينا أن نتأمل: «**إرعَ غنمي**».

الترجمة العربية هنا لكلمة «ارعَ» غير صحيحة، فالأصل اليوناني βοσκεῖν وتعني «**إطعام**» **وليس الرعاية**، فالرعاية لها اصطلاحها المضبوط الذي سيأتى بعد ذلك وهو ποιμαίνειν، كذلك كلمة «غنمي» ليست ترجمة صحيحة، فالأصل يُقرأ «حملاني» ἀρνία وليس «غنمي» πρόβατα ». فدعوة الرب الأولى لبطرس ــ بحسب النص اليوناني ــ «**إطعم حملاني**». والثانية «**إرعَ خرافي**»، والثالثة «**إطعم خرافي**».

هذا النسق في التدبير الإلهي بالنسبة لعمل الكنيسة بديع حقاً، فأخطر جزء في القطيع يحتاج لباكورة المحبة والعناية والجهاد بالنسبة للخدمة هو الحملان ــ الأطفال والأحداث ــ وهي التي تحتاج للرعاية، أي التدريب على القيادة في الطرق الصعبة التي هي الدراية بأصول ومنابع الخلاص؛ ولكن تحتاج إلى إطعام سهل وسريع بروح الكلمة.

ثم يأتى دور الخراف، فهي تحتاج للرعاية أولاً أي القيادة والتهذيب ومعرفة أصول السير في الطرق المؤدية للحياة، وبعد ذلك إلى إطعام. وإطعام الخراف الذين هم الجزء الناضج من الشعب هو أصعب مهمة بالنسبة للعمل في الكنيسة. فلابد للشعب الناضج،

بعد أن يُوعّى بطرق الخلاص الأمينة، أن يمتلىء بدسم السماء بالكلمة، و ينال قوة الرجاء بمواعيد الله فيعيش في ملء فرحة الحب بالرب المخلّص.

من هذا نرى أن أول دفعة للحب الإلهي، يهبها الله للإنسان تؤهله للرعاية؛ ولكن ليس لرعاية قطيع أو خرفان ناضجة مدربة، إنما تكفيه أن يرعى الحملان وحسب.

أما حينما يهب الله مز يداً من الدخول في قوة الحب الإلهي، فهذا يؤهله لقيادة الخراف للتعرف على الطرق الصحيحة المؤدية للحياة. فإذا نجح الراعي وكان أميناً، سرعان ما يعطيه الله هبة الحب الكامل ليبلغ إلى قامة الأبوّة الكاملة، ليصير الراعي قادراً أن يمنح الخراف هبة الأكل من المن السماوي حتى إلى الشبع الروحي كل يوم وكل لحظة للتلذذ بدسم السماء والحياة في ملء الفرح بمواعيد الله العظمى والثمينة.

وهكذا نلمح كيف تتعرض طبيعة بطرس البشر ية المتقلبة التي استطاعت مرة أن تنكر المسيح وتجحد معرفته ثلاث مرات، كيف تصل إلى التغيير الشامل في حضرة الرب، إنما على ثلاث مراحل متتالية سر يعة لتصل في النهاية إلى طبيعة الحب الفائق كنموذج رائع للبشر ية كلها التي يمكن أن ترتفع من حضيض الإنكار والجحود إلى قمة الإعتراف والشهادة، بل والرعاية إن هي استجابت لهذه الدعوة الفائقة: «ياسمعان بن يونا أتحبني»؟

(١٩٧٨)

الروح القدس يمنحنا القيامة

بمناسبة عيد الخمسين ١٩٧٩

الروح القدس في الكنيسة منذ يوم الخمسين وحتى الآن يحضرنا كل يوم مع المسيح لندخل بكل كياننا داخل مجال المسيح، مجال القيامة، مجال فعل الخلاص بكل دقائقه، ونستلهم الإنجيل بكل دقائق معناه الصحيحة لنعيش فعل المسيح وكلمته، لأن الروح الذي أقام المسيح هو الآن معنا حاضر في الكنيسة يضيء في قلوبنا سر قيامة المسيح في كل لحظة ليقيمنا من لعنة موت الخطية.

فالإطار العام لعمل الروح القدس ينحصر في أن حلول الروح القدس يوم الخمسين أعطى للإنسان الوجه الآخر الحي والفعّال لقيامة المسيح. فبحلول الروح القدس دخلت قوة قيامة المسيح إلى العالم لتصير فعّالة ومجدِّدة للطبيعة البشرية. لذلك يشدد الرسول بطرس قائلاً: «مولودين ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات» (١بط ١: ٣)، هذا يكمله القديس بولس الرسول بقوله: «إن كان الروح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو٨: ١١).

ولكن الروح القدس لا يعطي قوة القيامة من لعنة الموت الساكنة في الأعضاء ميكانيكياً، بل يلزم الإعتماد الشديد والقوي على الروح القدس بالإنقياد له، وبإلقاء

كل الرجاء على النعمة «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد **فستحيون**» (رو٨: ١٣). هنا الروح القدس يميت ويحيي، وهذه إحدى صفات الله العجيبة والمشجعة والتي تحفظ تجديد الخلقة بالروح القدس.

على أن كل من حصل على روح القيامة، أي الموت عن العالم والحياة لله في هذا الدهر بقوة الروح القدس وفعاليته والإنقياد له بالسلوك العلني والخفي، فإنه ينال سر القيامة العتيدة، لأن سكنى الروح القدس الآن في الكيان الإنساني بفعل الإيمان والشهادة والأسرار وقوة الكلمة، يعطي قدرة قيامة الجسد في الحياة الأبدية كما يتكلم جميع آباء الكنيسة في هذا الأمر، وهذا برهانه العملي: الفرح المذهل الذي يعيشه المؤمنون في هذا الدهر.

إذن فحضور الروح القدس في يوم الخمسين والآثار القوية التي صاحبت حضوره وحلوله، والتي لا تزال تعمل في الكنيسة ككل وفي المؤمنين كأفراد (المواهب)، هو في الحقيقة الوجه الآخر والدائم لقيامة المسيح، لذلك إن كانت الكنيسة تعيش بالفعل في قيامة المسيح (اخر يستوس آنستي)، فهي لأنها نالت روح القيامة وتعيشه وتتنفس به.

طبيعة الروح القدس وطبيعة الإنسان

تغيير وتجديد للطبيعة عن طريق الشركة:

يظل علم اللاهوت يوضح و يدقق، للتفريق الهائل بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية. فالفارق بينهما هائل ومطلق ولا يقوى أي عقل أو منطق أن يصور مقدار الهوة التي تفصل بينهما. فالله هو «آخر» كلي ومطلق بالنسبة للإنسان، ولا يستطيع الإنسان أن يتصوره أو يقيّمه.

و بعد أن اتحد «الكلمة» اللوغس ـــ أي كلمة الله إبن الله ـــ بالطبيعة البشرية، مولوداً من الروح القدس والعذراء مريم، جمع في نفسه هذا النقيض الهائل، أي الإلهي والبشري معاً في نفسه!! دون أن يفقد الكامل المطلق ـــ أي الإلهي فيه ـــ شيئاً؛ ولكن

زاد الناقص العاجز ــ أي البشري فيه ــ كل شيء وكل كرامة.

أقول، وبالرغم من هذا الإتحاد الإعجازي الفائق، فقد ظلت الطبيعة الإلهية بالنسبة لنا نحن كأفراد شيئاً لا يُقترب إليه لا بالفكر ولا بالحس ولا بالأثر الفعال. فواضح من حياة التلاميذ الأخصاء مع المسيح أنهم على مدى كل حياته على الأرض، وبالرغم من كل ما أتاه من معجزات، ثم في صلبه وموته وحتى بعد قيامته وظهوره، لم يدركوا لاهوته. والسبب في ذلك أن القربى والإتحاد والتصالح الذي تم بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية فيه ظلت منحصرة في أقنومه الشخصي، كما يحدده اللاهوت أنه «**اتحاد أقنومي**»، أي اتحاد شخصي. وظل هذا الإتحاد بآثاره الهائلة نحو البشرية كلها ينتظر حلول الروح القدس في الأفراد المؤمنين باسمه.

لذلك شدد المسيح أنه «خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي». إذن فخير البشرية ومجدها العظيم والبعيد الأثر، كان ينتظر قيامة الرب وصعوده بعد القيامة، لكي يرسل الروح القدس، ليكمل عمل الرب الخلاصي.

ثم شدّد المسيح أيضاً على تلاميذه أن لا يبرحوا من مكانهم في أورشليم مجمداً حركتهم تجميداً كلياً حتى يُلبسوا قوة من الأعالي، وذلك ليتهيأوا للبشارة والشهادة. وذلك بأن يكونوا هم أولاً على مستوى المسيح في تكميل عمل الخلاص ــ أي على مستوى القيامة، أي جدة الحياة الإنسانية «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧). لقد ولد الإنسان من جديد من طبيعة المسيح المقام بواسطة الروح القدس.

وبقبول الكنيسة، يوم الخمسين، الروح القدس، أي بسكنى روح الله في قلب الإنسان وكيانه باتحاد صميمي سري، اختزلت الهوة التي كانت تفصل الله عن الإنسان، أي دخلت الطبيعة البشرية في شركة حية وفعّالة مع الطبيعة الإلهية على أساس أن ينال الإنسان ثمار اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية التي تمت جوهرياً

وأقنومياً في المسيح، واستعلنت بالقيامة من جهة روح القداسة، لننالها نحن بالنعمة بصفتنا أبناءً نرث ميراث المسيح في المجد، وبذلك تم شفاء عجز الطبيعة البشرية وقصورها وموتها ونوال قوة قيامتها وكرامة ومجد صعودها إلى السماء الذي تم لها في المسيح المقام، ولكن بالنعمة، كهبة، دون أن تفقد الإنسانية بشريتها ـــ إنما مجرد اكتساب مواهب المسيح، «أعطيتهم المجد الذي أعطيتني»، «أنا فيهم وأنت فيَّ» (يو١٧: ٢٢و٢٣).

ولكي نوضح ذلك على المستوى العملي نشير إلى كيف أن بولس الرسول يفصل بين إنسان نال الروح القدس ودخل في شركة الطبيعة الإلهية عن إنسان لم ينل هذه الشركة ولم يصر روحياً بعد هكذا:

+ «وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم **كروحيين** (سيرة سماوية) بل **كجسديين** (سيرة أرضية)، كأطفال في المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون، بل الآن أيضاً لا تستطيعون. لأنكم بعد جسديون. **فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر.** لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلُّوس أفلستم جسديين؟» (١كو٣: ١ـــ٤)، فالروح القدس حينما يعمل في الطبيعة البشرية يرفع الإنسان فوق كل انقسام أو تحزب أو حسد مهما كان...

نخلص من هذا، أن سكنى الروح القدس في الإنسان وانتهاء طبيعة الإنسان بالقلب والفكر والإرادة لوصايا الرب مع الإشتراك في أسرار المسيح، هذا يكون له ثمار حية سلوكية تشهد في حياة الإنسان، وهي التي تختم على مدى صحة الشركة في الروح القدس والإقتداء بالمسيح والنمو في عمل النعمة بشهادة الضمير والسلوك.

* * *

مواهب الروح القدس

أ. الموهبة الأولى: تجاه المسيح نفسه:

والإعلان الهام بل والتحذير الخطير الذي يتحدانا هو أنه بالرغم من أن جميع مواهب الروح القدس مهما تعددت، فالروح واحد، ولكن تبقى موهبة «معرفة الكلمة» على أسس صحيحة من الإنجيل وبفهم صحيح وإدراك صحيح بحسب الفكر الإنجيلي واللاهوتي، تبقى هي الأساس الأول الذي لا غنى عنه والذي عليه يتوقف عمل كل موهبة أخرى، ويكفي أن نتصور إنساناً يسعى لينال موهبة الخدمة أو التعليم أو النبوة أو التكلم باللسان أو الشفاء أو الوعظ، وهو غير متأسس على معرفة الإنجيل بعهديه معرفة متقنة، فالعثرة والتخبط والبلبلة التي قد يقع فيها كفيلة لا أن تلغي كل موهبة أخرى، بل وتشكك في مصدرها وتهدم الكنيسة.

وهكذا فقبل الإنشغال بمواهب الروح القدس يتحتم أن يكون الإنشغال أولاً بالمسيح، بالإيمان الصحيح على أساس دراسة الكلمة وفهم معناها على أصولها الرسولية التقليدية، ثم الدخول في اختبار فاعليتها وصدقها، لأن كل معرفة بالمسيح بدون شهادة إنجيلية وبدون خبرة روحية تسليمية تصير مجرد علم لا يبني بل ينفخ.

ومن هنا يتضح ضرورة، بل حتمية، اجتماع أصحاب المواهب معاً تحت قيادة المسيح في عمل جسد واحد موحّد داخل الكنيسة. كما يستحيل نجاح موهبة تعمل بمفردها، لأن من الرأس الواحد تنبع كل الأعمال بانسجام نحو غاية واحدة.

هذا يدخلنا مباشرة في موضوع عمل الروح القدس الأول والأساسي بالنسبة لخلاصنا وحياتنا وفرحنا الدائم الحقيقي، وهو علاقتنا الشخصية جميعاً بالرب على أساس كلمته الحية «إن أحبني أحد يحفظ وصاياي» (يو١٤: ٢٣). فإذا اتحدنا في حفظ الوصية اتحدنا في حبه!!

أي أن كل مواهب الروح القدس إذا انحصرت في الإنسان بدون علاقة حية دائمة ومعرفة وثيقة بالمسيح، فإنها تصبح بلا قيمة بل و بلا ثمرة، بل ولا تغني عن الدينونة! «يارب يارب أليس باسمك تنبأنا و باسمك أخرجنا شياطين و باسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرح لهم أني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يافاعلي الإثم» (متى ٧: ٢٢ـــ٢٣)، «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته» (يو١٧: ٣).

ب. الموهبة الثانية: تجاه الآخرين:

هذا بدوره ينقلنا مرة أخرى إلى عمل الروح القدس في علاقتنا بالآخرين، الآخرين من كل نوع، الأحباء والأعداء والأهل والإخوة والزملاء والرؤساء والخدم والحكومة وقوانين الدولة، والعقائد والأديان الأخرى.

وأخطر ما يلاقيه المنشغلون بنوال المواهب، هو اختراع مبادىء وأفكار جديدة لهم كأنها من إلهام الروح القدس، وهي انعكاس شخصي ذاتى لخبراتهم وإخفاقاتهم وخساراتهم السابقة، أو ربما انعكاس لطموحات ذاتية ولأمراض نفسية مختفية لم تظهر لهم وللمجتمع بوضوح، فنسمع عن تصرفات غريبة عن المفهوم التقليدي المسيحي والكنسي بحسب الإنجيل.

علماً بأن الروح القدس نفسه لايعمل شيئاً من ذاته، أي لا يمكن أن يشير بمشورة غير ما أشار بها المسيح، كما يقول الرب: «هذا لا يتكلم من ذاته، بل يأخذ مما لي ويخبركم... و يذكّركم بكل ما قلته لكم» (يو١٦: ١٣و١٤، ١٤: ٢٦). وهكذا يتضح أن مشورة الروح القدس ستظل محدودة تماماً في حدود وصايا المسيح وتعليمه فقط، ولا جديد بالمرة.

ووصايا المسيح واضحة محددة مفهومة بكل بساطة وإعجاز...

(+) فن جهة من **هوقريبي**: أعطى المثل (السامري الصالح ـــ لو١٠: ٢٩ـــ٣٧) (ضد

السلام الاجتماعي الذي يقوم على المصالح العنصرية أو الأسرية) جاعلاً **معنى القرابة** في مفهوم إنساني رائع ينحصر في معنى البذل والرحمة دون النظر إلى أي عوامل معاكسة مهما كانت، فاليهودي الذي كان على شفا الموت أنقذه عدوه السامري بينما كهنة اليهود لم يرثوا لحاله وعبروا عليه وتركوه.

(+) ومن جهة **الإخوة**: «فأخذ ولداً وأقامه في وسطهم ثم احتضنه وقال لهم: من قَبِل واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني ومن قبلني فليس يقبلني أنا بل الذي أرسلني» (مر٩: ٣٦)، «إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل» (مر٩: ٣٥)، «أنتم تعلمون أن الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأن عظماءهم يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً. ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً» (مر١٠: ٤٢-٤٤). وبهذا يكون المسيح قد أسس قانون العلاقات التي تربط أي جماعة تجتمع باسم المسيح وتعمل بقوة الروح القدس فالأُخوَّة المسيحية لا تقبل السيادة، والخدمة شرف.

(+) ومن جهة **الرؤساء**: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون» (متى٢٣: ٢و٣).

(+) ومن جهة **الخدم**: «أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً» (يو١٣: ١٣-١٥).

وبهذا العمل الواحد ألغى المسيح من الكنيسة أية محاولة للتعالي الطبقي في الوظائف الكهنوتية.

(+) ومن جهة **الحكومة والقوانين**: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله»

(مت٢٢: ٢١). هنا يصالح المسيح السيرة الروحية الخالصة بواجبات السياسة ـ أي الدولة عن أمر والتزام (أعطوا)، ثم **الإلتزام بقوانين الدولة حق الجائر والخطأ منها**: «ماذا تظن يا سمعان. مِمَّن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية أمن بنيهم أم من الأجانب؟ فقال له بطرس: من الأجانب. قال له يسوع: فإذاً البنون أحرار. **ولكن لئلا نعثرهم إذهب** إلى البحر والْق صنارة والسمكة التي تطلع أولاً خذها. ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه واعطهمْ عني وعنك» (مت١٧: ٢٥ـ٢٧). وهكذا استعبد المسيح نفسه لقانون الضرائب لغاية رائعة وكريمة وهي أن لا يُعثِر أحداً في ولائه لصاحب السلطان!!!

(+) ومن جهة **العقائد الأخرى**: «فأجابه يوحنا قائلاً: يامعلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك **وهو ليس يتبعنا، فنعناه لأنه ليس يتبعنا**. فقال يسوع: **لا تمنعوه**. لأن من ليس علينا فهو معنا» (مر٩: ٣٨و٤٠). وهكذا ارتفع المسيح فوق التحزب والتبعية والتشيُّع للمبادىء والأشخاص.

أما الذين يقاومون الطريق الصحيح فقانونهم عند المسيح: «**اتركوهم** هم عميان قادة عميان» (مت١٥: ٤).

(+) ومن جهة **الأديان الأخرى**: «لي خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد» (يو١٠: ١٦). «في كل أُمة الذي يتَّقيه و يصنع البر مقبول عند الله» (أع١٠: ٣٥).

(+) **ومن جهة الأعداء ومجابهة التحدي والظلم والإضطهاد**:

«أحبوا أعداءكم» (مت٥: ٤٣)، «إن جاع عدوك فاطعمه وإن عطش فاسقه» (رو١٢: ٢٠)، «لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء بل اعطوا مكاناً للغضب. لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» (رو١٢: ١٩).

«لا تغرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا ابليس مكاناً» (أف٤: ٢٦و٢٧).

«طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا!!» (مت ٥: ١١و١٢).

(+) من جهة الولائم: «وقال أيضاً للذي دعاه إذا صنعت غذاءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعتَ ضيافة فادعُ المساكين الجُدْع العُرج العُمي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك لأنك تُكافأ في قيامة الأبرار» (لو١٤: ١٢-١٤).

وبهذا يكون المسيح قد وضع أُسس العلاقات الإنسانية على المستوى الروحي للذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى بقيادة الروح القدس حسب الإنجيل.

ج. الموهبة الثالثة: الإنفتاح على الجماعة (الكنيسة):

فإذا تم هذا تتجلى الكنيسة كمجتمع مسيحي منقاد بالروح القدس يحوي كل طبقات الشعب بكل ضعفاتها وأعوازها وأمراضها. ليس كجماعة روحية عالية مصلية باللسان متحابة بالفكر ومتكتلة تحت اسم، بل جماعة تحوي حتماً كل المتناقضات الإنسانية وكل القامات، وبواسطة الروح القدس تتصالح المتناقضات وتأتلف المفارقات. فالكنيسة بأسقفها جماعة تائبين، جسم يموت ويحيا كل يوم، ينسى ما هو وراء ويمتد إلى قدام، يفقد أعضاء ميتة و يقبل أعضاء حية، يتغير عن شكله، يتجدد بذهنه.

هكذا أسس المسيح الكنيسة على أساس الإغتسال الدائم، وهكذا وضع الروح القدس فيها ليصنع هذا التقديس والتطهير لحساب المسيح الرأس الواحد. بل إن تأليف وحدة جسم الكنيسة من هذه المتناقضات هو البرهان الوحيد على أن قوة الروح القدس فعّالة في الكنيسة بالحب الإلهي، وفعل دم الخلاص الذي له القوة والقدرة أن يمسح و يزيل كل وسخ الجسد والروح لكي يجعل الإثنين واحداً، و يرفع العداوة والحاجز المتوسط بين الإنسان وأخيه الإنسان بل و بين الإنسان والله نفسه، و يضم القريبين والبعيدين معاً في ألفة الجسد الواحد.

والقديس بولس الرسول يشرح هذا بكل اعتناء ووضوح في رسالة كورنثوس الأولى الأصحاح الثالث عشر، حيث يقطع أن كل موهبة حتى ولو كانت هي الإيمان نفسه القادر أن ينقل الجبال أو حتى بلوغ التكلم مع الملائكة بلسانهم، بدون الإتحاد بالقريب في حب، والتفاعل مع المجتمع البشري في إخلاص وتصديق وصبر واحتمال وعدم تململ أو دينونة، إنما تكون مواهب باطلة لا تفيد شيئاً إلا ضجيجاً كضجيج القرع على الصنوج، ثم يذهب طنينها مع الرياح!!

مراجعة وفحص لكل موهبة:

أ. لمجد المسيح: أما الإختبار النهائي الذي يحكم على كل موهبة مهما كانت عظيمة، وإن كانت هي تعمل حقاً من الروح القدس أو هي انفعالات مبهمة غير معروف مصدرها وغايتها، فهي النتيجة التي تنتهي إليها هذه المواهب، فإذا كانت وظلت واستمرت «لمجد المسيح» وحده، تكون حقاً من عمل الروح القدس، لأن معيار عمل الروح القدس قدّمه المسيح بوضوح «ذاك يمجدني». والمسيح لا يمكن فصله عن الكنيسة كجسد كامل الأعضاء.

ب. خطأ الإنغلاق: أما علامة انحصار الموهبة في الذاتية الإنسانية، فتكون واضحة عند تكوين الحلقات الضيقة، أي الشِلل المغلقة التي تتعصب لقائدها بصورة عمياء «هذا لبولس وهذا لأبلّوس. ألعل بولس صُلب لأجلكم. أم باسم بولس اعتمدتم؟» (١ كو١: ١٠—١٣).

وهكذا كانت تنحصر سعادة بعض الجماعات في مجرد التأملات، بحيث لا تقوى هذه الكنائس على الإنفتاح العام للشركة العامة، بل ولا تقوى بالفعل على مجابهة استيعاب العلانية الكنسية. وحينئذ لا تحتمل أي نقد أو توجيه في هذا الأمر، فكان مآلها للزوال.

و ينبغي أن لا يخفى قط على كل من أراد أن يعيش في دائرة الإيمان الصحيح

بالمسيح، أنه لا يمكن أن تحسب أية جماعة مجتمعة باسم المسيح أنها تعيش وتعمل بالروح القدس، إلا إذا كان المسيح هو بنفسه وهو وحده قائدها، والمسيح لا يقود أحداً قط لا فرداً ولا جماعة ولا كنيسة إلا على أساس أن يوحّدها بجسده الكلي، أي الكنيسة كلها، فكل اجتماع وكل صلاة لأي جماعة أو حلقة أو عقيدة أو كنيسة لا تنشيء رغبة ملحّة في الإتحاد بأعضاء المسيح، أي بالكنيسة كلها في كل العالم، في شوق بل في اجتهاد، بل في حرارة ودموع، بل في توسل و بذل، بل في تذلل وانسحاق، فإن مثل هذا الإجتماع لا يكون مُساقاً بالروح القدس بحسب الحق والإنجيل. لأن المجتمعين بهذا الشكل لا يكونون مفتوحين على قلب المسيح وفكره، ولا يكونون بالتالي منقادين بالروح القدس «لأن المنقادين بروح الله فأولئك هم أبناء الله». وأولاد الله هم عائلة واحدة، هم «أهل بيت الله» بحسب تعبير الرسول بولس. وأولاد الله بيت واحد لا ينقسمون، لا يعيشون ولا يسعدون أفراداً وجماعات، بل سعادتهم تتوقف على إحساسهم أنهم جسد واحد، إنسان واحد كامل في المسيح، عروس مزيّنة بالفضائل لعريسها الوحيد، كنيسة مجتمعة في حضرة الله، مستضيئة كلها بالروح القدس والمسيح فيها الكل في الكل. من هذا كان يشدد الآباء الرسوليون على أن «لا خلاص خارج الكنيسة».

ج ــ خطر الإنشقاق: من هنا كان اهتمام بولس الرسول أن يقدم المؤمنين جميعهم كعذراء عفيفة للمسيح، كنيسة متجلية ومنيرة بالروح القدس، بفكر واحد وقلب واحد ونفس واحدة، حيث لا يمكن أن يتم هذا إلا بتفريغهم من ذواتهم.

وكان اهتمام الرسول بولس شديداً بأن يلغي من الكنيسة كل تحزب وكل شقاق وكل انقسام وكل تجمعات خاصة تحت أسماء بشرية خاصة، مهما كانت، حتى ولو كانت باسم بولس نفسه أو أبولُس أو بطرس (١كو١: ١٠ــ١٣)، منبهاً بشدة أن أي خروج من تحت قيادة المسيح نفسه لإتّباع آراء بشرية هو جحد للمعمودية والموت والقيامة التي قبلها المؤمنونْ باسم المسيح **فقط**، الذي مات لأجل كل واحد ليجمع الكل في نفسه مبرهناً أنه ليس إسم آخر تحت السماء يمكن أن نخلص به عن طريق مباشر

أو غير مباشر.

لذلك اعتبر القديس بولس الرسول أن أي انقسام في الجماعة يعني غياب الروح القدس وهو حتماً ينشيء خصومة، و بالتالي ينشيء نقداً ودينونة وحسداً للمتقدمين بالروح. و بالتالي يطفيء الروح القدس، فيتوقف النور الذي عليه نسير، وأكد ذلك يوحنا الرسول في بساطة متناهية أن المحبة تجمع المؤمنين وتمنحهم أُبوَّة الله بصفة مستمرة: «الذي يحب فقد وُلد من الله» (١يو٤: ٧)، وأن انقسام القلب وفقدان المحبة من الجماعة تفرط عقدها وتعمي بصيرتها من نحو الحق فيتوقف سيرها في طريق المسيح: «لا يعلم إلى أين يمضي لأن الظلمة (فقدان الروح القدس) قد أعمت عينيه» (١يو٢: ١١).

د. الدينونة والحسد والغيرة:

والحقيقة أن أخطر ما واجهته الكنيسة على مدى تاريخها الطويل هو الانقسام، ليس الناشيء فقط عن عدم الإيمان أو عدم المعرفة أو عدم الفهم، بل والناشيء أيضاً من حلول الروح القدس وإعطاء مواهب ممتازة لكنيسة دون كنيسة ولجماعة دون جماعة ولفرد دون فرد، وهذا لم يكن مفاجئاً للمفهوم الكنسي أو اللاهوتي، فالرب سبق وأنذر: «إني ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً» (مت١٠: ٣٤)، وهو سيف الكلمة الذي يفرق من يؤمن عمن لا يؤمن — وكذلك قول الرسول بولس أن هناك مواهب متعددة كتعدد الأعضاء وأهميتها في الجسد والواحد لا يعطَى كالآخر، بل كما قُسم لكل واحد من إيمان، فلا ينبغي أن يرتئي الإنسان فوق ما ينبغي أن يرتئي.

والقديس بولس الرسول يوبخ بشدة الذين نالوا المواهب و بدأوا يفتخرون بها على الذين لم ينالوا مثلها، قائلاً: «فهذا أيها الإخوة حوَّلته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبلُّوس من أجلكم لكي تتعلموا فينا أن لا تفتكروا (في الإنسان) فوق ما هو مكتوب **كي لا ينتفخ أحد على الآخر،** من أجل أحد. **لأنه من يميزك؟** وأي شيء عندك لم تأخذه (كعطية) **وإن كنت أخذت** (مواهب) **فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ** (أي كأنه ليس من الله بل صار لك بجهادك)؟» (١كو٤: ٦—٧).

من هذا يتضح أن الحصول على إحدى المواهب الفائقة لا يعصم الإنسان من الخطأ، بل يكون أكثر تعرّضاً لحرب الشيطان للسقوط في الكبرياء والتعالي.

ثم يعود بولس الرسول و يوبخ كذلك الذين لم يأخذوا المواهب ويهاجون الذين أخذوا موضحاً مدى الخطورة التي ستحدث لهم إذ سيفارقهم الروح القدس نفسه، إذا كان تهجُّمهم عن غير فحص وامتحان وتدقيق شديد للتمييز بالروح بين ما هو نافع وغير نافع و بين ما هو خطأ وصواب: «افرحوا كل حين. صلُّوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم. **لا تطفئوا الروح. لاتحتقروا النبوات**. امتحنوا كل شيء، تمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر» (١تس ٥: ١٦ـ٢٢).

ثم يحسم هذا الصراع الحادث داخل الكنيسة من جهة السعي نحو المواهب من جهة، ومن جهة أخرى مهاجة الذين نالوا مواهب ممتازة وفائقة، ثم احتقار الذين نالوا المواهب للذين لم ينالوا، يحسم الأمر هكذا:

[جدُّوا للمواهب الفائقة، ولكن أريكم طريقاً أفضل. وهو المحبة. لأن المحبة هي أفضل المواهب قاطبة. وهي الموهبة التي بدونها لا يمكن أن تُحسب أي موهبة أخرى أنها موهبة](*).

وهكذا يقلب بولس الرسول كل خطط الشيطان التي يستخدمها لإنقسام الكنيسة بسبب الغيرة والحسد من المواهب الفائقة، جاعلاً المحبة وهي أسهل وأبسط وأعم موهبة، فوق أعظم وأعلى المواهب تفوقاً وامتيازاً. وهي في متناول الجميع. □

(١٩٧٩)

(*) خلاصة الأصحاحات ١٢ و١٣ و١٤ من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس.

القيامة حدثٌ فوق الطبيعة

وهو مصدر أفعال وسلوك
لا تتبع قوانين هذا العالم

الحديث عن القيامة يا أحبائي ليس كالحديث عن الموت أو الصليب. فالموت حدث طبيعي، ولكن القيامة **حدث فوق الطبيعة وخرق لكل قوانينها.** القيامة إلغاء للموت وإلغاء للزمن وإلغاء للألم!! إنها مجد فائق للشخص في حد ذاته وللجسد الذي مات.

لذلك فالإيمان بالقيامة ضمناً هو إيمان **بأن جسد المسيح لم يكن جسد إنسان وحسب بل جسد إله متأنس!!**

والقيامة بحد ذاتها التي قامها الرب **لم تكن سهلة لا في واقعها المنظور ولا في واقعها المدرك.** ولكي أنبه ذهنكم أعود بكم إلى ما شهد به القديس متى في أصحاحه الأخير: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل حيث أمرهم يسوع **ولما رأوه** سجدوا له **ولكن بعضهم شكّوا**» (عدد ١٦و١٧). والقديس مرقس يكرر «فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون و يبكون، فلما سمع أولئك أنه حيّ وقد نظرته **لم يصدّقوا**»، «و بعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لإثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية. وذهب هذان وأخبرا الباقين **فلم يصدقوا ولا هذين**» (مر١٦: ١٠-١٣).

هنا مسألة في غاية الأهمية، **فالقيامة ليست في ذاتها حدثاً بسيطاً منظوراً** يمكن برؤيته أن يقتنع الإنسان أن هذا هو يسوع الذي مات، لأن القيامة التي قامها يسوع **ليست مثل قيامة لعازر، أي قيامة لا تزال يسودها الموت، بل قيامة لحياة أبدية حيث يأخذ الجسد قوات فائقة** وشامخة على قوانين الطبيعة.

فقيامة المسيح من الموت هي القيامة الأولى من نوعها «بكر الراقدين»، وهي في حقيقتها مجد بل ومجد إلهي لا يُرى ولا يُدرك كحدث يحيط به الذهن تماماً. بل هي أيضاً حياة أبدية لا يمكن أن تُحس بحواس الحياة الأرضية الزمانية إحساساً وثيقاً، إنما تُحسُّ روحياً فقط، وتبقى الحواس الجسدية متخلفة نوعاً أو في ذهول، هذا هو الذي يصفه الإنجيل مراراً وتكراراً: أنهم رأوا وسمعوا ولم يصدقوا.

إذن فنحن الآن نواجه حقيقة جديدة من حقائق الرب، حقيقة تختلف عن حقيقة **يسوع المصلوب والجسد الميت. نحن أمام يسوع المقام بالجسد الممجَّد، نحن أمام «الحياة الأبدية ذاتها».** «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا» (١يو١: ٢)

لذلك فنحن هنا أمام واقعة فائقة تتطلب إيماناً، إيماناً يفوق العقل والحواس وكل مدركات هذا الدهر، لأنه لكي ندرك **القيامة** يلزم أن ندرك «**الحياة الأبدية**»!! ندرك اللامحسوس بالمحسوس، ندرك الفائق على العقل بإيمان يتحتم أن يفوق العقل، لكي تخضع الحواس ويخضع العقل فيرى و يؤمن.

ولهذا قلنا إنه لا يمكن أن نعتبر القيامة كالصليب حدثاً زمنياً، إنه «**حدث إلهي**»، أو بالمعنى الكنسي «**إنه سرّ**».

ولكن القيامة تمت في صميم الزمان أيضاً، في أول إشراقة الفجر والظلام باقٍ حينما يبدأ النور أن يطارد الظلمة. كذلك فلقيامة المسيح براهين مادية وشهود عيان، التلاميذ والأشخاص الكثيرون والقبر الفارغ واللفائف الموضوعة في مكانها ملفوفة على ذاتها، وخاصة عصابة الرأس التي بقيت مطوية على ذاتها والجسد كله منسحب منها بوضع يشرح القيامة بقوة فائقة البرهان والدقة بحسب المنطق، ولكن تظل المفارقة هائلة بين البراهين المادية على القيامة كفعل إلهي فائق على المادة.

لذلك فكل هذه البراهين لم تكن كافية لبعض التلاميذ لكي يؤمنوا بالقيامة. ذلك لأنه لا يمكن البرهنة على القيامة التي قامها الرب ببراهين مادية خالصة. هذا أمر مستحيل كما قلت، ولم يلجأ إليه التلاميذ ولا بولس الرسول في محاجاته مع أهل كورنثوس على حقيقة القيامة التي سيقومها المؤمنون بالمسيح كما قام المسيح نفسه، حيث اكتفى بولس الرسول كباقي التلاميذ في الأناجيل بالشهادة للقيامة بشهود العيان فقط، أو بمعنى أدق اكتفى «**بإيمان**» الشهود!!

لقد اكتفت الكنيسة الأولى «**بالإيمان بالقيامة عامة**» على إيمان شهود العيان الأوائل: المريمات في أول يوم للقيامة، ثم بطرس و يوحنا والإثنى عشر والخمسمائة أخ، هذا سجلته لنا الكنيسة في الأناجيل والرسائل تسجيلاً رسمياً معتمداً سنة ٣٣ ميلادية، أي تم **التسجيل النهائي لهذه الحقيقة** الفائقة باعتبارها الإيمان الأول للمسيحية بعد ثلاث سنوات فقط من حدوث القيامة.
و يقول أحد العلماء المدققين في نقد النقد أنه لو جمعنا كل النقد الذي اعترض به العلماء على حدث القيامة الذي استخلصوه من روايات الأناجيل الأربعة تاريخياً لحصلنا على نتيجة حتمية وهي أن القيامة حدث حقيقي تم بالفعل!!

وهذا مما يؤكد لنا عظمة الإنجيل وعظمة الشهادة التي يعتمد عليها كاتب الإنجيل والرسائل، إذ يجعل القيامة «**سرّاً**» وليس حدثاً تاريخياً يحتاج إلى برهان. إنه مركز الإيمان المسيحي كله، ولا يحتاج إلى برهان مادي. بل وحتى القبر الفارغ نفسه لا يقف ليكون شاهداً للقيامة بحد ذاته لولا مؤازرة **الإيمان الواعي** أو بمعنى أوضح مؤازرة «**الإستعلان**».

لابد للقيامة من شاهد لا يعتمد على عينيه ولا على القبر الفارغ أبداً، بل ولا على المسيح نفسه وهو واقف أمام الأحد عشر!! القيامة أعظم جداً جداً من أي برهان مادي أو حسي أو ذهني!!

فشهود القيامة في الإنجيل لا تعتمد شهادتهم على براهين عقلية أو حسية أو مادية، بل على استعلانات أي ظهورات فائقة للعقل والحواس والمادة، فالإستعلان هو عمل إلهي يصدر من الله مباشرة بقوة فائقة ولكنه يعتمد على الخبرات الشخصية الواقعية، و يكون له سلوك واستجابة وتأثير في الواقع المنظور. فالحركة التي تحركها الرسل يوم القيامة بين القبر والعُلّية وعمواس وأورشليم، والإجتماعات والأقوال والإندهاشات وعدم التصديق الشديد، بل ومقاومة فكرة القيامة عند توما أحد الرسل، وتوبيخ المسيح للرسل بشدة؛ كل هذا لابد وأن ينتهي عند القارىء، سواء كان مسيحياً أو غير مسيحي، مؤمناً أو غير مؤمن، بأن قصة القيامة لابد أن تكون صادقة، إذ ليس فيها أي افتعال أو تلفيق أو تهذيب، قصة كل رأس مالها يعتمد على ظهور المسيح الفعلي بصور متعددة ومراحل متعددة لأشخاص متعددين انفعلوا لهذا الظهور بانفعالات متعددة ومختلفة. وهنا تظهر القيامة كحدث واحد صادق جداً، اتجهت نحوه جميع الأحداث لتثبت حقيقته بدون أي تدخل من يد كاتب أو مؤرخ يوفق بينها!!

و«القيامة»، **وهي مركز المسيحية وبدؤها**، لم يُصِفْها الإنجيل كمقولة إيمانية أو عقيدة لاهوتية، بل يقدمها كظهور فعلي للمسيح الذي أقامه الله من الأموات، وأعلنه الله حياً بكل وضوح وتأكيد إيماني.

لذلك جاءت شهادة الشهود جميعاً خالية من أي محاولة بشرية من جانبهم لإثبات حقيقة القيامة، ولكن اقتصرت شهادتهم جميعاً على تأكيد ما حدث، تأكيد الرؤيا والإستعلان الذي اختبروه كعمل إلهي، كفعل من أفعال الله الخارقة التي سيطرت تماماً على حياتهم وفكرهم وحركتهم وفرحهم وكلامهم بل وعلى أكلهم وشربهم!!!

لذلك فالإنجيل كان أميناً أقصى ما يمكن أن تكون الأمانة في الشهادة لقيامة الرب حينما قال: «و بعضهم شكّوا». هنا يضع الإنجيل «القيامة» في موضعها الصحيح، إنها أعلى من كل الإمكانيات البشرية حتى التي للتلاميذ أنفسهم!! **إذ لابد للإيمان بالقيامة، أن ينفتح وعي الإنسان لقبول الحياة الجديدة نفسها، حيث الإيمان بالقيامة**

يكون نابعاً من قوة الله على الحياة الداخلية للإنسان.

ولكن إن كان التلاميذ قد عجزوا عن إدراك القيامة والمسيح واقف أمامهم بنفسه وبجسده يتكلم معهم، فكم تكون الصعوبة من جهة إدراك القيامة بمجرد خبر أذاعته النسوة وبعض الذين رأوه؟

وهنا نأتي إلى تلميذي عمواس، لنسمع من فم الرب القائم نفسه ما هي أسس الإيمان بالقيامة؟

وقصتهما معروفة وهما سائران مُعبّسين، مرة في صمت قاتل، ومرة في نقاش حاد، ومرة في يأس وحزن، يقطعان الطريق إلى عمواس مدينتهما بعد أن انفض العيد وصُلب معلمهما بخزي وعار لا يُطاق.

ولكن العجيب حقاً أنهما سمعا من النسوة بالقيامة وبرؤيتهن للرب قائماً وبالقبر الفارغ، ولكن ياللعجب! فإن هذا كله لم يحرك فيهما أي شعور بالرجاء أو حتى الأهمية، فتركا أورشليم جملة وعادا راجعين إلى قريتهما في خيبة ما بعدها خيبة! علماً بأن القيامة كانت قد تمت وذاع خبرها.

هنا يتدخل المسيح ليكشف علّة هذا التقهقر والعجز الفاضح في الإيمان بالقيامة:
نقرأ من إنجيل لوقا ٢٤: ١٣—٢٤ ثم آية «٢٥»:
فقال لهما أيها الغبيان (=بلا إحساس بالذي قرأتموه ورأيتموه أو سمعتموه. هنا إشارة إلى أول شرارة يمكن أن تشعل الإيمان) والبطيئا القلوب في الإيمان (إن أمور الله ليست كأمور العالم تحتاج إلى طرح القضية للزمن ليزداد نورها، فالإيمان يحتاج إلى **قلب يتحرك بسرعة ويتحرك بشدة**) بجميع ما تكلم به الأنبياء». هنا المسيح يحتج بشدة على تلميذي عمواس.

كذلك وبنفس الطريقة «ظهر الرب للأحد عشر وهم متكئون (جلسة إفخارستيا)

ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام».

هنا يصف الرب علة عدم الإيمان بالقيامة أنها قساوة قلب أنشأت عدم تصديق. وهذه القساوة نشأت بالطبع من عدم انفتاح الذهن لروح النبوة والإستعداد القلبي السريع لتصديق تتميمها في حينه!!

إذن فالمسيح يرى أن قيامته سبق وأن أعلن عنها الأنبياء وكل أسفار العهد القديم. ولم يعد إلا التوقيع، **توقيعُ كلمة الأنبياء (التي ينبغي أن تُقبل بلا حذر) توقيعها على الخبر وشهادة العيان لكي يشتعل الإيمان؛** وهما كحركة الزناد مع حجر النار. فالنبوة (الكتاب أو الإنجيل) يكمن فيها الإيمان، وهو لا يحتاج إلا لحركة القلب. لذلك قال لهما: «أيها الغبيان (بلا إحساس) **والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء»!!**

إذن، ياأحبائي، فقد وضح أمامنا الآن بحسب توجيه تعليم الرب لتلميذي عمواس أن حدث القيامة والإيمان بها إنما هو عمل إلهي، «حركة سرية في قلب»، فعل إيمان متحرك داخلي لا يعتمد على براهين عقلية أو حسية ولا حتى على رؤية الرب نفسه بالعيان، إنما يعتمد على «**الكلمة**»، كلمة الإنجيل، أشد الإعتماد. فالكلمة في جوهرها هي القيامة وهي «الحياة الأبدية» ذاتها: «**أنا هو القيامة والحياة... إن آمنتِ ترين مجد الله**» (يو١١: ٢٥و٤٠). أي أنه لابد **أن تندفق قوة الكلمة في القلب المفتوح حتى يتحرك ويؤمن بالقيامة:** «كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله **لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية**» (١يو٥: ١٣).

فالقيامة عملية تحوُّل عظمى في حياة المسيح، نقلته من دائرة الحياة البشرية الزمنية وأدخلته في مُلكه الأبدي أي دائرة الحياة الأبدية الفائقة على الحياة البشرية، من مسيح التاريخ إلى مسيح المجد الأبدي؛ وذلك لكي يصير منظوراً ومُعلَناً ومعروفاً لا لجماعة تلاميذ قليلة هم الإثنا عشر أو السبعون أو عدة الآلاف الذين رأوه وسمعوه في أيام خدمته

داخل دائرة الحياة البشرية الزمنية التي عاشها قليلاً على الأرض، بل ليصير مستعلناً ومعروفاً لكل الناس على كل الأرض على مدى كل الدهور، على نفس مستوى الظهور والإعلان الذي ظهر وأعلن نفسه به لكثيرين لم يكونوا رأوه أو عرفوه قبل قيامته، وهذا هو الذي استمر وسيستمر بالفعل إلى نهاية الدهور كلها!

وبمعنى عظيم وعميق للغاية، تكون القيامة حدثاً جعل كل ما تم بالمسيح في الماضي من تعليم عن الخلاص والحياة الأبدية، وكل ما أتمه المسيح في نفسه من أعمال الخلاص بالصليب والموت في الماضي، يجعل كل هذا هو هو بعينه دائماً ومستمراً وفعالاً به وفيه الآن ومستقبلاً، لأنه قائم حي إلى أبد الآبدين.

ولكي نعطي لأنفسنا الفرصة الآن في هذه المناسبة المباركة لكي نحس بالقيامة، فلنتتبع الطريقة التي أعلن بها الرب قيامته لتلميذي عمواس:

+ صحيح أنها معادلة مرذولة وفاضحة جداً لغباوة الإنسان أن يجتمع تلميذان أحدهما «كليوباس» في مسيرة واحدة (لمدة سبعة أميال، أي حوالي ساعتين مشياً، على مستوى النقاش الكئيب الذي كان يدور بينهما) مع الرب المقام في مجده!!

أية معادلة هذه؟ بؤس وكآبة و يأس مع مجد القيامة عياناً بياناً جنباً إلى جنب ووجهاً لوجه؟؟

ثم أليست هذه حياتنا دائماً مع الرب؟ كم مرة يكون الرب قريباً منا ونحن نظل نندب حظنا باكين يائسين مولولين. القيامة أمام أعيننا ونحن غارقون في اليأس!!

+ ولكن العجيب أن الرب دخل في المسيرة معهم بسهولة كإنسان عادي جداً. هذه قدرة فائقة للمسيح بالنسبة لقيامته المجيدة. لم يشأ قط أن يكشف عن نفسه لهم، ولا أعطاهم أية هبة أو قوة أو إشارة ليعرفوه.

إن هذا أمرٌ يُتَعجَّبُ له جداً. هذه هي قدرة الرب في إخفاء ذاته عند الضرورة!! لأنه

كان يمكن بكلمة واحدة يقولها أن يريحهم و يفرّح قلوبهم و يعرّفهم بشخصه.
ثم كم مرة طلبنا هذا ولم نأخذه؟

+ وهكذا بدأ المسيح بوظيفته القديمة المحبوبة كمعلم يشرح لهم:
«أنه كان **ينبغي أن المسيح يتألم بهذا و يدخل إلى مجده**» (لو٢٤: ٢٦). وهنا إشارة إلى سبب حزنهما ومصدر خيبتها وهو الصليب!

«ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور **المختصة به في جميع الكتب**» (عدد ٢٧). وكان تعليق التلميذين أنفسهما على هذا التعليم والتفسير أنه **أحدث التهاباً قلبياً داخلياً فيهما:**
«فقال بعضهما لبعض: **ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا إذ كان يكلمنا في الطريق و يوضح لنا الكتب؟**» (عدد ٣٢).

+ نعم ياأحبائي، إن كان قد التهب القلب، وإن كان قد إقتبل شرارة الإيمان الأولى وتحرك ولم يصر غبياً ودخلته حركة الحياة الأبدية، إذن فيسهل بعد ذلك أن يعلن المسيح نفسه!!

وهنا ينتقل المسيح من التعليم بالكلمة إلى الدخول في السر. إذ بعد ذلك أخذ المسيح الخبز وكسر **فانفتحت أعينهما وعرفاه في الحال**، لأنه أعلن حضرته، واستعلان حضرة المسيح لحظي أي في الحال.

وهذه الطريقة كررها المسيح مراراً على مدى الأربعين يوماً بعد القيامة حتى صارت القيامة حقيقة حياة يعيشها التلاميذ تماماً مع الرب القائم.

هل من وسيلة لكي نعيش نحن أيضاً قيامة المسيح مع المسيح؟
ياأحبائي، يلزمنا جداً أن نكون واقعيين وصرحاء مع أنفسنا.
يوجد ملكوتان: ملكوت الشيطان في العالم الخارجي لنا، وملكوت الله في داخل

قلوبنا. ولابد من الإنحياز الواضح المؤكد لملكوت الله في داخل قلوبنا وحياتنا حتى تُستعلن قيامة المسيح وتتحرك قلوبنا حركة الحياة الأبدية، حركة الإيمان الحيّ بالقيامة أي بالحياة الجديدة فينا.

الإنحياز لملكوت الله يميت من القلب أي ميل نحو ملكوت الشيطان، النور يطرد الظلمة والحياة تلغي الموت، والبر الأبدي يحطم ناموس الخطيئة... والقيامة تلغي الألم.

+ الصراع مرّ ولا يهدأ والخسارة أكيدة و بالمرصاد جسداً ونفساً ومالاً وكرامة!! ولكن شكراً لله، هو صراع مع سلطان «**الهواء**» أمام سلطان «**الروح القدس**»، صراع ظلمة متخلفة إزاء نور قاهر، والخسارة منحصرة في كل ما هو ترابي وزمني، والربح مضمون بعهد إلهي.

فبمجرد إعلان الإنحياز الكلي للمسيح بعزم وإصرار، لا يعود صعباً على المسيح أن يعلن قيامته فينا(١)، لأن جحد الشيطان مع أعماله معناه الإنضمام إلى ملكوت الله، فالخروج من الظلمة هو الوسيلة الوحيدة لرؤ ية الشمس!! ولكن لابد أن انجذابنا للشمس يكون قد بلغ العوز الشديد والحاجة الملحة، حتى يعطينا بأسَ وسلطانَ كسر قيود الظلام! آه، ما أحوجنا إلى قلب تحرر من الخطيئة لنشهد لقيامة المسيح ونعيش في نورها المبارك المبهج ولنرنم لها مدى الحياة.

فإن كان إعلان القيامة عند التلاميذ يتوقف على معرفتهم للنبوات وتحققهم مما حدث للمسيح أمام عيونهم، فالأمر بالنسبة لنا يختلف كل الإختلاف، لأننا أدركنا سرّ صلبوته وسرّ قيامته، وتأكدنا منها بل وآمنا إيماناً عاماً ولم يعد علينا إلا أن ننحاز بالفعل إلى ملكوت المسيح لكي تستعلن لنا القيامة بقوتها كحياة جديدة فينا، لنحيا مسيحيتنا!

لقد جحدنا الشيطان ووُلدنا في المعمودية للقيامة، ولكي نعيشها. فهل نحن الآن

---

(١) وبمجرد الإنحياز لملكوت الله واندفاق قوة القيامة التي هي الحياة الأبدية نجوز تلقائياً حالة موت حقيقي عن العالم، فاستعلان المسيح المقام لبولس الرسول أنشأ فيه توبة وموتاً.

لها؟ وهل نحن الآن نعيشها؟ الأمر يحتاج إلى مراجعة شديدة.

بولس الرسول ينبّه ويحذّر «**فإن كنتم قد قمتم** مع المسيح **فاطلبوا ما فوق** حيث المسيح جالس عن يمين الله، **اهتموا بما فوق** لا بما على الأرض (لاحظ أن الإهتمام بما فوق يميت من القلب الإهتمام بما على الأرض — وليس العكس)، لأنكم **قد متّم** وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. ومتى أُظهر المسيحُ حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ١—٤).

القديس بولس الرسول يشير هنا إلى خبرته العملية تجاه الرب القائم من الأموات والتي دخل بها المسيحية تواً، دخل بولس الحياة فمات شاول في الحال. بعكس الرسل الذين بدأوا برؤية الرب على الصليب وانتهوا برؤية الرب قائماً من الأموات لقد دخلوا يأس الموت ثم اشرقت عليهم بهجة القيامة. خبرة بولس الرسول أقرب لنا من خبرة الرسل، لسان حال بولس الرسول: أنا حي الآن لأن المسيح القائم من الأموات تراءى لي ودعاني، وهو الذي يحيا فيَّ الآن، لذلك مات مني شاول الفريسي بكل حذاقته الناموسية وكل تمسكاته الفريسية، مات مني في الحال حال رؤيتي لقيامة الرب، مات مني باستعلان القيامة وقبولها في أحشائي، لأن صليب الرب سبق فابتلع كل تعديات الناموس في جسدي وأبطل كل سلطانه السابق فيَّ.

لذلك يؤكد بولس الرسول أن حياتنا الآن بعد قيامة الرب وبعد دخول قوة القيامة في طبيعتنا، لا تتبع قوانين جسد أو دم فيما قبل الصليب بل قوانين جسد المسيح القائم من الأموات.

لذلك نحن الآن مائتون بالفعل بموت المسيح الذي أكمله على الصليب، وقائمون بالفعل بقيامة جسد المسيح من الأموات، لذلك نحن لا نحيا لأنفسنا بعد في جلّة هذه الحياة الحاضرة ناظرين لما هو لنا، بل نحيا لمجد الذي مات عنا وقام فأقامنا معه، لذلك حينما يظهر المسيح في مجده سنظهر معه حتماً في ونفس مجده كشركاء في الصليب وفي المجد معاً، لأننا شهود للصليب وشهود للقيامة **شهادة حياة وليست كلاماً، شهادة سلوك**

وليس منطوق ألفاظ وعقائد. «أحيا لا أنا بل المسيح (القائم) يحيا فيَّ» (غل٢: ٢٠).

القديس بولس الرسول يقولها صراحة وعلانية: أنا بولس قبلت المسيح الحي القائم من الأموات الذي أعلن نفسه لي ليحيا داخلي، فدفنت شاول بكل ماضيه، دفنته بيدي!! والروح القدس الآن، وليس أنا، هو الذي يضطلع بإعلان المسيح الحي الذي فيَّ، أما عملي الوحيد فهو أن أنقاد بكل قوتي لنعمة ومسرة الروح القدس!! حتى يستعلن المسيح فيَّ و يتمجد.

إذن، فالذين ذاقوا القيامة مع المسيح هؤلاء لهم صفات ولهم سلوك ولهم حياة خاصة تكشف أنهم يحيون قيامة المسيح، ولكن لا يزال كثيرون منا يعتقدون أنهم قاموا مع المسيح، ولكن لهؤلاء حياة وسيرة وسلوك يكشف العكس، يكشف أنهم نائمون وليسوا قائمين: «لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح، ولكن الكل إذا توبخ يُظهر بالنور.. لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح» (أف٥: ١٢ــ١٤). «قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله» (رو٦: ١٣).

ياأحبائي، إن أردنا أن نقبل قيامة المسيح ونعيش فيها، لابد أن يلتصق قلبنا جداً جداً بما هو فوق كما يقول القديس بولس. لابد أن تخلو سيرتنا من أي شيء يكون ذكره معثراً أو قبيحاً كما يقول أيضاً بولس الرسول، لابد أن نتوبخ بشدة حتى ينكشف النور، لابد أن نكون قد متنا بالفعل عن العالم وملكه الفاني، وختمنا وثيقة انضمامنا لمملكة المسيح، واستعددنا لكل غرامة، ونعيش فعلاً كأننا جُزْنا الصليب والقبر، حتى تبدأ حياتنا الجديدة مستترة في المسيح وقيامته. و يكون مركز حياتنا وتفكيرنا وحركتنا واهتمامنا وآمالنا هي القيامة التي نشتهي أن نعيشها منذ الآن: الحياة الأبدية.

وإن أردنا أن تكون القيامة هي مركز حياتنا يلزم أن نغيِّر ذهننا، ذهن العالم، بخلعه

خلعاً لنلبس **فكر المسيح القائم**، حيث لا خوف ولا اهتمام ولا انقياد لمجاملات هذا العالم الكاذب، ونعيش معه لحظة بلحظة منتصرين وأعظم من منتصرين.

صلاة

+ أيها الرب القائم من الموت، **أرسل روح قيامتك ليحرك قلوبنا الغبية البطيئة في** الفهم والإيمان، لنقبل هذه الحياة الغنية الغزيرة.

+ يارب كما نزلت إلى الجحيم وفككت المسبيين، انزل إلينا وأخرجنا من ضعفنا ووهمنا، **وقُدنا في موكب نصرتك** بروح قيامتك.

+ نحن لا نريد رؤيا ولا إعلاناً ولا منظراً ولا أية موهبة **إلا حركة الروح في قلوبنا**، فنعيش قيامتك بقوة وسلطان إسمك.

+ نحن لا نريد شيئاً لأنفسنا قط، نريد كل شيء أن يكون لك وحدك، **وتكون لك القيادة والسيادة علينا** وعلى كل الناس والأرض كلها.

+ نحن لا نريد أن نعيش أحراراً في تفكيرنا، ولكن **أحصرنا بروحك القدوس لننقاد لك أنت وحدك** لنكون شهوداً لسلطان مُلكك علينا.

+ إقبل يارب عهدنا **أن نموت من أجلك كل النهار** حتى نستحق أن حياتك تنمو وتزداد فينا بقوة وحكمة لا تُعانَد.

+ يامن رفعت الغشاوة من عيون تلميذي عمواس حتى تحرك قلباهما واشتعلا بالنار، **أشعل قلوبنا بكلماتك اليوم** لنقوم ونجري ونتحول من مسيرتنا العابسة العائدة إلى الوطن الأرضي، **إلى انطلاقة البشارة المفرحة بتهليل مجد القيامة حتى النفس الأخير.**
آمين. □

(١٩٧٩)

القيامة إيمان قائم على مشاهدة فائقة

القيامة حياة جديدة غير منظورة حسياً أي لا تُرى بالرؤ يا العادية، فهي ليست حدثاً زمنياً يختص بهذا العالم كلية. فهذا العالم ينحصر في فعلين: ميلاد وموت، و يُحكم ببعدين: زمان ومكان. والقيامة فعل ثالث فوق الميلاد والموت، وهي أيضاً فوق الزمان والمكان، لذلك فالقيامة تخرج عن نطاق المنطق العقلي.

مفتاح إدراكنا للقيامة يلزم أن نفحصه أولاً في الإنجيل.

في إنجيل متى ٢٧: ٥٠ــ٥٣، يربُط ربطاً محكماً بين موت المسيح وقيامته وتأثير ذلك على قيامتنا نحن: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم **وأسلم الروح!**... وإذا حجاب الهيكل قد انشق (رمز علاقة الله بالإنسان) إلى إثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشققت، والقبور تفتحت **وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته** ودخلوا المدينة المقدسة **وظهروا لكثيرين**».

هذه هي شهادة الإنجيل عن القيامة وهي مطابقة تماماً لعلامات القيامة العتيدة العامة. إذن فالإنجيل هنا يهمس في آذاننا أن قيامة المسيح من الأموات هي في حقيقتها وفعلها **فجر حقيقي للقيامة العامة، وبدء فعّال ودائم لها.**

في الحقيقة يُعتبر هذا النص الإنجيلي من أهم النصوص التي وردت عن مفهوم موت الرب وقيامته:

+ لأنه يربط ربطاً عملياً وواقعياً مشاهَداً ومشهوداً له من كثيرين أن **موت الرب**

أنشأ في الحال تأثيراً فعّالاً محيياً في الموتى، ومن هنا جاء نشيد الكنيسة المعبِّر عن لاهوتها الخالد [بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية]. وموتى القبور عندنا الآن هم الأموات بالذنوب والخطايا حتى ولو كانوا في القصور.

إيمان الكنيسة ولاهوتها مشاهدة فعلية:

+ ثم كان هذا النص وهذا اللحن هو الأساس العملي أيضاً على مستوى المشاهدة والشهادة لإيمان الكنيسة أن قيامة المسيح من الموت أطلقت القائمين من قيود الموت، أي حرّرتهم من سلطان الزمان والمكان، و بدأوا بالفعل يحيون الحياة الأخرى علناً كعربون وشهادة. هذا هو فجر الخلاص الذي شهده التلاميذ.

وهكذا يتبلور إيمان الكنيسة منذ البدء، على أساس مشاهدة فعلية أي خبرة إيمانية جماعية ولكن على مستوى خاص وفائق:

+ **أن موت المسيح** ألغى الموت وأنهى على سلطانه **في الحال** وفك أسرى الهاوية. «الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة **وهي الآن** حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو٥ : ٢٥).

+ **وأن بقيامة المسيح** وظهوره بدأت القيامة للإنسان بالفعل، وإن كانت ظهرت في الجسد كحالة خاصة فهي عربون للقيامة العامة للقديسين الكائنة الآن بالروح والتي ستكون.

ومن هنا جاء الإيمان القوي الذي له ما يسنده و يبرره و يشهد له من الإنجيل بخصوص أرواح القديسين الراقدين في العالم الذين ظهروا ظهوراً خاصاً لكثيرين.

تسليم التلاميذ لبولس وبولس يسلّمه لأهل كورنثوس:

هذا الإيمان الكنسي المُعتبر حجر الزاوية في اللاهوت المسيحي، استلمه القديس بولس الرسول كتسليم قائم على إيمان واستعلان ورؤيا واختبار من التلاميذ، وسلّمه لأهل كورنثوس (١كو١٥ : ١ـــ٢٠) (سنة ٥٥/٥٦م)، لا كأنه

اختبار إيماني وعقيدة مسلَّمة من التلاميذ فقط، ولكنه أضاف إليها إيمانه هو الاختباري الواقعي فيما بعد. وطبعاً نضيف إلى ذلك رؤيته هو للمسيح علناً وسماع صوته من السماء.

دفاع بولس:

ويلاحظ أن محور دفاع بولس الرسول عن قيامة المسيح ليس هو لإثبات قيامته، بل **لإثبات قيامتنا**، مع أنه قدَّم الشهود العيان، وهو واحد منهم.

لا قيمة للشهادة المادية:

ولكن نعود ونقول وننبه: ما قيمة شهود عيان لحادثة لا يحكمها الزمان والمكان، فلا العين تستطيع أن تتحقق منها خُلْواً من موهبة الانفتاح، ولا العقل يمكن أن يستوعب الرؤيا ويصدقها خلْواً من موهبة إيمان. لذلك نجد الشهود قليلين جداً لأنهم مختارون من الذين يستطيعون أن يروا ما لا يُرى، ولا نجد شهادة واحدة من الجميع يتفق عليها الجميع. في رؤية بولس للمسيح، بعض الذين معه سمعوا الصوت ولم يروا أحداً، وبعضهم رأوا ولم يسمعوا، كذلك في دخول بطرس ويوحنا للقبر، بطرس رأى وخرج مندهشاً، ويوحنا نظر فآمن وهذا هو الحال في رواية القيامة في الأناجيل الأربعة، الأمر الذي حيَّر العلماء واستنفذ كل ذكائهم وصبرهم بلا أي فائدة ـ فالقيامة أولاً وأخيراً حالة فائقة لا تُدرك إلا بانفتاح خاص وبموهبة خاصة وفي حالة أو مستوى روحي خاص. لذلك نجد بولس الرسول لا يركِّز على القبر الفارغ أو شهادة النسوة أو الملاك.

كذلك نجد أن بولس الرسول يركز بشدة على حقيقة القيامة كمحور الكرازة بالمسيح، على أساس أنها تنشىء قيامة فينا. هذا الإيمان الواثق استلمه بولس واختبره، وهو قمة الإيمان بالمسيح وبدونه لا منفعة من الإيمان بالمسيح قط.

«إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا» (١كو١٥: ١٤)، (لماذا؟ لأننا

نحن التلاميذ والرسل واثقون بالشهادة والتسليم، ولأن قيامة المسيح ليس لها أي هدف أو غاية إلا إقامتنا وإقامتكم من الأموات) «وباطل أيضاً إيمانكم» (١ كو١٥ : ١٤) (لماذا؟، لأن أي إيمان بالمسيح بدون الإيمان الحي بأنه قام من الأموات فلن تكون له قوة قيامة، وإذا لم تكن لكم قيامة فنحن وأنتم أشقى جميع الناس، لأننا نبقى في خطايانا ونتألم بلا رجاء).

يقين الإيمان بالقيامة ينشأ من حالة قيامة بالروح فعلية:

ولكن من نص إنجيل القديس متى ونص القديس بولس نستشف بيقين نحسه في أعماق قلوبنا أن الكنيسة الأولى كانت تعيش بالفعل في حالة يقين الإيمان بالقيامة، لا كمجرد مبدأ إيماني أو نظرية لاهوتية، ولكن **كانت تعيش في حالة قوة هذه القيامة كحقيقة معاشة**. وهذه الحالة بعينها، وليس أي شيء آخر سواها، هي التي نقلت التلاميذ من حالة الخوف وعدم الإيمان وضعف الفهم وانعدام الإدراك لكل ما قاله المسيح وكل ما تم على الصليب إلى اللحظة التي أُعلن فيها عن القبر الفارغ، وسمعوا بخبر قيامة المسيح من الملائكة: «فأجاب الملاك وقال للمرأتين **لا تخافا أنتما**. فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا **لأنه قام** كما قال. هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعاً فيه. **واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات**» (مت٢٨ : ٥—٧).

ولكن كيف استلم التلاميذ هذا العربون أو هذه الحياة الجديدة بكل خصائصها؟

لم تكن البراهين المادية على الإطلاق سبباً في قبول التلاميذ حالة الإيمان بالقيامة ونوال عربونها، فلا القبر الفارغ ولا حديث النسوة ولا شهادة الملائكة ولا رؤية الرب نفسه كان كافياً، لأنه مكتوب بكل وضوح: «وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولما رأوه سجدوا له **ولكن بعضهم شكُّوا**» (مت٢٨ : ١٦—١٧).

الرب يسلّم سر قيامته بسلطانه للتلاميذ:

ولولا أن الرب تقدم و بدأ يكلمهم ثم وهبهم في هذه اللحظة قوة وسلطاناً خاصاً على إدراك كل الحقيقة، لبقوا بلا إيمان: «فتقدم يسوع وكلّمهم قائلاً: **دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض،** فاذهبوا (هنا فاء العِلّة تأخذ معنى أنه أعطاهم هذا السلطان) **وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم** (السند الثاني الدائم) **كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين»** (مت٢٨: ١٨-٢٠).

+ حتى في حادثة توما، **فما جعله يؤمن هو انفتاح بصيرته مع وضع إصبعه،** نتيجة لقول الرب له: **«لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً»** (يو٢٠: ٢٧). **واضح جداً أن التلاميذ لم يستطيعوا أن يقبلوا القيامة بالبرهان المادي أو العقلي على الإطلاق، لذلك تدخّل الرب يسوع وسلّمهم هذه القيامة بكل سلطانها كفعل حياة سري، وكقوة حياة لخليقة جديدة.** لذلك، فالقيامة في الإنجيل وفي الكنيسة هي قوة تُمنح في سر.

القيامة مجد:

كما يلزمنا أن نفهم تماماً أن القيامة ليست مجرد قيامة أجساد من الموت، بل هي بالدرجة الأولى **حالة حياة في مجد لخليقة جديدة، هي شركة في مجد الله، فجسد المسيح المقام كان في حالة مجد، لذلك كان من العسير للعين العادية والإيمان العادي أن يدرك القيامة إدراكاً كاملاً، إلا إذا أُعطي نعمة نظر هذا المجد،** وإلا فلن يرى إلاّ مجرد خيال كما ظنه التلاميذ عند أول ظهوره: «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم: سلام لكم، **فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً»** (لو٢٤: ٣٦و٣٧)، مع أنه كان واقفاً أمامهم بكل مجده.

القيامة حالة مجد وغبطة في حضرة الرب:

من هنا يبدأ إيماننا بالقيامة، فالقيامة **حالة مجد، واشتراك «في مجد».** لا هي إيمان

عقل ولا رؤية عين!!، لذلك يُقال أن كل نداء بالمجد δόξα في الكنيسة هو إعلان وشهادة أن الكنيسة حاضرة بالقيامة في حضرة الآب والإبن والروح القدس. فالنداء بالذكصا إعلان عن حالة القيامة التي تعيشها الكنيسة في كل لحظة، هو نداء الإعتراف والشكر والتوسل معاً.

واضح جداً ياأحبائي أن الكنيسة الأولى كانت تعيش هذه الحالة عينها، حالة المجد «الذكصا» حالة القيامة، حالة حضور الرب حسب وعده الصادق والأمين «**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**». حضور الرب هو حالة قيامة ممجدة ندخل فيها ونعيش فيها. الكنيسة هي مكان حضور الرب عندما تكون مجتمعة باسمه للشهادة والتسبيح والتمجيد لإسمه. فالكنيسة تعيش مجد القيامة وتسلّمها لأولادها طالما هي تشهد وتكرز وتعلم بالروح والحق من خلال الصلاة والأسرار والتسبيح.

تسليم قوة القيامة من الرب المقام:

ثم لاحظوا تماماً أن التلاميذ لم يقبلوا حقيقة القيامة كفعل وحياة وطاقة شهادة وكرازة وفرح إلاَّ من الرب نفسه و بروحه القدوس عندما كانوا مجتمعين معاً سواء في العلية بعد القيامة أو في العلية في يوم الخمسين.

لذلك لابد أن نفهم ونعي تماماً أنه **يستحيل علينا أن يعيش في عربون القيامة أو نقبل فعل الحياة الأبدية أو نذوق مجد الله إلاَّ بحضور المسيح ومع المسيح وفي ملء الروح القدس. فقيامة المسيح هي قيامتنا كما تقول الكنيسة في أوشية كل إنجيل: «لأنك أنت هو حياتنا كلنا،... وقيامتنا كلنا».**

كما يلزمنا أن نلاحظ أن البرهان المفرح والمُقنع جداً على قبول التلاميذ قوة قيامة المسيح هو تحوُّل حياة التلاميذ من الضعف إلى القوة؛ من اليأس إلى الرجاء؛ من الخوف إلى الشجاعة؛ من الإنكار والهرب إلى الكرازة والفرح بالإضطهاد والبذل حتى الموت. **لذلك يناسبنا أن نضع هذا المقياس الحسَّاس والدقيق جداً نصب أعيننا لكي**

نتحقق من حصولنا على سر قيامة الرب في حياتنا.

رجاء القيامة هو سلطان المسيح الذي لا يُحَد في السماء وفي الأرض:

الرب الحاضر بقيامته معنا وفينا والذي نكرز بموته وبقيامته له كل السلطان على كل السماء والارض!!

من الأسباب التي جعلت التلاميذ يتغيَّرون و يصيرون على مستوى القوة للكرازة باسم الرب لكل العالم **هو أن الرب استلم كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض.**

العلاقة هنا بين سلطان الرب والكنيسة سرِّية للغاية، والرب نفسه هو الذي أشار إليها: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...». الأمر الذي يعطيه الرب هنا لتلاميذه بالذهاب للكرازة للعالم كله، ليس أمراً عادياً بل هو مشفوع بتأكيد ووعد وتأمين سرِّي **أنهم سيعملون تحت مظلة سلطان المسيح هذا الذي تخضع له كل السماء والأرض.**

قيامة المسيح هنا لم تقف عند حد غلبة الموت، أو حتى الصعود إلى السماء، أو حتى مجرد الجلوس عن يمين العظمة في السموات، **بل إن قيامة المسيح كشفت عن مستوى المجد الذي للمسيح إذ تسلَّم من الآب كل سلطان مما في السموات وما على الأرض**، ولكن ليس لمجرد أن يحتل المسيح مكانته في المجد لنفسه، ولكن لا يزال هذا المجد والسلطان يعمل لحساب الإنسان. فالرب بكل وضوح وعلانية يؤكد لتلاميذه أن ذهابهم إلى أقصى العالم للخدمة والكرازة إنما هو المسئولية المباشرة المنبثقة من سلطانه، أي أنه نال هذا السلطان لتكميل خدمة الكرازة على الأرض لخلاص العالم.

هذه الحقيقة تعطي للقيامة **امتداداً** في السماء **والأرض** ــ بواسطة الكنيسة ــ لتكميل الخلاص من واقع سلطان المسيح الحاضر في كنيسته بقيامته ومجده وسلطانه معاً.

فمعنى أن يأخذ المسيح سلطاناً في السماء وحدها شيء، وكونه يأخذه في السماء وفي

الأرض فهذا واضح جداً أن المسيح يملك في كنيسته على الأرض بسلطانه السمائي لحساب خلاص كل نفس.

وهذا الوعد أو الأمر بحد ذاته يُعطي للكنيسة قوةً ورجاءً وعزاءً لا يُقهر ولا يقف عند حد، كما يُعطي لكل إنسان يسعى نحو بلوغ القيامة قوة دفع لا يقدر الموت أن يوقفها.

والكنيسة التي تعيش في قوة القيامة هي حقاً تعيش في استعلان المجد أي في الذكصا الدائمة!! □

(١٩٨١)



القيامة حياة وشهادة

سيظل حديثنا عن القيامة جديداً كل عام لأن القيامة بحد ذاتها فعل تجديد. ولكن من الأشياء المدهشة في الإنجيل أن المسيح يقوم والتلاميذ لا يصدقون! ولكن أخاف لئلا نكون كالتلاميذ، لأني متيقِّن أنه إن لم نحس بالمسيح المقام من أجلنا فلن تسري روح القيامة وقوتها فينا.

مريم المجدلية رأت المسيح القائم من بين الأموات ولكنها لم تستطع أن تعرفه، لأنها كانت منحصرة في المسيح الميت، ولكن بعد أن تحدَّث معها المسيح وانتبهت أنها أمام القيامة عينها قالت في الحال: «ربوني...» أي «معلّمي»؛ هنا أحسَّت مريم أن المسيح المقام هو هو لها. والمدهش حقاً أن تذهب مريم مسرعة وتبشر التلاميذ أنه قام. و يأتي بطرس و يوحنا يركضان معاً إلى القبر ويجدانه فارغاً، و **يظهر المسيح بعد ذلك لبطرس، وتبق القيامة بعد كل هذا بعيدة التصديق.** ولكن تلميذي عمواس يقابلان يسوع في آخر النهار وهما يتطارحان معاً الحديث في همٍّ ثقيل بخصوص أخبار القيامة، و يسمعهما يسوع يقولان: «بل بعض نساء منا حيَّرننا اليوم» (لو٢٤: ٢٢)!! فبدا الأمر للمسيح غير محتمَلٍ، فابتدرهما بتوبيخ قائلاً: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء. أما كان ينبغي أن يتألم المسيح بهذا و يدخل إلى مجده!» (لو٢٤: ٢٥-٢٦). وعاد المسيح وكرّر عبارات التوبيخ عينها للتلاميذ الأخصاء، فوبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم **لم يصدِّقوا الذين نظروه قد قام.**

قيامة المسيح من الأموات هي فعلان:

الفعل الأول: حدث زمني تاريخي منظور ومحقَّق، بل وملموس ومسموع.

الفعل الثاني: فعل روحي سرِّي غير منظور، لا يُحقَّق لا على مستوى الحس ولا على مستوى الزمن.

الفعل الأول أي الزمني:

السيد المسيح ارتضى أن تكون قيامته حدثاً تاريخياً منظوراً ومحقَّقاً؛ فقد سبق فحدده هو زمنياً (في ثالث يوم)، أي جعل قيامته حدثاً واقعاً في صميم الزمن والساعة، ثم أكمله بظهور حقيقي ملموس «جسّوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام...» (لو٢٤: ٣٩) ثم أكل معهم... ثم جلس في وسطهم... ثم تكلّم ووبخهم...

فعل القيامة الزمني هذا من الأفعال النادرة التي حدّدها المسيح بالأيام والساعات.

فالمسيح ظل على مدى كرازته يكرِّر أنه «إبن الإنسان سوف يسلَّم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت١٧: ٢٢و٢٣). هنا تحديد القيامة بعد الموت بعددٍ مُحدَّدٍ من الأيام يهدف إلى جعل القيامة في متناول الإدراك الكامل للإنسان. فهو لم يحدِّد الميلاد مثلاً ولكنه حدَّد القيامة بالضبط.

وإنه وإن كانت حوادث الإنجيل كلها قد وقعت بعيدة عنا بالرغم من حدوثها في صميم التاريخ، إلا أن القيامة تربطنا مباشرة بكل حوادث الإنجيل، وتحقق لنا وفي حياتنا كل ما أكمله المسيح في الإنجيل.

هنا القيامة، كونها حدثاً زمنياً فهي أمر مفيد جداً، ليس فيما يخص الإيمان، لأن الإيمان يلزم أن يتحقق بدون الفحص الحسّي أو البحث الزمني وإلا ما كان المسيح وبَّخ كُلاًّ من توما وتلميذي عمواس بشدة: «أيها الغبيّان والبطيئا القلوب في الإيمان، أما كان ينبغي (أن تعلموا من أنفسكم وبدون برهان حسي أو تاريخي) أن المسيح يقوم»؟! ولكنه أمر مفيد جداً فيما يخص تحقيق كل أعمال المسيح برمّتها ــ والتي لا يمكن تحقيقها

تاريخياً ــ فالقيامة أثبتت كافة معجزات المسيح الفائقة، كما أثبتت صدق بنوته الجوهرية لله وميلاده البتولي من عذراء: «وتعيَّن إبن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤)، كما أكّدت القيامة وعد مجيئه الثاني كأمر محتّم: «أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء، إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع١: ١١).

لذلك نجد أن المسيح يمعن في توقيع حادثة قيامته الزمنية على مستوى الرؤيا الشخصية، فيظهر لمريم ولبطرس ثم للرسل ثم لخمسمائة أخ ثم لبولس، ويأكل مع التلاميذ ويتحدث معهم، **ويستمر يظهر لهم مدة أربعين يوماً!** وذلك لكي يحقق من واقع يقينية قيامته أساس تجسده وموته الإعجازي كفّارة لمغفرة الخطايا ومجيئه الثاني للمجازاة! أي لكي يُدخل المسيح كافة أعماله وصفاته الفائقة للزمن والحواس إلى داخل الزمن والحواس، لكي تُستعلن في دائرة المعقول والمحقَّق.

لذلك، أصبحت القيامة التي حقَّقها المسيح ــ كآخر معجزة ــ هي الباب الوحيد والمفتاح السرّي الذي ندخل به إلى كافة أسراره، وبالأخص سرّي التجسد والفداء، ثم سر مجيئه الثاني للدينونة.

ــ فإذا لم يكن المسيح قد قام في مجد الله فهو لم يمت، وإذا لم يكن قد مات فنحن لن نرث مجد قيامته.

ــ وبالتالي، يكون الذين رقدوا في إيمان قيامته، لا يقومون بعد لميراث الحياة الأبدية معه بل لعقاب الدينونة.

ــ «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا، وباطل أيضاً إيمانكم،... أنتم بعد في خطاياكم، **إذاً الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا**» (١كو١٥: ١٤و١٧و١٨).

فقيامة المسيح التي تمت على مستوى الزمن والمشاهدة هي المدخل الوحيد لنوال قوة الإستعلان لكل أعمال المسيح الخاصة بالإرتقاء بالخليقة البشرية لحياة أفضل وأعظم وأمجد، أي إستعلان سر الموت الكفّاري والخلاص والفداء ومغفرة الخطايا ونوال وعد الحياة الأبدية لميراث المسيح في ملكوت الله.

أما الفعل الثاني للقيامة:

فهو فعل روحي سري غير منظور ولا محقّق زمنياً، وهو الذي نتقبّله نحن الآن بالإيمان ونعيش فيه ومن أجله.

فنحن الآن بالإيمان نرفع قلوبنا إلى فوق حيث المسيح جالس عن يمين العظمة في الأعالي، فنحس بعلاقتنا الوثيقة بالمسيح ونرتبط بمصيرنا الأبدي ونستوطن عنده. فالقيامة هي مصدر حياتنا الجديدة ونور إيماننا.

كما أننا نجاهد كل يوم، بالحب والبذل والتفاني في خدمة الآخرين، على أساس أن تُستعلن لنا قوة القيامة أكثر فأكثر في حياتنا لكي نعيش بالروح فوق مستوى أتعاب هذا الدهر ومطالبه، لأن هذا هو مضمون القيامة وقوتها، أي برجاء آخر غير رجاء هذا العالم: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو١٤: ١٩).

العلاقة بين الفعلين:

القيامة كفعل زمني تحقّق لنا كل مواعيد الله السابقة سواء في العهد القديم بكافة حوادثه أو العهد الجديد بكل عطائه الإلهي.

القيامة كفعل روحي تُجسِّد لنا هذه الحوادث والمعطيات عينها لنعيش بها ونستمتع بقوتها الروحية المذخرة لنا فيها.

والمفروض أننا نحقق القيامة ونتأكد منها عقلياً وحسياً، من مصدرين:

أولاً: من الكتب، أي الأسفار المقدسة، وهكذا فعل المسيح مع تلميذي عمواس. «ثم

ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لو٢٤: ٢٧).

ثانياً: من شهادة الذين رأوا القيامة ولمسوها.

«ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدّقوا الذين نظروه قد قام» (مر١٦: ١٤).

كذلك فإننا نحقق القيامة روحياً:

أولاً: باتصالنا بالمسيح رأساً، كعلاقة شخصية تقوم على المحبة والأمانة والطاعة: «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه **وأُظهر له ذاتي**» (يو١٤: ٢١).

ثانياً: بتجردنا الداخلي وتغرُّبنا من شهوة العالم وانفكاكنا من الرُّبُط التي تربطنا بالناس الممسوكين في هذا العالم: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك» (مت١٩: ٢٧).

وحينئذ تسري فينا قوة القيامة، أي الانتقال من الموت إلى الحياة: «إننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة» (١يو٣: ١٤).

والدرس الذي ألقاه المسيح على تلميذي عمواس يختص بهذين الفعلين معاً؛ أما القيامة كحادثة زمنية مشهود لها فلم تسعفهما وحدها للإيمان بالقيامة ككل، فبالرغم من أنهما كانا تلميذين وقد عاينا الرب وتعاليمه ومعجزاته وتصريحه بالقيامة التي سوف يكمِّلها بعد موته بثلاثة أيام، وسمعا خبر قيامته عن شهود عيان، إلا أنهما ظلا بطيئي الإيمان في القلوب فعلاً حيث لم يتعدَّ إيمانهما بالقيامة ما هو عتيد أن يكون في نهاية الزمن، وكأن المسيح إنسان مثلهما.

كذلك لم يستطع إيمان التلميذين أن يحتمل إمكانية تألم المسيح وصلبه أي موته الفدائي الذي يؤهِّل للقيامة، لذلك غاب عنهما فعل القيامة الإلهي!

كذلك التلاميذ أيضاً كانوا جميعاً في الواقع ينتظرون استعلان ملكوت المسيح في الحال بدون موته، أي أن يصعد المسيح بمجدٍ كإيليا، و بذلك اسقطوا عمل الفداء والكفّارة من إيمانهم، فاستحالت عليهم القيامة فهماً وإيماناً. وهذا واضح جداً من تعليق التلميذين على أخبار القيامة التي جاءت بلغتها هكذا: «ونحن كنا نرجو أنه **هو المزمع أن يفدي إسرائيل** (أي بدون الصليب)، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك، بل بعض نساء منا **حيَّرننا** إذ كنَّ باكراً عند القبر، ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي، ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضاً النساء، وأما هو فلم يروه» (لو٢٤: ٢١ــ٢٤).

ومن هذا الإعتراف وضح أن التلاميذ ظلّوا حتى بعد إعلان القيامة وتحقيقها الفعلي غير مؤمنين!!

والأكثر من ذلك تصريح توما الرسول: «فقال له التلاميذ الآخرون: قد رأينا الرب (قائماً من الموت)، فقال لهم: إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في أثر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أؤمن» (يو٢٠: ٢٥).

والتلاميذ بالإجماع لم يستطع إيمانهم قبول فعل قيامة الرب بصورته الزمنية، حينئذ: «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكئون، ووبّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم **يصدّقوا** الذين نظروه قد قام» (مر١٦: ١٤).

أما سبب توبيخ المسيح إياهم بسبب عدم إيمانهم فهو:

أولاً: لكون حياته ومعجزاته وأعماله ووعده بالقيامة كانت تكفي للإيمان بقيامته.

ــ فالعهد القديم بذبائحه الكفارية ووعده بالفداء يكفي للإيمان بتجسد المسيح وتألمه وموته الفدائي.

ــ وحياة المسيح الفائقة وأعماله التي انتهت بإقامة لعازر من الموت تكفي للإيمان بقيامته.

ــ وقيامته تكفي للإيمان بمجيئه الثاني للمجازاة.

ثانياً: لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام!! حتى توما لم يصدق شهادة عشرة تلاميذ بخلاف النسوة!! ومعروف في صميم الناموس أن شهادة إثنين أو ثلاثة تكفي!!

سبب عدم إيمان التلاميذ بالقيامة في البدء:

أولاً: عدم استطاعتهم الجمع بين نصرة ومجد القيامة وسحق ومذلّة الصليب، أي غياب فهم خطورة الخطية وأهمية الفداء والكفارة وغفران الخطايا.

ثانياً: تصوُّر القيامة كحالة روحية فائقة وغير عادية وغير جسدية ملموسة، يصحبها قوة ومجد وسلطان ودينونة (وهو المقصود فقط عن المجيء الثاني).

ثالثاً: الإنحصار في الحوادث وعدم الإلتفات والتمسك بالكلمات التي قالها الأنبياء، والتي أوضحها المسيح لهم بخصوص موته وقيامته وتصديقها في الحال.

رابعاً: عدم القدرة على تصوُّر إمكانية إنقهار الموت وغلبته وقيام الجسد كما هو (توما).

لذلك كان درس المسيح منصبًّا على هذه العقبات سواء لتلميذي عمواس أو لتوما أو للتلاميذ المجتمعين. فشرح لهم الكتب وأراهم يديه وجنبه، ولمسوه وأكل معهم، ونفخ فيهم الروح القدس وأعطاهم السلطان (المستمد من موته الكفاري) على مغفرة الخطايا. وكان نتيجة درس المسيح وشرحه النبوات لهم ونفخ الروح القدس فيهم، أن قبلوا القيامة لا كفعل زمني يحتاج بعد إلى ظهور الجسد ولمسه، ولكن كحقيقة حية خالدة وقوة فعّالة لمغفرة الخطايا يمكن التبشير بها للعالم أجمع دون ما حاجة إلى مشاهدة حسّية.

ففعل القيامة الروحي الذي هو بحد ذاته قوة إلهية داخلية ونور اُخروي وحياة أبدية وخلاص، إن كان يحتاج مبدئياً إلى الإيمان أولاً بالقيامة كفعل زمني تم وحدث، وذلك بتصديق الكتب ووعد الرب، لكن هذا بحد ذاته لا يكفي:

ــ فبدئياً، أنت تؤمن أن كلمة الله حقيقة، وبذلك تُصبح القيامة كفعل زمني حقيقة أيضاً. وإلى هنا لا تكون محتاجاً أن ترى المسيح القائم بالجسد، أو تطلب أن تراه وتلمسه. فقد وبّخ المسيح توما والتلاميذ على طلب البرهان الحسي.

ـ أما من جهة الشهود فها نحن الآن قد صار لنا شهود كثيرون من واقع الإنجيل، الذين رأوا المسيح المقام، و بولس الرسول قدّم نفسه كشاهد «وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا لأني أصغر الرسل...» (١ كو١٥: ٨) حيث تجيء شهادته مصدّقة لكافة الشهود السابقين و بعدهم جميعاً كشاهد عيان للمسيح المقام.

ـ لكن نحن ياإخوة لا يكفينا تقصّي الحقائق التاريخية لنؤمن بالقيامة كحدث زمني فقط لكي نأخذ قوة القيامة كفعل إلهي. إن سبب ضعف إيمان التلاميذ بالقيامة هو أنهم لم يدركوا بُعدها الإلهي الفائق للزمن؛ لذلك، و بعد أيام من قيامة الرب، ذهب بطرس و بعض التلاميذ لصيد السمك؛ وكأن القيامة فعل ماضي لا يختص بخلاصهم الأبدي. ولكن المسيح ظهر لهم ليرتفع بإيمانهم مرة أخرى فوق المهنة وأكل العيش وصيد السمك، وقال لبطرس: «إرع غنمي» (يو٢١: ١٦).

فالحدث الزمني لا يكفي، إذ لابد من رؤية الحدث بإحساس ما فوق الزمن، لتقبُّل القيامة كفعل إلهي يختص بغفران الخطايا وخلاصنا وتجديدنا وخلقتنا السماوية وحياتنا الأبدية.

الخطأ الذي وقع فيه التلاميذ هو أنهم نظروا القيامة كعمل غير مختص بخلاصهم هم وبحياتهم الأبدية، بل مختص بالمسيح فقط؛ واكتفوا بأن المسيح سيأتي في ملكه ويملك فيملكون معه وكفى، وهذا الأمر لا يضع على عاتقهم أية مسئولية. كما كانوا يعتقدون أن القيامة في أقصى مفعول لها إنما تختص بتحوُّل ما، قد يحدث لهم فيما بعد، وهكذا ابتعدت عنهم قوة القيامة لما أبعدوها بفكرهم عنهم كفعل إلهي للخلاص لازم ومحتم، ولم يفيقوا إلى مسئوليتهم إلا بعد أن قال لهم المسيح: «**اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم**» (مت٢٨: ١٩). لقد قال لمريم أن تقول للتلاميذ أن «يذهبوا إلى الجليل (**موطن الخدمة**) وهناك يرونني» (مت٢٨: ١٠) **لتكميل الرسالة!!**

ياإخوة تيقظوا معي... **القيامة كفعل إلهي مسئولية عظمى**، ولن يعمل فينا هذا

السر الإلهي إلا إذا فهمنا أن القيامة فعل حياة ورسالة نتقبلها الآن لنحيا بها ونبشّر ولا ننتظرها في اليوم الأخير كمريم ومرثا...!!

فالقيامة في وضعها الروحي فعل قوة لغفران الخطايا للخلاص والمجد وتجديد الحياة وبشارة... كما ينبغي أن لا يغيب عن ذهننا قط أن المسيح وهو الإله، وهو القيامة والحياة، تألم وجُلد وشُتم وضُرب!، ونحن مدعوون بالمثل أن نعيش قوة القيامة تحت الآلام!... وأن نذوق مجد القيامة تحت ثقل كل ضروب المعاناة... حينئذ فقط تُستعلن القيامة فينا و يتمجد المسيح!! وهل يمكن أن نبشر بالقيامة دون أن نبشّر بالآلام ونشترك فيها؟

المسيح لم يستكره الظلم بل التصق بالآلام، وجعلها وكأنها شيء قريبٌ إلى نفسه ومحبب، بل ومكمّلٌ لحياته «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو١٢: ٢٧).

لذلك كلما ازدادت الآلام للسائرين في طريق الملكوت، كلما استُعلنت قيامة المسيح لهم وفيهم وصاروا شهود صدقٍ للمصلوب المقام. □

(١٩٨١)

ونتظر قيامة الأموات
وحياة الدهر الآتى
(قانون الإيمان)

١ . ارتباط الموت بالقيامة بالنسبة للمسيح وبالنسبة لنا

«اخرستوس آنستي» .

يلاحَظ : «**اخرستوس**» يعني «المسيح» أي «المسيا قام»، وليس «**إيسوس** آنستي» أي «يسوع قام» .

الكنيسة بهذا النداء تعلن، عن قصد وشهادة، بدء العصر المسياني جهاراً: «فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً **ومسيحاً** (مسيا)» (أع ٢ : ٣٦).

لقد حرص المسيح أن لا يستعلن أنه المسيا طيلة أيام خدمته، حتى يكمل آلامه بلا عائق ويوفي حقوق الكفارة على الصليب بمحض إرادة صالبيه؛ لهذا كان عسيراً حسب المنطق البشري أن يربط تلاميذه بين الصليب والقيامة، وهذا ما حدا بالمسيح أن يصححه بمجرد قيامته، إنما بتوبيخ شديد لتلميذي عمواس اللذين اختلط عليهما الربط بين مجد القيامة وبين مهانة صلبه وموته «فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان **بجميع ما تكلم به الأنبياء أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده**» (لو ٢٤ : ٢٥و٢٦).

ويلاحَظ أن هذه العثرة عينها اصطدم بها يوحنا المعمدان حينما أرسل تلميذين يسألان

المسيح: «أنت هو الآتي (المسيا) أم ننتظر آخر» (مت ١١ : ٣)، بسبب بساطة مظهره وضعف سلطانه الدنيوي على الرؤساء والملوك (الذين سجنوا يوحنا المعتبر أنه يعدُّ الطريق أمامه)؛ فردَّ المسيح عليه قائلاً بما يفيد حقيقة من هو باعتبار أن عصر المسيّا وأعماله ها هي أمام أعينكم:

«اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران. العمي يبصرون والعُرج يمشون والبُرص يُطهَّرون والصمُّ يسمعون **والموتى يقومون** والمساكين يبشَّرون. **وطوبى لمن لا يعثر فيَّ**» (مت ١١: ٤ــ٦).

هنا نلاحظ أن أقوى علامة تشهد له أنه المسيا هي سلطانه على **إقامة الموتى**، وهو سلطان الله نفسه. وقد أوضح المسيح علاقة سلطانه على إقامة الموتى بحقيقة أنه ابن الله **«الآب يقيم الأموات ويُحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء»** (يو ٥ : ٢١).

أما قيامة المسيح نفسه من الأموات وصعوده إلى يمين الله، فجاءت لتؤكد أن صاحب السلطان الإلهي على الإقامة من الأموات يتعين عليه بالأَوْلى و بالدرجة الأولى أن يقوم هو من الأموات قيامة دائمة وممجدة: «**وتعيَّن ابن الله** بقوة من جهة روح القداسة **بالقيامة من الأموات**» (رو ١ : ٤).

بل وحصر المسيح القصد والغاية النهائية من مجيئه في إعطاء الحياة الأبدية وإقامة الأموات!! «هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية **وأنا أُقيمه في اليوم الأخير**» (يو٦ : ٤٠). فالقيامة من الأموات هي جوهر رسالة المسيح للخلاص التي بدأها بنفسه و يكملها بنا في اليوم الأخير.

بسر التناول أصبحت قوة القيامة في متناول الجميع:

وألمح المسيح أن قوة القيامة كائنة في جسده، ولهذا أسس سر التناول حتى تصبح قوة القيامة في متناول الجميع و بصفة دائمة مستعدة في كل زمان ومكان «من يأكل **جسدي** و يشرب **دمي** فله حياة أبدية **وأنا أقيمه في اليوم الأخير**» (يو٦: ٥٤). ولا يخفى على

القارىء أن في إعطاء المسيح لتلاميذه جسده ودمه يوم الخميس قبل الصليب لمغفرة الخطايا ولحياة أبدية، كشفاً ما بعده كشفٌ أن القيامة والحياة كانت في جسده قبل الموت كما هي بعد الموت، وهو يسلمها لنا الآن على نفس النمط أي قبل الموت لتأخذ منتهى استعلانها بعد الموت وفي اليوم الأخير.

ولقد صرح المسيح مرة أنه هو هو المسيا الآتي وذلك للسامرية حينما واجهته بإيمانها المرهف «قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يُقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء. قال لها يسوع: (الاصطلاح الخاص بالتعبير عن كينونة الله) **أنا هو** Ego Eimi **الذي يكلمك!**» (يو٤: ٢٥و٢٦).

ولكن المسيح حرص جداً أن لا تُستعلن شخصيته كمسيًا، إلا بعد القيامة، حتى لا يتعطل الصليب. ولأن استعلان القيامة يلزم أن يكون النتيجة الإيمانية المباشرة لموت المسيح على الصليب، كما ورد شرحه في حادثة التجلي: «وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وحدهم. وتغيرت هيئته قدامهم (حالة قيامة). وصارت ثيابه تلمع بيضاءَ جداً كالثلج... وظهر لهم إيليا مع موسى (شهادة الأنبياء والناموس)، وكانا يتكلمان مع يسوع... وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم **أن لا يحدثوا أحداً بما أبصروا إلا متى قام ابن الإنسان من الأموات...**» (مر٩: ٢-٩).

وكما ورد في شهادة القديس بطرس: «وأنتم من تقولون إني أنا. فأجاب بطرس وقال له: **أنت المسيح** (المسيًا) **فانتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه.** وابتدأ يعلِّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل. **وبعد ثلاثة أيام يقوم**» (مر٨: ٢٩-٣١).

حتمية الآلام، هي طريق استعلان القيامة:

لقد صحح المسيح بعد قيامته مباشرة فكر التلاميذ، وبالتالي فكر الكنيسة كلها من

جهة حتمية الآلام والموت للمسيا لكي تُستعلن القيامة، و بالتالي الحياة الأبدية والملكوت؛ وذلك باستخدام المسيح شرح ما جاء عن ذلك في الأسفار المقدسة «**ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به ,,باعتباره المسيا،، في جميع الكتب**» (لو٢٤: ٢٧).

ومنذ تلك الساعة بدأ التلاميذ وكل الكنيسة بعد ذلك في الدراسة والفحص والتفسير لجميع الكتب (الأسفار المقدسة) بهمة فائقة ونشاط شخصي وجماعي حتى استقرت تفاسير الأسفار كمصدر رسمي للتأكيد على صحة ما تم من ارتباط الآلام والموت بالقيامة في إيمان الكنيسة. وهذا نسمعه بوضوح من بولس الرسول عدة مرات: «فإنني سلَّمت إليكم (التقليد) في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح **مات من أجل خطايانا حسب الكتب**، وأنه **دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب**» (١كو١٥: ٣و٤).

ثم يعود بولس الرسول ويؤكد أن **تألُّم المسيا** هو العلة الأساسية لاستعلان كونه أول قيامة الأموات، ليس كنموذج بل كمصدر. ثم أن ارتباط التألم بالقيامة يشكل علامة أساسية للتعرف على مجيء المسيا و بدء خدمته للعالم كله وذلك حسب الكتب. «فإذ حصلتُ على معونة من الله بقيت إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير **وأنا لا أقول شيئاً غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون، ,,إن يؤلَّم** المسيح يَكُنْ هو أول **قيامة الأموات** مزمعاً أن ينادي بنور للشعب،، والأمم» (أع٢٦: ٢٢و٢٣)، هذا هو التقليد الموروث من الأسفار أن علامة المسيا هي أن يتألم ويموت ثم يقوم!!

حتمية القيامة، هي طريق اكتمال فعل الصليب:

كما يتحتم أن ندرك أن إيماننا بالقيامة و بفعلها وأثرها إنما يرتبط ارتباطاً جوهرياً بذبيحة كفارة المسيح على الصليب، حتى إن الصليب وحده دون القيامة يستحيل أن يقوى على غفران الخطايا، هذا ما حدا ببولس الرسول أن يقول: «**وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم**» (١كو١٥: ١٧). إذاً، القيامة هي

برهان صلاحية المسيح على الكفارة، وهي الصك الختامي لغفران الخطايا وتوثيق عام بشهادة شهود لعمل الصليب. لأن على الصليب حمل المسيح خطايانا وتقبّل عنها عقوبة الموت في جسده الطاهر ليفدينا من اللعنة والموت. فلو ظل في الموت بدون قيامة لظلت خطايانا محبوسة بالموت وظل الموت سائداً علينا. ولكنه قام بقوة لاهوته وبعامل قداسته «**ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه**» (أع٢: ٢٤)، مبطلاً الموت ومبطلاً الخطيئة بالتالي، إذ دفع ثمنها في جسده. ويوضح بولس الرسول بدقة العلاقة بين عمل الصليب وعمل القيامة وارتباط كل منهما بالآخر بالنسبة لنا هكذا: «**الذي أُسلم (للموت) من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا**» (رو٤: ٢٥).

وأيضاً يقول: «**وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر.**» (رو٨: ١٠) أي أننا بالإيمان بالمسيح يتم الاتحاد بجسده في الموت والقيامة؛ وبذلك نكون أبطلنا جسد الخطية، أي صلبنا معه الإنسان العتيق، «**لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته**، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية، لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية» (رو٦: ٥ـ٧). وهكذا يصبح ارتباط موت المسيح بقيامته جوهر الإيمان المسيحي الذي يقوم على أساس غفران الخطايا وانتظار الحياة الأبدية برجاء حيٍّ.

□

٢ . قيامة المسيح ليست نموذج قيامة؛ بل هي القيامة ذاتها وكلها

يوجد أشخاص قاموا من الموت قبل قيامة المسيح وبعد قيامة المسيح؛ قيامة هؤلاء كانت خبرة فردية خاصة لم تتعدَّ عودة صاحبها إلى الحياة الأولى بالجسد الترابي وإلى فترة. أما قيامة المسيح فكانت حدثاً شمولياً لا فردياً وفعلاً فائقاً على الطبيعة البشرية

كلها ومرتداً عليها كلها، بتأثير خِلْقي جديد يفوق على كلٍّ من الموت والحياة معاً في وضعهما المادي الطبيعي.

قيامة الأموات كانت عقيدة وإيماناً ومعنىً متصلاً اتصالاً جوهرياً بالموت بل وبالحياة نفسها، وذلك قبل مجيء المسيح. وقد تعرض لها المسيح في حياته ليثبت أنها عملية كبرى تأخذ كيانها بعد الموت. وهي مرتبطة ليس بالإنسان فقط لأنه يموت؛ بل ومرتبطة بالله الذي هو مصدر الحياة «أما من جهة **الأموات إنهم يقومون** أفما قرأتم في كتاب موسى في أمر العُلَّيقة كيف كلَّمه الله قائلاً أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. **ليس هو إله أموات بل إله أحياء**» (مر١٢: ٢٦و٢٧).

القيامة كانت هدف المسيح:

وأما بولس الرسول فيرى بوضوح أن قيامة الأموات بصورتها الشاملة والكاملة إنما جاء المسيح ليحققها بنفسه، فقيامة الأموات هي هدف كان موضوعاً أمامه وصمم على تكميله مهما كلفه من الآلام والموت «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ويحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت٢٠: ١٨و١٩).

لذلك يضع بولس الرسول في الترتيب التعاقبي وجود مبدأ قيامة الأموات قبل قيامة المسيح، ليس فقط من حيث العلة والسبب بل ومن حيث الوضع الإيماني والعقائدي هكذا: «فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم» (١كو١٥: ١٣و١٤)؛ أي أن المسيح جاء ليكمل أو يفتتح عملاً معطلاً منذ الدهور كلها، هو جزء أساسي في خلقة الإنسان وخلاصه وسعادته وعلاقته بالله. فالمسيح، والمسيح وحده، أبطل أولاً سلطان الموت وبالتالي سلطان الخطية؛ وقيَّد بذلك الشيطان ليفتح الطريق أمام الإنسان للحياة الأبدية والخلود.

القيامة كانت مخفية في المسيح،
واستُعلنت بموته، وامتدت في الطبيعة البشرية كلها:

قيامة المسيح ليست مجرد عمل من أعمال المسيح، بل كيان ذاتي بمفهومه الموضوعي الكامل. فكانت القيامة والحياة الأبدية مخفية فيه، ولكنها استُعلنت بموته: «قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير، قال لها يسوع: (تعبير يستخدمه الله في التعبير عن ذاته) ,,**أنا هو** Ego Eimi،، **القيامة والحياة**» (يو١١: ٢٤و٢٥).

قيامة المسيح لا تنحصر في شخصه، بل تمتد كعمل شمولي يتغلغل الطبيعة البشرية بأسرها، أي الإنسان ككل «وفيه يقوم الكل» (كو١: ١٧)، «لأنه كما في آدم يموت ,,**الجميع**،، هكذا في المسيح سيُحيا ,,**الجميع**،، ولكن كل واحد في رتبته» (١كو١٥: ٢٢و٢٣)، حيث تأتي القيامة هنا ليس رداً إلهياً إيجابياً على فعل سلبي (الموت)؛ بل كحاجة صميمية في كيان خلقة الإنسان التي خلقها الله على صورته تنزع نحو الكمال. فالقيامة من الأموات لنيل الحياة الأبدية هي غاية حكمة الله من نحونا.

ـ «فإنه إذ الموت بإنسان (آدم)، **بإنسان أيضاً (المسيح) قيامة الأموات**» (١كو١٥: ٢١).

ـ «ونحن أموات بالخطايا **أحيانا مع المسيح**، بالنعمة أنتم مخلَّصون. **وأقامنا معه وأجلسنا معه** في السماويات في المسيح يسوع» (أف٢: ٥و٦).

ـ «لأنه إن كنا قد صرنا **متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته**» (رو٦: ٥).

أي أنه إذا كان الموت الذي ماته المسيح عوض كل بني آدم هو عمل شمولي شمل الطبيعة البشرية ككل، أي كل إنسان، فكذلك القيامة شملت الطبيعة البشرية ككل، وبالتالي كل إنسان(١). لأن الطبيعة البشرية التي اتحد بها بلاهوته هي في

---

(١) كلُّ مَنْ يؤمن، لأن الاتحاد بالمسيح يظل فعل إيمان وقبول وإرادة، وذلك من قِبَل الله ومن قِبَل الإنسان «لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو٦: ٤٤).

الواقع جوهر مطلق يمثل كل البشرية.

هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن قيامتنا تساوي قيامته، بل يعني فقط أن قيامته احتوتنا باعتباره الكل المطلق: «الذي هو قبل كل شيء **وفيه يقوم الكل**، وهو رأس الجسد الكنيسة، **الذي هو البداءة بكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شيء**، لأنه فيه سُرَّ أن يحلّ **كل الملء**» (كو١: ١٧ــ١٩). لأن قيامتنا تستمد كيانها وقوتها ونورها وشكلها من قوة قيامته، فهي تشبه قيامته بقدر ما هي متحدة به ولكن على مستوى اتحاد المحدود بالمطلق.

لذلك يوضح بولس الرسول هذه النقطة بإحكام بقوله عن اتحادنا بموته وقيامته هكذا: «متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً متحدين بشبه قيامته» (انظر رو٦: ٥)، فإن كنا بالإيمان والعماد نشبهه في موت الصليب ونشبهه في مجد القيامة، فذلك لأنه هو الذي حاول أولاً أن يشبهنا في كل شيء ليسهِّل اتحادنا به، لنستثمر قوة موته وقوة قيامته:

ــ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم **اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت** أي إبليس **ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**» (عب٢: ١٤و١٥).

ــ «من ثم **كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء** لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً في ما لله **حتى يكفِّر خطايا الشعب**. لأنه في ما هو قد تألم مجرَّباً يقدر أن يعين المجرَّبين» (عب ٢: ١٧و١٨).

وهكذا يتضح الآن قول بولس الرسول: «الآن قد قام المسيح من الأموات وصار **باكورة الراقدين**» (١كو١٥: ٢٠)، بمعنى أنه قام معلناً بدء ملكوت الله. قام كفاتح لعصر القيامة وكمن سيضطلع بإقامة كل الراقدين الذين ماتوا ــ بالإيمان على رجاء القيامة ــ كلٌ في رتبته، وذلك في اليوم الأخير «**وأنا أقيمه في اليوم الأخير**» **(يو٦: ٣٩و٤٠و٤٤و٥٤)**. هذه المقولة كانت على لسان المسيح باستمرار لأنها جوهر رسالته واستعلان قمة قوته وحكمته معاً.

٣ . قيامة المسيح ليست عودة إلى الحياة الأولى مؤقتاً؛ بل انتصار أبدي على الموت، والخطيئة، والشيطان، وتكريس ملكوت الله لحساب الإنسان، وإنارة طريق الحياة والخلود، والدخول بطبيعتنا إلى الأقداس العليا، والحصول لنا على فداء أبدي، وبرٍّ مجاني

ونستطيع أن نلخص مفاعيل القيامة هكذا:

أ ــ إبادة من له سلطان الموت (الشيطان):

المسيح قهر الموت بقيامته فقهر بالتالي سيد الموت. وإذ منح بسلطان قيامته كل إنسان القدرة والحق في القيامة من الأموات، فإنه يكون بذلك قد جرَّد الشيطان من سلطانه إزاء كل إنسان يؤمن بقيامة الأموات:

ــ «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيها **لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت** أي إبليس» (عب ٢: ١٤).

ــ «لأجل هذا أُظهر ابن الله **لكي ينقض أعمال إبليس**» (١يو٣: ٨).

ب ــ لن يسود عليه الموت بعد لأنه أبطل الخطية للأبد:

ــ «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، **لا يسود عليه الموت بعد.** لأن الموت الذي ماته **قد ماته للخطية مرة واحدة** والحياة التي يحياها فيحياها لله» (رو٦: ٩و١٠).

ــ «الذي أُسلم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو٤: ٢٥).

ج ــ فتح الطريق إلى الله بالكفَّارة بدمه:

ــ «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة **بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حيّاً** بالحجاب أي **جسده** (القائم من الأموات)» (عب١٠: ١٩و٢٠).

د ــ أخضع تحت قدميه كل الرياسات والسلاطين والقوات، فأصبح الطريق إلى الله بلا عائق:

ــ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين **حسب عمل شدة قوته** الذي عمله في المسيح، **إذ أقامه من الأموات وأجلسه** عن يمينه في السماويات **فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى**، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً؛ **وأخضع كل شيء تحت قدميه؛ وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده** ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ١٩ــ٢٣).

هـ ــ لما أبطل ظلال الموت أنار بقيامته الحياة والخلود وسلَّم الإنجيل كوثيقة عبور:

ــ «وإنما أُظهرت (النعمة) الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي **أبطل الموت؛ وأنار (بقيامته) الحياة والخلود، بواسطة الإنجيل**» (٢ تي ١: ١٠).

□

٤ . قيامة المسيح تُحسب خليقة جديدة لحساب الإنسان، خلقها بطبيعة جديدة في جسده القائم من الأموات

ــ «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ,, **ولدنا ثانية**،، **لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات**، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ في السموات لأجلكم» (١ بط ١: ٣و٤)، بمعنى أن قيامة المسيح أنشأت فيه ولحسابنا طبيعة جديدة (ولادة ثانية) لحياة أخرى سماوية جديدة بمميزات جديدة كلياً، ليس للموت سلطان عليها ولا الخطية ولا حزن ولا كآبة ولا تنهد!!

ــ «لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا **في المسيح سيُحيا الجميع، ولكن كل واحد في رتبته**.» (١ كو ١٥: ٢٢و٢٣)، بمعنى أن الحياة الجديدة ذات رتب فائقة في المجد؛ ولكنها تستمد طبيعتها جميعاً من جسد المسيح الممجد.

ــ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً... وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) **سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح)**» (١ كو١٥: ٤٥ و٤٩).
التعبير عن المسيح بأنه تعيَّن بالقيامة كآدم الثاني من السماء، يفيد حصول نسل وذرية روحية على أنقاض ذرية آدم، لكنها على صورة والدها في المجد. وهكذا أُعطي للإنسان بقيامة المسيح من الأموات أن يستبدل كل ميراث آدميته الذي يبدأ من التراب وينتهي إليه بميراث سماوي محفوظ له في السموات:

ــ «إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان **واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.** وهو مات لأجل الجميع **كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام**... إذاً، **إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة.**» (٢ كو٥: ١٤ و١٥ و١٧)؛ أي أن الميلاد الثاني الذي حصل عليه الإنسان بالإيمان ومن الماء والروح القدس قد تم على أساس قيامة المسيح، للبدء بحياة جديدة منذ الآن تأخذ سمات الخليقة الجديدة وتستمد آمالها وأهدافها بل تستمد قوتها من الابن الوحيد الجالس عن يمين الآب بصفته قد ولدنا لنفسه حسب صورته.

ــ «**إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق** حيث المسيح جالس عن يمين الله. **اهتموا بما فوق لا بما على الأرض.** لأنكم **قد متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.** متى أظهر المسيح حياتنا، **فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه في المجد**» (كو٣: ١ــ٤).

يلاحظ هنا أننا بالإيمان بموت المسيح الكفاري وبنوال سر العماد، نكون قد اشتركنا، أو صرنا على صلة بالفعل، في موت المسيح، أما قيامته فننال عربونها وصلتها الجوهرية بالروح القدس الذي نناله أيضاً بالمعمودية، ليلازمنا ويسكن فينا كقوة قيامة وحياة تبقى مخفية الآن عن عيوننا، ولكنها تعمل فينا كصلة دائمة بالله، لنطلب متطلبات الأحياء وليس الأموات، نطلب ما فوق لا ما على الأرض، حتى إذا جاء الميعاد فإن هذه القوة، أي الروح القدس، روح القيامة، يقيمنا مع المسيح وحينئذ نُظْهَرُ معه في المجد

باستعلان مجد القيامة فينا.

إذاً، فكل مستلزمات ومقومات الخليقة الجديدة التي سنناها كاملة باستعلان القيامة هي الآن فينا بالإيمان والسر، وهي تعمل فينا بالروح القدس ونذوقها كعربون.

□

٥ . قيامة المسيح حققت بالفعل اتصالاً مستمراً وأبدياً مع المؤمنين الذين أحبوه

قيامة المسيح أنشأت لطبيعتنا قدرة القيامة من الأموات لحياة أبدية، وقيامتنا، كفعل تغيير وتجديد وولادة ثانية، تبدأ من الآن وفي هذه الحياة، لذلك فالمسيح يعمل فينا منذ الآن، عن قرب، لتكميل فدائنا وتكميل مقومات قيامتنا. يعمل فينا بنفسه وبروحه القدوس وبقوة قيامته:

ــ «على قدر ذلك قد صار يسوع **ضامناً** لعهد أفضل... فمن ثم **يقدر أن يخلّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله** إذ هو حي **في كل حين ليشفع فيهم**» (عب٧: ٢٢و٢٥).

ــ «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة **باسمي** فهناك **أكون في وسطهم**» (مت١٨: ٢٠).

فالمسيح لا يزال يكمّل عمل فدائنا وخلاصنا ولا يزال يتحمل مع الكارزين حسب وعده تكميل ما بدأه على الصليب:

ــ «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به **وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.** آمين» (مت٢٨: ١٨ــ ٢٠).

ــ «بعد قليل لا تبصرونني (الموت والدفن) ثم بعد **قليل أيضاً ترونني** لأنني ذاهب إلى الآب... فأنتم كذلك عندكم الآن حزن، **ولكني سأراكم** (بعد القيامة) أيضاً فتفرح

قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو١٦: ١٦و٢٢).

ــ «لا أتركركم يتامى **إني آتي إليكم**. بعد قليل لا يراني العالم أيضاً (بعد القيامة) **وأما أنتم فترونني. إني أنا حي فأنتم ستحيون**. في ذلك اليوم تعلمون أني أنا في أبي وأنتم **فيَّ وأنا فيكم**. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، **والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه، وأُظهر له ذاتي**» (يو١٤: ١٨ــ٢١).

ــ «سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم **آتي إليكم**» (يو١٤: ٢٨).

ــ «وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان **والرب يعمل معهم ويثبِّت الكلام بالآيات التابعة**» (مر١٦: ٢٠).

□

٦ . قيامة المسيح أثمرت لنا إرسال الروح القدس الساكن فينا، والذي يعمل فينا لتحقيق القيامة منذ الآن جزئياً

ــ «يسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك. **وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس** من الآب، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه» (أع٢: ٣٢و٣٣).

معروف جداً أن الروح القدس المعتبر أثمن هدية وأعظم موهبة وهبها الله للإنسان إنما أرسله الله كنتيجة حتمية لقيامة المسيح من الأموات، أي كنتيجة مباشرة لتحطيم سلطان الشيطان وفك لعنة الموت وإبطال سلطان الخطية. هذه الأمور التي كانت تعيق تأهيل الإنسان لرؤية الله أو التواجد معه، و بالتالي كانت تحرم الإنسان من لطف الروح القدس ومواهبه وعشرته.

لذلك نبَّه المسيح تلاميذه الحزانى قبل الصليب بقوله:

ــ «أقول لكم الحق إنه **خير لكم أن أنطلق**، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي» (يو١٦: ٧).

وكأنما يريد المسيح أن يقول لنا إن انطلاقه ــ أي القيامة بما فيها الصعود ــ هي مصدر الخير العميم لنا وكأنها تتم لحسابنا، وأنها المصدر الجوهري الذي يتم بواسطته مجيء الروح القدس؛ لذلك يرتبط عمل الروح القدس ارتباطاً أساسياً بتحضيرنا لحالة القيامة، أي لحياة سماوية كخليقة جديدة.

وأعمال الروح القدس في الإنسان لتأهيله بلوغ القيامة أي الخليقة الجديدة تبدأ بالمعمودية من الماء والروح التي يتم فيها الموت والقيامة مع المسيح بسر فائق: «**مدفونين معه** في المعمودية (بالماء والروح) التي فيها أُ**قمتم أيضاً معه** بإيمان عمل الله **الذي أقامه من الأموات**» (كو٢: ١٢).

ولكن لا يتوهم أحد أن أي إنسان يمكن أن يبلغ حالة القيامة، أي التجديد كخليقة جديدة بالروح القدس، في هذا الدهر بلوغاً كلياً، كما يوضح بولس الرسول هكذا:

ــ «**لأعرفه وقوة قيامته** وشركة آلامه، **متشبهاً بموته، لعلي أبلغ إلى قيامة الأموات**. ليس **أني قد نلت أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلي** أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع. أيها الإخوة **أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت**، ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في٣: ١٠ــ١٤).

واضح هنا كل الوضوح أننا بكل ما وهبه الله لنا من قوة قيامة في المسيح، وبكل عطاء الروح القدس، وبكل سعي نشيط وتقدم مستمر، لا نستطيع أن نجزم أننا أدركنا ما أدركه المسيح لأجلنا، أي حياة القيامة الكاملة.

ويعود بولس الرسول في موضع آخر يكشف عن أن فداءنا إلى الآن غير كامل، فنحن ننتظر **فداء الأجساد بالقيامة الأخيرة** من الأموات التي ننتظرها بالرجاء الحي:
ــ «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله (مجد القيامة)... بل **نحن الذين لنا**

باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا» (رو٨: ١٩ و٢٣).

ثم يحذر بولس الرسول كل المغالين في أمر استعلان القيامة وكأنها قد حدثت وكأنما نحن نعيشها الآن بالكامل هكذا:

ــ «فكِّر بهذه الأمور مناشداً قدام الرب أن لا يتماحكوا بالكلام الأمر غير النافع لشيء لهدم السامعين... **قائلَيْن إن القيامة قد صارت، فيقلبان إيمان قوم**» (٢تى٢: ١٤و١٨).

والروح القدس وإن كان لنا بمثابة ختم قيامة للحياة الأبدية على جباهنا وقلوبنا منذ الآن إلا أنه لا يزال يُحسب فقط كعربون إلى أن نرث المجد المحفوظ لنا في السماويات باستعلان كلي:

ــ «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم **خُتمتم بروح الموعد القدوس** الذي هو **عربون ميراثنا** إلى أن نقتني الفداء لمدح مجده» (راجع أف١: ١٣و١٤).

أي أن عمل الروح القدس الآن بالنسبة لشركة المجد في قيامة المسيح لا يتعدى كونه «**رجاء حي**» حسب الحاضر إلى أن يُستعلن بقوة في نهاية الدهور:

ــ «مبارَكٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية **لرجاء حي** بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل **محفوظ في السموات** لأجلكم، أنتم الذين (الآن) بقوة الله محروسون بإيمان، لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير» (١بط١: ٣ــ٥).

غير أن الروح القدس لا يبقى فينا دون عمل فهو مع الصلاة يعيننا لنتغير عن شكلنا ونأخذ شكل المسيح القائم من الأموات قليلاً قليلاً:

ــ «ونحن جميعاً **ناظرين مجد الرب** (قيامته) بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس) كما في مرآة **نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من** (حسب عمل) **الرب**

الروح» (٢كو٣: ١٨).

هـذا بحسب عـمله الآن فينا؛ أي يعدُّنا للنهاية السعيدة للقيامة من الأموات وشركة مجد المسيح.

ولـكـي نـدرك مـدى صلة وأهمية عمل الروح بالنسبة للقيامة يلزم أن نتذكر دائماً أن أول عـمـل عمله المسيح بعد قيامته هو أنه نفخ فيهم الروح القدس واستودعهم إياه ليمكث معهم إلى الأبد لتكميل عمل ما بعد الصليب:

ــ «فـقـال لهـم يسوع أيضاً سلام لكم، كما أرسلني الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس» (يو٢٠: ٢١و٢٢).

ــ «وأنـا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر **ليمكث معكم إلى الأبد**» (يو١٤: ١٦).

ــ «وأما أنتم فتعرفونه لأنه **ماكث معكم، ويكون فيكم**» (يو١٤: ١٧).

هـذا هـو الـروح الـقـدس المعبَّر عنه دائماً في الإنجيل بأنه روح القيامة الذي كان هو العامل الأساسي في قيامة المسيح من الأموات:

ــ «تـعيَّن ابن الله بقوة **من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات** يسوع المسيح ربنا» (رو١: ٤).

وهو هو أيضاً أصبح المنوط حتماً و بالضرورة بقيامتنا نحن أيضاً من الأموات:

ــ «**وإن كـان روح الـذي أقـام يـسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح مـن الأمـوات سيـحـيـي أجـسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم**» (رو٨: ١١).

هـنـا الـروح الـقـدس يحـضـرنـا بـعـد القيامة إلى الآب، لا يفرق بين قريبين (يهود) و بـعيدين (أمم)، لأن المسيح مات عن الإثنين فجعل الاثنين واحداً إنساناً جديداً أمام الله:

ــ «ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين **لأن به لنا كلينا قدوماً في روح واحد إلى الآب»** (أف ٢: ١٦ــ١٨).

□

٧. جسد المسيح المقام، وجسد قيامتنا

جسد القيامة بالدرجة الأولى وعلى المستوى المطلق هو جسد المسيح المقام في مجد دون أن يُمسك من الموت، قام بلحمه ودمه وعظامه دون أن يُعاين فساداً، وهو المعبَّر عنه «بجسد مجده» المتحد بلاهوته «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً» (كو٢: ٩).

أما قيامتنا نحن فيستحيل أن تكون بلحم ودم بل ويستحيل أن نعبر إلى القيامة دون أن نعبر الموت وتجوز أجسادنا الفساد:
ــ «فأقول هذا أيها الإخوة **إنَّ لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد»** (١كو١٥: ٥٠).

أي يلزم لكي نحوز القيامة: «أن هذا (الجسد) الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد، وهذا (الجسد) المائت يلبس عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ,, في نصرة الحياة ابتلع الموت،،» (راجع ١كو١٥: ٥٤). النصرة هنا نصرة القيامة بعمل الرب وروحه القدوس.

وبولس الرسول يرد على السؤال المحير كيف أن الجسد المائت الفاسد بعد أن يموت ويفسد يتغير إلى جسد لا يموت ولا يفسد؟ يقول بولس الرسول:
ــ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلِّصاً هو الرب يسوع المسيح الذي **سيغيِّر شكل جسد تواضعنا** ليكون على **صورة جسد مجده** بحسب عمل **استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء»** (في٣: ٢٠و٢١).

إذاً، جسد المسيح القائم من الأموات هو أصل الصورة ومصدر القوة الفائقة التي ستغير شكل أجسادنا التي ستموت وتفسد، لتصير مرة أخرى في القيامة على صورة جسد مجده. وهذا العمل الفائق إنما يتبع قانون المسيح فيما بعد القيامة: «أن يُخضع لنفسه كل شيء».

أي أنه في القيامة ستستمد أجسادنا شكلها ومجدها من جسد المسيح رأساً. لذلك كان تعبير الكتاب عن قيامة المسيح أنه باكورة الراقدين لا كمثال، ولكن كأصل ومصدر وحامل لسمات القيامة الكاملة للذين سيكونون معه وهم منه وله: «**المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه**» (١ كو١٥: ٢٣).

أما حالة الشبه في جسد القيامة بين المسيح في مجده و بين المختارين الذين سيقيمهم ليكونوا معه فقد تكرر وصفها في مواضع متعددة:

ــ «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم **ليكونوا مشابهين صورة ابنه** ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين» (رو٨: ٢٩).

ومجد القيامة ستستمده الأجساد المقامة من جسد المسيح كالشمس التي تضيء ما يقع في دائرتها:

ــ «متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو٣: ٤).

ويوحنا الرسول وإن كان يعجز عن أن يصف الأمجاد التي سنشترك فيها مع المسيح في القيامة إلا أنه يتيقن من أمر واحد يقرره:

ــ «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون، **ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو**» (١يو٣: ٢).

أما بولس الرسول فيقرر أن الجسد الذي سنقوم به سيختلف عن الجسد الذي نعيش به الآن اختلافاً جوهرياً في أمور لا يحددها ولكن يؤكد اختلاف نوعيتها وإمكانياتها:

ـ «ولكن يقول قائل **كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون**؟ ياغبي الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمتْ (يتغير). والذي تزرعه **لست تزرع الجسم الذي سوف يصير** بل حبة مجردة...، **ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد**. ولكل واحد من البذور جسمه... هكذا أيضاً قيامة الأموات يُزرع في فساد و يُقام في عدم فساد، يُزرع في هوان و يُقام في مجد، يُزرع في ضعف و يُقام في قوة، يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً. **يوجد جسم حيواني ويوجد جسم روحاني** (بعد القيامة). هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير (المسيح المُقام) روحاً محيياً... الإنسان الأول من الأرض ترابي، **الإنسان الثاني الرب من السماء**. كما هو (آدم) الترابي، هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوي (جسد المسيح) هكذا السماويون (أجساد القيام من الأموات). وكما **لبسنا صورة الترابي** (على شكل آدم) **سنلبس أيضاً صورة السماوي** (على شكل المسيح)» (١ كو١٥: ٣٥ــ٤٩).

الترابط العجيب والفائق بين جسد المسيح المقام في المجد وأجساد القديسين في القيامة يصفه الكتاب أنه ترابط عضوي وكأنه جسم واحد للمسيح يتكون من اتحاد أعضاء، فلا يُرى المسيح بدون أعضائه (قديسيه)، ولا تُرى هذه الأعضاء وحدها بدون المسيح:

ـ «لأنه كما أن (أي) جسد هو واحد وله أعضاء كثيرة **وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد**، كذلك المسيح أيضاً. لأننا **جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد** يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً... **وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً**» (١ كو١٢: ١٢و١٣و٢٧).

ـ «ألستم تعلمون **أن أجسادكم هي أعضاء المسيح** (باعتبار ما سيكون في القيامة)» (١ كو٦: ١٥).

ويعود الكتاب المقدس و يلقي أضواءً عجيبة ورهيبة على جسد المسيح الكبير هذا

بأعضائه المهيبة التي أنبتها الله لنفسه وغرسها في جسد المسيح بسرٍّ يفوق العقول. فمرة يعتبر الكتاب المقدس جسد المسيح الكبير هذا بأعضائه أنه كنيسة:

ـ «**إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات** فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، **وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده**» (أف ١: ٢٠ ـ ٢٣).

ومرة أخرى يعتبر الكتاب المقدس أن جسد المسيح بأعضائه هو «بيت الله»:

ـ «من ثم أيها **الإخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية** لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته يسوع... **وأما المسيح فكابن على بيته وبيته نحن إن تمسكنا بثقة الرجاء** وافتخاره ثابتة إلى النهاية (أي إلى القيامة)» (عب٣: ١و٦).

ـ «كونوا أنتم أيضاً **مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً** كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١بط٢: ٥).

حيث المسيح هنا هو أيضاً:

ـ «... **حجراً حياً** مرفوضاً من الناس ولكن **مختار من الله كريم**... والذي يؤمن به لن يُخزَى» (١بط٢: ٤و٦).

ويعود بولس الرسول ويرى منذ الآن الجسد الكبير ينمو ولا يتوقف عن النمو؛ وينمو بشبه المسيح الرأس وكل أجزاء الجسد المتحدة بالرأس مترابطة تعمل وتخدم وتحب في انسجام يفوق العقل:

ـ «**صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه كل الجسد مركباً معاً** ومقترناً بمؤازرة كل مفصل الذي بحسب قياس عمل كل جزء **يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة**» (راجع أف ٤: ١٥و١٦).

ويلاحظ هنا سواء عند القديس بولس أو القديس بطرس أنهما يختلسان نظرة من

وراء الدهور لصورة ما بعد القيامة، لجسد القيامة الكبير هذا بأعضائه الكثيرة القديسة؛ فينبهران جداً ويعودان سريعاً إلى الحاضر، إلى الشبه والصورة، فيرى كلٌّ منهما أنه وإن كان كل شيء يسير الآن وفق القصد والغاية السعيدة إنما جزئياً و ببطء، فيطالبان بمزيد من العمل والإيمان والإنتباه والحذر والإخلاص في خلع الإنسان العتيق لنؤهَّل للجديد المخلوق على صورة الله، لئلا يفقد أحد مكانه المعد!! لأن القيامة تعمل منذ الآن في أرواحنا وترسم في كياننا صورة الآتي:

ـ «إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حق في يسوع **أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد** بحسب شهوات الغرور وتتجددوا بروح ذهنكم **وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**» (أف ٤: ٢١ــ٢٤).

ـ «لا تكذبوا بعضكم على بعض **إذ خلعتم الإنسان العتيق** مع أعماله ولبستم الجديد الذي **يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو٣: ٩و١٠).

علماً بأن خلع الإنسان العتيق ولبس الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه لا يتم الآن إلا بصورة جزئية:

أولاً: كسرٍّ من أسرار عمل النعمة **غير مرئي:**

ـ «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح **قد لبستم المسيح**» (غل٣: ٢٧).

ثانياً: كتعليم وتلقين:

ـ «ياأولادي الذين أتمخض بكم أيضاً **إلى أن يتصور المسيح فيكم**» (غل٤: ١٩).

وثالثاً: كفعل إيمان، وإرادة، ودموع، وجهاد ضد الخطية حتى الدم. والثمن لا نقبضه بالكامل، ولكن الذي نقبضه هنا الآن هو عربون فقط.

لذلك نحن نئن متوجعين لسببين:

الأول: أن الجسد ثقيل وهمومه كثيرة تحرمنا من متطلبات الحركة والوجود الدائم مع الرب.

والثاني: أن الموعد والميراث مرسوم أمام أعيننا في الإنجيل محفوظ لنا في السمويات، نترجاه وكأنه حادث أمامنا، فيلهب قلوبنا ويدعونا لمزيد من الجهد للتغرب عن هذا الجسد.

هذا المنظر يصوره بولس الرسول تصويراً رائعاً في موضعين:

+ «فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر **لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا**... بل **نحن الذين لنا باكورة الروح** نحن أنفسنا أيضاً **نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا**، لأننا **بالرجاء خلصنا**،... وإننا **نتوقعه بالصبر**» (رو٨: ١٨و٢٣—٢٥).
+ «لأننا نعلم أنه إن **نُقض بيت خيمتنا الأرضي** (الجسد الترابي) **فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيدٍ**، أبدي (جسد القيامة). فإننا في هذه (الخيمة أي الجسد) نئن مشتاقين أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء، حتى **لا نوجد عراة؛ لأننا طالما نحن في هذه الخيمة (الجسد الترابي) فنحن نئن مثقلين إذ لا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها** لكي تبتلع الحياةُ المائت. ولكن الذي صنعنا لهذا بعينه **هو الله الذي أعطانا الروح عربوناً**، لهذا نحن نعلم واثقين أننا طالما **نحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب** لأننا نسلك بالإيمان لا بالعيان، **لذلك** بسرور نثق **أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب**» (راجع ٢كو٥: ١—٨).

وإلى هنا نجد أنفسنا وكأننا أمام دعوة جادة للنسك وإلاَّ فماذا يعني سرور النيَّة للتغرب الإرادي عن الجسد الترابي؟ أو قوله: «إن كان الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢كو٤: ١٦)، حيث الخارج هو جسد هذا الدهر والداخل هو جسد القيامة؟

٨ . علاقة جسد القيامة بالنسك

يستمد هذا الموضوع جديته من الآية القائلة: «لذلك فلنحرص أيضاً، مستوطنين كنا أو متغربين، أن نكون مرضيين عنده» (راجع ٢ كو ٥ : ٩). ويقصد بولس الرسول أنه على أية حال سواء جاء المسيح وكنا مستوطنين في الجسد أو جاء فوجدنا متغربين، يلزم ويتحتم من الآن أن نكون مرضيين عنده! أو، باختصار، علينا من الآن أن نحمل مسئولية ما بعد القيامة، ونهيىء أنفسنا للوقوف أمام المسيح، لكي لا نوجد عراة، فنفتضح أمامه وأمام الملائكة والقديسين.

وهنا تحضر أمامنا آية الرؤيا: «تقول إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، **ولستَ تعلم** أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى **وعريان**. أشير عليك أن **تشتري** مني ذهباً مصفّى بالنار لكي تستغني و,, **ثياباً بيضاً**،، **لكي تلبس فلا يظهر خزي عريتك**» (رؤ٣: ١٧و١٨)؛ أما الثياب البيض فهي كما يفسر الوحي نفسه في نفس السفر: «هي **تبرُّرات** القديسين» (رؤ١٩ : ٨).

ويلاحظ في هذه الآية أن الرب ينبه نظرنا أننا **قد نكون مخدوعين** ونحسب أنفسنا أبراراً أي لابسين «ثياب مجد القيامة»، وأن مخازي عرينا وقباحة أفعالنا مستورة عن عين فاحص الكلى والقلوب «ولست تعلم أنك عريان»!

إذاً، فمن الآن يبدأ الفحص والمراجعة. ومن هنا يبدأ شراء الثوب الأبيض بالتفاوض مع تحننات رحمة إلهنا واقتفاء آثار القديسين لاقتناء برِّهم. ولا داعي لخداع أنفسنا، لأنه إن كنا نستطيع الآن أن نكذب وندّعي البر أمام الناس وعلى مسامع الله؛ فلا بد أن يأتي اليوم الذي نقف فيه عرايا مفضوحين تسبقنا خطايانا إلى القضاء، وليس ما يستر خزينا:
ــ «تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى **قيامة الحياة** والذين عملوا السيئات إلى **قيامة الدينونة**» (يو٥ : ٢٨و٢٩).

ـ «لأنه لابد أننا جميعاً نُظهَر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢ كو ٥: ١٠).

إذاً، فمن الآن ونحن في هذا الجسد نصنع لأنفسنا ثوب القيامة: إما بخيوط النعمة المضيئة المغسولة في نقع دموعنا والمبيَّضة في دم الخروف، التي تنعكس عليها صورة المسيح الحي في مجد بهائه، فتُبتلع أخطاؤنا مع كل ظلام أعمالنا الميتة، فنُظهَر معه في المجد وكأننا مثله؛ وإما بقبح أعمالنا وخبث نياتنا وكذب ادعائنا على الله والناس نستنفذ حتى رصيدنا المجاني من رحمة المسيح، فلا يبقى لنا إلا أفعال خزينا التي يظهر قبحها في نور القديسين أضعافاً مضاعفة.

فإلى أي قيامة نحن قائمون؟

(١٩٨٣)

من الصليب ... إلى القيامة

إن حياة المسيح كلها من الميلاد إلى القيامة، بكل الأحاديث والوصايا والوقائع والقصص والتعاليم والمصادمات، تحوي مضمون الصلب والموت بمفهوم الفداء والقيامة، لإعطاء الحياة الجديدة.

ولكن التركيز على **الصلب** هو لإيضاح ثمن الخطية؛
والتركيز على **القيامة** هو لإيضاح مقدار قوة البرّ.

□

١ . المحاكمة والصلب

نحن خطاة متعدُّون على كل الفرائض والوصايا، صغيرها وكبيرها، وبذلك صرنا تحت حكم الموت. ونحن محتاجون إلى تبرئة أمام السماء ليكون لنا نصيب في الحياة الأبدية مع السمائيين. والمسيح، وهو بريءٌ كل البراءة المطلقة بل هو هو الديان الذي يدين، أكمل هذا الحكم في نفسه على كل درجاته القانونية بكل دقة.

أولاً: المسيح قَبِلَ حكم الموت موتاً كاملاً، حيث انفصلت نفسه عن جسده، أما لاهوته فلم ينفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده. ودُفن، لكي يلغي قانون حكم الموت الأبدي بكل مشتملاته، حتى لا يصبح الموت بعد حاجزاً يحجز الإنسان منذ الآن عن الحياة والوصول إلى الله: «الذي به لنا جراءَة وقدومٌ بإيمانه عن ثقة» (أف٣: ١٢).

ثـانـياً: والمسيح، وهو القاضي المعيَّن لفحص كل اتهام، حمل كل أنواع الاتهام التي يستحقها كل إنسان مما يستلزم الموت من جرائها، ومات بناءً عليها.

ثالثاً: قَبِلَ أن يقف قدام بيلاطس البنطي الذي كان ممثِّلاً لأعلى سلطة قضاء لتنفيذ حكم الموت رسمياً حسب طلب رؤساء الكهنة، وبحسب ناموسهم.

براءة من أي ادعاء مدني كمواطن وإنسان

أ ــ ولكن بيلاطس برَّأ المسيح براءة شخصية (لو٢٧ : ٢٣) من كل علّة.

ب ــ ثم وافق على حكم الموت بناءً على ادعاءات الناموس والأوصياء الرسميين عليه، وهم رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون، مما يوضح ضمناً أن المسيح لم يمت بسبب أية علة شخصية وإنما بناءً على **طلب الناموس عامة،** مما يتسحب على كل إنسان، لكي يكون المسيح كفدية عامة. لذلك فبالرغم من براءته، حُكم عليه وصُلب كفاعل شر بحسب الناموس، وجُعل مع الأشرار قبره، ليجد فيه الأشرار محامياً ومخلِّصاً (إش٥٣ : ١٢)، بل وصديقاً وفادياً.

الصليب كشف المضادة العظمى:

و يلاحَظ أن الآلام التي عاناها المسيح من المطاردة والإهانة والكراهية كما وصفه إشعياء في نُبوَّته: «مكروه الأُمَّة، عبدُ المتسلِّطين» (إش٤٩ : ٧)، والضرب حتى الصلب، هي نتيجة المضادة العظمى بين الطُهر الكلي والفساد الكلي، بين الله والإنسان، وهي مضادة مباشرة و واضحة ولازمة بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت. فهو إنسان عادي جداً ولكنه حاملٌ صفات إلهية من طُهر ونقاء وصدق ومواجهة جريئة وتوبيخ صادق للرؤساء. وكان من نتيجة ذلك أن الموكَّلين بالحق والناموس والصدق كانوا هم أول مَنْ لم يحتملوا تبكيته الصامت بحياته في وسطهم. فكان الصلب نتيجة رفض الإنسان لله من جهة، ومن جهة أخرى قبول الله لشركة الإنسان بعد أن تبنى كل ضعفه وخطيته و برَّأه ودفع ثمن جريمته.

فالصليب، في آنٍ واحدٍ، كشف عنف حب الله للإنسان، وعنف غضب الله على الخطية. كما كشف عنف كذب حكم الإنسان على الحق، وفظاعة عداوة الإنسان لله.

وهكذا في الصليب والموت انكشف الاثنان، ورُفع الاثنان: الخطية والعداوة. ولاحِظْ أن عداوة الإنسان ضد الله، عقوبتها الوحيدة هي الفناء. فالمسيح واجه هذه العداوة، فكان الصليب، وهو أعظم عقوبة ممكنة؛ واحتمل ما كان يجب أن يحتمله الإنسان. لذلك كان التجسد ضرورة حتمتها عملية الفداء، وكان هو بدء التغرُّب عن الله واحتمال التذلل: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت٢٧: ٤٦). وهكذا تحمَّل المسيح عبءَ العداوة، عداوة الله والناس، وعبءَ أقصى عقوبتها، ثم تم إلغاؤها باستحقاق بُنوَّته لله، وقداسته المطلقة، وحبه وطاعته الكاملين.

أما سر الصليب وسر الخلاص في الصليب، فهو في أن المسيح، كما كانت له قدرته الفدائية على حمل الخطية في الجسد والآلام الفعلية والصلب، أي عذاب الموت عنا؛ كانت له أيضاً قدرته على رفعها جميعاً عنا: الخطية والآلام والصلب والموت. فهو حملها — كإنسان — ليرفعها كإله، لذلك كانت رسالة الصليب وتذكارها يوم الجمعة العظيمة، ليست رسالة حزن بقدر ما هي رسالة نصرة فائقة على عدو الإنسان، أي على الشيطان والموت والخطية، لإعطاء حياة قيامة جديدة للإنسان وإعادة المسرة والمصالحة مع الله، كمسرة الله.

ولا ننسى أن الرمز كان يحمل هذا الازدواج، أي أن ذبح الخروف (يوم الفصح — راجع خر١٢: ٣—١٤) كان يصحبه تهليل العتق والخروج، وفي نفس الوقت كان يتضمن الانتقام من الأمة التي استعبدت شعب الله. لذلك وجب أن يكون تذكار الصليب، أي يوم جمعة الصلبوت، ممزوجاً بإحساسين:

أولاً: النصرة؛

ثانياً: النقمة:

النصرة على العالم والجسد والشيطان والخطية والألم والقبر والهاوية التي استعبدت الإنسان؛ أما النقمة فعلى الذي استعبد الإنسان بالخوف والرعب من الموت وإذلاله بسلطان الخطية والتعدي والتجديف ــ أي الشيطان.

جوهر رسالة الصليب؛
أعظم مصالحة وأعظم ارتباط بين الإنسان والله:

فرسالة الصليب، ولو أنها في ظاهرها تعبِّر عن خذلان من الله نحو ابنه، وإشهار ومذلة وضعف ومهانة لا تليق بابن الله، إلا أن جوهرها ينفي هذا المظهر الزمني. فكل ما وقع المسيح تحته من مهانة وعار وصليب و بُعْدٍ ظاهري عن الله الآب: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت٢٧: ٤٦)، هذا كله احتمله بسرور ليرفعه إلى الأبد ويلغي سلطانه عن الإنسان ويؤمِّن الإنسان ضده. لذلك، فإن سر التجسد، ولو أنه يحمل في ظاهره التخلي أو الإخلاء κένωσις بقبول الضعف والمهانة، إلا أنه يحمل في جوهره أعظم مصالحة وأعظم قوة وأعظم ارتباط بين الإنسان والله بواسطة الابن. وهكذا كما نزل المسيح إلى الحضيض، إلى القبر والتراب والدفن، حاملاً في جسده لعنة وعار الإنسان وذُلَّه وإخفاقه، هكذا، و بنفس القدر بل وأكثر جداً، قام في مجد ويقين أنه هو ابن الله بقوة القيامة. وإذ قام من الموت، أعلن نصرة الإنسان فيه وحصول البشرية على نفس القيامة والشركة في المجد والميراث والمحبة التي يحب بها الله الآب ابنه الوحيد المحبوب: «... ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به» (يو١٧: ٢٦).

ويتحتم أن ندرك ونثق ونشهد أن الله هو الذي صمم على فداء الإنسان منذ البدء، وهو الذي نفذه في ابنه متحملاً كل عار وقع على ابنه بسببنا: «تعييرات معيِّريك وقعت عليَّ» (مز٦٩: ٩). هنا يكون الصليب هو قوة الله للخلاص بالفعل، وكلُّ الآلام التي رافقته هي ثمن قيامة الإنسان، وتجديد خلقته، وشركة مجده مع المسيح في ميراث الحياة الأبدية.

عالمين علم اليقين أن الله في ذاته لم يكن في احتياج أن يتجسد ابنه ولا أن يؤلّمه بهذا القدر واضعاً عليه كل عار الإنسان، ولكن هي محبة الله الفائضة من نحو العالم كله وكل إنسان فيه.

لم يُمسك المسيح في لعنة الموت، لذلك رفع عن كل إنسان سلطانها القاتل:

كما نلاحظ أن المسيح قَبِلَ الموت بصورة صليب، وليس بصورة أخرى، لأنه هو النوع الوحيد من طرق الموت المحسوب في الناموس أنه لعنة كثمن التعدي على الناموس. فالمسيح قَبِلَ الصليب ليصير لعنة من أجلنا، ليوفي كل عقوبات الناموس مرة واحدة: [«لأنه مكتوبٌ ملعونٌ كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به... المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كلُّ من عُلِّق على خشبة.» (غل٣: ١٠و١٣؛ تث٢١: ٢٣)]

ولكن المسيح لم يُمسَك لا في هذه اللعنة ولا في الموت كثمن اللعنة والتعدي، بل إذ حملها عنا ألغاها بعد أن أكمل كل طلباتها، لأنه هو نفسه قدوس و بلا عيب، ولم يتوقف لحظة، على الصليب أو حتى في القبر، من أن يكون هو البار القدوس الذي يمنح البركة للعالم كله.

فكان المسيح على الصليب هو هو الله الذي دان الخطية في الجسد، أي جسده، ودفع كل أجرتها بالموت: «أجرة الخطية هي موت» (رو٦: ٢٣)، ليرفع عن كل إنسان سلطانها القاتل. وعلى الصليب كان هو هو الديان العادل الذي انتقم للإنسان من عدوه المشتكي عليه ليلَ نهار، وأدانه، وخلّص الإنسان من سلطانه. فالآن، نحن لسنا تحت سلطان الخطية أو الموت أو الشيطان، بل تحت نعمة ربنا يسوع المسيح الذي فدانا بنفسه وصالحنا مع الله أبيه، وأمَّن الفداء بقيامته من الأموات وإعطاء الروح القدس لضمان دوام مغفرة الخطايا وتقديس الحياة ورفع الخوف من الموت، إذ جعله المسيح باباً للحياة

الأبـديـة بقوة القيامة من الموت: «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة» (رو٦: ١٤).

ولـقـد رضـي الـرب أن يـوضـع في قبر وحـيـداً، ويتركه التلاميذ والأهل والأم وجميع الأصـدقـاء، ليذوق وَحْشة الموت تأكيداً للموت. ولكن بينما جميع الأموات يُتركون هكذا إلى الأبـد، قـام هـو في اليوم الثالث ليتقابل عند القبر مع محبيه و يعود سريعاً إلى التلاميذ في الـعلّـيـة، تـأكيداً على أن الموت فَقَد كل جوهره ومظهره. وهكذا أعاد للصورة القديمة المتـعلقة بالموت حقائق جديدة مفرحة ومذهلة. فالقبر كان تعبيراً عن الفساد، هذا تركه المسيح منيراً فارغاً تفوح منه رائحة الأطياب والعطور. والكفن صار تذكار حياة تفوح منه رائـحـة الـقيامة. والدم المسفوك على الصليب لم يعد دم إنسان مات ويمكن أن يفسد، بل دم الحـي المحـيي دم آبن الله، فعَّالٌ، بروح أزلي يمسح ويطهر ويقدس ويحيي الضمائر من كـل الأفـكـار والـتـصورات والأعمال الميتة، وصار دم المسيح الذي تخضبت به الخشبة، خـشـبـة الصليب، صار للحياة ولمغفرة الخطايا. وهكذا انقلبت أدوات الموت وصورته إلى مصادر للحياة والتطهير والتقديس.

أما نفس الجسد المصلوب الذي مات والذي قام، فقد انفتحت أحضانه ليقبل شركة الإنـسـان فـيـه بـسِرِّ الـروح، سواء في آلامه أو صلبه أو قيامته، شركة يعبِّر عنها سر عشاء الخميس، أي سر الأكل من الجسد والدم، بأنها شركة حياة وثبوت واتحاد: «من يأكلني يحـيـا بي» (يـو٦: ٥٧)، «مـن يـأكـل جـسـدي ويـشـرب دمـي يـثـبـت فـيَّ وأنا فيه» (يـو٦: ٥٦)، «...ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد» (يو١٧: ٢١و٢٣).

الإيمان بقوة الفداء، هو المدخل إلى كل هذه النعم:

ولـكـن المدخل إلى كل هذه النعم هو قوة الفداء الذي تم بالصليب، التي إذا آمنَّا بها وحلَّـت فـيـنـا، تجعلنا قادرين أن نتحمل صلب الإنسان العتيق فينا وموته ليحيا إنساننا

الجديد القادر على مقاومة العالم والشيطان، وله سلطان إماتة أعضائنا التي على الأرض، لا بضيق ولا بتململ، بل بفرح سِرِّ النصرة وروح القيامة الساكن فينا، وحيث لا تعود الخطية تسود علينا بعد بل نعمة المسيح، لأن المسيح «أبطل الخطية بذبيحة نفسه» (عب٩: ٢٦). و «أبطلها» تعني في اللغة: «أخلاها من مضمونها كتعدٍّ وأفرغها من سلطانها القاتل».

ولكن إذا لم ندخل بالفعل في شركة فداء صليب المسيح؛ ونحتمل موت الجسد العتيق وصلب الأعضاء التي تخدم الخطية والفساد؛ ونموت بإرادتنا عن شهوات الجسد والعالم، فهذه إشارة خطرة إلى أن قوة القيامة لم تَعُدْ فعَّالة فينا. فعلينا أن نبكي وننقطع للصلاة الكثيرة والتوبة، وننطرح أمام المسيح كل يوم كأموات بالذنوب والخطايا، حتى تعمل فينا قوة قيامته، وعلامتها الثقة بالمسيح التي تتحدى العالم وكل مخاوفه ومرعباته وحوادثه ومصادماته، لأنها تسخر من الموت ذاته. وهكذا ليس كأننا مطالَبون أن نحارب أو نصارع مع الشيطان ونواجه عالم الظلمة بإمكانياتنا الضعيفة، بل علينا أن نتمسك بقوة القيامة المنبعثة من صليب ربنا يسوع المسيح ونستمد منه هو، بالروح، بقوة الإيمان، الاحتمال والصبر على كل ما يقع علينا من ضيقات ومظالم واضطهادات وآلام، باعتبارها أنها هي هي شركة الآلام وشركة الصليب مع المسيح. فإذا قبلناها معه بصبر وبفرح، نتزكى ونُحسب أهلاً للعزاء وقبول سِرِّ قيامته المملوءة بهجة وسلاماً يفوق العقل.

والشركة في آلام وصليب المسيح،
تؤهِّلنا للدخول في سلام المسيح:

كذلك، فإن صلب الجسد بالصلاة باجتهاد في **صلوات كثيرة** يجعلنا فعلاً قادرين ومؤهَّلين لمقاومة الخطية ولصلب الإنسان العتيق، قريبين دائماً من النصرة، مؤهَّلين أن ندخل سلام المسيح، الذي وهَبَنا إياه بقيامته من الأموات.

وبالعكس، فإن أي تذمر على أية ضيقة أو اضطهاد أو ظلم، سواء كان هذا من

أصدقاء أو أعداء يسوقهم الشيطان لتجربتنا، فإن هذا التذمر يُحسب كاستعفاء من شركة آلام المسيح وشركة صلبه وموته. كما أن أي ملل من الجهاد ضد الخطية حتى الدم (الاستشهاد)، بوهمٍ أن للخطية هذا السلطان الكاذب لأن تسود علينا وتستعبدنا، فهذا يعني أن قوة آلام المسيح وصلبه لم نَمسك بها بعد مسكاً جيداً لنأخذ منها قوة الموت عن الخطية والعالم وشهوته، بل وقوة الحياة الجديدة المنتصرة أيضاً. لقد هَزَمَ المسيح الخطية وأبطل سلطانها، وهو يمنحنا هذا السلطان في الصلاة وبالصوم والسهر، بقدر ما نؤمن به ونثق فيه غير مرتابين.

القيامة هي الثمرة الطبيعية لموت ابن الله بالجسد!!

مجد القيامة هو النتيجة الطبيعية لهوان الصليب «المسيح مات من أجل خطايانا...، وأُقيم لأجل تبريرنا.» (١ كو١٥ : ٣؛ رو٤ : ٢٥)

□

٢ . القيامة

+ قيامة المسيح من الأموات حقٌّ اكتسبه لنا المسيح، لأنه من جهته هو لم يكن في حاجة إليها، فهو القيامة ذاتها والحياة، والموت لا يمكن أن يسود عليه ولا يمكن أن يُمسك هو في الموت. لذلك، فقيامة المسيح تمَّت لأنه رضي أن يموت بإرادته، وهكذا أصبح موته هو موتنا وقيامته هي قيامتنا.

والقيامة قوة حياة جديدة دخلت إلى خلقة الإنسان لم تكن فيه قط، ولا هي من صفاته أو حقوقه، ولكنها هبة خالصة، حياة أخرى فوق حياته، حياة جديدة ممتدة في الأبدية مع الله لا يعترضها حزن ولا وجع ولا تنهد ولا موت.

+ حينما تخلَّص المسيح لنا من قضاء الناموس تجاه جميع أنواع الخطايا بالموت الذي

ماته على الصليب، محكوماً عليه بها كمخالف للناموس، اكتسب لنا حق البراءة الأبدية في مصالحة كلية مع الله ضد الناموس لكل خاطىء.

١ . التبرير:

هذا أول حق اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات، أي حصولنا على هبة التبرير أو البراءة تجاه قضاء الله العادل ضد كل عقوبات الناموس. فلم يعد حتى الموت عقوبة، إذ لم نعد نُحرم من وجه الله أو الوجود في حضرته بعد الموت بسبب خطايانا، بل صرنا نُحسب حتى منذ الآن في شركة القديسين وفي زمرة المفديين القائمين مع المسيح تحت مُلكه وتدبيره.

+ ولكن التبرير الذي نحصل عليه بقيامة يسوع المسيح من الأموات ليس حقاً عاماً أو نظاماً خارجياً عاماً يشملنا تلقائياً، بل التبرير هو هبة روحية يتحتم أن نكتسبها نحن أيضاً ونحصل عليها شخصياً، كل واحد، من المسيح بالطلب الحار كاحتياج خاص، وذلك بالصلاة التي يؤازرها عمل وسلوك وحب المسيح الشخصي، بالإضافة إلى تكميل سرَّي العماد من الماء والروح القدس والتناول من جسد المسيح ودمه: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار برِّه في الزمان الحاضر ليكون بارًّا و يبرر من هو من الإيمان بيسوع» (رو٣: ٢٤—٢٦).

فالمسيح اكتسب لنا التبرير بالفداء حسب تدبير الله الآب بعمل وجهاد صعب للغاية، بتحمُّل وصبر على الآلام والاضطهاد والحكم بالظلم وقبول شهادة الزور وتقبُّل الضرب على الظهر والرأس والإهانة والمذلَّة، ثم الرضى أخيراً بأوجاع الصليب حتى الموت، طاعة للآب، لتكميل الفداء لاكتساب برِّ الله لأجلنا ولحسابنا.

لذلك، فنحن نوهب التبرير الذي ظفر به المسيح، حينما نؤمن من كل القلب بما عاناه المسيح قبل القيامة، بل وحينما نكون مستعدين للافتخار والشهادة بكل آلامه

وصليبه، وفوق الكل حينما نكون مستعدين بكل شجاعة للشركة في نفس آلام المسيح بدافع الحب: «تبكون وتكسرون قلبي لأني مستعد ليس أن أُربط فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع» (أع ٢١: ١٣). وهكذا فعل جميع الشهداء بلا استثناء.

لهذا استطاع القديس بولس أخيراً أن يقول: «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربُّ الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢ تي ٤: ٧و٨).

٢ . حياة عدم الموت:

أما الحق الثاني الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الموت فهو حياة عدم الموت. هذه الحياة اكتسبها لنا المسيح لما قام بالجسد وظهر عياناً، وشاهدوه ولمسوه وأكل معهم هو هو كما هو، ليحيا إلى الأبد في عدم الموت، بحيث لا يسود عليه الموت بعد. هكذا صار لنا بالمثل بكل يقين في تدبير الآب أن نقوم بأجسادنا يوم القيامة لنعيش في عدم الموت لحياة جديدة مع الله، حياة أبدية لا تزول ولا يسود عليها موت أو خطية بعد.

إن قيامة المسيح بنفس جسده المصلوب المثقوب اليدين والرجلين والمطعون في الجنب بشهادة التلاميذ وبلمس يد توما، كانت للعالم أعظم وثيقة وعربون قدَّمهما المسيح علناً بشهود، ليؤكد لنا أنه هكذا سنصير مثله على شبه جسد قيامته. هكذا يؤكد لنا القديس يوحنا الإنجيلي والقديس بولس الرسول:

+ «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (أي بجسده الذي رآه التلاميذ ولمسوه وشاهدوه)» (١ يو٣: ٢).

+ «الذي سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في٣: ٢١).

إذاً، فنحن لا نحيا الآن باطلاً ونتعب ونتألم كأننا سننتهي، بعد هذا الجهد والجذب الشديد في هذا العالم، إلى لا شيء؛ بل إن لنا نهاية سعيدة تنتظرنا بعد تكميل نصيبنا في أيام هذا العمر، إذ قد تجهَّزت لنا قيامة لبداية حياة جديدة ملؤها الفرح ولها من أسباب السعادة والسلام والشكر ما لا نهاية له، وليس كما اختبرناه في هذا العالم الذي كل ما فيه زائل ومتغيِّر ولا مسرة حقيقية تدوم فيه: «ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو١٤: ٢٧). أما هبة عدم الموت فسننالها بأجسادنا بعد أن تتغير حتماً وتصير على شبه جسد المسيح المقام، كنموذج أعلى لحياة عدم الموت التي وهبها الله لنا لنكون ليس مثله فقط بل ومتحدين فيه أيضاً، لأن بدون الشركة الفعلية في قوة قيامة المسيح والاتحاد به، لا يكون لنا هذا الجسد الجديد، جسد القيامة لحياة عدم الموت، في نور الله الأبدي، كما يتخذ الغصن وجوده ونموه في أصل الكرمة آخذاً منها خواصها كلها ليحيا بها وفيها، وكما الأصل هكذا تكون الأغصان، كما يقول الإنجيل: «لأننا... من لحمه ومن عظامه» (أف٥: ٣٠).

٣ . حياة جديدة:

أما الحق الثالث الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات فهو أن نحيا منذ الآن وفي هذا الدهر عربون القيامة المزمعة أن تكون وعربون نوع الحياة الأبدية، بأن نحيا منذ الآن في جِدَّة الحياة، أي نحيا حياة جديدة ليست كالأولى حسب الجسد العتيق وشهواته، بل حياة جديدة حسب الروح وحسب الله، بإنساننا الجديد الذي سيوهب لنا بصفات المسيح بقيامة المسيح من الأموات: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة وَلَدَنا ثانية لرجاءٍ حيٍّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظٌ في السموات لأجلكم، أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير، الذي به تبتهجون (الآن)» (١بط١: ٣-٦).

وهذا الميلاد الثاني لا نحصل عليه كهبة عامة تشملنا خارجياً، بل هو هبة خاصة

لـكـل واحـد، ينالها بعد المعمودية والتناول بواسطة الانشغال القلبي والفكري بالإنجيل، بـكـلمة الله الحية، بحياة يسوع المسيح وأقواله وتعاليمه المسجلة لنا في الإنجيل، حتى تسكن كـلمة الله في قلوبنا بغنى، وتخصب الحياة كلها، كما يقول القديس بطرس الرسول، كل واحـد بصفاته الخاصة التي يستمدها حسب قامته الروحية: «مولودين ثانيةً، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بط١: ٢٣).

أي إن كـلـمـة الإنجيـل هـي هي التي تهبنا حياة جديدة، وكأننا مولودون ثانية بقوة الـروح، نـفـكـر ونـدبـر ونعمل ونسلك سلوكاً جديداً تشهد له ضمائرنا وتفرح له قلوبنا، وكأننا قد قمنا فعلاً مع المسيح وذُقنا حياة ما بعد الموت. وكل يوم نرى رحمة جديدة وعناية مـن النعمة، وكأننا فعلاً نعيش في ملكوت الله تحت تدبير المسيح ونعمته المخلِّصة؛ ونذوق تقديس الكلمة وفعل السر ومحبة الرب يسوع ونتحكم بكل حكمة الخلاص؛ ونفرح بمشيئة الله مـهما كـانت ظروف أحوالنا الجسدية في العالم؛ و يتأكد لنا في كل معاملة جديدة مع الـرب أنـنا ننال منه حياة جديدة لا تمتُّ إلى طبيعتنا الأرضية، ولكنها تهتف في أعماقنا أن المسيح قـام حقاً من الأموات، ونحن أنفسنا نكون ثمرة قيامته التي نعلنها في حياتنا؛ ونختبر سَبْقَ تـذوُّق الـشـركـة في مجـده هـناك، حسب وعده، كعربون قيامتنا و برهان تبريرنا المجاني الذي وهبه لنا بالفداء بالكفَّارة بدمه، لنخدمه ونخدم قيامته بطهارةٍ، النهارَ والليـلَ، بـتـسـبـيـح قـلـبي لا يـنـقـطـع وصلاة شكر لا تهدأ؛ والروح يعين ضعف صلاتنا بتشجيع دائم، ويرشدنا كل يوم إلى عمل جديد يُرضي محبته. وبهذا نصبح بحياتنا الجديدة شهوداً لقيامة المسيح وشهوداً لعمل قيامته في تجديد الإنسان.

وهكذا نرى، بوضوح، أن «**المسيح قام. حقاً قام**» ليست بالقول كنداء التحية أو مجرد تعبير إيماني، ولكنها شهادة لحقيقة نحياها ونقدمها للآخرين.

بـل وعلى الـنـقـيـض جـداً، إذا لم نكن نحيا حياة البر والطهارة، وتشهد أعمالنا علناً بـنـعـمـة المسيح للروح القدس العامل فينا، نكون فاقدين كلَّ مكاسب قيامة المسيح، ولا

يكون المسيح قد قام بالنسبة لنا بل ونكون نحن لا نزال أمواتاً بالذنوب والخطايا، ويكون الإيمان ميتاً، بحسابات القديس يعقوب الرسول (يع ٢: ١٧).

ألسنا أعضاءً في جسد المسيح؟ ألسنا أعضاءً ملتحمة به؟ إذاً، فقيامة المسيح ليست منطوق إيمان أو مجرد تقرير حقيقة نتحمس لها بأفواهنا، بل هي هي حياتنا الجديدة المقامة الآن في برٍّوسط ظلمة وجحيم هذا العالم الذي نعيشه، وهي النموذج الذي قبلنا أن نعيشه بعد الموت في حياة مُقامة لا يسود عليها الموت.

كذلك حينما ننشد أنه «**بالموت داس الموت، والذين في القبور وهب لهم الحياة**»، فنحن نقرر أننا في جانب الانتصار الذي انتصره المسيح على الموت وألغاه وفكَّ قيوده عن الموتى، وأنه أوقع الشيطان وانتزع منه سلطانه فألغى الخطية وألغى الموت والهاوية. فإذا كانت الخطية لا تزال تظهر كأنها قائمة وفعالة في العالم، وكذلك الموت، فهذه صورة مزوَّرة أخذت وجودها الكاذب بسبب ضعف إيماننا وعدم رؤيتنا الصحيحة وضآلة التفوق الذي نصنعه. فالخطية تتحرك فينا حركة كاذبة مع أنها مقتولة ومقهورة؛ والشيطان يرعبنا بحركاته، مع أنه مضروب ضربة الموت، وقد أُعطي لنا أن نصرعه في أية معركة. وحقيقة الخطية والموت والشيطان معاً، يصفها أحد الأتقياء بأنها مثل حالة لاعب غبي للشطرنج مهزوم أمام خصم ذكي جبار تحرك حركة سريعة ضده فأرداه مهزوماً وليس أمامه اختيار، ووقف الغالب ينظر حيرة المغلوب وهو يتحرك حركة اليأس، لأنه سدَّ عليه كل المنافذ، فكل حركة تقرَّبه من النهاية المحتمة.

الشيطان فَقَدَ قوة حركته عندما صُلب المسيح، لأنه استخدم أقوى أسلحته وهو الموت إزاء مصدر الحياة فانتُزِع سلاحه إلى الأبد: «رئيس هذا العالم قد دِيْنَ» (يو١٦: ١١)، «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (لو١٠: ١٨). فكل الوقت الذي يمر الآن بالنسبة للشيطان والخطية هو وقت لا قيمة له بالنسبة للنهاية المحتمة لانكشاف وإعلان الانهزام الأبدي النهائي للشيطان وعالم الإثم. أما بالنسبة للمسيح نفسه فقد

«**أكمل**» **كل شيء** على الصليب (يو١٩: ٣٠). ونحن الآن نمر في أزمنة الخلاص لتكميل كل شيء، لنكون وفق القصد والغاية التي من أجلها مات المسيح وأنهى على قوة الشيطان. نحن في أزمنة تكميل تدبير خطة الخلاص لجمع كل ما في السماء وعلى الأرض: «دُفع إليَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت٢٨: ١٨و١٩). وقد أعلن الرسول أن السماء كان ينبغي أن تقبل المسيح الى حين ردِّ كل شيء أو اكتمال كل شيء (أع٣: ٢١).

فالزمن الذي يتحرك الآن أمامنا، مع نشاط الخطية وحركة الموت وتسلُّط إبليس على الناس، هو محسوب أنه زمان منتهٍ. فالخطية مغلوبة، والموت بطلت قوته: «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢كو٥: ١٧). نحن لا نعيش بعد في «عُتق الحرف» بل في «جِدَّة الروح»؛ بل إن الخليقة كلها في زمانها الآن ــ و بعد أن أدخل ربنا يسوع المسيح الفداء إلى العالم وخصَّ به الإنسان ــ يقول عنها القديس بولس الرسول:

+ «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء **أجسادنا**» (رو٨: ١٩ــ٢٣).

وزمان جديد:

إذاً، نحن نحيا حياتين: حياة تكميل لأعواز الجسد غير محسوبة، إذ هي امتداد لتكميل الماضي الذي يعمل لإنهاء ذاته، وكل حوادثها زائلة تسير بالقصور الذاتي نحو النهاية المحتومة؛ وحياة أخرى خرجت من باطنها بالصليب والقيامة، جديدة روحية لا تنتهي، تمتد بعد الموت في الأبدية. الأولى مستعبدة للحرف، والثانية حرة بالروح القدس، وقد أُعطي للإنسان أن يحول حوادث هذا الزمن الضائع (الذي كما يقول عنه الكتاب: «الأيام شريرة» و «الوقت مقصَّر» و «العالم كله قد وُضع في الشرير» ــ

أف ٥: ١٦؛ ١ كو٧: ٢٩؛ ١يو٥: ١٩)؛ يحوّلها بالصلاة والحب والبذل والقداسة والتعفف إلى فضيلة وبرٍّ تخدم الأقداس العليا والأبدية. الخطية الآن تتحول إلى برٍّ بالنعمة.

الزمن الأول يحوي كل التراث الآدمي، وهو يبدو كتاريخ مع أنه لا يزيد عن كونه قصة تستهلك نفسها بنفسها ويطويها الزمان إلى لا شيء. أما الزمن الثاني، فهو زمن يسوع المسيح، ويحوي قصة الخلاص العظمى التي تغطي كل الزمان الأول وتتعمقه وترتفع به إلى الأمجاد العليا، هو تاريخ المسيح منذ سفر التكوين حتى الرؤيا بحوادثه المركزية الثلاثة: الموت، والقيامة، والصعود. لقد مُنح لنا أن ندخل تاريخ المسيح الشخصي بالميلاد الجديد ونُحسب أن نكون أهلاً لبيت الله وليس بعد غُرباءَ ونُزَلاءَ على الأرض. إننا، بأعمالنا التي نعملها بالصلاة والحب والبذل حاملين صليب يسوع المسيح ونقبله ونُدخله إلى قلوبنا وواقع حياتنا، نؤرِّخ للمسيح فينا جديداً وللزمن الجديد ولنصرة المسيح على الخطية والموت والشيطان، مسيح القيامة والحق والحياة. لقد صارت حياتنا الجديدة في عمق أعماق تاريخ المسيح الحي الأبدي الذي لا يزول ولا يتحول، الذي جمع فيه شتات الإنسان لكي لا يبقى الإنسان وحيداً قط.

وبذلك، فإن أعظم حوادث الإنسان اليومية على مستوى الجسد والعالم، تُحسب أنها لا شيء، وأنها حتماً ستتقلص عبر الزمن لتصبح غير ذات قيمة؛ أما أعمالنا الروحية التي نعملها بالروح بإخلاص بشهادة المسيح والضمير لمجد الله إنْ بالصلاة أو بالدموع أو بعمل البذل والحب والاستشهاد، فهي نقط مضيئة ثابتة وباقية أبد الدهور، تتضخم لتصبح ضمن تاريخ المسيح كنور حقيقي يسير على هداها الألوف بلا توقف.

وهكذا، فإن قيامة المسيح كشفت عن حياة نصرة كاملة جديدة، عن عالم بأكمله أُعِدَّ ليصير الإنسان مستوطناً فيه أبداً أبدياً، بعد أن كان متغرباً على الأرض وحيداً في هذا العالم مهزوماً متغرباً حتى عن ذاته، يستهلك نفسه ويستهلك عمره وزمنه ويرتضي في النهاية بأن يُدفن تحت التراب. قيامة المسيح خلقت أملاً، بل عالماً جديداً للإنسان يحيا

فيه جديداً، غير وحيد.

وهكذا، فإمَّا نقبل هذه القيامة التي قامها المسيح على أنها لحسابنا وعلى أساس شركتنا فيها كبداية لحياة جديدة، وإمَّا نستهين بها فلا يتبقى للإنسان إلا خرافة الواقع الممزَّق ووحشة الحياة اليومية بحوادثها الآيلة للانحلال ثم للزوال، يحيا دائماً في خوف من الموت ومن المستقبل تحت ثقل ضمير الخطية المميت، ينظر إلى الشيطان باحترام ورعبة، وإلى الخطية كقوة حتمية، وينتظر الموت كأنه حقيقة انتهاء كل شيء، حقيقة لا تُدحض. فهنا يحكم الإنسان على نفسه أنه يحيا خرافة فظيعة قوامها سيادة الشيطان والخطية والموت، هذه التي قد حطمها المسيح على الصليب وأنهى عليها تماماً، وفضحها بقيامته علناً، لكي يدوسها الإنسان كما داسها المسيح.

لقد اتضح للقديس بولس الرسول أن زمن الناموس والخطية عتق وشاخ، وهو إلى اضمحلال، لأن المسيح دشَّن بقيامته أزمنة الخلاص لحياة البر الأبدي.

وإن كان هناك من لا يرى حقيقة القيامة ولا يحس بأزمنة الخلاص ولا يفهم إمكانية الولادة الجديدة، فهذا لا يلغي أن المسيح قام حقاً وافتتح طريق الحياة الأبدية والنور والخلود لتطرقه رِجْلُ الإنسان، وتنفتح عيناه لرؤية وجه المسيح القائم من الأموات وهو يمنح العطايا، جالساً عن يمين العظمة، معلناً قيام ملكوت الله وحكم الدهور، وأن الآن هو زمن التدبير لتكميل فترة الشهادة، وأن الله بصبره وطول أناته ترك للعالم أطول فرصة ممكنة ليشهد لنصرة المسيح على الشيطان والخطية والموت، لكي يكون مجيئه الثاني لإعلان نهاية مهلة الخلاص و بدء الدينونة العتيدة.

إن من يظل لا يرى ولا يحس ولا يؤمن ولا يشترك، لا يمكن أن يضع العيب على الله الذي أرسل ٱبنه علناً. فالذين شهدوا وعبروا هم ألوف ألوف وربوات ربوات، إنما العيب على العين الكليلة والآذان المسدودة والفكر المطموس للإنسان الذي استنزفته شهوته في كافة ميادين عالم الشهوة والضلالة وتمجيد الشيطان من حيث لا يدري.

القيامة والحياة الجديدة، تحتاجان إلى رؤية جديدة:

إن المسيح تراءى لكثيرين ممن اختارهم وليس للجميع، تراءى للذين انفتحت قلوبهم لرؤية أبعاد الحياة الجديدة ـــ المجدلية وقفت أمام المسيح بعد القيامة مدة تخاطبه كأنه البستاني، لأنها كانت تحت أبعاد رؤية الإنسان العتيق، ولكن لما انفتحت عيناها وانفتح قلبها للعالم الجديد، عرفت المسيح، وكذلك كثيرون من التلاميذ لما رأوه شكُّوا أولاً لأنهم كانوا منحصرين في توقعات الرؤية القديمة بأبعادها القديمة. والمسيح قام هو هو بجسده، إنما بأبعاد جديدة لا تحدُّها أبعاد هذا الزمان. لقد دخل العلِّية والأبواب مغلقة. كذلك تلميذا عمواس، فقد قابلهما المسيح ولم يعرفاه في الطريق، وحادثهما طويلاً في نقاش وبحث طويل حتى إلى وقت كسر الخبز حيث انفتحت أعينهما فعرفاه.

هذه هي الحياة الجديدة والقيامة التي أنشأت في الإنسان كياناً وقدرات ورؤية أعظم بكثير مما هي عليه الآن. لذلك، فالإيمان بالمسيح والقيامة والحياة الأبدية تحتاج إلى عين جديدة وأذن جديدة وقلب وفكر جديدين: **«تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم»** (رو١٢: ٢). هذه الآية هي الدليل الذهبي لطالبي الدخول في عِشْرة المسيح: **«قلباً نقياً أُخلُقْ فيَّ يا الله»** (مز٥١: ١٠).

إن أمور المسيح وعطاياه الآن تفوق عقل الإنسان، و يتحتم أن يكون الإنسان مستعداً للتغيير تحت يد الله والروح القدس، حتى يصير ابناً للقيامة وأهلاً للشركة مع المسيح وقديسيه.

والمسيح جعل للإيمان قدرة واتساعاً وسلطاناً لقبول كل ما تستطيع الرؤية الحسية أن تحصل عليه. هكذا أعلن المسيح لتوما الرسول الذي صمم أن يقترن إيمانه بالقيامة بإحساس أصابعه!! فرأى وأحس وآمن!! ولكن إزاء هذا التصعيب في الإيمان المشروط، أعطى المسيح للإنسان باباً سرياً لقبول الدخول إليه بدون رؤيا حسية من أي نوع، فقال لتوما: «لأنك رأيتني يا توما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو٢٠: ٢٩). هذا هو

المدخل السري العجيب للمسيح المقام من الأموات الذي به نتقابل معه في القلب بالرؤيا غير الحسية بالإيمان الذي يفوق الحواس جميعاً والعقل أيضاً، لأن أبعاد الرؤية اللازمة لإدراك القيامة هي فعلاً فوق طاقة الحواس والعقل والمنطق، ولكن هذه هي طبيعة القيامة.

المسيح القائم من الأموات الآن، هو مركز التاريخ الثابت والدائم والحقيق، وتدور حوله كل حوادث الإنسان. أما الحوادث التي لا تمتُّ للمسيح بصلة فهي خارج التاريخ. هي بروزات وأعراض مَرَضية، تتقلص وتموت وحدها، وهي ليست بذات قيمة في مصير الإنسان الجديد، مهما كان وزنها وقيمتها التاريخيان.

والإنسان لا يستطيع أن يمزج بين تاريخ المسيح القائم الحي العامل لتكميل ملء كل شيء لاستعلان ظهور ملكوت الله، و بين حوادث وأعمال ونشاطات لا تمتُّ بصلة للإنسان الجديد ومسيرته مع الله.

عيـــد الصعـــــود

من أدنى الاتضاع ... إلى أعلى الانتصار

المسيح ليس فقط نقض أوجاع الموت وقام منتصراً، بل وارتفع أيضاً بعد أربعين يوماً إلى أعلى السموات ودخل إلى عمق العظمة الإلهية في المجد الأسنى، بعد أربعين يوماً مكثها المسيح على الأرض وهو يظهر لتلاميذه ولكثيرين، يحقق لهم أثناءها قيامته بجسده ويعطيهم النموذج المنظور للقيامة العتيدة التي سنحصل عليها عند مجيئه الثاني. فكان المسيح يدرِّب حواس تلاميذه لتتسع لإدراك واقع القيامة، لأن القيامة بالنسبة لنا ستكون على مثال قيامة المسيح تماماً، أي قيامة بالجسد الذي يمكن أن يرى ويحس ويتكلم ويسمع ــ أي في دائرة الحواس الجسدية ــ إنما باتساع وعمق وأبعاد أخرى جديدة تفوق الحواس الحاضرة وإدراك العقل العادي.

أما المواضيع التي كان يتكلم فيها مع تلاميذه والذين ظهر لهم، فهي **أولاً** تحقيق أنه هو المسيا بحسب جميع الكتب، **وثانياً** كان يشرح لهم الأمور المتعلقة أو الخاصة بملكوت الله، أي وضعنا الجديد مع الله كأحباء وأبناء بالنعمة وورثة مع المسيح لأمجاد البنوة، الأمور التي استطاع التلاميذ أن يبشروا بها بعد حلول الروح القدس بعد ما أخذوا قوة من الأعالي لتنير أذهانهم وتذكِّرهم بكل ما علَّم به المسيح.

عمل الصعود:

١ . بالنسبة لنا :

أما نتائج صعود المسيح إلى السماء بالنسبة لنا فهي:

أولاً: التحقيق الأعظم لقيامته من الأموات.

ثانياً: السند الجديد الذي نالته البشرية بموقع يسوع المسيح الآن من العالم، فهو ارتفع

فوق جميع السموات ليجلس عن يمين الآب.

ثالثاً: وليبدأ عصر التدبير الخلاصي، يقوده من السماء كملك جالس على عرشه يدير شئون مملكته ويحكم. والمزمور يصوِّر هذا بالروح القدس تصويراً عجيباً: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مز١١٠: ١). هنا واضح أن المسيح جلس ليَهَبَ أحباءه مواهبَ ويُخضع أعداءه تحت قدميه. وكلمة «حتى» تفيد السبب والنهاية معاً. وفي موضع آخر يقول: «أنا أُقِمتُ منه ملكاً... اسألني فأُعطيك الأمم ميراثاً لك وسلطانك إلى أقصى الأرض لترعاهم بقضيب من حديد» (مز٢: ٦و٨ ـــ الترجمة السبعينية).

٢ . تدبير أزمنة الخلاص:

فمنذ أن تم الصعود تكون قد بدأت أزمنة الخلاص وحكم المسيح لتكميل الشهادة بالكرازة الملهمة بالروح في كل أنحاء العالم، حيث **أساس** الشهادة هو قيامة المسيح من الأموات، غالباً الموت وقاهراً لسلطان الشيطان والخطيئة. أما غاية الشهادة والكرازة فهي الإيمان بالمسيح كفادٍ ومخلِّص، حتى إن كلَّ من يؤمن بموته وقيامته يخلُص وينال الحياة الأبدية بالتوبة والاعتماد باسم يسوع المسيح لغفران الخطايا.

٣ . سلطانه اللانهائي في الحكم والتدبير:

ويلاحظ أن المسيح، قبل صعوده، كشف لتلاميذه حقيقة سلطانه الجديد الذي سيعمل به كل الأيام إلى انقضاء الدهور: «دُفع إليَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا (يلاحَظ هنا حرف «فاء» أي «بناءً» على هذا السلطان الهائل) وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين» (مت٢٨: ١٨ـــ٢٠).

٤ . المواهب المترتبة على صعوده وجلوسه عن يمين الآب :

أما القديس بولس الرسول فيشير إلى الإفادة العظيمة التي نلناها بخصوص ثمرة صعوده إلى السماء : «... الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف ٤ : ١٠). هنا يوضح عمل الصعود وثمرته و وظيفته بالنسبة لنا ، فهوإذ صار في مركز القوة الأعظم مع الآب ، فهذا لكي يملأ الكل بالمواهب الخاصة بالخدمة والكرازة وتدبير شئون الكنيسة بمواهب الرسل والأنبياء والمبشرين والرعاة والمعلِّمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح . وإلى هذا الحد تنتهي رسالة الصعود فوق أعلى السموات .

٥ . تأمين سلطانه للحكم والتدبير كرأس الكنيسة :

والقديس بولس الرسول أيضاً يربط صعود المسيح بعمله من أجلنا وفينا ، ويوضح مدى التأمين الذي ناله ضد جميع أعدائه حتى يكمل عمله : «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته ، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين ، **وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين** ، حسب **عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح** ، إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات **فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى، ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه ، وإيّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة** ، التي هي جسده ، ملء الذي يملأ الكل (كل شيء) في الكل (كل أحد)» (أف ١ : ١٨ــ٢٣).

هنا يوضح القديس بولس الرسول أن عمل الصعود وعمل القيامة اللذين عملهما الله في المسيح يشيران إلى «عظمة قدرته الفائقة **نحونا** حسب عمله الذي عمله في المسيح ، إذ أقامه وأجلسه عن يمينه ، ليكون رأساً للكنيسة !!» . وفي نفس الوقت و بصورة أساسية وهامة جداً ، أعطاه كل السلطان الذي لله «لكي يُخضع كل شيء تحت قدميه» ، لتشهد الكنيسة عملياً بنصرة المسيح الحقيقية فوق الشيطان والموت والخطيئة ، لتأمين عمل الكنيسة على مدى كل أزمنة الخلاص والشهادة بنصرة الرب ، بمؤازرة سلطان

المسيح في إخضاع كل أعدائه الذين هم أعداء الكنيسة، إلى أن تكمُلَ أزمنة الكرازة وتُكمِّل الكنيسة رسالتها.

٦ . الصعود والجلوس عن يمين الآب بالنسبة للمسيح نفسه:

كذلك، فإن صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب، وهما عمل الله من نحونا ليحكم المسيح السماء والأرض بسلطان الله الفائق، هما أيضاً **لتكميل استعلان يسوع المسيح نفسه للعالم بواسطة الكنيسة**، وهذا يوضحه القديس بولس الرسول أيضاً بقوة: «لذلك رفَّعه الله أيضاً وأعطاه آسماً فوق كل آسم، لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترفَ كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب» (في ٢: ٩ــ ١١).

+ «لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطيتْ هذه النعمة أن أُبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى وأُنير الجميع في ما هو شركة السِّرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكي يُعرَّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أف ٣: ٨ــ ١١).

ويلاحَظ أن كلمة «يجلس عن يمين الله» أو «عن يمين العظمة» لا تفيد المكان، ولكن الاصطلاح كله يفيد معنى التساوي مع الله في الوظيفة. فإن الله الآب أرسل آبنه إلى العالم ليعمل عمله الخاص بنفسه، ثم أجلسه الآب عن يمينه ليحكم بواسطة يسوع المسيح ويدبر الكنيسة لتكميل أزمنة الخلاص. لأنه أُعطي كل سلطان الله ليكمل مشيئته من نحونا. فالمسيح هنا هو هو قوة الله، وهو الحامل لعظمة وسلطان الله من نحونا لتكميل مقاصده، وتجاه أعدائه أيضاً.

وقوله إنه «رأس الكنيسة» فهو يعني أنه المدبِّر والحاكم، وأن كلَّ من في الكنيسة من رئاسات بعد ذلك أو مجامع أو خدام، إنما يعملون بحسب تدبيره وحُكمه و باسمه،

وليس باسم أنفسهم، وسلطانهم ينحصر في تكميل مشيئته.

ولكن حكم المسيح الآن يتعدى الكنيسة، فالكل خاضع له تحت قضيب مُلكه. فالخليقة كلها تأتمر بأمره، لأنه ليس انفصال بين عمل تدبير ابن الله كخالق للخليقة، وعمل ابن الله كفادٍ، وعمل ابن الله كمدبر للكنيسة والخليقة كلها. وكل إنسان وكل شيء خاضع له، سواء درى بذلك أم لم يدرِ. لذلك قلنا إن المسيح هو مركز التاريخ وكل حوادث العالم؛ وإن الكنيسة تدور حوله، وإن كل ما هو خارج المسيح هو خارج التاريخ الحقيقي الذي يعمل ويهدف نحو تكميل عمل الخلاص الأبدي.

علماً بأنه، كما سبق وقلنا أيضاً، فإن الخليقة كلها مرتبطة بتكميل فداء الإنسان، وتكميل فداء الإنسان يبلغ مداه بفداء الأجساد، أي بقيامة الأموات التي تنتهي عندها أزمنة الخلاص ويكتمل حكم المسيح وتدبيره الخلاصي.

٧ . صعود المسيح ودخوله الأقداس العليا في السماء (العليا الروحانية)، مهّد الطريق للإنسان، وفتح الباب الذي كان مغلقاً أمامه على مدى كل الدهور السالفة:

أ ــ ارتفاع المسيح بالصعود ودخوله إلى الأقداس كسابق من أجلنا:

معروف أن المسيح دخل الأقداس العليا (كسابق من أجلنا)، «فوجد (لنا) فداءً أبدياً» (عب٩: ١٢). ويصوِّر القديس بولس الرسول أنه كان بين الله والإنسان حجاب يستحيل على الخاطىء أن يخترقه، والذي يمثله حجاب الهيكل الذي يحجز قدس الأقداس. ولكن بموت المسيح الكفَّاري، تمت المصالحة، فانشق الحجاب على الأرض، أما الذي في السماء فكان ينتظر صعود المسيح الفادي كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق، ويمثله القديس بولس الرسول بالهلْب، أي مرساة المركب التي تُلقى في أعماق البحر فتجذب المركب، هكذا دخل المسيح كمرساة مؤتمنة للنفس إلى ما داخل الحجاب، أي «**ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا**» (عب٩: ٢٤)، وذلك ليجذب النفس إلى الحضرة الإلهية لتتراءى معه أمام الله بلا لوم في محبة يسوع المسيح الفادي:

«الذي هو لنا كمرساة للنفس، مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا» (عب٦: ١٩و٢٠).

ويدعونا القديس بولس الرسول، بناءً على ذلك، أن نمسك بالمسيح لأنه هو الرجاء الموضوع أمامنا حتى يجذبنا إلى قلب الله.

ب ــ ارتفاع المسيح بالصعود ودخوله إلى الأقداس كوسيط يحملنا في دمه وجسده:

هذا الدخول المبارك والفائق العظمة إلى الأقداس اكتسبه المسيح لنا بدم نفسه، أي باستحقاق الفداء الذي أكمله على الصليب بسفك دمه. وهذا الدم عينه هو فديتنا، فهو يحمل حياتنا الجديدة وأسماءنا الجديدة المنقوشة على يده. بهذا الدم وجسد الفدية معاً صار لنا استحقاق الدخول، كما يشرحه القديس بولس الرسول هكذا:

\+ «فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب، أي جسده...» (عب١٠: ١٩و٢٠).

فالجسد الذي تمزَّق على الصليب مزَّق الحجاب الفاصل. فإذ نأكل جسده المكسور لأجلنا، نعبر بلا مانع، إذ لم يعُدْ حجاباً فاصلاً بل حجاباً واصلاً إلى حضرة الآب.

والدم الذي سُفك لأجلنا على الصليب، هو عوض دمنا المطلوب سفكه بالموت بسبب الخطية، فإذ نشرب دمه، نشرب حياته بروحه الأزلي، لنعبر فوق الموت، لأنه أحيانا مع المسيح مبرَّرين.

٨ . الصعود والجلوس عن يمين الآب لعمل الشفاعة الدائمة تكميلاً للفداء:

جلوس المسيح عن يمين الآب ممثِّلاً لنا، فتح أمامه باب الشفاعة الدائمة عنا أمام الآب. وفي نفس الوقت أهّله موته السابق لأجل الخطاة أن يحامي عنهم إزاء كل ادعاء أو شكوى تقدَّم ضدنا من عدوِّنا الذي يتمسك بخطايانا ليشتكي بمقتضاها علينا ليل

نهار: «يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً» (رؤ١٢: ١٠).

يقول القديس بولس الرسول:

+ «فماذا نقول لهذا؟ إن كان الله معنا فمن علينا؟ الذي لم يُشفق على آبنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟ مَنْ سيشتكي على مختاري الله؟ الله هو الذي يبرِّر. مَنْ هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا» (رو٨: ٣١—٣٤).

هنا يركز القديس بولس الرسول على أربع نقاط:

الأولى: حقيقة أن «الله معنا»، هذا أمر تحتم بتجسد المسيح المسمَّى «عمانوئيل» الذي تفسيره «الله معنا».

الثانية: إن الله أحبنا وبذل آبنه على الصليب كفدية لأجلنا، لذلك فإن أية موهبة أو عطية أو نعمة مهما بلغت، فإنها تكون أقل ألف ألف مرة من أن يموت الابن مصلوباً لأجلنا. لذلك يكون من المستغرب أن يتوقف الله عن أن يعطينا كل شيء نحتاجه لحياتنا الأبدية ولأن نكون مع المسيح كل حين.

الثالثة: إنه مهما كانت خطايانا نافعة للشيطان ليقيم شكواه علينا، فإن كل شكوى تُرفض رفضاً نهائياً، لأن الله نفسه هو الذي أعطانا صك البراءة من كل خطية بواسطة صليب المسيح ودمه.

الرابعة: إن فوق كل شكوى ضدنا ونهاية كل شكوى ضدنا إنما تُقدَّم للدينونة، والدينونة كلها أُعطيت للمسيح. فإن كان المسيح هو المنوط به كل الدينونة، فالبراءة حتمية، لأنه هو هو بنفسه نصَّب نفسه محامياً عنا،

لا بالكلام وحسب، بل و بسفك دمه هو عوض كل خطية نخطئها، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، لذلك انتفى أن ندخل الدينونة قطعاً: «لكي لا نُدان مع العالم» (١كو١١: ٣٢)؛ بل «قد انتقلنا من الموت إلى الحياة» (١يو٣: ١٤). وهذه سمة كل الذين آمنوا بالمسيح وأحبوه وأحبوا ظهوره: «إذاً، لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رو٨: ١).

٩ . متى تكمُل أعمال المسيح نتيجة صعوده وجلوسه عن يمين الآب؟

بالرغم من أن المسيح صعد إلى السماء واختفى نهائياً عن أعين تلاميذه، إلا أنه سبق ووعد بأنه سيبقى موجوداً معهم على الأرض إلى مدى الأيام، وذلك ليس ظاهراً، بل بعمله وتأثيره وظهوره غير المنظور لتشديد مؤمنيه، كما حدث للقديس بولس الرسول. والملاكان اللذان رافقا صعوده وظهرا عياناً لتلاميذه، قطعا بأنه سيعود:

+ «ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون، وأخذته سحابة عن أعينهم، وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض وقالا: أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء» (أع١: ٩—١١).

هنا تأكيد الملاكين أن الرب سيأتي كما صعد تماماً بقوته الإلهية و بنفس هيئته وجسده، يدلُّ قطعاً على أن فترة الصعود والجلوس عن يمين الآب هي عمل مكمِّل لعمل الفداء، له نهاية، وعندما تكمل سيعود إلينا، فيما يسميه الكتاب: «المجيء الثاني، المبارك، في مجده ومجد أبيه، مع ملائكته القديسين» (مت١٦: ٢٧؛ مر٨: ٣٨؛ لو٩: ٢٦).

ومجيء المسيح هو جزء لا يتجزأ من شهادتنا وإيماننا ورجائنا الحي، كما يقول القديس بطرس الرسول: «منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب» (٢بط٣: ١٢). كذلك فإن القديس بطرس الرسول نراه متيقناً أنه كما اشترك في رؤية آلام المسيح، هكذا سيشترك في شهادة مجده عند مجيئه: «أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يُعلَن» (١بط٥: ١).

والقديس يوحنا الرسول يثق من جهة ظهوره أننا سنراه كما هو، وسنكون أيضاً مثله، أي شركاءَ في مجد ظهوره واستعلانه: «والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه، حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه» (١يو٢: ٢٨)؛ وأيضاً: «ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يو٣: ٢).

أما القديس بولس الرسول فيرى، بالرجاء، إكليل البر الذي سيضعه المسيح على رأسه عند ظهوره في مجيئه الثاني: «...وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يَهَبه لي في ذلك اليوم الربُّ الديانُ العادلُ (المجيء الثاني للدينونة)، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً» (٢تي٤: ٨).

هنا يوضح القديس بولس الرسول أن ترقُّب المؤمنين لظهور المسيح ومجيئه بفرح، هو علامة أنهم سينالون إكليل البر، وأنهم أكملوا فعلاً السعي، وحفظوا الإيمان؛ هذه علامة أكيدة.

وكذلك القديس بطرس الرسول يرى أن مجيء المسيح سيكون سبب فرح عظيم للذين ينتظرون مجيئه: «كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١بط٤: ١٣).

١٠ . مجيء المسيح رهنٌ باكتمال عمل الصعود وجلوس المسيح عن يمين الآب:

هذا يعلنه القديس بطرس الرسول هكذا:

+ «فتوبوا وآرجعوا لتُمحى خطاياكم ، لكي تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ، ويرسِل يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبلُ ، الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شيء التي تكلَّم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر» (أع ٣ : ١٩ــ٢١).

هكذا يربط القديس بطرس الرسول مجيء المسيح باكتمال أزمنة ردِّ (اكتمال) كل شيء ، بمعنى تكميل أزمنة الخلاص التي أشار إليها المسيح على الصليب بقوله : «قد أُكمِل» (يو١٩ : ٣٠). فكما أكمل المسيح الفداء بعمله الخاص بدمه ، هكذا وضع على الكنيسة أن تكمل الشهادة بقيامته ونصرته لتوبة الخطاة وخلاص كل بشر. لذلك ، كان على السماء أن تقبله إلى أن تكمل الكنيسة رسالتها بمؤازرته وروحه القدوس بصورة دائمة.

كذلك القديس بولس الرسول ، فإنه يرى أن الكرازة والعمل بوصايا المسيح يتحتم أن تنشط وتستمر بلا انقطاع إلى يوم ظهوره :

+ «أوصيك أمام الله الذي يُحيي الكل والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبيِّنه (سيُظهره ويعلنه) في الوقت المحدد المبارك (الله) العزيزُ ، الوحيد ، ملك الملوك ورب الأرباب ، الذي له وحده عدم الموت» (١تي٦ : ١٣ــ١٦ ترجمة أدق).

ولكن إلى أن يجيء المسيح ، مَنْ يستطيع أن يفصلنا عنه وهو جالس عن يمين العظمة في السموات؟ من يفصلنا عن محبته وهو الآن في ملء قوته وعظمته ومجده وسخاء محبة الآب؟ يفتخر القديس بولس الرسول على هذا الأساس ، أي على أساس أن المسيح يملك الآن كل القوة والمجد والسلطان والحب في السماء والأرض :

+ «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُرْي أم خطر أم سيف. كما هو مكتوب إننا من أجلك نُماتُ كلَّ النهار. قد حُسبنا مثل

غنم للذبح، ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبَّنا. فإني متيقِّن أنه لا **موت** ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوَّات ولا أمور حاضرة **ولا مستقبلة.** ولا عُلْوَ ولا عُمْق **ولا خليقة أخرى** تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو٨: ٣٥— ٣٩).

إذاً، فالرباط الذي ارتبطنا به جديداً بصعود المسيح وجلوسه عن يمين العظمة في السموات يهبنا نفس غلبة المسيح على العالم. لذلك بكل جراءة يقول القديس بولس الرسول إنه «أقامنا معه وأجلسنا معه في السموات» (أف٢: ٦)، مضيفاً أن «سيرتنا نحن (الآن) هي في السموات» (في٣: ٢٠)، بمعنى أننا قد انفصلنا عن أمور العالم الحاضر وحوادثه اليومية، مهما كانت صعبة ومرعبة، فهي لا تضيف ولا تنقص منا شيئاً. فتاريخنا الآن يُكتب مع المسيح، وهو هو من صميم تاريخ المسيح الذي استقر الآن من أجلنا عن يمين الآب، وأما كل زعازع هذا الدهر فهي لا تطاله، و بالتالي نحن أيضاً. هذا هو أمان العهد الجديد الذي يربطنا بالمسيح والذي لا يخضع بعد لأمور العالم الحاضر الذي نعيش عربونه الآن، إلى أن إلى أن يأتي فتُستعلن نصرة الإنسان الكاملة في المسيح يسوع.

وإن كانت الخطية تتحرك من حولنا كأسد يود ابتلاعنا، إلا أنها مقهورة لكل من يتمسك بالنعمة، لأن الشيطان نفسه مخترع كل الشرور والمفاسد قد غلبه المسيح وقد دين وديسَ تحت رجلي المسيح. وجلوس المسيح عن يمين الآب، وإن كان قد وضع حداً نهائياً لسلطان الشيطان، إلا أنه لا يزال له أن يختبر إيماننا وصبرنا واحتمالنا؛ وكما يقول الكتاب: «هنا صبرُ القديسين» (رؤ١٣: ١٠). فالذي يصبر على مكائد العدو إلى المنتهى، فهذا سيغلب حتماً، لأن الرب قد أعطى للعدو فرصة ليختبرنا، ولكن ليس إلى حد الموت: «فقال الرب للشيطان: ها هو في يدك ولكن احفظ نفسه» (أي ٢: ٦).

ومعروف أن كل ضيقات يسوقها العدو، مهما كان نوعها ومهما كانت شدتها، فإنها ستُحسب للمدح والكرامة، خاصة عند استعلان مجيء المسيح:

+ «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلَن في الزمان الأخير (نهاية هذا الدهر) الذي به تبتهجون مع أنكم الآن، إن كان يجب، تُحزَنون يسيراً بتجارب متنوعة، لكي تكون تزكية إيمانكم...، **توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح**» (١بط ١: ٥—٧).

هنا القديس بطرس الرسول يؤكد أننا الآن تحت حراسة نعمة الله ننتظر استعلان خلاصنا النهائي بمجيء المسيح بفرح وابتهاج، بالرغم من الأحزان التي تكتنفنا قهراً من العدو بسبب التجارب، كامتحان لإيماننا الذي حتماً سيتزكى.

ومجيء المسيح بالنسبة للذين ينتظرونه بالصلاة والفرح سيكون لاكتمال استعلان خلاصهم الأبدي:

+ «هكذا المسيح أيضاً، بعد ما قُدِّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه» (عب ٩: ٢٨).

+ «لكي يثبِّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه» (١تس ٣: ١٣).

+ «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم. لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيُحضرهم الله أيضاً معه. فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتافٍ، بصوت رئيس ملائكةٍ، وبوقِ الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السُّحب لملاقاة الرب في الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزُّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام» (١تس ٤: ١٣—١٨).

(١٩٨٥)

ما بين القيامة والصعود

أربعون يوماً بعد القيامة أمضاها المسيح بين تلاميذه « الذين أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله . » (أع ١ : ٣)

هذه الفترة الزمنية المحددة التي عاشها المسيح على الأرض بجسده الذي عبر به الموت والقبر وقام حياً ، تُعتبر أعظم وأثمن موهبة وهبها المسيح لطبيعتنا البشرية .

فإمكانية القيامة من الأموات والحياة مرة أخرى بجسد منزَّه عن الآلام والموت والفساد لم تكن من طبيعة الإنسان أصلاً ، فالإنسان معروف أنه أصبح مائتاً بطبيعته بعد أن أخرجته الخطيئة من جنة الحياة مع الله ، وهو وإن أُقيم من الموت أحياناً بأمر الله ، فهو إنما كان يقوم ليموت أيضاً كلعازر ، ولكن أن يقوم الإنسان ليحيا إلى الأبد مع الله بجسد لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل ، فهذه عطية المسيح الفائقة الوصف والكرامة التي منحها لنا لما قام بالجسد الذي أخذه منا .

إذن فكل من آمن بقيامة المسيح من الأموات يكون قد آمن تلقائياً بقيامته هو نفسه ، فالإيمان بالقيامة هو قيامة بحد ذاته ، لأن كل ما للمسيح قد وهبه المسيح لكل من آمن به !

ولكن كيف نأخذ فعلاً روح القيامة ليسكن فينا الآن و يعطينا في يدينا أو بالحري في قلبنا عربون الحياة الأبدية ؟ ... أو بمعنى آخر كيف نعيش الآن بروح القيامة أو كيف نحيا وكأننا قائمون من الموت مع المسيح فنحس إحساساً يقينياً أن لا الموت ولا الآلام ولا كل الأمور الحاضرة لها سلطان علينا ؟

هذا السؤال يمكن وضعه بصيغة أكثر خطورة ليكون هكذا : كيف يعيش الإنسان عدم موته ؟ أو بمعنى آخر : كيف يحيا الإنسان الأربعين المقدسة لا كأربعين يوماً طقسية ، بل حياةً تخلو نهائياً من خشية الموت وسلطانه ؟ حياة ما بعد القبر ، حياة تؤهل للصعود ؟!!

الجواب هنا فوق طاقتنا ، لابد من الرجوع إلى الإنجيل .

يقول إنجيل يوحنا :

« ولما كانت عشية ذلك اليوم وهو أول الأسبوع (عشية الأحد) وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود جاء يسوع و وقف في الوسط وقال لهم سلام لكم . ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت » (1) .

كل ما استطاع المسيح أن يعمله لتلاميذه لكي يؤمنوا بقيامته هو أنه أراهم يديه المثقوبتين من أثر المسامير وجنبه المفتوح من أثر الحربة ، فكان هذا كافياً جداً للتلاميذ ــ حتى لتوما وهو أكثرهم شكاً ــ أن يؤمنوا بالقيامة ، غير أن كل ذلك مع إيمانهم أيضاً لم يكن كافياً أن يهبهم روح القيامة وقوتها ! فلكي يؤمن الإنسان بأمر فائق عن حدود معرفته وتصوره واختباره ، كالقيامة من الأموات ، يلزمه البرهان ، ولكن أن يأخذ الإنسان ما يفوق طبيعته وما يفوق خبرته وإحساساته ومنطقه ، أي يأخذ قوة القيامة وطبيعتها ؛ يلزمه

---

(1) يو ٢٠ : ١٩ــ ٢٣

حتماً هبة روحية .

لذلك فالمسيح بعد ما قدم لتلاميذه برهان قيامته فآمنوا وفرحوا ، نجده يتقدم منهم و ينفخ فيهم ليعطيهم ما هو فوق طبيعتهم وإمكانياتهم ، أي قوة القيامة ذاتها ، لا مجرد القيامة من الموت بل القيامة بروح الله كطبيعة جديدة للإنسان تؤهله لحياة جديدة أخرى روحانية ، حياة بروح الله مع الله لا يتسلط عليها خطيئة أو موت ولا تخضع للجهل أو للآلام .

هنا « النفخ » الذي نفخه المسيح في تلاميذه يعيد إلى الذاكرة النفخ الذي نفخه الله في آدم عند خلقته الأولى : « وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية » (٢) . النفخ في الحالتين عملية خلقة وإحياء :

النفخ الأول خلقة جسدانية لحياة زمنية أرضية ،

والنفخ الثاني خلقة روحانية لحياة أبدية سماو ية .

آدم استقبل النفخة الأولى فصار بهذه النفخة رأس الخليقة البشر ية كلها الذي منه تسلسلت حياة الإنسان على الأرض ، و بقيت هذه النفخة فعّالة في الطبيعة الآدمية حتى اليوم .

والتلاميذ المتحدون بالإيمان استقبلوا ككنيسة النفخة الثانية من المسيح ، فصار المسيح للكنيسة مصدر الخليقة الروحانية الجديدة ، ونفخته هذه بقيت في الكنيسة مصدر حياة جديدة سماو ية دائمة .

بولس الرسول يقدم لنا مقارنة واضحة لهاتين الحياتين فيقول : « صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير (المسيح) روحاً محيياً ، لكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني و بعد ذلك الروحاني . الإنسان الأول من الأرض ترابي ، الإنسان الثاني الرب من السماء . كما كان الترابي هكذا الترابيون أيضاً ، وكما هو السماوي هكذا السماو يون

(٢) تك ٢ : ٧

أيضاً . وكما لبسنا صورة الترابي (آدم) سنلبس أيضاً صورة السماوي (المسيح) » [٣] .

نفخة المسيح إذن كانت بمثابة خلقة جديدة للطبيعة الآدمية أورثتها طبيعة روحانية جديدة لم تكن فيها أصلاً ، إذ أعطتها إمكانية القيامة من الموت والحياة الأبدية مع الله . المسيح هنا اعتُبر أباً جديداً للإنسان لأنه ولده ميلاداً آخر بروحه من بعد ميلاده الجسدي إذ أعطاه حياة جديدة يبدأ فعلها وظهورها بعد الحياة الأرضية أو فوقها ، تبدأ من بعد الموت ، تبدأ بالقيامة ، والقيامة تبدأ من الآن سراً حينما نقبل بعد الميلاد الجسدي الميلاد الجديد من الماء والروح ، ونقبل روح القيامة الذي تنفخه الكنيسة في كياننا ...

فنحن الآن جُزنا الميلادين وتعمل فينا الحياتان : حياة من فوق حياة ، الروحانية جاءت بعد الجسدانية ولكن واحدة تضمحل لتملك الأخرى شيئاً فشيئاً : « إن كان الخارج يفنى (صورة الجسداني) فالداخل يتجدد (صورة السماوي) يوماً فيوماً » [٤] .

ولكن الخطير هنا أنه في حين أن الحياة الجسدية تضمحل حتماً وتلقائياً ، شئنا ذلك أو لم نشأ ، نجد أن الحياة الروحانية أو طبيعة القيامة لا تملك فينا إلا بإرادتنا وبمقتضى شوقنا . لذلك نجد المسيح حينما نفخ في تلاميذه الروح القدس ليعطيهم طبيعة القيامة وقوتها يقول لهم : « **اقبلوا** » الروح القدس ، « اقبلوا » هنا فعل يعتمد على مقدار استعداد الإنسان وشوقه . المسيح لا يعطي الروح القدس لطبيعتنا بدفع ميكانيكي أو بصورة تلقائية ملزمة ، فهبة الحياة الأبدية وطبيعة القيامة تستقبلها طبيعتنا البشرية بناء على سعي وشوق وقبول إرادي عميق من كل النفس والقلب والفكر .

النفخة الأولى للخلقة الجسدية كانت لا إرادية ، كانت عامة ، وهكذا صارت الحياة البشرية حقاً مكتسباً لكل ذي جسد ...

النفخة الثانية للخلقة الروحانية استقبلها التلاميذ بالفرح من بين ألوف وملايين

(٣) ١ كو ١٥ : ٤٥—٤٩

(٤) ٢ كو ٤ : ١٦

الناس ، لذلك اعتُبر التلاميذ أنهم باكورة الروح ، ولكن يُلاحظ أن الإنجيل يقول : « ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب » ، هنا فرح الإيمان بقيامة المسيح هو السر الذي أهّل التلاميذ مباشرة لقبول نفخة روح القيامة .

إذن فروح القيامة وطبيعتها لا تُمنح عامة لكل إنسان شاء أو لم يشأ ؛ الذين يؤمنون و يفرحون بقيامة الرب هم المدعوون لقبول روح القيامة ، فالفرح دائماً أعظم دلالة لاستعداد الإرادة ، إما إرادة القيامة أو إرادة الحياة مع المسيح ؛ فهي ليست مجرد تمني أو أحلام أو تأملات ولكنها عمل وجهاد وتطبيق : « إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق » (٥) .

إذن فطلباتنا وسعينا وجهادنا اليومي ومصدر سرورنا يكشف عن صدق موقعنا من القيامة . هذا يعني أنه يلزمنا أن نطابق كل يوم بل كل ساعة بين اتجاهات فرح إرادتنا و بين متطلبات الحياة مع المسيح أي حياة القيامة ، حتى نقبل فعالية نفخة الروح القدس لتجديد الطبيعة أولاً بأول .

ولكن السؤال هنا هو: كيف نبدأ نحيا منذ الآن حياة مقامة من الموت ، حياة أبدية مع الله ، ونحن لا زلنا نعيش بالجسد الرازح تحت ثقل الخطية ؟ أليس من المؤكد والمحتم أن الموت يملك على الجسد بالخطية ؟

الإجابة تأتي من الإنجيل ، إذ نجد المسيح بعد ما نفخ في تلاميذه الفرحين روح القيامة يقول لهم مباشرة: « من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت » (٦).

هنا ولأول مرة في حياة البشر تقع الخطيئة تحت سلطان الإنسان بعد أن كان الإنسان واقعاً تحت سلطان الخطيئة ، هكذا تبدو نفخة الروح القدس التي منحها المسيح

(٥) كو٣ : ١

(٦) يو٢٠ : ٢٣

لتلاميذه ذات فعل تجديدي خِلْقي لصميم طبيعة الإنسان ، هنا حدثٌ إنقلابي عميق وخطير في حياة الإنسان .

هذا السلطان الجديد الذي تسلمه الإنسان بنفخة الروح القدس من فم المسيح يكشف بصورة واضحة وأكيدة أنه قد حدثت قيامة فعلية إنما سرية وغير منظورة للتلاميذ ، لأنه من ذا الذي يستطيع أن يغفر الخطيئة وهو مائت أو تحت سلطان الموت ؟ فإن كان التلاميذ قد أصبحوا ذوي سلطان على مغفرة خطايا الناس ، فهذا معناه أنهم بنفخة الروح القدس الذي قبلوه من فم المسيح قد حطموا عن أنفسهم سلطان الخطيئة ، وبالتالي قد تجاوزوا سلطان الموت نفسه أي قاموا من الموت بنصرة روحانية فائقة ، وليس ذلك فحسب بل وأصبحوا بهذا الروح القدس الذي سكن فيهم قادرين أن يحطموا عن الآخرين سلطان الخطيئة ، وبالتالي سلطان الموت أيضاً ، أي أن يهبوا بقيامتهم في المسيح روح القيامة للآخرين أيضاً إن كان هؤلاء الآخرون للقيامة مستحقين : « من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت » .

هكذا نرى أن الصلة بين روح القيامة الذي نفخه المسيح في تلاميذه وبين حياة الإنسان فوق سلطان الخطيئة والموت أصبحت حقيقة واقعة بسر الغفران ، وهو سر غاية في الدقة والعمق ، إنه سر حياة المسيح الفعّالة بعد قيامته من بين الأموات ، الذي بموته داس الموت والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية !!

ولكن هل من علاقة بين نفخة المسيح للروح القدس في التلاميذ بعد القيامة وحلول الروح القدس عليهم يوم الخمسين ؟

العلاقة قوية وكل واحدة مترتبة على الأخرى ، فنفخة المسيح في التلاميذ أعطتهم القيامة والحياة الأبدية ، فالطبيعة البشرية هنا نالت قوة القيامة من الأموات واستقرت فيها الحياة الأبدية .

أما حلول الروح القدس يوم الخمسين فقد أعطى الطبيعة البشرية قوة روحية من

الأعالي للإلتئام ولإتحاد الإنسان بالإنسان من خلال الروح القدس، سواء بالخاطية الروحية أو بالتأثير القلبي أو الخدمة السرائرية أو الآيات والمعجزات أو المثل الحي الجاذب والمؤثر، وذلك كله لتكوين وحدة إنسانية متكاملة ومتحدة مع المسيح وبالمسيح تؤهّل بها الطبيعة البشرية عامة — ككنيسة — للحياة مع المسيح في السماء.

إذن فنفخة الروح القدس في التلاميذ **بعد القيامة** كانت لإعطاء طبيعة الإنسان **روح القيامة وقوتها.**

أما حلول الروح القدس **بعد الصعود** على التلاميذ فكانت لإعطاء الإنسان **روح الصعود وقوته.** ومن أجل ذلك قام المسيح **كبكر** من الأموات، ثم صعد إلى السموات ودخل إلى الأقداس **كسابق** من أجلنا.

فلولا أن المسيح قام بجسدنا ما قمنا وما عرف الإنسان قط الحياة الأبدية، ولولا أنه صعد أيضاً إلى السماء بجسدنا ما أمكن للإنسان أبداً أن يصعد إلى السماء حتى ولو قام من الأموات؛ حيث المسيح يعطي هاتين القوتين أي القيامة والصعود بواسطة الروح القدس الذي يأخذ مما للمسيح ويعطينا.

لذلك يقول القديس بولس الرسول مؤكداً ومتأكداً أن المسيح «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.» (أف٢: ٦)

فالآن نحن قد قمنا مع المسيح ونحيا قيامتنا بنفخة روحه القدوس، وإذ قد حل علينا روح يوم الخمسين فنحن مهيَّأون للصعود منذ الآن أيضاً، ولا يحجزنا عن السماء إلا مجيئه الذي أصبح على الأبواب «... آتي أيضاً وآخذكم إليَّ.» (يو١٤: ٣) □

(١٩٧٠)

الصعـــــود

صعد الرب إلى السماء على مرأى من تلاميذه بعد أربعين يوماً من قيامته ظل يتراءى فيها لتلاميذه ولأشخاص آخرين كثيرين اختارهم ليكونوا شهود عيان لقيامته.

ما هو الموت؟

وكما رأينا([1]) في صلب الرب وموته حدثاً يكشف عن خطة الخلاص العظمى التي سبق الله وقصدها في نفسه، إذ دبرها بتجسد إبنه حتى يرفع عن البشرية لعنة الموت كأجرة للخطية عندما تقبل هذه اللعنة في جسده، ومات على الصليب، وقام منتصراً على الموت؛ فأصبح الموت ليس «لعنة» فيما بعد أو أجرة للخطية بل عبوراً إلى حياة أخرى أعلى وأفضل.

ما هي القيامة؟

كذلك كما رأينا([2]) في القيامة التي قامها المسيح برهاناً أكيداً حياً لثمرة الموت الفدائي الذي ماته عنا عندما نقض الموت وسلطان الهاوية، معطياً للبشرية في ذاته غلبة الحياة فوق الموت، وغلبة البر فوق الخطيئة، وغلبة مشيئة الله الصالحة فوق مشيئة الإنسان المنهزمة؛ فصارت قيامة المسيح إعلاناً منظوراً لباكورة الحياة الجديدة للإنسان حسب مشيئة الله التي هي بمثابة عيِّنة أُعطي للإنسان أن يحياها في المسيح بالقداسة منذ الآن

---

(١) عظة يوم جمعة الصلبوت. (٢) عظة القيامة.

بالروح كعربون للقيامة النهائية التي سيقومها في المسيح عند مجيئه؛ أي صارت قيامة المسيح لنا منذ الآن قوة سلوك في جدة الحياة كعربون للقيامة المزمعة.

ما هو الصعود؟

هكذا أيضاً الصعود الذي صعده المسيح بالجسد أمام تلاميذه عندما أخذته «**سحابة**» عن أعينهم ليجلس عن يمين العظمة في الأعالي، هو في الحقيقة إعلان منظور لدخول المسيح إلى الأقداس العليا ليستلم من الآب سلطانه ومجده وملكوته كما سبق الله وأنبأ بذلك على فم دانيال في رؤياه: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل إبن انسان أتى وجاء إلى قديم الأيام فقربوه قدامه، **فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً** لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض»(٣).

هذا حققه المسيح في نفسه وأعلنه بفمه بعد أن أكمله بصعوده وجلوسه عن يمين الآب: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً **دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض** فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر»(٤).

ويجيء سفر الرؤيا ليشهد على أن المسيح المذبوح على الصليب قد صعد بالفعل ليأخذ هذه القدرة والقوة والكرامة والمجد والملك ويجعلنا نملك معه: «مستحق أنت أن تأخذ السفر (سفر الدينونة العتيدة) وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة وجعلتنا **لإلهنا ملوكاً وكهنة، فسنملك على الأرض...** مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة»(٥).

---

(٣) دا٧: ١٣و١٤.

(٤) مت٢٨: ١٨–٢٠.

(٥) رؤ٥: ٩–١٢.

أما هـذه الأحـداث العظمى الثلاثة : الموت والقيامة والصعود ، فهي متماسكة ، وكل حدث منها لـه تـأكيـده وبـرهـانـه . فـالموت تأكد بالدفن ثلاثة أيام ، والقيامة تأكدت بـالـظهـور أربعين يوماً ، والـصـعـود تـأكـد بـالجـلوس عن يمين الآب الذي رآه الشهيد اسـطفـانـوس وأعـلـنـه ساعة انتقاله : «فشخص إلى السماء وهو ممتلىء من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع **قائماً عن يمين الله. فقال: ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله**» (٦). وصـدق اسـطـفـانوس سبق وأكده المسيح في بداية خـدمـته : «الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون و ينزلون على ابـن الإنـسـان» (٧). أما الجلوس عن يمين الآب فقد سبق المسيح أيضاً وأنبأ به بقوله ساعـة المحـاكمة : «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يـسـوع : **أنا هو، وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة** وآتياً في سحاب السماء» (مر١٤ : ٦١و٦٢).

صعد ليُجلسنا معه في السماويات:

وهـكـذا يـتـركـز فعل الصعود عند غايته العظمى وهي الجلوس عن يمين الآب حيث «**الجـلـوس**» يـعني التساوي ، و«**عن اليمين**» يعني النيابة الدائمة والحاضرة مع الآب في كـل شـيء . فـالمـسـيـح بجلوسه عن يمين الآب ، قد استلم بالفعل كل ما للآب من مُلك وسـلـطـان وقـدرة ومجـد وقضاء الدينونة على كل الخليقة مما في السماء وعلى الأرض : «قد دُفـع إلـيَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض» (في٢ : ١٠).

ولـكـن هـذا الـصـعـود والجـلـوس عـن يمين الآب هو مثل الموت والقيامة ، لا يُنسب للـمـسيح كأن المسيح مات لنفسه كمستحق لهذا الموت أو قام لنفسه كأن القيامة لم تكن فـيـه ، كذلك فالمسيح لم يصعد لنفسه كأنه لم يكن في حضن الآب لحظة ما أو انفصل عن

(٦) أع٧ : ٥٥و٥٦.

(٧) يو١ : ٥١.

السماوات وقتاً ما. بل إن المسيح كما مات ببشريته أي بالجسد ودُفن من أجل خطايانا وقام وظهر ببشريته أي بالجسد من أجل تبريرنا، هكذا صعد ببشريته أي بالجسد ليُجلسنا ويمجدنا معه في السماوات: «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف ٢: ٦).

أما المسيح بمجد ذاته كابن الله فلم يُحسب له الموت نقصاً بل هو اتضاع وطاعة في أعظم وأروع صفة للألوهة وهي الإخلاء: «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد... وأطاع حتى الموت موت الصليب» (٨).

صعد لأنه غلب،

وغلب لذلك أُعطي أن يدين:

كذلك أصبحت قيامته وصعوده بمجد الله وجلوسه عن يمين الآب لا تُحسب له اختلاساً. فالذي «صعد» هو الذي «نزل أولاً»، فإن كان نزوله وتنازله لم يُحسب نقصاً في لاهوته، فإن صعوده وجلوسه عن يمين الآب بمساواة لا يُحسب له اختلاساً!! (راجع فيلبي ٢: ٦-١١). وإن كان ليس نقصاً لمن نزل وتنازل وتجسد وأخذ صورة عبد واتضع وأطاع حتى الموت وقهر الخطيئة بصليبه ودانها في الجسد وأباد حكم الموت وأذل من له سلطان الموت، فليس زيادة أو اختلاساً بعد ذلك أن يجلس عن يمين الآب ويأخذ منه «**كل قضاء للدينونة**» «**وكل سلطان**» فوق كل خليقة كقول بولس الرسول: «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السمويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل إسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل وفي المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه» (٩).

كذلك فإن كان صعود المسيح فوق جميع السماوات وترأسُهُ فوق جميع الرئاسات بسيادة مطلقة هو نتيجة حتمية مباشرة لانتصاره على الخطية والموت وكل الرئاسات التي

---

(٨) في ٢: ٧و٨.

(٩) أف ١: ٢٠و٢١.

عملت في ذلك الموت، يكون بالتالي جلوسه عن يمين الآب هو التعبير الحتمي الذي يشرح بدء الدينونة والقضاء، أو بمعنى أوضح يحدد بدء مُلك المسيح أو ملكوته على كل خليقة ورئاسة في السماء والأرض.

فإن كان ملكوت المسيح لم يُستعلن بعد على مستوى العالم كله، إلا أنه مستعلن سراً في كنيسته الآن بصورة قوية وفعالة ومنظورة. فالكنيسة الآن هي ملكوت المسيح المخبأة في وسط العالم بشبه الخميرة الصغيرة المخبأة في الثلاثة الأكيال دقيق التي تجوز زمان تخميرها سراً.

المسيح لا يحكم في الكنيسة، بل يحكم معها:

ولكن كون الكنيسة هي الآن ملكوت المسيح، أو مملكته المستعلنة سراً، لا يعني أن المسيح يدين أو يقضي فيها كمن يحكم عليها بل هو يدين بها العالم و يشهد بها على العالم. ولكن ليس هذا أيضاً معناه أن الكنيسة هي كرسي دينونته الذي يجلس عليه و يقضي ويحكم، بل الكنيسة جسده وهو رأسها، فالكنيسة شريكة الآن معه في تدبير ملكوته وقضائه، لها فكر المسيح وسلطانه وكلمته وحكمته وقضاؤه وصبره وعدله و بره معاً.

من جهة هذا يتكلم بولس الرسول موضحاً: «ألستم تعلمون أن القديسين (الكنيسة) سيدينون العالم. فإن كان العالم يُدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة، فبالأولى أمور هذه الحياة» (١٠).

من هذا يتضح لنا أن قول الرب لتلاميذه: «قد دُفع إليَّ كل سلطان مما في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم... ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» هو في الحقيقة عملية تسليم سري استلمت فيها الكنيسة سلطان المسيح على كل ما في السماء والأرض لتعمل معه وهو معها لحساب تلمذة العالم كل الأيام حتى إلى انقضاء الدهر. وهو ليس سلطاناً هيناً بل هو كل سلطان المسيح نفسه الذي أخذه فوق كل رئاسة

---

(١٠) ١ كو٦: ٢–٣.

وسلطان وقوة وسيادة في هذا الدهر وفي الآخر أيضاً ـــ أي الرئاسات المنظورة في العالم أو غير المنظورة، ملائكية أو شيطانية.

ولكن هذا السلطان الفائق الذي استلمته الكنيسة بصعود الرب والذي تمارسه مع المسيح الآن هو روحي فقط، لحساب الخلاص وتكميل عمل الإيمان بالمسيح، ضد كل قوة عالمية مهما عظمت وضد كل سلطان الشيطان مهما قاوم وعاند.

وهكذا أصبح صعود المسيح وجلوسه عن يمين الآب واضحاً أمامنا أنه عملية أساسية مكملة للصليب والقيامة، فهو إعلان بدء ملكوت المسيح الخلاصي من السماء بعد أن أكمل كل واجباته على الأرض. حيث استلمت الكنيسة معه في لحظة جلوسه عن يمين الآب الشركة الكاملة في تنفيذ وإعلان هذا الملكوت في كل الأمم بكل سلطانه وقدرته وسوف تستمر في تنفيذه وإعلانه كل الأيام حتى انقضاء الدهر.

شركة في الموت قبل شركة في الملك:

ولكن لكي تدخل الكنيسة في سر صعود الرب وجلوسه عن يمين الآب، أو بالحري لكي تدخل في شركة سلطان المسيح الفائق فوق كل رئاسة وسلطان وسيادة في السماء وعلى الأرض لإعلان وتنفيذ ملكوت المسيح في العالم، لابد أن تكون قد جازت شركة مسبقة معه في آلامه وموته وقيامته. ولكن شركة الآلام والموت والقيامة ليست جماعية بل هي فردية، لا تجوزها الكنيسة معاً كجماعة ولكن يجوزها كل فرد بمفرده، لأن من أخص خصائص الآلام والموت أن يكون فردياً: «دُستُ المعصرة وحدي»(١١). الكنيسة تجمع لنفسها خبرات آلام وموت أولادها، تجمعها معاً وتضيفها لحسابها ككل!! وكل من لم يتجرأ و يدخل شريكاً في آلام المسيح وموته أو جزء من نير الصليب وتهرب منه لا يحوز على سلطان ملكوت المسيح ولا يُستأمن على سر الشركة في قوة كلمته وقضائه وإعلان ملكوته.

---

(١١) إش٦٣: ٣.

من جهة هذا يصرخ بولس الرسول مراراً وتكراراً مشجعاً ليسكب فينا روح الجرأة والقدوم، في مواضع عديدة من رسائله، لندخل في سر شركة الصليب أي سر شركة الموت، سر شركة الاستعداد لسفك الدم طواعية مع المسيح، واضعين دائماً حكم الموت في أنفسنا لكي نعيش قيامتنا الأولى معه فلا يكون العالم حياً بعد في كياننا، حتى نستطيع أن نحكم عليه من موقع جلوسنا مع المسيح في السماء ولا تكون أهواؤنا لها سلطان فينا لئلا تبطل سلطان المسيح من قلبنا وفمنا.

ثقة في اقتحام السماء من واقع الصعود:

ثم إذ نكمل هذا، ينتقل بنا بولس الرسول فجأة إلى الدعوة الواثقة الجريئة لاقتحام السماء نفسها على أساس صعود المسيح نفسه بثقة لا تُجارَى: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده... لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان» (١٢)، باعتبار أن المسيح لم يدخل السماء يوم صعوده إلى السماء لنفسه بل «**كسابق**» و«**لأجلنا**»، ولكي يعد لنا بجلوسه عن يمين الآب جلوساً معه في السماويات. ولكي يضمن لنا من السماء، من يمين الآب، من مكان مُلكه وسلطانه الأبدي وقدرته الفائقة، يضمن لنا فداءً أبدياً وشفاعة دائمة في كل حين بعد أن أكمل فداءنا الزمني يوم ذُبح بإرادته على الصليب.

الجسد المكسور على الصليب صعد، فصار الطريق الوحيد إلى السماء:

وبولس الرسول يصور لنا صعود المسيح إلى أعلى السموات وكأنه يفتتح طريقاً جديداً إلى الأقداس العليا في السموات باعتباره كاهنا أعظم على بيت الله (السماء)، ولكنه يؤسس هذا الطريق لا بكلمة ولا بسلطان وقوة وجبروت ولكن بجسده الذي حمل عليه كل خطايا البشرية فرداً فرداً مبتدئاً بآدم حتى آخر إنسان على الأرض. وإذ مات وتبرأ من كل خطايا البشرية تبرأنا فيه فصار جسده مهيئاً أن يصعد بلا مانع إلى

(١٢) عب ١٠: ١٩ـــ ٢٢.

أعلى السموات ويجلس بكل كرامة ومجد الابن (متجسداً) عن يمين الآب، فصار جسده (الذي هو جسدنا) الصاعد هو هو الطريق الوحيد؛ الذي إذ نتحد به، نعبر فيه إلى أعلى السموات — إلى الآب — إلى الأقداس العليا: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع **طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أي جسده** وكاهن عظيم على بيت الله، لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (المعمودية الطاهرة) ولنتمسك بإقرار الرجاء هذا راسخاً لأن الذي وعد هو أمين»[١٣].

كان الطريق والباب نحو الله الآب قد أُغلق في وجه الإنسان، لأن الخطيئة فصلت قلب الإنسان عن قلب الله، الإنسان تلهّى بنفسه كغاية وجوده وارتاح لذاته كأصل وسبب كل شيء، فأُعميت بصيرته القلبية والذهنية عن رؤية خالقه الأصل والغاية لوجوده الحقيقي. والخطيئة كانت السبب الوحيد لعمى بصيرته و بعده عن خالقه.

المسيح رفع الخطيئة من الوسط، رفعها من على الإنسان ووضعها على جسده ونفسه ودانها في نفسه وقضى عليها بالموت في جسده، فألغى كل سلطانها. وهكذا انفتح الطريق المغلق، فتحه بجسده الذي انكسر على الصليب بالخطية ثم قام به مبرَّأً وصعد به ممجَّداً، فصار هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى الآب، ليس لدى الإنسان طريق آخر قط إلى السماء غير جسد المسيح الذي مات وقام وصعد، لأنه من خلال جسد المسيح تسقط كل خطيتي وتنفتح بصيرتي.

لذلك إن كان يوم صعود الرب وجلوسه عن يمين الآب هو بدء استعلان قدرة المسيح الفائقة وسلطانه وملكوته في الكنيسة، فما ذلك إلا لأنه سبق فاستودع الكنيسة سر جسده الذي أصبح هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى السماء الذي من خلاله تستمد الكنيسة شركتها في بر المسيح أولاً ثم شركتها في مُلك المسيح وسلطانه ثانياً.

(١٩٧٥).

---

(١٣) عب ١٠: ١٩—٢٣.

صعـــود المسيح

فلنفرح بعيد الصعود الذي به أجلسنا المسيح معه في السماو يات، وأعد لنا المكان السعيد، الذي سبق فتكلم عنه الذي هو معه عن يمين العظمة في الأعالي.

لأننا صرنا في المسيح مصالَحين مع الآب إلى الأبد، محفوظين برضى ورحمة القدير؛ وليس كما كان آدم الأول في مجرد فردوس وشجر وثمر، يفتقده الله من حين لآخر، ولكن صرنا في فادينا الحبيب — آدم الثاني — مع الله على الدوام، وإن كنا متغرِّبين الآن عن وطننا السمائي، متألمين يسيراً ليتزكى إيماننا ونوجَد أهلاً لهذا النصيب الفاخر، إلا أننا بالإيمان نعيش وكأننا مستوطنون دائماً بالرجاء الذي سكبه المسيح فينا، و بالحب الذي يحوِّل الألم إلى لذة، وغير الموجود يجعله أمامنا موجوداً بالرؤ يا القلبية التي بالنور الخفي ترى النور غير المنظور، متوقعين بالصبر والشكر لحظة اللُّقيا التي نحظى فيها بوجه الحبيب، فلا يعود يُنزع منا إلى الأبد.

لأن مسرة المسيح قبل أن ينطلق إلى الآب، التي قدمها بصلاة (يو١٧)، أن نكون نحن حيث يكون هو على الدوام لنرى مجده ونوجد فيه؛ هذا الذي صار لنا بعد صعوده حقيقة حية رآها اسطفانوس الشهيد بعينيه، والتي لما رآها وتحقق منها سهُل عليه أن يخلع خيمته الأرضية بسرعة، ناظراً بيقين الإيمان والعيان معاً المكان الذي أعده له المسيح

والبناء العجيب الذي في السماء غير المصنوع بيدٍ، الأبدي، جسد المسيح الذي يملأ الكل والكل فيه.

نحن الآن نأكل جسده ونشرب دمه وعيوننا مقفولة لا نستطيع أن نرى بهاء هذا الجسد وروعة هذا الدم لئلا نفزع ونرتعب ونسقط على وجوهنا ولا نضبط قوة أن نفتح أفواهنا لنتقبل جمر اللاهوت المخيف. ولكن ما بالنا لا نرى أنفسنا متحدين اتحاداً بهذا الجسد وهو في ملء نور اللاهوت، ودم المسيح يسري فينا وهو حامل إلينا روح الألوهة يسكبها في كياننا فنصير ملوكاً وكهنة لله أبيه ونملك معه في ميراث بنوية الآب التي لا تُحد؟...

لأجل هذا يدعونا القديس بولس الرسول بإلحاح سري لا يفهمه إلا الواصلون بالروح لسر الوجود الإلهي: «إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس» (كو٣: ١)، الذي معناه أن القيامة وحدها لا تكفي؛ فبعد القيامة أمجاد الوجود في الحضرة الإلهية حيث جلس المسيح ــ بنا ــ عن يمين الآب رهن طلب الذين أحبوا المسيح ولم يطيقوا أن يبقوا بدونه أبداً. فحيث المسيح يوجد الآن يكون لنا حق الوجود. وطلبنا هذا هو من صميم طلب المسيح نفسه ومسرته التي سبق وأن ألح على الآب أن يمنحها لنا كلما طلبناها، لأنها صارت من حقنا بسبب بشريتنا التي اتحد بها بوفاق وحب وعهد أن لا يخلعها أبداً ولا يهجرها إطلاقاً ولا ينساها لحظة واحدة أو طرفة عين!...

أما أن «نطلب ما فوق حيث المسيح جالس»، فهو أن نطلب الوجود الدائم في حضرة الله، الذي صار لنا حقاً أبدياً في المسيح، نطلبه الآن كطلب بدموع وإلحاح. فإذا ما أخذناه لا يعود يُنزع منا لأنه نصيبنا المحفوظ لنا في السموات، الذي لا يتدنس قط بسبب قصورنا بعد، ولا يضمحل أبداً بسبب اضمحلال كياننا الجسداني.

والوجود في حضرة الله، بإحساس الإتحاد بالمسيح الذي أكمله فينا ولنا مجاناً، هو سر السعادة التي وفرها المسيح لنا في وسط أحزان العالم وبرغم كل عجز البشرية وقصورها

الحزن والمؤلم.

الإحساس بالوجود في حضرة الله بالمسيح كفيل أن يعطي الإنسان سلاماً قلبياً يفوق العقل بكل اضطراباته وعجزه.

ولكن هذه الحضرة ليست مسرة نلهو فيها، بل هي عينها الصلاة، الصلاة في ملء حرارتها وهدوئها ورزانتها، الصلاة الكاملة التي فيها يهدأ الجسد وترتاح النفس وتبتهج الروح بذكر الثالوث وتمجيد الآب وترديد إسم المخلص ونداء الروح القدس بتواتر ورجاء ودالة مستمدة من الصليب والدم المسفوك.

وإن كان ينبغي أن نئن كثيراً في أنفسنا من أجل ثقل الجسد، وقد أصبح كالخيمة التي مزقتها الرياح المكروهة ونشتاق في أنفسنا أن نلبس فوقها الذي من السماء، ولكن هذا غير ممكن. لابد أن نخلعها أولاً حتى نستطيع أن نلبس المسيح ونوجد فيه بلا مانع، لأن الفاسد لا يمكن أن يرث عدم الفساد. لذلك سوف تظل صلواتنا ممزوجة بالدموع، وفرحتنا بالوجود في الحضرة الإلهية يشوبها أنين الحسرة من أجل عدم قدرتنا الآن على لبس السمائي... ولكن لنا ثقة أنه كما لبسنا الترابي نلبس السمائي أيضاً ولن نوجد أبداً عراة من نعمة الله، لأن الذي خلقنا هو نفسه أعاد خلقتنا وهيأها للتجديد المزمع أن يكون في ملء القداسة و بر الله.

لذلك ينبغي أيها الأحباء أن نعترف الآن بفقرنا جداً، مع أن غنى الميراث كله الذي للإبن قد كُتب وتسجّل لنا نصيباً، ولكن ليس لنا هنا غنى أبداً حيث عالم الخديعة والغش. ليس لنا هنا مدينة باقية ولا وطن دائم ولا كرامة ولا صيت ولا إسم ولا راحة حقيقية، بل نطلب العتيد منها الذي ليس فيه غش ولا ظل دوران. لذلك يقول القديس بولس الرسول مُلحاً: «**اطلبوا ما فوق**»!! وهل ممكن لإنسان يطلب ما هنا و يسعى وراء ما هو في أفواه الناس أو في أيدي الناس أو في تراب الأرض، ثم يستطيع أن يرى ما فوق أو يطلبه؟ فإما أن نسعى إلى أن نكمل ما هنا ليكون لنا فيه فرحنا وسرورنا وراحتنا

ومجدنا، وإما أن نرفض ما هنا لنتفرغ لطلب ما فوق لمجد الله.

الذي يسعى وراء كرامة على الأرض يطلبها في قلبه و يشتهيها في نفسه، لا يمكن أن يتبقى له قوة إيمان بما فوق يمكنه أن يشد نفسه إليها و يطلبها...

الذي يطلب ما على الأرض، لا يمكن أن يقوى على طلب ما فوق!

الذي لم يتفرغ بالحق لطلب ما هو فوق، هو محروم من مجد الصعود، وضيَّع على نفسه ثمرة الصليب والقيامة. لأن المسيح احتمل الأحزان والآلام والصليب من أجل السرور الموضوع أمامه، سرور المصالحة العظمى في آخر مراحلها عندما قدم البشرية التي فيه للآب مفدية مبرأة مطهرة مغسولة بالدم، وأجلسها معه عن يمين الآب!

فكما تكللت آلام الصليب بالقيامة، هكذا تكللت القيامة بالصعود والجلوس عن يمين الآب. لذلك ففي الصعود سر الإحتمال الأعظم لكل ألم حتى الموت!! وفي الجلوس في السمويات مع المسيح نهاية كل رجاء وكل فرح، بل وغاية كل الخليقة العتيقة والجديدة.

□

أما لنا نحن الرهبان، فالصعود الذي يمثل أوج النصرة على العالم هو عيدنا الذي نرى فيه أنفسنا تطير فوق هموم الدنيا وأوهامها وغرورها...

فلو تمثلتم معي وضع الرب وهو صاعد والعالم كله واقع تحت قدميه، لأدركتم معنى الآية: «قال الرب لربي إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت موطىء قدميك» (مز١١٠: ١). هكذا كل راهب خرج من العالم خروجاً صادقاً بالروح والحق جاعلاً قلبه وفكره فوق في السماء، هذا يكون قد حقق قوة الصعود التي وهبها لنا الله بالمسيح منذ الآن بالسر جزئياً، أي بالفكر والقلب، تمهيداً للتكميل الكلي المزمع أن يكون.

الـراهـب الحقيقي ــ إذاً ــ هو يعيش عيد الصعود مكتفياً بما فوق، و بالروح والحق، كل أيـامـه. لا يخـشى شيئاً ما على الأرض: لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا جوع ولا عـري ولا خـطـر ولا سيف، وهو لا يشتهي شيئاً ما مما على الأرض: لا كرامة ولا صداقة ولا رئاسة ولا سلطان ولا مديح ولا اسم ولا شكل ولا لقب، لأنه يغتذي سراً بما فوق من طـعـام الحق وشـراب الحب الذي كل من يغتذي به ينسى كل ما في هذا الدهر، ينسى أهله و ينسى وطنه و ينسى حتى نفسه.

كـل إنـسـان في المـسـيـح **يترجى حياة الدهر الآتي** حسب قانون الأمانة العام، أما الـراهـب يـا إخوة فهو إنسان يعيش الدهر الآتي لأنه مات عن هذا الدهر الفاني. الصعود لـيـس عيدنا ــ نحن الرهبان ــ وحسب، بل هو عملنا اليومي تجاه هذا الدهر وهو حياتنا الوحيدة التي تبقت لنا.

مـن المـلابـسـات ذات المعنى وذات الـفـعل في إنجيل عيد الصعود، قوله: «**وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم**، وأصعد إلى السماء». لا يمكن أن ندخل حالة الصعود بالروح يا إخـوة أو نتذوقها إلا إذا كنا في هذه الحالة عينها، أي «**وفيما نحن نبارك**»، لابد أن نكون على مستوى الصلاة والبركة على كل إنسان، على كل مضطهد، على كل مسيىء أو شاتم أو مـعـيِّر أو مخرج كل كلمة شريرة علينا، لابد أن يكون قلبنا في حالة صفح كلي وسلام صـادق وحنو ومودة لكل إنسان، حتى نستطيع أن ننفك من قيود جاذبية الأرض والتراب وننطلق في إحساس الصعود ونتذوقه ونعيشه بالروح والحق.

ثم لابـد أيضاً أن نكون في حالة «**وانفرد عنهم**»، حتى يمكن أن نمارس حالة إصعاد يـتـممها فينا المسيح فوق العالم. **الإنفراد** عن الناس يؤهِّل الراهب لحالة تقبل قوة داخلية يمـارس بها الخروج الدائم والإرادي من العالم. الإنسان دائماً أبداً يجذب الإنسان أخاه إلى نـفـسـه ليتعظم به أو يتقوى به أو يمتدح به أو يتسلى به، والاثنان في النهاية كل منهما يخسر نـفـسـه بهذا الجذب السلبي، لذلك كل انفراد عن الناس هو قوة، لو أن الانفراد كان مع

الله و بـالله ، وهـو حـتـمـاً يـؤهّل لحالة الإنجذاب إلى الله ، أو بمعنى آخر إلى إصعاد روحي بالحق و بالسر.

لـذلك قلت لكم أن عيد الصعود هو عيدنا نحن الرهبان ، بالدرجة الأولى ، وهو عملنا وهـو حياتنا ، لو استطعنا أن نكون دائماً في حالة بركة صادرة من أعماقنا تجاه جميع الناس وكنا أيضاً في حالة انفراد إيجابي عن الناس من أجل الله . □

(١٩٧٩)

تأملات في عيد الصعود

صعود المسيح ودخوله إلى الله في الأقداس العليا

عملٌ مكمِّلٌ للفداء

- «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله...
فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب ٤: ١٤و١٦).
- «فإذ لنا... ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،
طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب، أي جسده،
وكاهن عظيم على بيت الله،
لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان،
مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (طاهر)،
لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وعد هو أمين» (عب ١٠: ١٩ـ٢٣).

الفداء الذي صنعه المسيح بسَفْكِ دمه على الصليب كان تكفيراً عن خطايا البشرية. بهذا اعتُبر صليب المسيح في اللاهوت الطقسي ذبيحة كفَّارة!

وذبيحة الكفَّارة في العهد القديم، كان يقدمها رئيس الكهنة المسمَّى «الكاهن العظيم» مرة واحدة في السنة، إذ يذبح ثوراً مع ذبائح أخرى، عن نفسه وعن كل الشعب، ويأخذ دمها ويدخل داخل الحجاب الفاصل بين قدس الأقداس و بين

القدس، الذي هو مكان الكهنة وباقي الشعب، هذا الحجاب الذي يعبِّر عن الفاصل الخطير الذي يفصل الله عن الشعب وحتى عن كهنته. ثم يدخل رئيس الكهنة حتى إلى تابوت العهد الذي عليه الغطاء المسمَّى «إيلاستيريون» أي «غطاء الرحمة أو الكفَّارة» (كابوراه)، والذي كان الله يتراءى من فوقه. ثم ينضح من دم ذبيحة الكفارة أمام الله ليكفِّر عن خطاياه وخطايا الشعب.

والآن، ما رأي القارىء إذا ذبح رئيس الكهنة «العظيم» هذا ذبيحة الكفارة ولم يدخل بدمها إلى الله داخل الحجاب الفاصل ويكفِّر عن الخطايا؟ واضح أنَّ ذبيحة الكفارة تصبح ناقصة بل وعديمة الفائدة!

هكذا تماماً، بعد أن قدَّم المسيح نفسه على الصليب ذبيحة كفَّارة كاملة لأجل كل الشعب، تحتم ـــ بحسب اللاهوت الطقسي ومفهوم التكفير عن الخطايا ـــ أن يدخل المسيح بدمه ليقدِّمه على عرش رحمة الله في السماء. وهذا هو الصعود!! وهذا العمل دخل في مفهوم عمل القيامة والصعود معاً ثم الدخول إلى الله. والقديس بولس يعبِّر عن الصعود بتعابير كثيرة، كلها جميلة، وكلها قوية وذات معانٍ عميقة تخص حياتنا.

فهو يقول عن المسيح باعتباره أنه هو الذي قدَّم ذبيحة الكفَّارة لأجل الشعب بذبيحة نفسه على الصليب، أنه بهذا يكون هو «رئيس كهنة عظيم» أصلاً، لا انتساباً لرئيس كهنة العهد القديم؛ بل باعتباره المثال الأصلي **Archetype** الذي أخذ منه العهد القديم الصورة والاسم والوظيفة. ويقول القديس بولس عن صعود المسيح: «فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات يسوع ابن الله...» (عب ٤ : ١٤). فالصعود هنا عبَّر عنه القديس بولس بأنه اجتياز للسموات.

ثم عن الدخول إلى الله في الأقداس السماوية، لزم ـــ بحسب اللاهوت الطقسي الموضح في العهد القديم أن يخترق رئيس الكهنة الحجابَ الفاصلَ بين قدس أقداس الله في الهيكل، وبين بقية أجزاء الشعب والكهنة ـــ أن يدخل المسيح إلى الله ليقدِّم ذبيحته

ودمه على يديه.

وهذا يعبّر عنه بولس الرسول هكذا:

ـــ «ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس، فوجد فداءً أبدياً» (عب ٩: ١٢).

ـــ «... فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيب، يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٤).

ولكن الأمر الذي يخصنا جداً من الصعود وتقديم المسيح ذبيحة نفسه ودمِه لله، هو أنه قدَّم ذبيحة نفسه ودمه أمام الله ليس فقط لكي تُغْفَر خطايانا فيها، بل إن دخول المسيح إلى الله كان افتتاحاً للطريق بالنسبة للذين كُفِّر عنهم **ليدخلوا معه** و بدمه حتى إلى عرش الله؛ معتبراً أن هذا حق إيمانيٌّ داخل في صميم اعترافنا ورجائنا في المسيح:

ـــ «أ ـــ فإذ لنا، أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع،

طريقاً كرَّسه (دشَّنه) لنا حديثاً، حيًّا، بالحجاب أي جسده،

ب ـــ وكاهن عظيم على بيت الله،

ج ـــ لنتقدَّم بقلب صادق في يقين الإيمان،

د ـــ مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (طاهر)،

هـ ـــ لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً، لأن الذي وَعَدَ هو أمين» (عب ١٠: ١٩ـــ٢٣).

وفي هذه الآيات يكدِّس القديس بولس المبرِّرات التي تُلزمنا أن يكون لنا الجرأة والثقة بصعودنا مع المسيح، ودخولنا مع المسيح إلى أقداس الله العليا نفسها.

أ ـــ فهو يضع في أيدينا نفس المؤهَّل الذي كان في يَديْ المسيح والذي أهَّلَهُ للدخول إلى الأقداس، إلى أمام الله، وهو دم الذبيحة الكفارية الذي أهَّل رئيس الكهنة في السابق ليدخل مرة واحدة، و بصفة امتيازية جداً، ليتراءى أمام الله في قدس الأقداس.

ب ـــ ثم المؤهل الثاني وهو الأخطر، أن المسيح دخل بدم الذبيحة الكفارية، نعم، ولكن دخل كرئيس كهنة عظيم له من وظيفته ـــ أي سلطانه في تقديم الذبيحة الكفارية وحده دون جميع الناس والكهنة ـــ حق تقديم الذبيحة والدخول إلى الأقداس؛ هذا المؤهل انتسبنا إليه، لأن المسيح كرئيس كهنة عظيم لم يدخل من أجل نفسه، أي أن عِلّة دخوله لم تكن شخصية، بل دخل ممثِّلاً لنا، وليس ممثلاً لنا وحَسْب، بل وماسكاً بنا ونحن ممسوكون فيه كما يُمسك الهِلْبُ أو المِرْساةُ المركبَ.

ـــ «الذي هو لنا كمِرْساة للنفس، مؤتمنة وثابتة، تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا» (عب٦: ١٩و٢٠).

وهذا الوصف عجيب حقاً، وهو يتناسب مع تصوُّرنا الأضعف: كيف يمكن أن نكون متَّصلين بالله والأقداس السماوية ونحن هنا على الأرض؟ فالقبطان حينما يلقي بالهِلْب (المِرْساة) في أعماق المياه، فيشدّ المركب إلى الهِلْب، تصير المركب مربوطة بموقع الهلب وهو في عمق البحر. هكذا اخترق المسيح السموات كمِرْساة مؤتمنة لسفينة كنيسته الواقفة في البحر المتلاطم، فربطها المسيح بما وراء السماء، بالله. فصارت السفينة ولواؤها في بحر العالم المتلاطم، إلاَّ أنها مشدودة ومربوطة بمناطق السلام العليا، حيث الله والمسيح.

ـــ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيدٍ أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا» (عب٩: ٢٤).

ولكن بحسب الواقع الروحي الفائق عن وصف الفكر، يقول القديس بولس إننا ونحن متحدون بالمسيح الذي هو لنا رئيس كهنة أعظم، يكهن لنا ولحسابنا، دخلنا معه حيث دخل:

ـــ «فإذ لنا، أيها الإخوة، ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع... وكاهن عظيم على بيت الله...» (عب١٠: ١٩و٢١).

هنا يوضح القديس بولس أن المسيح ليس كاهناً عظيماً لنفسه، وإنما هو كاهن على بيت الله. و بيت الله، كما قال بولس الرسول مراراً وتكراراً، هو «نحن» (عب٣: ٦، ١ كو٦: ١٩، ٢ كو٦: ١٦، أف٢: ١٩).

فالمسيح بصفته كاهناً عظيماً لنا وعلينا كأهل بيت الله، فنحن مدعوون بالضرورة الحتمية أن ندخل معه ومن ورائه، في قدومه ومثوله أمام الله، لأننا موضوع عمل كهنوته. فهو لا يتراءى أمام الله بدوننا، ولا ننسى أبداً أننا ملتحمون فيه بالجسد، فجسده الذي يتراءى به أمام الله هو جسدنا.

- «لأن به لنا كِلَيْنا (اليهود والأمم)، قُدُوماً في روح واحد إلى الآب. فلستم إذاً بعد غرباء ونُزُلاً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أف٢: ١٨و١٩).
- «الذي به لنا جراءة وقُدُوم (أمام الله) بإيمانه عن ثقة» (أف٣: ١٢).
- «وأقامنا معه وأجْلَسَنا معه في السماويات» (أف٢: ٦).
- «لأن الذي دخل راحته (المسيح)، استراح هو أيضاً من أعماله، كما الله من أعماله. فلنجتهد أن **ندخل تلك الراحة** لئلا يسقط أحدٌ في عِبْرة العصيان» (عب٤: ١٠و١١).

أما بقية المؤهلات التي تؤهلنا للدخول مع المسيح والترائي أمام الله كما وردت في الآية عب١٠: ٢٢و٢٣ ج، د، هـ، فهي كالآتي:

ج - «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان».

هنا يلتفت القديس بولس نحونا، بعد أن نبَّه ذهننا إلى كفاءة المسيح في أنه يؤهلنا للدخول معه إلى الآب. فهنا يضغط على ما ينبغي أن نعمله نحن لكي تكون لنا جرأة وثقة للدخول مع المسيح والترائي أمام الله، معتبراً أننا في تقدُّمنا للدخول، ومعنا دم المسيح كشهادة واعتراف، وفي معيَّة المسيح كرئيس كهنة عظيم «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل٢: ٢٠)، يلزم أن يكون لنا **قلب صادق**.

وكـلـمـة «**صادق**» هنا ترجمة عربية ركيكة، فالكلمة اليونانية ἀληθινῆς تعطي المعنى المزدوج: قلب **حقيقي، ومن كل القلب.** فكلمة «حقيقي» هنا هي في مقابل «شـبـه الحقـيـقـة». تمـاماً كـمـا قـيـل عن المسكن الحقيقي في مقابل المسكن الأرضي (عـب٨: ٢). وكـلمة «من كل القلب» بمعنى أن لا يكون في القلب جزء غير منحاز لله والحق، والمعنى أن يكون قلبنا على مستوى الحقائق العليا التي نتطلع إليها.

«يقين الإيمان»:

وهـنـا كـلمة «يقين» في العربية أضعف من الأصل اليوناني ἐν πληροφορίᾳ، وتعني «في ملء الإيمان»، بمعنى «إيمان بلغ **أقصى قوته**». وهذا يعتبره القديس بولس مؤهلاً شخصياً يلزمنا لكي نشترك في صعود الرب ودخوله، كحق من صميم حقوقنا، إنما على مستوى قلب وإيمان بلغا المستوى الذي نسعى لامتلاكه.

د ــ «مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي (طاهر)».

هـذا المؤهـل هـو في الحـقـيـقة تحصيل حاصل، فهو حقيقة واقعة، لأننا ندخل ومعنا التمسك بالإفخارستيا والمعمودية وفعلهما الروحي المتجذِّر في الروح والقلب والإيمان.

فـالقلب المرشوش يعني أنه مرشوش بالدم، أي الإحساس الإيماني الواقعي بعمل دم المسيـح في الإفـخـارسـتيا، وفعله في تطهير الضمير من الأعمال الميتة، أي الأعمال التي تُميتُ، أي توقع تحت عقوبة الموت.

ــ «فكـم بـالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزليٍّ قدَّم نفسه لله بلا عيب، يطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة» (عب٩: ١٤).

وتـكـمـيـل المـؤهـل يكون بالمعمودية، أي الاغتسال الروحي من خطايا الجسد بالماء «الطاهر» καθαρῷ (وليس «النقي» كما في الترجمة البيروتية) الذي للمعمودية.

هـنـا، في الحـقـيقة، يستحضر القديس بولس أمام وعينا نفس المؤهلات التي كانت

تؤهل رئيس الكهنة قديماً للدخول إلى الأقداس : وأولها ، حمل دم ذبيحة الكفَّارة **عن نفسه** ، مع دم الكفَّارة عن الشعب . فدم ذبيحة الكفَّارة الذي يحمله عن نفسه يؤهله للدخول ، باعتبار أن خطاياه قد سوَّى حسابها بدم الثور الذي ذبحه .

أما نحن ، فنحمل دم المسيح الذي يتغلغل أعماق القلب والضمير ليرفع الخطية كليًّا . ثم المعمودية ، وهي المقابل لِمَا كان يعمله رئيس الكهنة قبل أن يُقدِّمَ على ذبح الثور بأن يرحض جسده بالماء للطهارة على مستوى الجسد .

ولا يتعجب القارىء لماذا جاءت الإفخارستيا هنا قبل المعمودية ، فإننا بصدد « ذبيحة المسيح » ؛ ومعروف أن دم الذبيحة خرج وعمل عمله ، و بعده تم الموت الذي تستمد المعمودية فِعْلَها منه !

هـ ــ المؤهل الأخير « لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً ، لأن الذي وَعَدَ هو أمين » .

القديس بولس يكرر القول عن « إقرار الرجاء راسخاً » لأنه يعتبره الأساس الذي يبني عليه المؤمن كل تطلُّعاته نحو السماء في علاقته بالله . والاصطلاح « إقرار الرجاء راسخاً » يأتي في اليونانية : ὁμολογίαν τῆς ἐλπίδος ἀκλινῆ .

وفي آيات سابقة يؤكد على الرجاء ، وثقة الرجاء ، ورسوخ الرجاء ، واجتهاد الرجاء ، والتمسك بالرجاء ، وافتخار الرجاء ، ومجازاة الرجاء ، وثبوت الرجاء ، ويقين الرجاء :

ــ « لنُمْسِك بالرجاء الموضوع أمامنا » (عب٦ : ١٨).

ــ « ولكننا نشتهي أنَّ كلَّ واحد منكم **يُظْهِرُ هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء** إلى النهاية » (عب٦ : ١١).

ــ « فإذ لنا رئيس كهنة عظيم قد اجتاز السموات ، يسوع ابن الله ، **فلنتمسَّك بالإقرار** » (عب٤ : ١٤).

ــ « وأما المسيح فكابن على بيته ، و بيته نحن ، **إن تمسَّكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية** » (عب٣ : ٦).

ـ «فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة» (عب ١٠ : ٣٥).

حيث كلمة «إقرار» باليونانية ὁμολογία هي أصلاً المستخدمة في المعمودية بمعنى «الاعتراف»، الذي هو نوع من الإقرار بالعهد الجديد أن المسيح «مات وقُبِرَ وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الآب». وهذا هو الجزء الهام في قانون الإيمان. ولكن القديس بولس يأخذ منه الجزء الخاص بالصعود والدخول إلى السموات، مُعتبراً أنه الجزء من الإيمان الذي هو على مستوى الرجاء، أي الإيمان بغير المنظور والذي يترجّاه الإنسان بالإيمان كأنه حادث. وهذا يعبِّر عنه القديس بولس في آية أخرى هكذا: «لأننا بالرجاء خَلَصْنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحدٌ كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره، فإننا نتوقعه بالصبر» (رو٨: ٢٤و٢٥).

فالإيمان بالرجاء في الآيات السالفة الخاصة بصعودنا مع المسيح ودخولنا معه، هو إيمان الرجاء غير المنظور الذي يحتاج منا إلى تعبئة الإيمان للتطلُّع بالرجاء من كل القلب الصادق، وذلك باليقين والثبات والرسوخ والاجتهاد والتمسك، لكي نأخذ حقَّنا ونصيبنا في فداء المسيح الذي أكمله بدخوله، ودمه عليه أمام الله، حتى نتراءى أمام الله معه في جراءة وعدم خوف، ولنا إيمان المسيح، إيمان البنوَّة في أبوَّة الله، ومعنا كل مؤهلات الدخول والظهور معه أمام الله.

ومن هذا العبور السريع على مفهوم صعود المسيح «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو٢٠: ١٧)، وذلك لتقديم دم كفَّارته أمام الله، يتضح لنا عِظم أهمية عملية الصعود التي نعيِّد لها بعد عيد القيامة، لأنها الجزء الثاني من الفداء الذي يكمِّل ذبيحة المسيح التي استوفاها ذبحاً وسَفْكَ دم على الأرض. أما الجزء الذي تمَّ في السماء على مستوى سرِّ الله، فهو الذي به تم فعل الكفَّارة بتقديم دمه على مذبح رحمة الله، فأكمل الفداء.

ثم يتبين لنا مدى عِظم أهمية شركتنا في الصعود والدخول معه، ونحن نحمل علينا وفينا دم الفداء: «فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة، لكي ننال رحمة، ونجد نعمة عوناً في حينه» (عب٤: ١٦).

ـ «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس» (كو٣: ١).

(١٩٩٠)

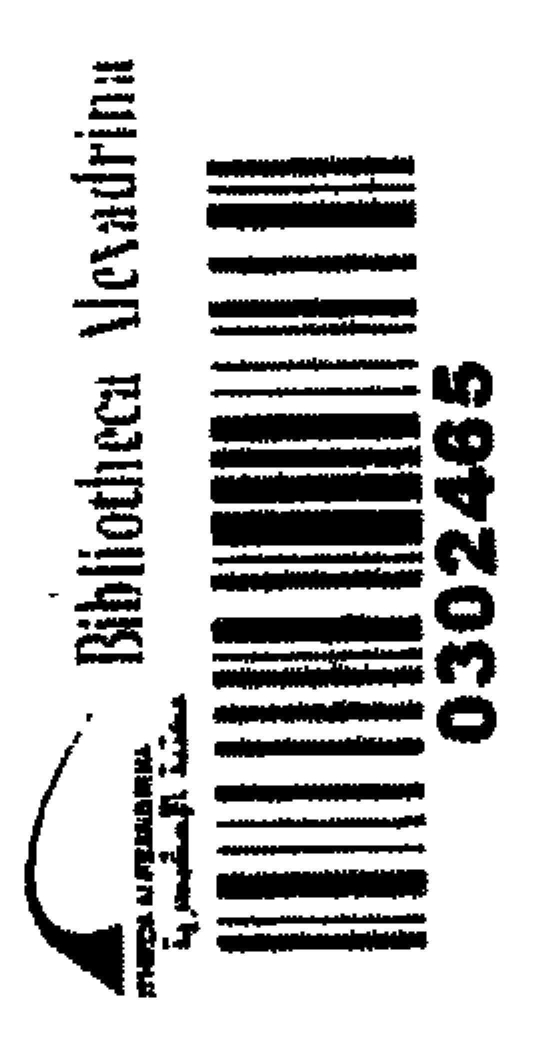
سلسلة كتب

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

الجزء الأول:	أعياد الظهور الإلهي
الجزء الثاني:	الصوم الأربعيني المقدس
الجزء الثالث:	مع المسيح في آلامه حتى الصليب
الجزء الرابع:	القيامة والصعود
الجزء الخامس:	الروح القدس الرب المحيي

كان الطريق والباب نحو الله الآب قد أُغلق في وجه الإنسان، لأن الخطيئة فصلت قلب الإنسان عن قلب الله، الإنسان تلهَّى بنفسه كفاية وجوده وارتاح لذاته كأصل وسبب كل شيء، فأُعميت بصيرته القلبية والذهنية عن رؤية خالقه الأصل والغاية لوجوده الحقيقي. والخطيئة كانت السبب الوحيد لعمى بصيرته وبعده عن خالقه.

المسيح رفع الخطيئة من الوسط، رفعها من على الإنسان ووضعها على جسده ونفسه ودانها في نفسه وقضى عليها بالموت في جسده، فألغى كل سلطانها. وهكذا انفتح الطريق المغلق، فتحه بجسده الذي انكسر على الصليب بالخطيئة ثم قام به مبرَّأً وصعد به ممجَّداً، فصار هو الطريق والباب الوحيد المؤدي إلى الآب، ليس لدى الإنسان طريق آخر قط إلى السماء غير جسد المسيح الذي مات وقام وصعد، لأنه من خلال جسد المسيح تسقط كل خطيئي وتنفتح بصيرتي.



الطبعة الثالثة ـ ٢٠٠٠
الثمن ٩ جنيهات